

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

الممارسة اللغوية داخل الأسرة الجزائرية

دراسة ميدانية مقارنة لمجموعة أسر ناطقة بالأمازيغية

(الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع الثقافي

إشراف الأستاذ الدكتور:

جمال لعبيدي

إعداد الطالب:

بوهناف عبد الكريم

السنة الجامعية: 2017 / 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَالْوَلَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ "

- سورة الروم، الآية 22 -

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ، إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "

- سورة الحجرات، الآية 13 -

صدق الله العظيم

الإهداء

بعد حمد الله وشكره، والصلاة والسلام على أفضل خلقه.

اهدي ثمرة هذا العمل المتواضع:

إلى رمز العطاء والتضحية الوالدين الكريمين.

إلى الزوجة الكريمة شاكرًا لما تفهمها وصبرها وتعاونها.

إلى ابنتي الحبيبة ريناد (خديجة).

إلى كل إخوتي الأعزاء وأبنائهم...

إلى كل من علمني حرفًا من العلم

إلى كل زملائي وأصدقائي الكرام.....

إلى كل أمازيغي ... معتز، بلغته الأم، وباللسان العربي آية
من آيات الله.

إلى كل هؤلاء، اهدي ثمرة جهدي المتواضع

محمد الكريم بوهنافة

شكر و تقدير

بداية اشكر الله سبحانه وتعالى، على توفيقه وإعانتة في انجاز هذا العمل المتواضع.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر، والامتنان والعرفان، إلى الأستاذ الفاضل " جمال لعبيدي"، والذي تكرم بالإشراف على هذا العمل البحثي المتواضع، وعلى متابعتة خطوات انجاز هذه الأطروحة، وظهورها بالشكل الذي عليه. والشكر موصول، إلى من شجعني وساعدني، أساتذة، وأصدقاء، على انجاز هذا العمل، وبخاصة إلى الأخ الأستاذ محمد الغاني.

والى كل من أمدني بيد المساعدة من قريب أو من بعيد، في انجاز هذه الأطروحة.

فهرس المحتويات

قائمة الجداول

الصفحة

مقدمة..... أ- د

الباب الأول : الإطار المنهجي والنظري للدراسة

الفصل الأول: الإطار المنهجي والمفاهيمي للدراسة

- 1- أسباب اختيار الموضوع 07
- 2- تحديد أهداف البحث وأهميته..... 08
- 3- الإشكالية..... 09
- 4- الفرضيات ونموذج الدراسة..... 12
- 5- المفاهيم الأساسية للدراسة 14
- 6- المنهج وتقنيات الدراسة 17
- 7- الدراسات السابقة 21

الفصل الثاني: اكتساب اللغة والتطور الاجتماعي لها

- 1- مراحل اكتساب اللغة..... 30
- 2- العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة 34
- 2-1- العوامل الذاتية 34
- 2-2- العوامل البيئية..... 35
- 3- الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وأثره على تعلم اللغة..... 38
- 3-1- الوضع الاجتماعي..... 38
- 3-2- الوضع الاقتصادي..... 39
- 3-3- الوضع الثقافي 42
- 4- الخصائص الاجتماعية للتطور اللغوي 45
- 4-1- الانتشار اللغوي 45
- 4-2- التطور اللغوي 48
- 5- اللغة و الفكر 54
- 6- اللغة والثقافة 56
- 7- اللغة والهوية 58

الفصل الثالث: اللغة واللهجة، ومجالات الصراع اللغوي

1- اللغة	64
1-1- ماهية اللغة	64
2-1- اللغة والهيمنة	66
3-1- وظائف اللغة	68
2- اللهجة	76
1-2- ماهي اللهجة	76
2-2- اللهجة المحلية	77
3-2- اللهجات الاجتماعية	79
4-2- العلاقة بين اللهجة المحلية واللهجة الاجتماعية	80
3- التمييز بين اللغة واللهجة	81
4- الصراع اللغوي	84
1-4- عوامل الصراع اللغوي وأسبابه	85
2-4- نتائج الصراع اللغوي	89
5- الازدواجية اللغوية	92
1-5- التعدد اللغوي حتمية تاريخية ام صناعة بشرية	92
2-5- الثنائية اللغوية	92
3-5- اللغة الميتة	93
4-5- الخيارات اللغوية	95

الفصل الرابع : مؤسسات الممارسة اللغوية

1- الاسرة	97
2- دار الحضانة	100
3- المدرسة	100
4- وسائل الاعلام والاتصال	105
5- المسجد	109
6- جماعة الرفاق	110

الفصل الخامس: المشهد اللغوي في الجزائر، رؤية سوسيو- تاريخية

- 1- الامازيغ واللغة.....115
- 1-1- الامازيغ أو البربر.....115
- 2-1- أصل الامازيغ.....117
- 2- الوضع اللغوي في الجزائر قبل الإسلام.....126
- 1-2- الفينيقيين.....126
- 2-2- الرومان.....127
- 3-2- الوندال.....128
- 4-2- البيزنطيين.....128
- 3- الفتح العربي الاسلامي، وواقع اللغة العربية.....129
- 4- الترابط الوظيفي بين الاسلام واللغة العربية وعوامل انتشارها.....130
- 1-4- الترابط الوظيفي بين العربية والإسلام.....130
- 2-4- عوامل انتشار اللغة العربية.....131
- 5- الاستعمار الفرنسي وسياسته في فرنسا المجتمع.....134
- 6- المشهد اللغوي في المجتمع الجزائري.....138
- 1-6- المشهد اللغوي بعد الاستعمار.....139
- 2-6- اللغات الموجودة في المجتمع الجزائري.....140
- 7- السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي.....142

الفصل السادس: واقع الممارسة اللغوية في المناطق الناطقة بالامازيغية

- 1- وضعية اللغات في الجزائر.....148
- 2- اللهجات الامازيغية.....148
- 3- التعدد او التنوع اللهجي.....148
- 4- الشاوية.....149
- 5- بني مزاب.....156
- 6- التوارق.....162
- 7- القبائل.....172

الباب الثاني : الجانب الميداني والتطبيقي للبحث

الفصل السابع : التعريف بمجتمع البحث

- 1- مجالات الدراسة (البحث).....185
- 1-1- المجال البشري.....185
- 2-1- المجال الزمني.....186
- 3-1- المجال المكاني.....186
- 2- تحديد العينة.....188
- 3- خصائص أفراد العينة.....190

الفصل الثامن : تأثير العوامل الاجتماعية على الممارسة اللغوية للأسرة

- 1- الخصائص الشخصية والتوجهات (الخيارات اللغوية).....209
- 2- فضاءات (مجالات) الممارسة اللغوية.....275
- 3- التفاعل الاجتماعي اليومي، وواقع الممارسة اللغوية.....285
- 4- استنتاج الفرضية الأولى.....313

الفصل التاسع: تأثير الممارسات الثقافية (العوامل) على الممارسة اللغوية للأسرة

- 1- المحددات الثقافية للهوية والممارسة اللغوية.....328
- 2- آليات التنشئة الثقافية والممارسة اللغوية.....351
- 3- الوسائط الثقافية وممارسة اللغة.....376
- 4- الحفاظ على اللغة ، ومستقبل(آفاق) الممارسة اللغوية.....392
- 5- استنتاج الفرضية الثانية.....419
- الاستنتاج العام.....434
- خاتمة.....448

قائمة المراجع

الملاحق

فهرس الجداول :

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
01	يبين توزيع المبحوثين حسب الجنس	190
02	توزيع المبحوثين حسب السن.	192
03	توزيع المبحوثين حسب عدد الأبناء	193
04	المستوى التعليمي للمبحوثين.	195
05	المستوى التعليمي للزوج (ة) المبحوثين.	197
06	مكان الدراسة الجامعية للمبحوثين	198
07	دخل المبحوثين الشهري.	200
08	مكان إقامة المبحوثين.	202
09	نوعية سكن المبحوثين.	203
10	ممتلكات الأسرة من الوسائل والأجهزة	204
11	طبيعة ملكية السكن لأفراد العينة.	205
13	سكن المبحوثين	210
14	علاقة تكلم الأبناء اللهجة المحلية (الأمازيغية) فيما بينهم، بالمسكن الذي تتواجد فيه أسرة الأبناء	213
15	العلاقة بين سرد قصص وحكايات على الأبناء، بالمسكن الذي يتواجد فيه الأبناء	217
16	اللغة المستعملة داخل الأسرة (لغة الحديث)	220
17	اللغة الأم (الأولى) للمبحوثين.	222

18	العلاقة بين اللغة الأم للمبحوثين ، واللغة المفضل تعليمها لأبنائهم	225
19	تفضيل اللغة المستعملة في التحدث أكثر	231
20	اللغة المفضل تعليمها للأبناء من قبل المبحوثين قبل دخولهم المدرسة	234
21	العلاقة بين مكان الإقامة واللغة المفضل تعليمها للأبناء قبل الدراسة	238
22	اللغة المستعملة في الحديث بين الزوجين	242
23	العلاقة بين الأصل الجغرافي ولغة حديث الزوجين	245
24	اللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل	249
25	يوضح العلاقة بين سن المبحوثين واللغة التي يتعلمها الأطفال في المنزل	252
26	يبين ان كان ابناء المبحوثين يتحدثون الامازيغية فيما بينهم	256
27	رأي المبحوثين أن كانت اللغة أداة للهيمنة.	258
28	مدى أهمية تدريس الأمازيغية كلغة رسمية حسب رأي المبحوثين.	260
29	سماح المبحوثين لأبنائهم بدراسة الأمازيغية في المدارس	265
30	المرحلة الدراسية المفضل تدريس للأمازيغية فيها للأبناء .	265
31	الحروف المفضل تدريس الأمازيغية بها حسب رأي أفراد العينة.	268
32	العلاقة بين اللغة المفضلة في الكتابة للمبحوثين والحروف المفضلة كتابة الأمازيغية بها	272
33	رأي المبحوثين للغة المناسبة لمجال العلم والتعليم.	275
34	رأي المبحوثين للغة المناسبة في مجال الإقتصاد	278
35	رأي المبحوثين للغة المناسبة في مجال السياسة	280
36	رأي المبحوثين للغة المناسبة لمجال الدين.	282
37	اللغة المستعملة للمبحوثين مع الأقارب.	285

288	اللغة المستعملة للمبجوثين مع الجيران	38
291	اللغة المستعملة للحديث في السوق	39
294	اللغة المستعملة للحديث في الشارع من قبل افراد العينة	40
297	اللغة المستعملة للحديث في الإدارة من قبل المبجوثين	41
300	درجة الممارسة اللغوية(عربية/امازيغية)للمبجوثين في المواقف المختلفة	42
303	عرض إدخال المبجوثين أبنائهم للمدارس القرآنية	43
305	اللغة المفضلة للمبجوثين أثناء القراءة والكتابة	44
309	اللغة كأداة للهيمنة وعلاقتها باستعمال هذه اللغة في القراءة والكتابة	45
329	الخيارات التي تساهم في تشكيل هوية الفرد (الذاتية) للمبجوثين	46
331	قيمة اللغة الأكثر تشكيلا للهوية الذاتية للمبجوثين	47
333	العلاقة بين رؤية المبجوثين للغة وشعورهم بالأقرب لتشكيل هويتهم الذاتية	48
336	قيمة اللغة بالنسبة للمبجوثين	49
338	يبين رأي المبجوثين حول الانتماء الثقافي للجزائر	50
342	العلاقة بين رؤية المبجوثين للانتماء الثقافي للجزائر واللغة الأقرب لتشكيل الهوية الذاتية	51
345	العلاقة بين رؤية المبجوثين للانتماء الثقافي للجزائر وأساس اختيار لغة الأبناء	52
348	العلاقة بين الانتماء الثقافي للجزائر والاعتقاد بفضاء اللغة العربية للمبجوثين	53
352	القنوات التلفزيونية المشاهدة من قبل المبجوثين.	54
355	اللغة التي يتم بها مشاهدة البرامج التلفزيونية لأبناء المبجوثين	55
357	العلاقة بين البرامج المشاهدة من قبل الأطفال واللغة المفضل تعليمها للأطفال قبل المدرسة	56
362	القنوات الإذاعية الوطنية التي يسمعها المبجوثين.	57

364	اختيار المبحوثين القنوات الوطنية بسبب أنها تبث برامجها باللغة المحلية	58
365	اللغة التي يتحدث بها أفراد العينة في معظم الاوقات هاتفيا	59
367	مطالعة الجرائد للمبحوثين ولغة المطالعة	60
370	تردد المبحوثين على مواقع الانترنت والمواقع المتردد عليها	61
373	الوسائل الإعلامية الأكثر توحيدا للغة برأي المبحوثين	62
376	انتماء المبحوثين لجمعيات ونوادي ثقافية.	63
379	اعطاء الجمعيات اهتماما للآمازيغية في برامجها ونشاطاتها	64
381	اللغة الأكثر استعمالا أثناء المناقشات وتبادل الأفكار في هذه الجمعيات	65
382	اللغة المفضلة لأفراد العينة لسماعهم الخطب والدروس الدينية	66
385	سرد للقصص والحكايات للأطفال، والقائم بذلك في الاسرة	67
388	اللغة الفضل سماع الأشرطة بها لدى افراد العينة	68
392	الوسائل المهمة والقادرة في المحافظة على الآمازيغية في نظرالمبحوثين	69
395	الكيفية التي يتم من خلالها الحفاظ على اللغة الآمازيغية	70
398	آفاق اللغة الآمازيغية حسب وجهة نظر افراد العينة	71
401	شعور المبحوثين إن كانت الآمازيغية تتجه نحو التقلص في الاستعمال	72
404	العلاقة بين الأصل الجغرافي وشعور المبحوثين بمدى تقلص الآمازيغية في منطقتهم	73
407	العوامل المساعدة في انتشار اللغة حسب رأي المبحوثين	74
410	العلاقة بين اعتبار اللغة أداة هيمنة والعوامل الأكثر تأثيرا في انتشار اللغة	75
414	المؤسسات المفضل تعلم الآمازيغية فيها حسب رأي المبحوثين	76
417	وجوب الأسرة تعليم الأبناء لغة المحيط الخارجي(خارج الأسرة)	77

مقدمة

مقدمة:

تعتبر اللغة نتاج سيرورة، أقرها التاريخ عبر مراحل زمنية متعاقبة، ولعل الوضعية التاريخية التي عاشتها الجزائر خلال حقبةها التاريخية المتنوعة، تفرض علينا النظر بتمعن إلى مسألة اللغة، حيث لا يمكن فهمها فهما عميقا، في ممارساتها وآثارها، دون التوقف عند أهم تلك المحطات التي مرت بها، والتي عرفت العديد من التوافقات الخارجية.

وانطلاقا من الأصل (الجذور) الامازيغي لسكان شمال إفريقيا عامة، وللجزائر خاصة، فهناك الفتح العربي الإسلامي، الذي شكل نقطة تحول محورية للممارسة اللغوية في تاريخ الواقع الثقافي الجزائري، مروراً بالحقبة الاستعمارية الفرنسية، والتي عمل من خلالها الاستعمار بكل الوسائل والإمكانيات، المشروعة وغير المشروعة، لطمس معالم الشخصية الوطنية، لغة ودينا، والذي خلف آثارا على هذا المستوى، لا تزال انعكاساتها إلى اليوم، ثم جاءت مرحلة الاستقلال التي عملت فيها الدولة من خلال الدستور والنصوص الرسمية، وجل ممارساتها الواقعية والمؤسسية، على توحيد الثقافة الجزائرية، في شتى أبعادها ومكوناتها، وبخاصة اللغة، إذ أقرت اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية بصورة نهائية، وهو الإجراء الذي غيب (همش) جانبا مهما من مكونات المجتمع الجزائري، وهو اللغة الامازيغية، إذ أن هناك نوع من الإقصاء لكل الاختلافات اللغوية، واعتبارها أجزاء سلبية، على اعتبار أن المجتمع الجزائري تركيبة متنوعة من الجماعات الثقافية واللغوية المختلفة، فهناك الشاوية والقبائل والتوارق ويني مزاب...الخ، ولعل هذا ما جعل المسألة اللغوية تأخذ منحى تعقيدي، وبخاصة في ظل ظهور تيارات تطالب بالاعتراف اللغوي والثقافي لهذه المكونات الوطنية.

وفي السنوات الأخيرة فتح المجال أمام اللغة الامازيغية، للدخول كمكون من مكونات الشخصية الوطنية، إلى جانب اللغة العربية، من خلال الاعتراف الرسمي بذلك، كما تم إنشاء المحافظة السامية للغة الامازيغية، كفاعل مؤسسي يهتم بهذه اللغة وتطويرها، وهو ما منح الفرصة لهذه اللغة - الامازيغية - على المستوى الرسمي، لان تتبوأ مكانتها، كمكون من مكونات الشخصية الجزائرية، وتكون لها الفرصة للعب دورها الكامل، في الفضاء الاجتماعي والثقافي والوطني والإعلامي...الخ.

وان الواقع اللغوي الجزائري - برغم التحديد الرسمي للغة الواحدة دستوريا ومؤسسيا - يتميز بالتعدد اللغوي المتداخل، تتفاعل فيه اللغة العربية بشكلها الفصيح والدارج مع اللغة الامازيغية بتنوع

لهجاتها واستعمالاتها (الشاوية، القبائلية، المزابية، الترقية، الشنوية، الزناتية...)، ومع اللغة الفرنسية كذلك، حيث تتعايش هذه اللغات بديناميكية، تتسم في اغلب الحالات بالتغير والتموقع، إذ تتصارع (ظاهريا وباطنيا)، في المواقف والمواقع والفضاءات التي تستعمل وتمارس فيها من قبل الفاعلين الاجتماعيين، كأفراد أو كمؤسسات، إذ تتغلب فيها العربية أحيانا كثيرة من حيث الاستعمال والانتشار، وقد تكون الامازيغية أحيانا أخرى الأكثر توسعا وانتشارا لدى الجماعات اللغوية الناطقة بها خاصة، كما تكون اللغة الفرنسية متفوقة ومنتشرة في مجالات وقطاعات محدودة، لكنها أكثر فاعلية وتأثيرا .

ومرد هذه الممارسات والاستعمالات للغات المختلفة، يرجع إلى مجمل الوظائف التي تحققها هذه اللغة أو تلك، وإلى المكانة - الفعلية - التي يعطيها الأفراد والجماعات لهذه اللغة وجدانياً ومنفعياً، وقد يرجع إلى اعتبارات أخرى، كطبيعة اللغة نفسها...

وبما أن الأسرة هي الخلية الأولى التي يتم فيها تعلم اللغة، ونقلها في جل الأحيان، سواء تعلق الأمر بالعربية، أو الامازيغية، أو حتى اللغة الأجنبية، فإنها تكتسي مكانة هامة في المجتمع، فهي التي تفرض خيارات وممارسات لغوية للأبناء، في داخلها أو خارجها (المحيط)، إذ تعكس جملة الممارسات اللغوية لأفرادها، كما أنها تعكس، صور النزاعات اللغوية، بصورة مقصودة أو تلقائية (عفوية)، الأكثر تواجدا خارجها، أي في المجتمع المحيط بها (المدرسة، الشارع، المسجد، الدارة، الوطن....)، والذي تتواجد فيه وتتفاعل معه.

فهذه الممارسات اللغوية، داخل الأسرة وخارجها، تتحكم فيها العديد من العوامل الاجتماعية والثقافية، التي تؤثر في خيارات الافراد وممارساتهم، والتي تتم داخل الجماعات اللغوية المهيكلة في المجتمع الجزائري، والناطقة باللغة الامازيغية، وهي بدورها تسعى لتبني اللغة وتتفاعل معها، وتحاول ممارستها على أوسع نطاق.

وعليه كان اختيار موضوعنا (الممارسة اللغوية للأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية مقارنة للأسر الناطقة بالامازيغية)، وهذا لتلك الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل بني مزاب، التوارق)، كموضوع بحث، من باب أولوية، كمحاولة معرفة أهم الممارسات اللغوية، عند هذه الجماعات، وهذا بالتركيز على العوامل الاجتماعية والثقافية، التي تدفع الأسرة، إلى الخيارات اللغوية لأبنائها، ومعرفة مدى استعمال اللغة المحلية - الامازيغية - لهم، على المستوى الفردي والجماعي، وذلك لان تأثير

العوامل الاجتماعية والثقافية، تأثير قوي في توجيه المواقف والتصورات، لهؤلاء الأفراد في ممارساتهم واختياراتهم اللغوية، وسواء عند الأسرة في الجماعة اللغوية الواحدة، أو بمقارنتها مع الأسر للجماعات اللغوية فيما بينها (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق).

ولكي تكون دراستنا هذه، في المستوى المقبول من الناحية المنهجية والمعرفية-، فقد قمنا بتقسيمها إلى بابين اثنين، تضمن الباب الأول الإطار المنهجي والنظري للدراسة، واحتوى الباب الثاني على الجانب الميداني للبحث، ساعيا بذلك في كل مرة، الى محاولة إجلاء العلاقة بين ما هو موجود في الباب الأول مع ما جاء في الباب الثاني، ويمكن عرض محتوى الدراسة على النحو التالي:

الفصل الاول، وتطرقنا فيه الى الجانب المنهجي للدراسة، والذي وضعنا فيه المشكلة المدروسة على محك معرفي وعلمي - السوسيولوجيا - لتيسير فهمها، اذ قمنا اولا بتحديد اسباب اختيار الموضوع، ذاتيا وموضوعيا، ثم تطرقنا لتحديد أهداف الدراسة وأهميتها، وتضمن ايضا إشكالية البحث، والتي تمحورت حول واقع الممارسة اللغوية للأسرة، وهذه بإجراء مقارنة لمجموعة من الأسر الناطقة بالامازيغية، لكل من الجماعات اللغوية للشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق، اذ تم تفكيكه إلى سؤالين فرعيين، يهتم كل واحد ببعد من أبعاد الظاهرة المدروسة، ومن ثم اقتراح إجابات عن تلك التساؤلات، في شكل فرضيات بحث، إضافة إلى احتواء هذا الفصل على أهم مفاهيم الدراسة ومعانيها، كما تضمن عنصر المنهج والتقنيات المستعملة لجمع البيانات، وعنصر الدراسات السابقة، وأخيرا توضيح أهم صعوبات الدراسة.

وفي الفصل الثاني، والذي جاء تحت عنوان " اكتساب اللغة، والتطور الاجتماعي للغة" تم خلاله تناول مراحل اكتساب اللغة، والعوامل المؤثرة في ذلك، وكذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وتأثيره على تعلم اللغة، إضافة إلى عوامل تطور اللغة، وعلاقة اللغة، بكل من الفكر والثقافة والهوية.

والفصل الثالث، تناولنا فيه اللهجة واللغة ومجالات الصراع اللغوي، من خلال عرضنا للعلاقة بين اللهجة واللغة، ومجالات الصراع اللغوي ونتائجه، واهم انعكاساته على مكانة اللغة في الواقع الاجتماعي.

أما الفصل الرابع، تعرضنا إلى تناول دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الممارسة اللغوية، إذ تلعب الدور البارز في إكساب الأفراد اللغة الممارسة وبخاصة الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام المختلفة.

بينما في الفصل الخامس، الذي كان عنوانه " المشهد اللغوي في الجزائر، رؤية سوسيو- تاريخية " تطرقنا فيه إلى مختلف المراحل التاريخية التي مر بها المجتمع الجزائري، قصد تتبع الجذور التاريخية للمسألة اللغوية، معرجين على عناصر، الامازيغ واللغة، والى إبراز الوضع اللغوي، قبل الإسلام، وفي مرحلة الفتح العربي الإسلامي، وفي الفترة الاستعمارية، والوضع اللغوي الحالي، وعنصر السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي.

وفي الفصل السادس، تطرقنا إلى واقع الممارسة اللغوية عند الجماعات اللغوية الناطقة بالامازيغية (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق).

أما الفصل السابع، والذي يعتبر الأول في الباب الميداني، حيث تم التطرق فيه لمجالات الدراسة، والعينة الخاصة بالدراسة وتحديدها، وعرض الخصائص العامة لمجتمع الدراسة.

وفي الفصل الثامن قمنا خلالها بالإجابة على الفرضية الأولى، بعد تحليل بياناتها الميدانية، وعالجت هذه الفرضية، تأثير العوامل الاجتماعية على الممارسة اللغوية، لأسر الجماعات اللغوية الناطقة بالامازيغية ، لكل من الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق .

وفي الفصل التاسع، تم التطرق إلى تحليل نتائج الفرضية الثانية من البحث، التي موضوعها "العوامل الثقافية وعلاقتها بالممارسة اللغوية في الأسرة" من خلال المقارنة بين الجماعات اللغوية السابقة الذكر، لنصل في الأخير إلى وضع استنتاج عام، يتطرق إلى جملة النتائج والأفكار الرئيسية وفي ختام الدراسة، تم وضع قائمة ببليوغرافية، لكل المراجع والمنشورات المساعدة في انجاز هذا العمل، مع إدراجنا جزء لوضع بعض الملاحق .

الباب الأول

الإطار المنهجي والنظري للدراسة

الفصل الأول

الإطار المنهجي والمفاهيمي للدراسة

1- أسباب اختيار الموضوع:

لكل بحث مهما كان، أسباب اختيار تدفع الباحث إلى تناوله، ولعل المجتمع الجزائري لازال -برغم الدراسات الموجودة- مجالاً خصباً لإجراء دراسات سوسولوجية هامة، خاصة في ظل التغيرات الحاصلة على جميع المستويات والأصعدة، وبخاصة الثقافية منها، ويأتي بذلك اختيارنا للموضوع "الممارسة اللغوية للجماعات الناطقة بالأمازيغية" ضمن محاولتنا لتفسير وفهم هذا الموضوع، ضمن تلك السياقات والتغيرات الحاصلة، ولعل هناك أسباب موضوعية وأخرى ذاتية، دفعتنا إلى ذلك.

1-1. الأسباب الموضوعية:

- قلة الدراسات حول موضوع اللغة في الجزائر عموماً، وفي المناطق الناطقة باللغة الأمازيغية خصوصاً.
- انسام بعض الدراسات ، بالتجاذبات الإيديولوجية والسياسية والعاطفية ، بعيدة عن التناولات الأكاديمية.
- ظهور موضوع اللغة والمسألة اللغوية في الجزائر، بصورة متكررة وبشكل لافت، وبخاصة في قضية الأمازيغية، وظهور تبدلات في المواقف الرسمية والسياسية إزاء القضية (بروز تحول في التعامل مع المسألة اللغوية-رسمياً وسياسياً وشعبياً)، وبخاصة في ظل التحولات التكنولوجية الحديثة، والتي فتحت المجال أكثر للتواصلات بما فيها اللغوية (العولمة).
- دراستي السابقة حول "التنشئة اللغوية في منطقة الأوراس"، على مستوى الماجستير، كانت وراء فضولي (وبتشجيع من الأستاذ المشرف)، في محاولة إجراء مقارنة في الممارسات اللغوية والتنوعات الموجودة على مستوى المناطق الجغرافية الأخرى المصنفة -كمناطق أمازيغية اللغة- القبائل وبني مزاب والتوارق،...إلخ، وبخاصة على مستوى الأسرة باعتبارها النواة الأولى في المجتمع.
- قلة الدراسات -ذات الطابع الميداني- في مجال اللغة كظاهرة اجتماعية بامتياز.

2.1. الأسباب الذاتية:

- انتمائي لإحدى الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، ومعايشتي اليومية لتلك الممارسات اللغوية اليومية، في جل المجالات والمواقف المختلفة (الحماس الذاتي).
- اهتماماتي الخاصة بموضوع اللغة كظاهرة اجتماعية واقعية ، وكممارسة فعلية داخل الأسرة وخارجها.
- ثقتي الواسعة، بالدور الذي ستلعبه كل مكونات المجتمع الجزائري ، بتنوعاته الثقافية واللغوية، في تجاوز المراحل الصعبة من المسألة اللغوية -المعقدة- وما صاحبها من مشاكل وتوترات انعكست على المجتمع ككل (الرغبة في التوصل إلى حل يُرضي الجميع بما يحقق الانسجام والتماسك لكل مكونات المجتمع الجزائري).
- محاولة التعاون فيما بين المختصين والباحثين، في جمع المعلومات واستغلالها بطريقة حكيمة وعلمية.

2- أهمية وأهداف البحث:

لعل المسألة اللغوية في الجزائر، تكتسي أهمية خاصة لما تنسم به، من خصوصيات ثقافية واجتماعية متشعبة، تجعلها قبلة للدارسين والباحثين في فروع علمية متنوعة (سوسيولوجية، أنثروبولوجية، اقتصادية، سياسية،...)، قصد تناولها تناولاً أكاديمياً، يبعدها عن أي استغلال سياسي أو إيديولوجي والذي قد يزيد من تعقيدها أكثر - والدراسة اللغوية، تمكن للباحث أن يدرسها في مناطق عدة من الجزائر، ومن زاوية تخصصه، حتى يتسنى للقارئ والمطلع لهذه الأبحاث من معرفة الصورة الحقيقية والواقعية، بكل تجلياتها وتبايناتها وتداخلاتها.

ولعل دراسة الممارسة اللغوية لدى الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، وبخاصة لدى هذه الأسر، يكتسي أهمية بالغة، في محاولة الوقوف على تلك الممارسات اللغوية اليومية، ذات الاحتكاك المتواصل بين العربية والأمازيغية (بكل لهجاتها)، أو أي لغة أخرى قد تبرز كمعطى واقعي (حال الفرنسية في بعض المجالات)، وعليه فإن الاختيارات اللغوية، المنطلقة من الأسرة، هي دلالة على وجود استراتيجية أسرية، تسعى من خلالها للحفاظ على التراث والإرث اللغوي بكل تنوعاته، فهي رافد يثري الواقع الوطني الجزائري، في أبعاده المستقبلية، لأن الموضوع يرتبط بماضي وحاضر ومستقبل الجزائر.

وبالنظر إلى الأهمية التي يكتسبها الموضوع يمكن تحديد أهداف الدراسة في:

- محاولة الوقوف على معالم السياسة اللغوية المنتهجة لدى الأسر الجزائرية، وبخاصة الناطقة بالأمازيغية منها، والتي تعبّر كجزء لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي الجزائري ككل.
- معرفة مدى انفتاح هذه الأسر (الناطقة بالأمازيغية) أو انغلاقها على اللغات الأخرى، غير لغتها (الأمازيغية).
- الوقوف على الطرق المنتهجة من قبل الوالدين (باعتبارهم فاعلين في الأسرة)، في توفير الأجواء والمحفزة على تعلّم اللغة الأولى (الأم) خلال تنشئتهم الاجتماعية، واتصالهم بالمجتمع (المحيط) الذي يعيشون فيه.
- محاولة تحليل المظاهر (المواقف) العديدة، لتماس اللغات فيما بينها، وبخاصة (عربية/أمازيغية) كواقع لغوي موجود.
- محاولة إعطاء تفسير علمي، حول الممارسة اللغوية للأسر، لدى الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، والعوامل المتحركة في هذه الممارسات اللغوية.
- الكشف عن الغموض (أو بعض جوانبه)، حول موضوع اللغة، في علاقتها مع الجماعات اللغوية الناطقة بهذه اللغة، وبخاصة لدى الأسر المنتمية إلى هذه الجماعات، انطلاقاً من المدخلات والمخرجات، وانعكاس ذلك على النسيج المجتمعي ككل بكل مكوناته.

3- الإشكالية :

يعتبر واقع المسألة اللغوية في الجزائر نتاجاً للسيرورة التاريخية التي مرت بها الجزائر عبر الحقب المختلفة، انطلاقاً من الامتدادات الإمازيغية للسكان الأصليين، مروراً بالتواجيدات الأجنبية المختلفة، سواء كانت بطريقة الفتوحات أو المساعدات... الخ، وكان ذلك بطريقة استعمارية، حيث عمل كل ما بوسعه وقدرته، لتفتيت وتحطيم الشخصية الوطنية (الجزائرية) بكل مكوناتها، ومنها تفتيت البنية الثقافية التي تتكون ضمنها، إذ حارب الاستعمار الدين، وطارد اللغة العربية في كل مكان للقضاء عليها وتغييبها عن المشهد اللغوي الجزائري، وكان هذا من خلال منع تعلمها في المدارس والمؤسسات ذات العلاقة بهذه اللغة، ومحاولة تعويضها باللغة الاستعمارية (الفرنسية)، ولم يكتفي بهذا فقط، بل عمل جاهداً على محاولة إظهار اللغات أو اللهجات الشعبية المتواجدة على أنها معارضة ومتصادمة مع اللغة العربية.

وهذا ما أدى بعد الاستقلال إلى إفراز وضع لغوي، برزت فيه فئات لغوية مختلفة ومتنوعة تصل أحيانا إلى صراعات محتدمة (معربين، مفرنسين، ممزغين)، وهو ما جعل التنافس بين هذه الفئات اللغوية متواجد في كل مفاصل المؤسسات والهيئات لأجل الهيمنة والسيطرة من خلال هذه اللغة أو تلك، باعتبارها مظهر يخفي ايديولوجيا وفكر وهيمنة على جميع المستويات وبخاصة الإستراتيجية منها، وهذا الوضع أدى إلى أن وضعية اللغة أصبحت مهتزة الأركان وألقت بضلالها حتى على الواقع اللغوي اليوم .

ويمكن ملاحظة هذا التنوع اللغوي من خلال التعدد اللغوي الذي تتداخل وتتفاعل فيه اللغات الثلاث (العربية، الفرنسية، الامازيغية)، إذ نجد اللغة العربية بحضورها الهام والواسع وبشكلها الدارج والفصيح، قد تم تبنيها وجعلها اللغة الوطنية والرسمية، وهو ما اكسبها قيمة رمزية على الأقل على المستوى الشعبي الممارساتي، وكبديل للتحرر اللغوي الاستعماري، ونجد ايضا الحضور المعتبر للغة الامازيغية بتعدد لهجاتها من شاوية، وقبائلية، ومزابية، وترقية، وشنوية وزناتية، وهي لغة السكان الأوائل، هذا إلى جانب الحضور المتواصل للغة المستعمر الفرنسي في العديد من المؤسسات ولدى النخب المختلفة، وعند فئات قليلة في المجتمع.

ولكل من هذه اللغات، بلهجاتها المتنوعة، جماعات تتبناها، وتتفاعل وتتواصل بواسطتها، ولأجلها، ومن بين أهم هذه الجماعات، الجماعات الثقافية اللغوية الناطقة بالامازيغية، بلهجاتها المتعددة، والمتمثلة في الجماعة اللغوية للشاوية المتمركزة في منطقة الاوراس، والجماعة اللغوية للقبائل المتمركزة في القبائل الكبرى والصغرى، والجماعة اللغوية لبني مزاب المتمركزة في منطقة غرداية، والجماعة اللغوية للتوارق المتمركزة في الاهقار..... الخ، والتي تكون فيها كل لهجة مرتبطة بمنطقة جغرافية محددة، زيادة على الجماعة اللغوية الناطقة بالعربية، بشكلها الدارج والفصيح.

لتبقى هذه الممارسة اللغوية بتنوعها واقعا معاشا في الحياة اليومية للأشخاص والجماعات، مع التباينات في طبيعة اللغة الممارسة من قبلهم، فقد تكون العربية أكثر انتشارا، وقد تكون الامازيغية في بعض الحالات، وقد تكون الفرنسية في مجالات أخرى أكثر تفوقا، ومرد ذلك يرجع الى الوظائف والأدوار المختلفة التي تحققها هذه اللغة أو تلك، والى مكانتها لدى الأفراد والجماعات، زيادة على تأثير العوامل الثقافية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية في ترسيم اللغة واستعمالاتها في المجالات المتنوعة، وهناك تأثيرات ترجع لطبيعة اللغة نفسها.

ولعل تواجد هذه الممارسات اللغوية المختلفة هو دليل على الحضور اللغوي اللحظي (الآني) لعدة لغات في حقب زمنية متعاقبة، سواء أكان هذا الحضور دينيا أو حضاريا أو علميا...

وبما أن الأسرة تشكل نظام اجتماعي أساسي في مختلف المجتمعات، وهذا بتعدد أنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، هي أهم المؤسسات التنشئية التي تتفاعل فيها كل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ...، وباعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد، والتي تمارس عليه التأثير المباشر في التوجه اللغوي، وذلك من خلال اللغة التي تمكن الاتصال بين الافراد، حيث تكتسي هذه العملية الاتصالية (لغويا) طابعا خاصا لما لها من دلالات عند تلك الأسر، ولما كانت هذه المؤسسة (الأسرة) نموذجا مصغرا يعكس صورة المجتمع فيما يسوده من فضاءات، وما يتميز به من مميزات، فانها هي المحصن للخصوصية الثقافية في المجتمع، ويكون ذلك من خلال إنتاج مخرجات ذات رصيد لغوي متماشي مع حاجات الدولة وإستراتيجيتها، إذ تركز السياسة اللغوية للدولة على تلك الخيارات الواعية والمتخذة في مجال شبكة العلاقات المختلفة بين اللغة من جهة، وبين الحياة الاجتماعية بأشكالها المختلفة من جهة أخرى، لان اللغة هي صورة معبرة عن حياة الدولة وانتماءاتها الثقافية والحضارية والهوياتية، وهي تعبير عن تاريخها، وهذا ما يجعل الأسرة هي الاخرى حبيسة خيارات لغوية منتهجة من قبل أفرادها وبخاصة الوالدين، إلا أنها أيضا تخضع للشروط التي يعيشها المجتمع الإنساني، وترتبط ارتباطا وثيقا بالجماعة، أي بالبنية الاجتماعية المهيكلية للغة، وهو ما يؤهلها لان تكون المحطة الأولى، وصمام الامان لاستمرارية ونقل الرأسمال اللغوي إلى الأجيال المختلفة، لضمان " الاحتفاظ بذاتيته، وعضويته، في بيئته، ذات السلوك اللغوي الذي ألفه".

ولعل الممارسات اللغوية المختلفة للأسر الجزائرية على العموم، والأسر الناطقة بالامازيغية هي إحدى الخيارات الممكنة لنوعية واتجاهات هذه الممارسة وطبيعتها (سواء كانت ذات ثقافة امازيغية، أو ذات ثقافة عربية، أو ذات ثقافة متنوعة عربية امازيغية، أو ذات ثقافة أجنبية - فرنسية -)، والتي بدورها لها الأثر على بلورة وتشكيل هوية الأمة وثقافتها، ولعل هناك العديد من الخلفيات - الثقافية والاجتماعية - والعوامل المتشابكة أحيانا والمتنافرة أحيانا أخرى ، هي التي تضيف نوع اللغة الممارسة داخل هذه الأسر، وخارجها، بفعل مؤسسات التنشئة الأخرى، وللوقوف على هذه الخيارات والاتجاهات للممارسة اللغوية عند هذه الأسر الناطقة بالامازيغية، طرحنا التساؤلات الآتية:

- ما العوامل المؤثرة (المتدخلة) في الاختيارات اللغوية للأسرة الجزائرية، وخاصة عند الأسر الناطقة باللغة الامازيغية بلهجاتها المختلفة (الشاوية، القبائلية، المزابية، الترقية) ؟
- وهل تعيد هذه الأسر الناطقة بالامازيغية، ذات هذه الميزة (اللغة الامازيغية) إنتاج نفس اللغة لديها في ممارساتها المختلفة؟ أم أن تأثير العوامل السوسيو- ثقافية، يساهم في ظهور وضعيات وتوجهات لغوية جديدة، سواء داخل هذه الأسر أو خارجها، وهي تتباين عند هذه الجماعات اللغوية الناطقة بها، من منطقة امازيغية إلى أخرى؟

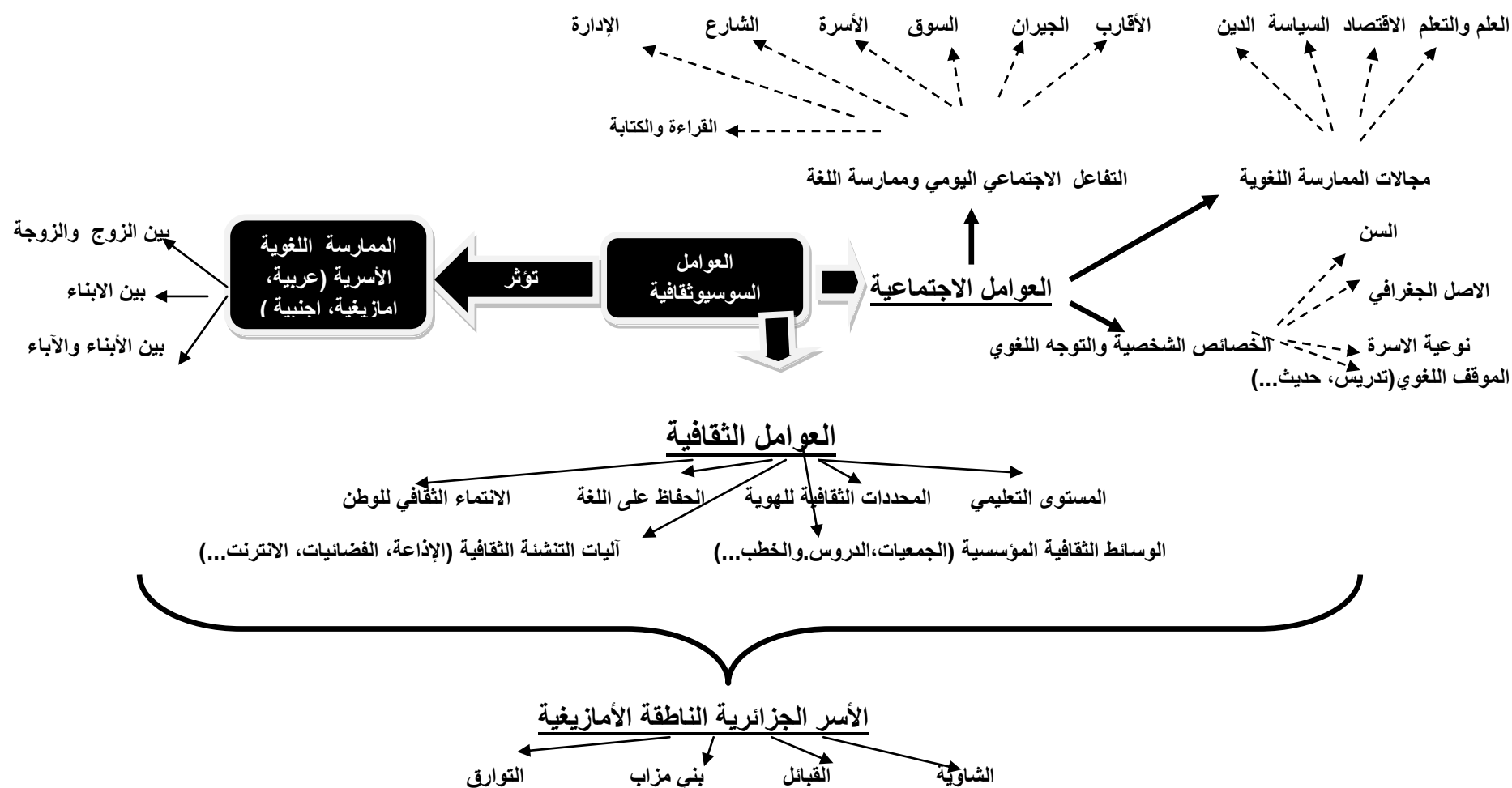
4-الفرضيات :

الفرضية العامة: تؤثر العوامل السوسيو ثقافية على الممارسة اللغوية الأسرية، إلا أن هذا التأثير يختلف باختلاف فئة الأسر الناطقة بالمازيغية (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق).

الفرضيات الفرعية :

- يختلف تأثير العوامل الاجتماعية على الممارسة اللغوية الاسرية، باختلاف فئة الاسر الامازيغية في الجزائر (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق).
- الممارسة اللغوية في الاسر الامازيغية، تتأثر بالعامل الثقافي للاسر، ويختلف هذا التأثير باختلاف فئة الاسر الامازيغية (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق).

نموذج الدراسة:



5- تحديد المفاهيم:

لقد اخترنا مجموعة من المفاهيم كركيزة لبحثنا، وقمنا بتحديدنا لتسهيل البحث، ولأنها «تعبّر دائماً عن الصفات المجردة التي تشترك فيها الأشياء والوقائع والحوادث، دون أن تعني واقعة أو حادثة بعينها»¹، فقد اخترنا مفاهيم مرتبطة بموضوع دراستنا، ومن خلالها يتسنى للباحث نقل المعلومات إلى الأفراد، على أن تكون هذه المفاهيم مفهومة ومفيدة ودقيقة قدر الإمكان، وعليه فإننا استعملنا مجموعة من المفاهيم هي:

5-1. اللغة: «نظام من رموز ملفوظة عرقية، بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية»².

كما أنها «صورة السلوك الإنساني، الذي تتطوي على الاتصال الرمزي، من خلال نسق النماذج المتفق عليها ثقافياً، وتعتبر اللغة جزءاً مكن التراث الثقافي،... وهي نتاج اجتماعي»³.

ونقصد بها في بحثنا هذا إجرائياً، بأنها وسيلة من وسائل التواصل بين الأفراد والجماعات، وهي اللغة المنطوقة تحديداً، والمتداولة (الممارسة) فيما بينهم (يتم الحديث بها)، سواء أكانت دارجة (مألوفة) أو فصحي أو لهجة.

5-2. اللغة الأمازيغية: ونعني بها فقط، اللسان، ولغة التداول والتخاطب بين الأفراد، وما تتضمنه من ثقافة وتراث، وتعكس هذه اللغة (الأمازيغية)، السكان الناطقين بهذه اللغة، وتشتمل مجموعة من اللهجات المنطوقة خاصة، وهي اللهجة الشاوية المنتشرة في منطقة الأوراس (الشاوية)، واللهجة القبائلية المنتشرة في منطقة القبائل (تيزي وزو، بجاية، بويرة،...)، واللهجة المزابية، والتي تنتشر خاصة في منطقة بني مزاب (غرداية تحديداً)، واللهجة التارقية التي تنتشر في أقصى الجنوب

¹ - معنوق جمال: منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي، بن مرابط للطباعة والنشر، الجزائر، 2009، ص 50

² - إبراهيم السيد صبري: علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995، ص 2.

³ - غيث محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، 1989، ص 265-266.

وبخاصة (تمنراست)، وينحصر استعمال هذه اللغة الأمازيغية، بلهجاتها المختلفة في «المشافهة أساساً، أما كتابتها فتظل هامشية لا رسوخ لها حالياً».¹

فهي اللغة التي يتحدث بها الكثير من الجزائريين، وبخاصة المناطق الأمازيغية، وعليه فأنني عندما استعمل كلمة الامازيغية عند كل جماعة لغوية، اقصد بها تلك اللهجة الخاصة بكل جماعة لغوية ، فالمازيغية عند الشاوية هي اللهجة الشاوية، والامازيغية عند القبائل هي اللهجة القبائلية، والامازيغية عند بني مزاب هي اللهجة المزابية ، والامازيغية عند التوارق هي اللهجة الترقية ، فكل هذه اللهجات تنتمي الى الامازيغية، وسيظهر الحديث عن الامازيغية في الجانب الميداني خاصة، عند كل الجماعات اللغوية، ويكون المقصود بذلك اللهجة الخاصة بكل منطقة .

3-5. الأسرة: هي «وحدة اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، بيولوجية، تتكون من مجموعة من الأفراد، ونقوم بتأدية عدد من الوظائف التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية».²

وتعد الأسرة «المؤسسة التربوية الأولى التي يتلقى فيها الفرد تنشئته الاجتماعية، التي تحوله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي-ثقافي، ففيها تتحدد شخصيته وهويته، التي تبقى معه طوال حياته...».³

وهناك نوعان من الأسرة، أسرة ممتدة، تشمل الأب والأم والأولاد وتضم أيضاً المتزوجين منهم وصغارهم، وكذا الجد والجدة أحياناً، ويقيمون في منزل واحد، وهناك أسرة نووية (زواجية) وتشمل الزوج والزوجة، والأبناء فقط، وهي مستقلة عن الأولى.

4-5. الممارسة اللغوية: «تجليات لتفاعل مختلف العوامل اللغوية والنفسية والسوسيلوجية والثقافية والتربوية والعاطفية، التي هي مقومات الخصائص الفردية والجماعية».⁴

¹ - طالب الإبراهيمي خولة: الجزائريون والمسألة اللغوية، عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، ترجمة/ محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص53.

² - أسعد وطفة على: علم الاجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص73.

³ - بوخلوف محمد، صحراوي بوزيد.. وآخرون: واقع الأسرة الجزائرية والتحديات التربوية في الوسط الحضري، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2008، ص20.

⁴ - طالب الإبراهيمي خولة، مرجع سبق ذكره، ص 87.

من الوجهة القبلية يدل على «كل نشاط لغوي في تفاعل مستمر مع الوسط الذي يجري فيه، صحيح أن هذ النشاط محكوم بعناصر هذا الوسط، ولكنه (أي النشاط) يحدث فيه آثاراً لذلك».¹

فالممارسة اللغوية هي استعمال الأفراد لألفاظ ومفردات تعابير، سواءً في أسرته أو خارجها، وفي جميع الأماكن، وفي المواقف المختلفة، أي أن هناك استعمال لغوي روتيني، مكرر، في مواقف مختلفة أو حتى في نفس الموقف (مداومة الأفراد على استعمال اللغة، من خلال أداء مهامها، وبخاصة التحدّث والتكلم والسماع بها).

5-5. الجماعة اللغوية: ونقصد بها تلك الجماعة (مجموعة أفراد)، تتكلم بلسان واحد، ويجمع هذا اللسان (الكلام) أفرادها، ويمنع غيرهم من الدخول فيها، أي أنها تميّز الأفراد الناطقين، بها عن غيرهم من غير الناطقين بها، وقد تجمعهم نفس الثقافة.

ونقصد بها تحديداً، أن الجماعات اللغوية، تمّ تقسيمها ليس على أساس عرقي (إثني)، وإنما بسبب اللسان، حتى يتسنى لنا من التعامل مع هذه الجماعات اللغوية، وفقاً للسان الذي تتحدث به (الجماعة اللغوية الشاوية، الجماعة اللغوية الناطقة بالقبائلية، الجماعة اللغوية الناطقة بالمزابية، الجماعة اللغوية الناطقة بالتارقية)، وهذه الجماعات يسود بينها تفاهم لغوي واضح، ف"الأفراد الذين يستعملون نفس اللغة، ينتمون الى نفس الجماعة"²، ولذلك استعملت هذا المفهوم للتمييز بين هذه الجماعات اللغوية وفقاً للهجة المتداولة في اوساطهم .

5-6. الموقف الاجتماعي: هو «جملة القيم والاتجاهات التي يتعامل معها الفرد أو الجماعة، خلال فترات نشاطهم المختلفة،... وهو التصوّر الذي ينشأ عن الظروف والاتجاهات».³

5-7. العوامل الثقافية(المرجعية): تتركز على مجموعة من العوامل الثقافية، إذ «تتطوي على عدد من المتغيرات الثقافية، كمستوى التحصيل العلمي للآباء، ونمط العلاقات بين أفراد الأسرة، وجملة التصورات والمفاهيم والعادات والتقاليد السائدة في إطار الوسط الأسري».⁴

¹ - طالب الإبراهيمي خولة، مرجع سبق ذكره ، ص 87.

² - نفس المرجع، ص 70

³ - غيث محمد عاطف، مرجع سبق ذكره، ص 439.

⁴ - أسعد وطفة علي، مرجع سبق ذكره، ص 73.

وهو عاكس لما هو موجود، في شخصية الإنسان، من حزمة الاستعدادات والتصورات والقيم المكتسبة، أثناء تنشئته في الأسرة، والبيئة، وتكوينه، ويمثل رصيد الآباء من المعلومات والملكات والمهارات والمؤهلات، وعلاقة هذه الجوانب الثقافية ومواقفه وتصوراته، حيال (إزاء) بعض القضايا الثقافية والاجتماعية والوطنية.

6- المنهج والتقنيات المستعملة:

6-1. المناهج المتبعة:

لعل طبيعة الظاهرة المدروسة، وكيفية تناولها، وطبيعة الميدان، هي نقاط يتوقف عليها اختلاف وتنوع المنهج، في حقل العلوم الاجتماعية، إذ لكل موضوع منهج يتلاءم وطبيعة الموضوع، والمنهج هو سبيل يسلكه الباحث، قصد بلوغ حقيقة يجهلها، أو لغرض البرهنة أو التأكيد على تلك الحقيقة، ويكون ذلك وفقاً لمجموعة قواعد «طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة».¹

وانطلاقاً من موضوع دراستنا الذي تناولناه، الممارسة اللغوية داخل الأسرة الجزائرية، وذلك بإجراء مقارنة بين مجموعة من المناطق (الناطقة بالامازيغية)، والذي تتشابه فيه الكثير من المعطيات، زيادة على تعدد ابعاد التناول، فإنه لزم علينا استخدام المنهج التاريخي «الذي يصف الحوادث بطريقة موضوعية، ويحاول أن يربطها في سياق زمني من أجل تقدير قصة مستمرة من الماضي إلى الحاضر والمستقبل».²

وأن الباحث الاجتماعي، يميز عمله، بأنه ينصب ويعكف على تفسير وتحليل الحدث، وقد كان استعمالي له، خاصة في البحث عن الأصول التاريخية للمسألة اللغوية، والذي بدأ تشكله عبر السيرة التاريخية للجزائر، خلال الفترات الزمنية المختلفة (الرومان، الوندال، الفتح الإسلامي، الاستعمار،...).

¹ - بوحوش عمار، الذنبيات محمد محمود: **مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 92.

² - نفس المرجع، ص 129.

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على «دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها كيفياً وكمياً، فالتعبير الكيفي يبين لنا خصائص الظاهرة موضوع الدراسة، أما التعبير الكمي، فيعطيها وصفاً رقمياً يوضح مقدار الظاهرة وحجمها».¹ وعليه لجأنا إلى هذا المنهج لأجل الوصف الدقيق للظاهرة، وتحليل العلاقة بين مختلف جوانبها، ولأن السبيل الوحيد لفهم الظاهرة، هو محاولة فهم هذا المعنى وتفسيره، كما اعتمدنا عليه أيضاً، وهذا لوصفنا وتشرحنا للواقع اللغوي، والمسألة اللغوية في الجزائر، من خلال الأسرة (رصد الظاهرة)، ثم تفسيرها وتحليلها، لغرض الولوج (الوصول) إلى استنتاجات وخراسات.

وبما أن دراستنا تعتمد على المقارنة بين الجماعات اللغوية المختلفة والناطقة بالأمازيغية، فإننا اعتمدنا على المنهج الوصفي المقارن، إذ أن «كل بحث سوسولوجي ينطوي بالضرورة على مقارنات بين بعض المتغيرات».²

2-6. التقنيات المستخدمة:

بما أن الباحث يختار التقنية المناسبة، حسب طبيعة الموضوع وطبيعة المجتمع المدروس، وتبعاً لأنواع المناهج المستعملة، فإنه في بحثنا هذا اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من الأدوات المنهجية، بغرض الإحاطة والإلمام بموضوعنا قدر الممكن، وتمّ توظيف أداتين في البحث هما الاستمارة (الاستبيان)، والملاحظة.

5-2-1. الاستمارة : وهي أكثر التقنيات (الأدوات) استخداماً في البحث السوسولوجي، إذ تسمح بجمع معطيات كمية، حول الواقع الاجتماعي بدرجة -مُرضية- من الموضوعية والحيادية، وكان استعملنا لها، بغرض تسجيل المواقف المحددة لأفراد العينة، ووجهات نظرهم حول مجموعة من القضايا، التي تعتبر أبعاداً للبحث ولمختلف جوانبه، والتي أردنا البحث فيها، وقد استعملنا فيها النوعين معاً، من الاستمارات، استمارة المقابلة، واستمارة الملء الذاتي.

فاستمارة المقابلة استعملناها لأنها تقدم تسهيلات كثيرة تساعد على تجاوز مشكلة عدم التجاوب والفهم من طرف المبحوثين، لأنه بإمكاننا التدخل لشرح وتبسيط الأسئلة ومناقشتها كلما تطلب الأمر

¹ - طاهر حسو الزبياري: أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011، ص60.

² - دليو فضيل،... وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص..

ذلك، واستعملنا هذا النوع من الاستمارة (بالمقابلة)، خاصةً، مع ذوي المستوى التعليمي المنخفض (أمي، يقرأ ويكتب، ابتدائي).

أما استمارة الملء الذاتي، فتركنا فيها المبحوثين، يتجاوبون مع الأسئلة بأنفسهم، دون تدخل منا (توزيعها عليهم)، وبعد مدة الرجوع إليهم لاستعادتها، أي أنهم هم (المبحوثين)، من يملؤون الإجابات على الأسئلة في الاستمارة بأنفسهم، وقد كان هذا النوع من الاستمارات عند المبحوثين ذوي المستوى التعليمي المتوسط والعالي (ثانوي، جامعي).

وقد جاءت الاستمارة في ثلاثة محاور أساسية:

- محور البيانات الشخصية، والذي مكننا من جمع معلومات عن بعض خصائص المبحوثين (السن، المستوى التعليمي، الأصل الجغرافي،...).
- محور البيانات الخاصة بالعوامل الثقافية والممارسة اللغوية، والذي يحتوي على مؤشرات العوامل الثقافية، وبعض مؤشرات ممارسة اللغة.
- محور البيانات الخاصة بالعوامل الاجتماعية والممارسة اللغوية، والذي يضم مؤشرات مفهوم العوامل الاجتماعية، وبعض مؤشرات الممارسة اللغوية.

وقد جمعت هذه الاستمارة، بين الأسئلة المغلقة، والأسئلة المفتوحة والاحتمالية، ولم تطبق هذه الاستمارة في شكلها النهائي إلا بعد تجريبيها في الميدان، والتي سمحت لنا بتعديلها، وحذف بعض الأسئلة، وإعادة صياغة البعض منها، كما تمّ إضافة بعض الأسئلة، نبهنا إليها إجابات بعض المبحوثين، وكذا ملاحظات المحكمين (قبل توزيعها).

وطبقت الاستمارة في شكلها (صيغتها) النهائية، على مائتي (200) مبحوثاً ، والممثلين للعيينة الكلية، موزعين بالتساوي بين أفراد العينة، للجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية:

- خمسون (50) استمارة، للجماعة اللغوية الشاوية.
- خمسون (50) استمارة، للجماعة اللغوية للقبائل.
- خمسون (50) استمارة ، للجماعة اللغوية لبني مزاب.
- خمسون (50) استمارة ، للجماعة اللغوية للتوارق.

كما أشير أنني استعنت ،وبخاصة في المناطق اللغوية (القبائل، بني مزاب والتوارق)، ببعض الزملاء (الأساتذة)، لمساعدتي على توزيع الاستثمارات لدى هذه الجماعات، أو إجراء مقابلة مع الذين لم يتمكنوا من الإجابات مباشرة على الأسئلة (استمارة المقابلة)، وهذا بعد صعوبة التواجد في هذه المناطق بصورة مستمرة، ولضمان إجابات صريحة، بسبب انتماء هؤلاء الأساتذة إلى هذه المجموعات اللغوية، وكذا لضمان استرجاع أكبر عدد ممكن من الاستثمارات الموزعة (والتي كان الحصول عليها صعباً نوعاً ما، وفقدان عدد كبير من الاستثمارات بسبب صعوبة الحصول عليها (إرجاعها)، وهو ما يفسر تقلص العدد الإجمالي الذي كام موزعاً.

وأذكر بأن هناك بعض الاستثمارات تم التعامل معها، مع المبحوثين باللغة (اللهجة) المحلية لكل منطقة (شفوياً) لشرح الأسئلة، أو في إجابات المبحوثين.

6-2-2. الملاحظة البسيطة: نظرا للقيمة التي تقدمها الملاحظة في الدراسات السوسولوجية، بمختلف تفرعاتها، كان من الواجب علينا الاعتماد على هذه الوسيلة، في لحظات (محطات) متباعدة خلال البحث، وكانت استفادتي منها كبيرة، خاصة في المجتمع اللغوي الذي أنتمي إليه (الشاوية)، وبصورة أقل لدى الجماعات اللغوية الأخرى، التي تلاقيت مع أفرادها لمرات عديدة (عن طريق العمل) أو بالتواجد في هذه المناطق لأوقات معينة (حتى وإن كانت قصيرة)، وبخاصة أن الملاحظة، تسمح لك من الاطلاع على بعض المواقف والاعتقادات والممارسات المختلفة، بما فيها اللغوية، وكذا تلك العلاقات الاجتماعية، وأنماط السلوك الاجتماعي.

كما مكنت الملاحظة أيضاً، من تسجيل الانفعالات، وردود الفعل المتباعدة، أثناء استجواب المبحوثين خاصة عن طريق -الاستمارة بالمقابلة- أو حتى حين تسليم الاستمارة وتسليمها، وتصرفاتهم اللغوية أثناء هذه اللقاءات.

كما مكنتني الملاحظة اليومية، التي شاهدها على مدار السنوات، باعتباري فرد ينتمي إلى هذا المجتمع، واحتكاكه بالجماعات الأخرى، من إثارة تساؤلات أولية (فضولية)، ما لبثت أن تحولت إلى تساؤلات معرفية، استوجبت مني التحري العلمي لإيجاد إجابات عنها.

7-الدراسات السابقة:

تكتسي هذه الدراسة أهمية خاصة بالنسبة للبحث، إذ تعمل على توجيه الباحث الوجهة السليمة، في طريق بحثه، وهي دراسات قريبة من الدراسة الحالية، لتحقيق التواصلية والاستمرارية والتكاملية بين المعارف المتعددة للموضوع المعالج. وقد تكون الدراسات السابقة، خادمة للموضوع بصورة مباشرة أو غير مباشرة، واعتمدت في بحثي هذا على عدة دراسات سابقة، يمكن عرضها في الآتي:

7-1. دراسة "خولة طالب الإبراهيمي"¹ خاصة في أطرحتها الخاصة بـ "الجزائريون ولغاتهم، عناصر من أجل مقارنة سوسيو-لغوية للمجتمع الجزائري"، حيث الوضعية في الجزائر، والتي تتسم بالتعددية، خاصة وأن اللغات المتفاعلة فيما بينها في المحيط الجزائري، هي اللغة العربية الفصحى و"الدارجة"، وكذا اللغة الفرنسية، وإلى اللغة الأمازيغية بلهجاتها المختلفة، وهذه الوضعية اللغوية للمجتمع الجزائري تولد الصراع داخل المجتمع، خاصة في ظل سياسة التعريب المتبع من قبل الدولة وخاصة تعريب التعليم، وهذا التعريب المتبع الذي كان نتيجة أسباب سياسية، والصراع خاصة بين اللغتين العربية واللغة الفرنسية، وكذا اللغة العربية واللهجات المختلفة، وهذا نتيجة صراع الفئات والشرائح الاجتماعية المختلفة داخل هذا المجتمع، وكذا إلى التيارات الإيديولوجية المختلفة.

واعتبرت أن المجتمع الجزائري، يتحدث بعدة لغات (من حيث الاستعمال)، وبالتالي يؤدي إلى تواجد ثلاث فضاءات لغوية، الفضاء العربي وهو المنتشر عدداً وجغرافياً، ويمتاز هو الآخر بتعددية مرتبطة باستخدام اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة المدرسة، والتعامل الرسمي، إلى جانب تعدد في اللهجات المختلفة والمتداولة بين عامة المتحدثين في المجتمع (الفضاء الشرقي، الفضاء الغربي، الجنوب، العاصمة،...)، أما الفضاء أو المجال الثاني هو الفضاء الأمازيغي، وهو الآخر يطرح مسألة التعددية بحكم أنه يعرف تنوعاً لهجياً (الشاوية، القبائلية، المزابية، التارقية،...)؛ هذا إلى جانب اللغة الأجنبية والمتمثلة في اللغة الفرنسية خاصة، والتي تركت أثراً ما تزال إلى اليوم، نتيجة السياسة الاستعمارية.

¹ - Taleb Ibrahimi, Khoula, *Les algériens et leurs Langues*, éd El Hikma, 1997.

كما أكدت على أن عملية التعريب تعكس الصراع الموجود بين التيار المنادي بالتعريب (التعريبي)، والتيار الفرنكفوني، ويتبين ويتضح هذا الصراع خاصةً على المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

والتطرق إلى المسألة اللغوية في الجزائر، يجب أن يكون شمولياً، وذلك من خلال التطرق إلى مختلف الأبعاد للمسألة اللغوية سواءً من الناحية التاريخية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية.

وقامت بتحليل الممارسات اللغوية الفعلية للناطقين الجزائريين، وقد باشرت تحليل هذه الممارسات اللغوية، انطلاقاً من مدونة جمعتها من خلال " الملاحظة المباشرة "، وتسجيل التفاعلات المتنوعة لديهم، وذلك بتسجيلها، كما وظفت الملاحظة النشيطة، والاستبيان، وكانت تهدف إلى معرفة الإطار الذي تجرى فيه العملية التبليغية ، لتدريس وتعليم العربية ، أي الإحاطة الجيدة ، بالشبكات والميادين التي يكثر فيها ، ويطغى فيها استعمال اللغة العربية الفصحى، في مدينة الجزائر، وقد اعتمدت على افتراضين ، أحدهما يقر بأخذ استعمال اللغة العربية الفصحى ، في التناقص ، كلما تم الابتعاد عن السياقات الرسمية الاجالية Situation Formelles ، وكلما تم الاقتراب من الأوضاع والمقامات ذات الوجه الواحد.

والافتراض الثاني، حاولت معرفة مدى تأثير الاحتكاك المطرد، قليلاً أو كثيراً، بالعربية الفصحى، عن طريق المدرسة، ووسائل الإعلام، والصلات بالمؤسسة، على الممارسات اللغوية، في اتجاه الاستمرارية، وفي اتجاه بناء لغة مشتركة للتواصل .

وبمشاهدتها للسلوكات اللغوية للناطقين الجزائريين، فقد حصرت عدداً من المميزات المشتركة والعامة، في مجموع هذه الشبكات (شبكات التبليغ)، الموضوعية من قبل الناطقين - المستمعين الكبار-، والوقوف على الأوساط التي يطغى فيها استعمال العربية، والأوساط التي يطغى فيها استعمال الفرنسية، وتكمن بعض النتائج في :

*بالنسبة للوسط الذي يطغى فيه العنصر المفرنس، فإن أفرادهم تكونوا باللغة الفرنسية، والمعنيون بالقوة -بالتعريب - ، ففي علاقاتهم الأسرية ، تغلب التنوعات اللهجية العربية ، بمعينة النزعات البربرية (لأفراد أصليي المناطق البربرية)، وحضور ملحوظ للغة الفرنسية في التفاعلات بين الزوجين والأولياء والأبناء، وهناك عائلات لا تستخدم سوى الفرنسية.

- بالنسبة للعلاقات الاجتماعية ، فتتقاسم اللهجات العربية ، والفرنسية ، الميدان ، مع احتمال ورود اللهجات البربرية (اذا اقتضى الحال) ، ويتم اختيار الفرنسية ، في حالات تباعد اللهجات جغرافيا .
- اما في العلاقات المهنية، فهناك طغيان للغة الفرنسية، وهي اللغة التي تعتمد عليها الاوساط في عملها.
- اما العلاقات المدنية والتجارية، فتتقاسم اللهجات، العربية والفرنسية، مع طغيان الفرنسية احيانا
- * اما الوسط الذي يغلب فيه العنصر المعرب، فتظهر السمة الأساسية الأولى، وهو استخدام اللغة العربية الفصحى، والعربية الكلاسيكية، في بعض المناسبات، استخداما مقصورا على السياقات الرسمية ، ويلجأون الى الفرنسية، في السياقات التي يشعرون بضرورة استعمالها .
- مع استخدام النساء (ذات التكوين بالعربية)، اللغة الفرنسية.

وقد استنبطت، أن هناك خطابين للشبكات، الممثلة لسلوكات الأفراد، الذين ينتمون إلى هذا الوسط فأول نمط (الشبكة)، هو الذي يقل فيه ورود اللغة الفرنسية، في حين ان النمط الثاني، يشهد حضورا قويا لهذه اللغة (الفرنسية)، في تشابكها مع غيرها من اللغات، وفيه تتواتر، بشكل لافت حالات التعاقب اللغوي ، بين مختلف مستويات العربية (الاستمرارية).

فالأفراد الذين يتكلمون، أو لا يتكلمون، وعندما يتكلمون، فإنهم يفعلون ذلك بكيفية ما، في وقت ما وبكيفية أخرى في وقت آخر.

7-2. دراسة " برنشتاين " حول "اللغة والطبقات الاجتماعية":

لقد تطرق "برنشتاين Bernstein" في كتابه "اللغة والطبقات الاجتماعية"¹ إلى مدى تأثير لغة الوالدين على لغة الطفل ، وإلى اعتبار أن النجاح الاجتماعي للفرد في المجتمع واكتسابه لامتياز اجتماعي مرتبط ارتباطاً مباشراً بدرجة تطور اللغة والقيمة الممنوحة إلى فعل ممارسة اللغة، وتكون بذلك الصورة التي يتكلم بها الأفراد تعكس علاقتهم ودرجة النمو الثقافي والمعايير التي تتصف بها الطبقة.

¹ - Bernstein(Basil) : **Langage et classes sociales**, Les éditions de Minuit, Paris ;1980.

ويرى أن الأطفال المنتمين إلى بيئات اجتماعية مختلفة، يبدأون نظرياً بالتحدث باللغة نفسها في المدرسة، ولكن في الواقع المعاش فإنهم يستعملون نُظماً رمزية تختلف في سماتها المميزة، وطرق استعمالها ووظائفها، وأعتبر أن هناك نوعين من التعابير (رموز لغوية) تستعملها الطبقات، فهناك:

أ. رمز محدود: يُستعمل هذا الرمز عند الطبقات الشعبية والعامة (طبقات المجتمع السفلى) وهي لغة عمومية وترتكز خاصةً على المحيط والعبارات العاطفية والانفعالية.

ب. والرمز الثاني هو رمز متطور يُستعمل عند الطبقات المتوسطة والعالية (طبقات المجتمع العليا والمتوسطة)، وله صفة الشخصية ويغلب عليه الحوار والاتصال.

وتكون بذلك لغة الطفل المنتمي إلى الطبقة العاملة أو المحرومة اجتماعياً، لها غلبة الاستخدامات العملية المباشرة للحصول على شيء ما أو الإشارة إلى الحاضر المباشر، أي أنها لغة ملموسة حيث المبادلات تكون قليلة (تكاد تكون منعدمة)، كما أن الأدوار في نسقها العائلي تكون مغلقة (أي أنها تُحد من المبادرة الشخصية)؛ وهو ما يجعل لغة هذه العائلات بعيدة عن لغة وثقافة المدرسة.

وأما الطفل المنتمي إلى الطبقة العليا أو المتوسطة، تكون المبادلات اللغوية كثيرة مع أبنائهم (أي أن قاموسهم اللغوي غني)، كما أنها تتميز بنسق الأدوار الأكثر تنوعاً، وهو ما يجعل الطفل يتعلم لغوً معقدة ومنطقية، وبالتالي فإن الطفل في هذه الطبقة (العليا والمتوسطة)، لن يشرب من بيئته لغة أثرى وأكسب صحة فحسب، بل سيلقى التشجيع بطرق متعددة للبعد عن استخدام الكلمات لأغراض علمية أو محسوسة مباشرة (الوصف، القصص،...) وهذا ما ستعني المدرسة بالبداية فيه بطريقة منتظمة، أي أن لغتها متكيفة ومنسجمة مع لغة وثقافة المدرسة، وهو ما يجعل طفل هذه الطبقة يدخل المدرسة وهو يتكلم لغتها، بينما طفل الطبقة الدنيا سيكون في موقف مختلف من البداية نظراً لطريقته المختلفة في الكلام.

وبالتالي فالطفل أحادي اللغة الذي يتلقى تعليمه بلغته لا تكون اللغة التي تستخدمها مدرسته مطابقة تماماً للغة التي تعلمها في البيت، وهو ما يكون غالباً سبباً في كثير من فشله.

وهذا ما يجعل حسب "برنشتاين" دائماً أن هناك ترابط بين المستوى الاقتصادي والذي يحدد المستوى الثقافي واللغوي للأفراد والمجموعات، وهو ما يعكس مدى تحكم اللغة في النمو الاجتماعي والثقافي للأطفال.

كما أشار إلى أن الأطفال المنحدرون من الطبقات الاجتماعية العمالية (الكادحة) -السفلى- لا يملكون إلا أن يستخدموا النظام اللغوي "الضيق"، بينما المنحدرون من الطبقات المتوسطة والعليا، إضافة إلى استخدامهم النظام اللغوي "الراقي" فهم يعرفون أيضاً النظام اللغوي الضيق (المحدود).

ورغم ما توصل إليه برنشتاين من نتائج ذات قيمة، إلا أنه لم يفلح من النقد¹:

حيث هوجم على تفسيره للفروق الفردية -فكرة النظم الرمزية المختلفة للمصطلحات اللغوية، وأيضاً على تأويله لمسبباتها وظروفها الاجتماعية، خاصة وأن الأطفال المنتمين إلى فئات اجتماعية مختلفة يدخلون المدرسة وقد يملكون أشكال مختلفة من اللغة، وتتفاوت درجات استخدام هذه الاشكال اللغوية في مدى قربها أو بُعدها عنها، وقد يتسنى للطفل التحدث بطريقة مختلفة في المدرسة، عن تلك الموجودة في المنزل والذهاب إلى المدرسة يعني دائماً تبني أشكال وأنماط لغوية مختلفة.

كما انتقده "لابوف وليام Labov"، حيث أن الاستعمال السيء لهذه النظرية يبدأ غالباً من المساواة المشكوك فيها بين "راقٍ" و"جيدٍ" من جهة و"ضيقٍ" و"رديءٍ" من جهة أخرى، وكذلك عندما ننسى الفرق يسن ما يمكن للناس أن يفعلوه وما يفعلونه فعلاً².

وقد اعتبر "مارتن دوتش" "Deutsh Martin" أن بيرنشتاين قد أغفل «دور الطبقة الاجتماعية في نمو اللغة والمعرفة»².

7-3. دراسة "شادلي فيتوري" حول الثنائية اللغوية والثنائية الثقافية³:

دراسة "فيتوري" "G.Fitouri" لاشك أن اللغة الأقل منزلة دائماً في المجتمع، تمثل المستويات السفلى في التقسيم الاجتماعي، ومهما كانت اللغة في المكانة، فإنها لا تُمد الجماعات الناطقة بها

¹- ميجل سيجوان، وليم ف. مكاي: التعليم وثنائية اللغة، ترجمة: إبراهيم بن حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية، 1995، ص93.

²- تعوينات (علي): «صعوبات تعلّم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي»، أطروحة دكتوراه، معهد علم النفس، جامعة الجزائر، ص47.

³-Fitouri (Chadli) : *Bilinguisme, biculturalisme et éducation*, Delachoux, et Niestle, Paris, 1993.

بوسيلة الاتصال فحسب، بل كذلك بأوعية ثقافية مختلفة، وهو ما يدل على تواجد علاقة بين اللغة والثقافة، وهي علاقة مباشرة وليست سهلة التحديد.

ولقد تطرق "فيتوري" إلى التعرف على الطريقة التي تؤثر بها تلك الاختلافات اللغوية في نتيجة التعليم ثنائي اللغة، وقد اختار التعليم ثنائي اللغة الذي يجمع بين العربية والفرنسية في بلاد المغرب العربي، حيث قام "فيتوري" باختيار مجموعة من الطلبة المتمدرسين دخلوا المدرسة في "تونس"، وهذا في الستينات حيث تابع تقدمهم الدراسي لعدة سنوات، وجمع درجاتهم في مجموعة اختبارات وعلاماتهم في عدد من المواد المدرسية، وقد بدأ الأطفال تعلمهم في المدارس في تلك الفترة "باللغة العربية"، لكنهم درسوا "الفرنسية" كمادة دراسية ابتداءً من السنة الثانية، كما أنهم تعرضوا للفرنسية كلغة تدريس في عدد من المواد.

ولكي يحلل كل ما جمعه "فيتوري" استناداً إلى الخلفية الأسرية لهؤلاء المتعلمين، قسم الأسر - حسب مستواها الاقتصادي وخصائصها الثقافية:-

- المعيار الاقتصادي اشتمل على ثلاث درجات (مرتفع، متوسط، منخفض).
- المعيار الثقافي اشتمل على خمس مجموعات متسمة بالخصائص التالية:
 - العربية الريفية: وتشتمل الأسر التي تتكلم العربية الشعبية فقط.
 - العربية التقليدية: وتشتمل السر التي تتكلم عربية شعبية وعربية فصحى.
 - ثنائية ثقافية حيث السيادة للعربية: وتشتمل الأسر التي تتحدث اللغتين "العربية" و"الفرنسية" لكن السيادة فيها للغة العربية.
 - ثنائية حيث السيادة للفرنسية: تشتمل الأسر العربية والفرنسية، ولكن السيادة فيها للفرنسية.

كما اعتبر أن هذه التقسيمات الاقتصادية والثقافية ترتبط ارتباطاً وثيقاً، والنتائج المتوصل إليها أن الأطفال من الأسر ثنائية الثقافة والأسر الناطقة بالعربية يستمرون إلى حد كبير في تقدمهم، بينما أطفال الأسر الناطقة بالعربية الشعبية يبدأ تأخرهم بصورة ملحوظة، وفي المرحلة الموالية، تأخذ الهوة شكل معدل عالٍ من التسرب، وقلة عد الملتحقين بالتعليم الثانوي، ويُرجع "فيتوري" الأسباب إلى أن اللوم لا يرجع إلى اللغة، حيث تعلم الفرنسية كلغة أجنبية يمثل الصعوبة لكل طالب، كم لا يمكن إلقاؤه

على العوامل الاقتصادية الاجتماعية لوحدها، حيث يرى أن الأسباب الجوهرية موجودة في الفروق الثقافية المتصلة باللغتين، حيث تعتبر بعض الجماعات مظاهر الثقافة الفرنسية جزءاً عادياً وطبيعياً من بيئة الأسرة، وهو ما يجعلهم يكتسبون اللغة كأداة ذات إمكانيات جديدة في هذا المجال.

أما بعض الجماعات التي لم يسبق لها الاتصال باللغة الفرنسية وثقافتها، والتي تمثل معظم شعورهم بالاحتكاك بعالم غريب مُعاد يسبب لهم عدم الأمان، وهذا ما يؤدي في نظر الباحث إلى إعاقة نموهم الشخصي والذهني، وتعرقل إدماجهم في ثقافتهم وتكيفهم مع تلك الثقافة الأجنبية.

كما شاهد "فيتوري" أن هذه النتائج تكون خاصة في قطاعات السكان التي تضم الفلاحين في المناطق الريفية، وكذا في الأحياء الفقيرة من المناطق الحضرية والذين يتكلمون العربية الشعبية فقط، وأن الأسر التي تستخدم العربية الفصحى يكون فيها الأطفال الناشئة أغنى ثقافياً، لا تمثل الفرنسية بالنسبة إليهم خطراً.

واعتقد الباحث أن الشعوب العربية عامةً وشعوب المغرب العربي خاصةً، لا يمكن أن يبقوا وينموا، إلا باحتفاظهم بشخصيتهم الثقافية، هذا برغم اضطرارهم إلى اكتساب معارف وأساليب تقنية من العالم الخارجي، وبالتالي تعلّم اللغة الأجنبية التي تحمل هذه المعارف والأساليب، ولذا فإنه قدم توصيات وذلك بمدّ الفترة التي تكون فيها اللغة العربية لغة التدريس الوحيدة، كما أن يؤكد ويوصي على إدخال اللغة الفرنسية فيما بعد وبطريقة تدريجية، وهذا لأجل تقوية الطفل وربط جذوره بثقافته العربية الأصيلة، وهو بذلك يمنع من وقوع الآثار الهدامة لها من جرّاء اتصاله بالفرنسية للوهلة الأولى.

وهو بالتالي يرى أن النظام ثنائي اللغة يستدل ويسترشد بمشروع سياسي لتنمية التلاحم بين الجماعات والثقافات المتعايشة معاً.

وقد بيّنت هذه الدراسة التي قام بها "فيتوري" الفروق الذهنية وتلك النتائج الدراسية التي حققها الأطفال المنحدرون من الأسر الريفية والتي تتكلم العربية الشعبية فقط، وبيّن نتائج نظرائهم من الأطفال المنتمين لأسر ناطقة بالعربية الفصحى إضافة إلى العربية الشعبية، حيث لا يمكن تفسير وتحليل الفروق إلى تلك الهوة (الفجوة) بين الثقافتين الفرنسية والعربية، ولكن لابد أن يكمن الفرق في أن الأسر الريفية أو الأسر التي تعيش في المناطق الفقيرة من المنطقة الحضرية (المدينة)، لا تُعتبر

ممثلة حقيقية للثقافة العربية إلا في مظاهرها الأكثر سطحية، أي الافتقار إلى الجذور الثقافية، وهذا ما يجعلهم لا يُعدُّون الإعداد المناسب للاتصال باللغة الفرنسية وثقافتها.

وعموماً فإن النتائج التي توصل إليها "فيتوري" تمثلت في أن:

-الأطفال المنتمين إلى أسر ذات مستوى ثقافي منخفض وناطقة بلهجة عربية في البيت، لم يصلوا إلى مستوى مرتفع من النمو في لغتهم أثناء دخولهم المدرسة، كما أن الفرنسية في بداية تقديمها للأطفال في تلك الفترة يتم تقديمها على عجل حيث لا تسمح للأطفال باستيعابها وفهمها.

-أطفال الأسر ثنائية اللغة يحتمل أنهم دخلوا المدرسة ولديهم درجة عالية من الكفاءة الشفوية إضافة إلى امتلاكهم لبعض المعرفة أو الألفة باللغة الفرنسية، وهو ما يجعل عملية تقديم الفرنسية عملية تدريجية، وحتى الأطفال الذين ليس لهم احتكاك بالفرنسية في أسرهم ويتكلمون العربية المحلية والفصحى، دخلوا المدرسة وهم يمتلكون لغة دراسية ولديهم تركيبات لغوية أكثر تعقيداً.

4-7. دراسة "جلبرجرايوم"¹: في كتابه "التعريب والسياسة اللغوية في المغرب العربي"، حيث أكد على تلك المحاولات التي تسعى إليها شعوب المناطق المغاربية وإرادتهم في محاولة إعطاء اللغة العربية مكانتها اللائقة كلغة وطنية ورسمية، خاصةً وأنها كانت مستهدفة استهدافاً كبيراً لأجل دحضها ومحوها من قبل الاستعمار، كما أنه يطرح تاريخية اللغة العربية في المغرب العربي، وعلاقتها مع اللهجات الأخرى المتواجدة، وكذا علاقاتها باللغة الفرنسية كلغة مُهيمنة في هذا المجتمع وبدرجة كبيرة في المؤسسات الاقتصادية وفي الإدارة، وكذا التعليم الجامعي.

كما أشار إلى عدم التوازن أو التوافق بين الخطابات والأقوال المنادية بالتعريب خاصةً على مستوى خطاباتها السياسية، وعملها على تجسيد ذلك في الواقع الملموس، حيث تُنادي بعض هذه الفئات إلى التعريب وتشجيع الطبقات الاجتماعية الشعبية وخاصة الفقيرة على ذلك، في حين ترسل وتدفع أبناءها إلى التعلّم والتكوّن باللغة الفرنسية، وهذا لغرض استخلاصها في مناصبها، مما يكسبها مركزاً اجتماعياً، كما اعتبر أن عملية التعريب في هذه البلدان المغاربية، ما هي إلا تنمّة وإكمال للاستقلال السياسي ومشروع المجتمع.

¹ - جلبرجرايوم: اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة/ محمد أسليم، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011.

الفصل الثاني

اكتساب اللغة والتطور الاجتماعي لها

تمهيد :

تعتبر الأسرة المنبع الأساسي لأي مجتمع من المجتمعات، فهي تمتلك قوة التأثير الفعال في تكوين وتشكيل أنماط شخصية الإنسان، وبالتالي فإن للتربية الأسرية أثر عميق في تكوين شخصية الفرد بكل مكوناتها وخاصة في السنوات والمراحل الأولى من حياته، والطفل في مراحل عمره يكتسب العديد من السلوكيات والأشياء، كما أنه في خضم مراحل حياته يكتسب اللغة التي بواسطتها يستطيع الاتصال اللفظي مع غيره، فاللغة أداة فكر وتفكير، وأداة اتصال، وهذا الاكتساب اللغوي يتم خاصة في المراحل الأولى من حياة الإنسان داخل منظمة الأسرة فهي الرابطة الأولى لتلقي الطفل لغة قومه وخبراتهم وقيمهم واتجاهاتهم وتسهم اللغة بشكل كبير في نقل التراث لهم، ولكن اكتساب اللغة عند الطفل يتوقف على ظروف تلك البيئة الأسرية التي يتكون فيها، وعلى مستواها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وهو ما يعني تلقينه اللغة أو اللهجة يتوقف على محيطه الأسري الذي ينشأ فيه في المراحل الأولى من حياته، وخاصة من طرف والديه والبيئة المحيطة بالأسرة بصفة عامة.

1. مراحل اكتساب اللغة:

لأغراض هذه الدراسة تم استخدام مصطلح اكتساب اللغة، وتقصد به العملية التي يستطيع الأطفال بها أن يدركوا لغة مجتمعهم، ولأن الطفل في مراحل نموه الأولى يخضع لسلطة الأسرة (الوالدين) حيث يكون سهل التأثير والتشكيل وشديد القابلية للاكتساب ويكون في حاجة ماسة إلى من يرعاه ويرعى حاجاته العضوية والنفسية المختلفة، حيث يكون الوالدين الإطار الأساسي والرئيسي في تكون الطفل وتعلمه وإعدادة، وكما هو معلوم أنه لا يمكن للطفل أن يكتسب اللغة دون أن يكون هناك أية رابطة بينه وبين غيره من الأفراد بمعنى أن يكون بعيدا عن تلك الظروف الطبيعية التي تستخدم فيها اللغة عادة، وإن الكثير من الدراسات أثبتت أنه أي طفل عادي أو سوي قادر على يكتسب لغة المجتمع الذي يعيش فيه ويعتبر اكتساب اللغة للطفل إحدى اهتمامات التي يوليها المربون اهتماما خاصا لأبنائهم لأنها الحاضن الأول للغته، وبالتالي الإتصال ببني جنسه وعلى العموم فإن الحقائق التي لا يمكن إنكارها وهي أن لا أحد يولد أو يرث القدرة على أن يتكلم لغة بعينها، وإنما الأصح بأن الطفل يولد ولديه الاستعداد لان يكتسب لغة ما، هي تلك اللغة التي يسمعها ويتعرض لها بصفة مستمرة منذ طفولته، وتساعد في هذه العملية تلك الخاصية الفطرية التي تجعله قادرا على إخراج الأصوات ونطقها ويمكن تقسيم مراحل اكتساب اللغة عند الطفل في مرحلتين:

أ- المرحلة الأولى (مرحلة الصياح أو الصراخ):

إن الطفل الذي يولد جديدا يبدأ ظهوره بواسطة الصراخ أو الصياح الذي يعبر في نفس الوقت عن حيويته وعن تفتح الجهاز التنفسي والخنجري، وبعض الدلائل التي تعكس شيئا من الانزعاج الناتج عن تبدل البيئة وصعوبات الولادة، ويقضي الطفل فترة تمتد إلى الأسبوع السابع أو الثامن يصدر بعض الصياحات التي لا تعتبر كلاما بالمعنى المفهوم ولكنها صياحات عامة يشارك فيها الأطفال جميعا، كما أنه يعيش حياة خاملة وفي نوم عميق ويعبر صراخه عن نوع من الانزعاج والحاجة إلى الطعام أو لتنبيه من حوله إلى وجود ما يضايقه أو لا يرضيه، وعندما يدرك الطفل الإفادة من صراخه فإنه يبدأ في استخدامه بطريقة شبه إرادية حيث نجده يصرخ ليدفع الآخرين إلى حمله مثلا، تأكيدا لوجود غرائزه الاجتماعية وهكذا تتحول الصرخة من مجرد عمل إنعكاسي إلى فعل إرادي يختلف بحسب مدلولاته وغاياته.¹

ويمكن القول بأن هذه المرحلة تعتبر مرحلة إستعداد وتمهيد بالنسبة للطفل وكلما ينمو يلاحظ عملية تطور في النمو اللغوي بدايته الصراخ والمناغاة ثم التقليد.

ب- المرحلة الثانية:

تعرف هذه المرحلة بالمرحلة اللغوية وفيها طوران:

- الطور الأول:
- تعلم المفردات: في المرحلة الأولى وبعد نهايتها يكون الطفل قد تهيء واستعد لينتقل إلى المرحلة اللغوية بأتم معنى الكلمة، وهنا أيضا نواجه مشكلة تحديد الزمن الموافق لها تحديدا دقيقا، وأغلب العلماء يحددون تلك الفترة في حدود السنة بالنسبة إلى أغلب الأطفال وحوالي الشهر التاسع بالنسبة إلى الممتازين منهم، ونشير إلى أن المرحلة السابقة غير منفصلة عن المرحلة اللغوية بل هما تتداخلان خاصة حينما يأخذ الطفل في تقليد الأصوات التي يسمعها.

والكلمة الأولى التي ينطق بها الطفل، هي في أغلب الأحيان ذا مقطع صوتي واحد مضاعف مثل " ماما، بابا، دادا، نانا، ... الخ) وتقوم مقام الجملة.

¹ - محمود أبو زيد: اللغة في الثقافة والمجتمع - دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة. ص 73 - 74.

- الطور الثاني:
- تركيب الجمل: ويمكن أن نميز ثلاث خطوات لتكوين الجمل لدى الأطفال اللذين لم يدخلو بعد المدرسة:
- خطوة الكلمة القائمة مقام الجملة فمثلا قد يعني بقوله ماما تعالي يا ماما وهذا من السنة الأولى إلى الثانية.
- خطوة الجملة الناقصة (من الثانية إلى الرابعة).
- خطوة الجملة التامة (ابتداء من السنة الرابعة)¹.

وعلى العموم يمكن القول بأنه خلال هذه المرحلتين واللّتان تعتبران مرحلتان متكاملتان غير منفصلة تماما عن بعضهما البعض بل هما متداخلتان، فالطفل يكتسب اللغة الأولى التي تعلمها خلال السنوات الأولى من عمره والتي لا شك أن لها الأثر في ممارسته اللغوية داخل الأسرة. وتمكنه من الاتصال بالمحيط الذي يترعرع فيه، ولكن هذا لا يكون عشوائيا بل يعود كما رأينا إلى المحاكاة والتقليد للأطفال والكلمات التي يسمعا الأطفال من المتكلمين حولهم بلغة أو لهجة ما، وهو ما يجعل بذور هذه اللغة أو اللهجة تتغرس في ذهن الأطفال ويحاولون إعادة نطقها وتلفظها كلما سمحت لهم الفرصة بذلك وبالتعبير عن أحاسيسهم والتصريح بها أو تجعله (اللغة)

حسب بياجيه Piaget "إلى"نزع الطفل إلى المجتمع أو جعله يتركز في كلامه حول الذات " ² . فالطفل في مراحل عمره يكتسب اللغة أو اللهجة والتي بواسطتها يستطيع الاتصال اللفظي مع غيره، وهذا الاكتساب اللغوي الذي يعتبر ميزة من ميزات العقل الانساني، ففي بداية السنوات الأولى للطفل ينطق الطفل بكلمات منفردة، ثم يبدأ في تركيب بعض الجمل ثم بعد ذلك يكون قد " اكتسب بنى لغته بمجملها " ³

وهناك من يرى بأن مراحل اكتساب الطفل للغة هي:

¹ - بن عيسى حنفي: محاضرات في علم النفس اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص ص 143 - 144.

² - المرجع نفسه، ص 147.

³ - ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الأبنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت، لبنان، ط2، 1985 ص 25.

01 - التدرج في وضوح الإحساس بالسمع لدى الطفل: إذ يولد وهو لا يكاد يسمع شيئاً، ويظل على هذا الحال حتى اليوم الرابع أو الخامس، حيث يبدأ جهازه السمعي في مزولة نشاطه فتبدوا عليه علامات السمع غير أن إحساسه السمعي يظل مبهما عاجزا عن تحديد مصادر الأصوات التي يسمعها حتى أواخر الشهر الرابع ثم يتدرج في الارتقاء والنضج وعلى ذلك فإن الطفل في مرحلة التقليد اللغوي يقوم بمحاكاة ما يسمعه من أصوات، ولهذا فإن الطفل الاصم ينشأ عادة أبكم لا يتكلم حتى لو كانت أعضاء نطقه سليمة من الناحية الفيسيولوجية، إذ أن هناك إرتباطا عضويا بين جهازي السمع والكلام.

02 - القدرة على حفظ الأصوات المسموعة وتذكرها: وتظهر هذه القدرة عند الطفل بعد عدة أسابيع من مولده، ثم تنمو تدريجيا حتى بداية سنته الثانية من عمره ويتطور النمو اللغوي من مرحلة التقليد اللغوي إلى مرحلة الاستقرار، تتكون لدى الطفل القدرة على حفظ الكلمات والأصوات المسموعة واستعادتها في ذاكرته عند الحاجة والتعبير بها عن المعاني و الدلالات الصحيحة لها.

03 - فهم الطفل لمعاني الكلمات: هذا الفهم يعتبر مرحلة سابقة لقدرته على النطق. إذ أن هذا الفهم شرط ضروري للتقليد اللغوي.¹

وتساعد عملية الابصار على التقليد اللغوي الاسرع لدى الطفل، لهذا فإن الطفل الكفيف يحتاج إلى فترة أطول من المبصر لتعلم اللغة حيث لا يربط بين النطق ورؤيته ومتابعته بصريا وسمعيًا لطريقة الكلام وكيفية إخراج الحروف والكلمات من بين الشفاه كما يفعل الطفل المبصر، وإنما يقتصر اعتماده في عملية المحاكاة والتقليد اللغوي على حاسة السمع فقط.

كما تعتبر الحالة الصحية للطفل ودرجة نموه الجسمي والعقلي مؤثرا في قدرة الطفل على استيعاب اللغة وتعلمها.²

وما يمكن استخلاصه هو أن إكتساب اللغة يرتبط إرتباط وثيقا بالمحيط الذي يعيش فيه الطفل، فهو في حاجة ماسة للتواصل مع غيره من بني البشر لتلبية حاجياته التي تتطلب اللغة فلغته لا محال

¹ - علي عبد الواحد وافي: علم اللغة دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1984 ، ص 33.

² عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1995 ، ص 80.

مرتبطة بلغة المحيط الذي يعيش فيه ،وخاصة من لغة عائلته التي يترعرع في أحضانها ويتربى وفق خصوصياتها وسلوكاتها الاجتماعية، فهو يولد صفحة بيضاء يمكن أن تلقنه ما تشاء.

وهذا الدور من إختصاص الأسرة فهو يكتسب اللغة التي يسمعها ويقلدها ومع التطور التي تطرأ عليه في النمو يجد نفسه يتحدث بلغة المحيط الذي يعيش فيه.

2- العوامل المؤثرة في إكتساب اللغة :

إن التعرف على العوامل المؤثرة على النمو اللغوي يتيح لنا فرصة وإمكانية التعرف على الأسباب الكامنة وراء إختلافات النمو بين الأفراد بعضهم البعض أو بين جماعات مختلفة كما أن فهم العلاقة الموجودة بين النمو اللغوي والعوامل المؤثرة فيه يسهل لنا التعرف على هذا النمو تقويما وضبطا وتوجيها، وهناك عوامل تؤثر في النمو اللغوي للطفل يمكن تقسيمها إلى:

- عوامل ذاتية (خاصة بالطفل).

- عوامل بيئية (خاصة بالمجتمع وثقافة الطفل).

وقبل التطرق إلى هذين العاملين نشير إلى أنه يجب أن تتوفر لدى الطفل سلامة أعضاء النطق والكلام والجهاز العصبي والحواس لديه، وهذا حتى يتسنى له الحصول أو التمكن من النمو اللغوي العادي فمراحل النمو عند الطفل متتالية ومتكاملة وأي تأخر في جانب من الجوانب يؤثر سلبا على الآخر فالنمو الجسمي والنمو العقلي يؤثران بشكل كبير على النمو اللغوي لدى الطفل في المراحل الأولى من حياته وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات في هذا المجال.

1 - 2 - 1 العوامل الذاتية: وتتمثل فيما يلي:

أ- **النضج والعمر الزمني:** ويتوقف نمو الطفل في هذه الحالة على سلامة أعضائه (خاصة المتعلقة بالنطق فهو لا يستطيع أن يتلفظ بكلمات أو ألفاظ إلا أن يصل إلى حد من الكبر والنضج يسمحان له بالتلفظ وهناك علاقة وطيدة بين تقدم سنه وإزدياد محصوله اللفظي حيث " عدد المفردات وطول الجملة يزداد وفقا لنموه العقلي والزمني، كما أن تعقيد التراكيب اللغوية وهو مؤثر من مؤثرات النمو اللغوي يزداد بازدياد العمر " ¹

¹ - أنيس محمد أحمد قاسم : مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الاسكندرية للكتاب، القاهرة ، مصر، 2000، ص 125.

ب- **الذكاء:** فهناك اختلافات كثيرة في تعريف الذكاء، إلا أنهم يتفقون في ارتباطه ب " القدرة على حل المشكلات " فالأطفال اللذين يملكون ذكاء كبير يمكنهم أن تعلموا اللغة قبل اللذين لديهم ذكاء قليل، فالأطفال المتفوقون عقليا يكونون أبدأ بالكلام من غيرهم وقد وجدت دراسات أن: الأطفال الموهوبين (مرتفعي الذكاء) يتمكنوا من الكلام قبل منخفضي الذكاء، وهو ما يبين إرتباط العلاقة بين عامل الذكاء والتطور اللغوي أي أن هناك علاقة قوية وموجبة بين المتغيرين.¹

ج - **الصحة العامة:** إن الوضعية الصحية للطفل مؤثر على نموه بالكامل بما في ذلك النمو اللغوي، فكلما كان الطفل سليما ومعافى من الناحية الجسمية كان أكثر نشاطا وحيوية وبالتالي هذا يمكنه من القدرة على إكتساب اللغة، وعليه فإن " الأطفال الاسوياء يتعلمون اسرع نظرا لدافعيتهم العالية القوية للاتصال " ² فالسلامة الجسدية للأطفال تساعدهم على النطق وبالتالي النمو الذاتي.

د- **الجنس:** حيث تؤكد معظم الدراسات في هذا المجال أن هناك تفاوتاً في النمو اللغوي بين الجنسين حيث النمو اللغوي عند الإناث أسرع نوعاً ما عنه عند الذكور وخاصة في السنوات الأولى من عمرهما بينما تقل كلما تقدما في العمر، وقد فسرت " مكارثي " " تفوق البنات على البنين ، بأن البنات في بداية تعلم اللغة يبدأن التوحد مع الأم، بينما يتوحد البنين بالأب، ونظرا لأن الأب في الغالب يكون بعيدا عن المنزل أكثر من الأم، فإن البنين يحصلن على إتصال أقل من الأب ، فالعلاقة الوطيدة بين الأم وابنتها في المنزل وهي لا تتوفر للطفل الذكر بنفس الدرجة، تساعد البنت على تعلم الكلام مبكر وبصورة أفضل ³

وهذا ما يجعل ويفسر في غالبية الأحيان بأن اللغة الأولى التي يتعلمها الأبناء هي لغة الأم، وذلك نسبة إلى اللغة التي تنطقها الأم، والتي تكون تسميتها نسبة إليها، وهو دليل على تشبث الأمهات بلغاتهم ولهجاتهم، وعلى أنها سمة تجعل حاملتها هي الأم وبالتالي النساء أقرب إلى تعلم الكلام من الرجال.

1 - 2 - 2 العوامل البيئية: وهي العوامل المحيطة بالطفل والتي تمكنه من تعلم اللغة أو اللهجة، وهذا يتوقف على البيئة اللغوية التي يحتك بها الأطفال، وخاصة في مراحل نموهم الأولى، وعليه فإن العوامل البيئية تتمثل في:

¹ - أنيس محمد أحمد قاسم مرجع سابق ، ص 154.

² - المرجع نفسه، ص 156.

³ - المرجع نفسه، ص 158.

أ- دور القائمين على رعاية الطفل في إكتساب اللغة: لا يمكن للأطفال أن يكتسبوا اللغة بطريقة محض الصدفة، فهي لا تنمو في فراغ والطفل لا يمكنه أن يكتسب اللغة أو اللهجة إلا إذا لم يتعرض للنماذج اللغوية، حيث أن الاستماع وحده بالألفاظ والكلمات لا يكون كافيا لاكتسابه، فالتفاعلات والاحتكاكات والاتصالات اليومية للقائمين على تربية ورعاية الطفل - وهما بدرجة أولى الوالدين - ييسر ويسهل عملية إكتساب الطفل للغة، ونموه اللغوي بصورة خاصة، خاصة وأن النمو اللغوي يعتمد أساسا على التأثيرات البيئية، وبالتالي يمكن أن يكون هذا النمو اللغوي سريعا، فالاستجابة لتلفظات الأطفال المبكرة يزيد من اتساعها (التلفظات) إلى شكل تام وكامل لدى الأطفال، وذلك من خلال تقليدها من القائمين برعايته، إذا فإمداد الطفل بهذه القوافل من الألفاظ والكلمات تساعده حتى على نطقها نطقا سليما من حيث التراكيب وبالتالي إعطائهم " القدرة على استخدام حصيلة لغوية دقيقة، بدلا من تركهم للإحباط النفسي الناتج عن فقر حصيلتهم اللغوية"¹

ويتزويد الأطفال بهذه الألفاظ على مر السنوات فمن البين أنه عندما يشعر الراشدون أن الطفل كبر بما فيه الكفاية ليستفيد من النماذج اللغوية والكلام فإنهم " يولون اهتماما أكبر لطول وتعقيد النماذج التي يوفرونها للأطفال "².

وهذا حتى يتسنى لهم إعطاء النماذج اللغوية التي يتلقاها الطفل في هذه المراحل من نموه اللغوي تساعده على اكتساب عدد أكبر وأفضل الألفاظ وهذا حتى من ناحية تركيبها ولا تتوقف عند هذا بل تزوده بمعلومات تتعلق بالمعنى وهذا من خلال الاستجابة من قبل الرامين له، وغالبا ما نجد الأبناء هم اللذين يقلدون ما يسمعون من كلمات وألفاظ لكن تحدث أحيانا أن يتنازل الأب أو الأم إلى لغة أبنائهم (تقليدهم لما يقولوه أبنائهم) وهو ما يجعل الطفل كذلك يقلد التقليد وهو ما يخلق له شكلا بسيطا من المحادثة.

ب - المحيط الأسري والرعاية الوالدية: ففي هذه الحالة يكون للمحيط الأسري الذي يمد الطفل بالحوافز والرغبات التي تدفعه إلى استشارة دافعيتهم للقيام بالتكلم والتلفظ وبالتالي التفوه والنطق بالكلام ذي المعنى (له معنى) والمحيط الأسري يعني توفير جو قائم على الدفء وعلى العطف

¹ - سبيني (سبرجيو) : التربية اللغوية للطفل ، ترجمة فوزي محمد عبد الحميد عيسى وعبد الفتاح حسن عبد الفتاح ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1991 ، ص 10.

² - أنيس محمد أحمد قاسم: مرجع سابق، ص 160.

وعلى المحبة حيث تجعل العلاقات حميمة، وهو ما يفسح المجال لنموهم اللغوي المبكر، فتتشبه الطفل في وسط أسري يتسم بالحنان ويكون فيها الوالدين في إتصال دائم ومستمر مع الأبناء، ويتشجعهم على الكلام والتلفظ يمكنهم من إتاحة الفرصة للأطفال للحوار وللإجابة عن الأسئلة التي يطرحونها وهو ما يجعل التواصل فيما بينهم تكثر وهو بذلك يزيد وينمي عدد الكلمات والألفاظ لدى الأطفال، وهو ما يزيد في حصيلتهم اللغوية وقاموسهم اللغوي ويقوم بذلك شيئاً فشيئاً بتصحيح أخطائه وحده صوتياً وصرفياً ودلالياً ونحوياً، وبالتالي مع مرور الوقت تختفي لغته القصيرة ويشرع في توظيف اللغة المشتركة وخضوعه للغة الجماعة حيث يكتسب منها ما يسمح به المجتمع من لغة وتعايير مسموحة وينبذ ما يحضره من كلمات وعبارات محظورة وهو بذلك قد اكتسب القدرة على "الانتظيم العقلي لما تم تنظيمه من قبل عن طريق اللغة التي يستخدمها، كما يظهر مدى قدراته في التنظيم عن طريق لفكر بنطق هذه الخبرات ثم بعد ذلك بالتأمل فيما نطقه"¹ ومنه فإن النمو اللغوي عند الطفل لا يتم إعتباطياً بل هناك عوامل عديدة تتحكم منها العوامل الذاتية وهي متعلقة بالطفل وأخرى بيئية تتعلق بالقائمين على رعايته والمحيط الذي يعيش فيه بصفة عامة وكل هذه العوامل والمؤثرات تجعله يكتسب اللغة التي يستخدمها ويمارسها أثناء حديثه مع الآخرين ويكتسب الطفل هذه اللغة في هذا العالم المحيط به في صورة منظمة ومنسقة عبر مراحل نموه المتتالية وفي نفس الوقت تكون بمثابة تلك الأداة المبلورة لذكائه واندماجه الاجتماعي، كما أنها تهئ الإنسان لملاحظة الواقع في ألفاظ شخصية، هذا إضافة إلى إمداده بالوسائل والطرق لتجديد ذاته وتجديد المجتمع الذي يعيش فيه.

ومهما قلنا أو تحدثنا عن النمو اللغوي واكتساب الطفل للغة فإنه لا يمكن أن نغض البصر أو الحديث عن العوامل والمراحل التي يمر بها الأبناء خلال مراحل نموهم بما في ذلك النمو اللغوي والمؤسسة الأولى التي تحتضن الطفل في بداية مراحل نموه سيكون لها الأثر الكبير في تشكيل واختيار النماذج اللغوية التي تراها مناسبة لأبنائهم ولتصوراتهم في توجيههم نحو ما يتلاءم وطموحاتهم وهذا لا يكون بعيداً عن الوضع الثقافي والاقتصادي للأسرة والذي يلعب دوراً هائلاً في صناعة الميول والرغبات والتوجهات والنمو اللغوي لدى الطفل ينمو بالتدرج وبواسطة هذه اللغة يمكن للطفل إيصال ما يريد وهي الأساس في العلاقات الاجتماعية داخل المحيط الذي يعيش فيه الإنسان.

¹ - سبيني سيرجيو: مرجع سابق، ص 09 .

3- الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وأثره على تعلم اللغة :

تعتبر اللغة أداة نشأة المجتمع الانساني عبر مراحل حياته وتعلم اللغة في أي مجتمع من المجتمعات لا يمكن له أن يخرج عن الإطار الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للأسرة، فتعلم اللغة منذ الميلاد يعتمد على الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أكثر من تأثره بالصفات الوراثية، وباعتبار اللغة وسيلة إتصال ونتيجة تدريب يخضع لتأثير البيئة بشكل كبير. فإن مضمون الحوارات وطريقتها والمحادثات التي يتابعها الطفل أو يشارك فيها يعتمد بصورة كبيرة على العلاقات بين أفراد الأسرة وعلى العلاقة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فهذه الجوانب تؤثر كذلك على اللغة التي يتلقاها الأطفال في أسرهم، ولذلك سنحاول التطرق إلى هذه الجوانب المهمة في حياة الأسر والتي تؤثر على توجهاتهم وإختياراتهم للغة أبناءهم داخل أسرهم وخارجها.

3-1: الوضع الاجتماعي: إن كل مجتمع من المجتمعات يتضمن العديد من الظواهر الاجتماعية على شكل مجموعة من السلوكات التي يجب أن يراعيها الفرد بصفته عضو من المجتمع كالعادات والتقاليد واللغة والأسواق والمعيشة ... وهذه الظواهر تظهر في فترة خاصة من حياة المجتمع خلال تطوره، ونجد أن اللغة تعتبر من العوامل القاعدية التي تظهر كسلوك مجتمعي، إذ لا يمكن لنا تصور مجتمع بدون لغة، إذ بها تتم عملية الاتصال والتواصل والتفاهم والحوار وبذلك تصبح هذه اللغة بالنسبة للمجتمع أرقى الوسائل التي تحقق وجودهم الاجتماعي¹.

وتعتبر اللغة أداة تعبير عن الفكر وتعبير عن المسائل الذهنية إذ تساهم في تحقيق الصلة الاجتماعية بين الناس في معظم الأحيان، كما أن استخدامها في المسائل الذهنية مظهر من مظاهر الصلة الاجتماعية على مستوى الفكر لأن صلة الناس لا تتحقق بالأمور العادية فقط، بل تتحقق كذلك على مستوى أرقى هو مستوى الأفكار الذهنية المجردة، فهي تسلك مسلك اجتماعي يحقق الصلة الفكرية بين الناس².

اذ نجد " في كل وسط اجتماعي متجانس السكان، نجد عادة أن اللغة شيئاً من الوحدة بل أنه شرط أساسي لوجود اللغة أن يحرص من يتكلمونها على استخدام نفس الوسائل للتعبير، وهذا ما

¹ - محمد عيد: المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، عالم الكتب، القاهرة، ص 16.

² - المرجع نفسه، ص 17.

يدركه أفراد كل جماعة محددة، فالخروج عن جادة اللغة يثير من يسمعونها ويعرض الخارج للسخرية أو النطق " ¹

اللغة من خصائص الإنسان لأنها اصطلاحية وتواضعية ومقرونة بالفكر من إصدار الأصوات وتلقيها وبحكمها العقل وينظم عملياتها ولا يجعلها ضوضاء خالية من المعنى والنظام هو الذي يمنحها الثراء والفاعلية والتعبير عن الأهداف السامية والذهنية المجردة، كما أن الخلف يتوارثها عن السلف فإذا عاش الإنسان منفردا فلا لغة له على الإطلاق. ²

وإذا كنا نسلم بأن اللغة تعتبر أداة هامة للاتصال الإنساني فإنها أيضا أداة لاتصال الإنسان مع نفسه ومع غيره من الناس فيصف لنفسه وللآخرين ما يراه من العالم المحيط به. ³

إن المتحدثون ضمن أي اتصال لغوي أو اجتماعي يختارون الشكل اللغوي الذي يحقق لهم اتصالا سهلا في بيئتهم الاجتماعية وهناك أشكال لغوية أخرى قد يتم إهمالها وإسقاطها خلال ذلك، فضلا على أن الاتصال الاجتماعي الثقافي قد يكون له تأثير كبير على إحدى اللغات، والذي يمكن أن يكون نوعا من أنواع التدخل (يكون لهجويا أو تغيرا في تشكيل اللغة)، ومثل هذه التغيرات اللغوية والاجتماعية ومراحل الاتصالات في الوقت الراهن. ⁴

3-2 - الوضع الاقتصادي:

اللغة تستعمل في جوانب عدة من حياة الإنسان وبخاصة في الحياة الاقتصادية وهذا في أبسط صور النشاط الاقتصادي كالبيع والشراء في أضيق حدودها، إلى أعقد صور النشاط الاقتصادي وتختلف هذه التعاملات باختلاف وتفاوت الطبقات المتعامل معها وبالوضع الاجتماعي والحضاري وتعتبر اللغة « الواسطة الرئيسية للاتصال والتبادل الاقتصادي وكذا العنصر الأساسي لتوحيد السوق الداخلي انطلاقا من التماسك الوطني». ⁵

¹ - محمد عيد، مرجع سابق، ص 21.

² - علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص ص 18 - 19.

³ - عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، دون سنة، ص 61.

⁴ - علي عبد العزيز السرحدات: تحولات اللغة الدارجة تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات، إتحاد كتاب وأدباء الامارات، ط1، 1990 نقلا عن:

w.wolfram and Ralph w.Fasold the study of social Dialects in American English (Englewood

Gliffs . Nj : Prentice Hall 1974. P. 25.

⁵ - الرياشي سليمان، فيلاي صالح... وآخرون: الأزمة الجزائرية - الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 436.

وتكون تلك التبادلات الاقتصادية على شتى المجالات وعلى جميع المستويات حيث يكون تبادل السلع ولغة "المساومة" في الأسواق بين البائعين والمشتريين وهي بالتالي تدخل البائع والمشتري في علاقات عن طريق الكلام الدائر بينهما وتختلف هذه المساومة حسب « السلعة الموجودة وحسب الطبقات وكذا حسب أمزجة الناس وطبائعهم وكثيرا ما تكون هذه الاختلافات بين أهل المدينة، وأهل الريف ...»¹.

يعتبر السوق مركزا مهما للعلاقات بين الأفراد، حيث تكون النداءات والعلاقات التجارية المختلفة فهو مركز للتبادل اللغوي كما أنه ينطبق على جميع المعاملات والطبقات المختلفة في المجتمع . " المستوى الاقتصادي المرتفع غالبا ما يساهم في توفير الجو الأسري الهادئ وكذا بعض الحاجيات الأساسية وحتى على نوعية وضعية اللغة التي يتعلمها الأطفال".²

يلتقي العديد من الأشخاص في أماكن عدة من العالم ويتكلمون لغات قد تكون نفسها، وقد تكون مختلفة عن بعضها، إلا أن الحاجة تفرض أن يكون هناك تواصلات لتحقيق التفاهم فيها بينهم، وتعتبر التجارة من بين الممارسات الاجتماعية التي تحتاج إلى حزمة من اللغات للتعامل بها، إذ أن المعاملات التجارية من بيع وشراء تحتاج إلى لغة يتواصل بها الأطراف المختلفة، فالإنسان في كل هذه الحالات تفرض عليه أن يجد صيغة للتفاهم المعاملاتي من خلال اللغة، وعليه فالسوق هو مكان للاختلاف اللغوي وللتقارب اللغوي وللوحدة اللغوية، بما يفرضه هذا المكان من تواصلات مختلفة (الدعاية للبضاعة، الاستفسار عن الثمن ، الشراء ...) ، فالسوق يبدو " كاشفا جيدا لإدارة التعدد اللغوي الذي تشكله الممارسة الاجتماعية، فنحن نجد فيه لغات تفرض كل واحدة منها نفسها لغة ناشرة قد لا تستخدم إلا في هذا الموضع ،وقد تكتسب مواضع في أماكن أخرى ووظائف أخرى غير الوظيفة التجارية، لأن هذه اللغات التي تفرض نفسها في هذا الموضع ومن أجل هذه الوظيفة يمكن أن تكون في المجتمع كله لغات الغد الناشر.³

وتوجد في هذا العالم أماكن عديدة تمارس فيها المعاملات التجارية من خلال معرفة التاجر للعديد من اللغات، وبها يتوجه إلى الزبون بلغته الخاصة أو باللغة المفهومة عنده، وفي حالات أخرى وأماكن يتحدث فيها الزبون بلغة التاجر، وقد يكون في بعض الحالات التي تكون فيها اختلافات لغوية أن

¹ - شتا علي: علم اجتماع اللغوي ، مؤسسة شباب الجامعة ، المكان غير مذكور ، 1996، ص 186.

² - السعمران محمد : اللغة والمجتمع، رأي ومنهج ، دار المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، ط2 ، 1963، ص 104.

³ - لويسي جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة/ حسن حمزة ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ط1، 2008 ص 161.

يخلق نظام تواصل خاص بين الزبائن والتجار، وهو خيار لا بد منه حتى يخلقوا جوا من الحاجة إلى التواصل والتعبير عن الممارسة الاجتماعية من خلال هذا التواصل.

فالسوق يكشف لنا الحركات اللغوية المختلفة التي تخترق المجتمع، لأن هذه اللغات ومع مرور الوقت سوف تفرض نفسها في العديد من أماكن التواصل الاجتماعية، وربما حتى في الأسرة وخارجها.

ويعتبر السوق نقطة لتقديم النشاطات الاقتصادية، وهذا النشاط يقدم صورة جيدة عن الحلول التي تعتمد عليها الممارسة الاجتماعية لانتشار اللغة في أوضاع التعدد اللغوي، لكن تبقى خيارات الاختيار اللغوي لدى الأفراد خاضعة لصيغة التفاهم اللغوي فيما بينهم، وفي إدارة تعددهم اللغوي داخل السوق، ففيه تبدوا أيضا ميولات الأشخاص إلى تفضيل لغة على الأخرى وذلك من خلال رواة الفعل عن الآخر سواء التاجر أو المشتري والذي قد يريد إبعادها عن ممارساته الاجتماعية في مثل هذه المواقف وقد يكون هذا الرفض أو القبول خاضعا لعوامل إجتماعية خاصة.

وقد تطرق بعض الباحثين إلى العلاقة الموجودة بين الوضع الاقتصادي والممارسة اللغوية حيث يرى "يورديو" مثلا أن: "قيمة رأس المال اللغوي الذي يمتلكه كل فرد في السوق الدراسي، هي مرتبطة بالفاصل الموجود بين قدرة التحكم الرمزي في اللغة والمفروض من طرف المدرسة ... والذي يحصل عليه من الطبقة الاجتماعية".¹

ويتضح مما سبق أن للوضع الاقتصادي تأثير على طبيعة اللغة التي يتعلمها ويكتسبها الإنسان، فتدني المستوى الاقتصادي للأسر يخلق صعوبات تربوية ولغوية للطفل، حيث انعدام الحوافز والوسائل الضرورية للأطفال يجعل اكتسابهم للألفاظ والكلمات ضئيل، عكس التي يكون فيها المستوى الاقتصادي المرتفع أفضل من أطفال المستوى الاقتصادي المنخفض في الطلاقة اللغوية وطول النطق وتركيب الجمل ... وهذا يعود إلى تنشئتهم في بيئة أسرية مجهزة بوسائل وأدوات تساعد الأبناء على اكتساب اللغة من خلال أكبر عدد ممكن من الألفاظ والكلمات، ولا يخفى أن للوضع الاقتصادي أثر كبير على الناحية النفسية للأسر مما يؤثر سلبا على النمو العادي للأطفال بما فيها النمو اللغوي وكذا في مدى كثرة المعاملات وتشعبها.

¹ – Boordieux (P) : ' *les trois états du capital* 'In acte de recherche en science sociales. N=30, Paris 1979, P.3.L.

3.3 - الوضع الثقافي:

تعتبر الأسرة الخلية الأساسية للمجتمع وبما أن الفرد يتكون داخل هذه الخلية فهي التي تؤثر في شخصيته وفي مدى نموها وتطورها خاصة في المراحل الأولى من حياته، ويختلف الأفراد عن بعضهم البعض ببناء ثقافتهم وما تضيفه من أهمية، لأن الثقافة هي مجموعة من العادات والتكنولوجيات التي يكتسبها الفرد من خلال المحيط الذي يعيش فيه، وهي تلعب دورا رئيسيا من تطور سلوكيات الأفراد، وغالبا ما يرتبط المستوى الثقافي لأفراد الأسر بالمستوى التعليمي خاصة الوالدان اللذان يملكان المسؤولية الأولى عن أبناءهم (نجد مثلا أن رأسمال الثقافي عبر عنه "بورديو" بأنه يتمثل خاصة في تلك الشهادات الجامعية والمراتب الدراسية)¹.

فكلما كان المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين عاليا كلما كان توفير الجو الملائم لتعلم الأبناء كبير، حيث توفر الوسائل التنقيفية التي تساعد الأبناء على تحسين أدائهم اللغوي، أما إذا كانت نشأة الأطفال في بيئة ذات مستوى ثقافي منخفض، فإنه تكون هناك لامبالاة إزاء الأبناء في توجيههم ونصحهم إلى ما يخدمهم ويعينهم في حياتهم، حيث تعمل الأسرة ذات المستوى الثقافي العالي والمقبول (المتوسط) إلى ترغيب أبنائهم على حب التعلم وحب المعرفة، وهو ما يكون لهم دافعا وحافزا في إقبالهم على تعلم ما يراه لهم آباءهم مناسبا، كما أن هذا الجو الثقافي يساعد على نمو الذخيرة اللغوية للأبناء، وهذا بفضل الألفاظ والعبارات التي يسمعونها الأبناء من آباءهم وهو ما يجعل هذه الأسر (ذات المستوى الثقافي العالي) إلى امتلاك لغة ثرية، عكس الأطفال الموجودين في وسط ثقافي واجتماعي منخفض، حيث تكون لغتهم ذات مفردات محدودة، وهو ما يجعل اللامساواة في توزيع رأسمال المال اللغوي والثقافي بين الطبقات الاجتماعية ودرجة التحصيل المدرسي للأبناء أثناء دخولهم المدرسة.²

وقد أكد الباحث: " براون ": «أن جمل الأطفال الذين يمتلك آباءهم ثقافة أكبر تكون أطول، كما أنهم أكثر قدرة على التحكم في الكلام من الأطفال ذوي الآباء الأقل ثقافة».³

¹ - De Coster (Michel) : **Introduction à la sociologie** , 3 Edition, BOECK Université, Bruxelles, 1992 p.205.

² - Bourdieu (Pierre) et Passenon (Jean Claud) : **La reproduction Minuit**, Paris, 1980,P 96.

³ - أنيس محمد أحمد قاسم، مرجع سابق، ص 164.

وهو ما يبين أن الأطفال المنتمين لأسر ذات مستوى تعليمي عال يكونون أكثر استعمالاً للألفاظ والعبارات والكلمات تمكنهم من الحديث إلى الآخرين دون عقدة، مما يجعل لغتهم سليمة عكس الأطفال اللذين ينحدرون من مستويات منخفضة يكونون أفقر في الحديث وفي النطق وفي كمية الألفاظ والكلمات التي يحملونها، وحتى في الدقة اللغوية أثناء حديثهم وإتصالهم بالآخرين، ويكون تعلم الأطفال لهذه الكلمات والألفاظ والعبارات عن طريق سماعها لهم وتقليدها من قبل الآباء، حيث الأسر ذات المستوى الثقافي المرتفع عادة ما تستعمل مفردات وألفاظ وكلمات كثيرة وذلت معنى وهي بالتالي غنية بالدوافع والحوافز الملائمة والتي تساعد الطفل على أن يكون كائناً متكلماً وبطلاقة.

اللغة من منظور اللسانيات الوصفية، نسق من القواعد الموزعة على فصوصه المتعاقبة، وهي في إطار اللسانيات الاجتماعية حاوية ملؤها ثقافة أهلها، ونسق اللغة وسيلة لنيل ملئها وإذا استثنينا النحاة لا أحد من الناس يقتصر في تعلمه للغة اكتساب نسق قواعد بل الكل يروم أن يتتقف بتجارب من سلف من أصحاب اللغة المستهدفة ولا تدرج لغة في منهاج تربوي إلا باعتبار ما تحمل من معارف وخبرات ليست لغيرها من لغات التلقين في أي نظام تعليمي، اتضح كل لغة عبارة عن " نسق نمطي " حمله ثقافة مخصوصة وأن إدراج أي لغة في نظام تعليمي غايته توصيل نسقها التواصلية لنيل ملئها الثقافي¹.

وقد أكدت بعض الأبحاث التي أجريت على عدد من الأطفال ووجد أن " الأطفال اللذين ينتمون إلى " مجتمع أقل ثقافة يستغرقون وقتاً وجهوداً في رواية الحكايات المصورة، فهم يستعملون بقلة الجمل الفرعية، ولا يظهرون اختلافاً ذا معنى في الجمل الطويلة التي يستخدمونها كما يفعل أترابهم اللذين ينتمون إلى " مجتمع أرقى ثقافياً " .²

فالعادات التي يتعلمها الصغير تحدد إلى حد كبير ما سيكون من العادات أكثر قبولاً لديه عندما يلج العالم الاجتماعي³.

¹ - محمد الأوراعي: التعدد اللغوي إنعكاساته على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط 1، 2002، ص 156.

² - سبيني سيرجيو، مرجع سابق، ص 72.

³ - لويجي لوفاكافلي: الجينات والشعوب واللغات، ترجمة/ أحمد مستجير، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004، ص 200.

وهذا ما يدل على أن الثقافة التي تساهم في المعاملات الأسرية هي التي يكتسبها الأطفال ويتعاملون بها مع من يحيطون بهم وبالتالي يمكن القول بأنه هناك ارتباط بين النمط العائلي والعالم الاجتماعي.

ويكون بذلك للمستوى الثقافي تأثير على اللغة التي يتعلمها ويكتسبها الأطفال في حياتهم ويتجلى ذلك خاصة من خلال ما يعلمه الآباء لأبنائهم وما يوفرون لهم من ظروف وحواجز ودوافع تجعل رصيدهم اللغوي غني بالمفردات والتراكيب والألفاظ والجمل وهو ما يسهل عملية تحصيلهم الدراسي أثناء دخولهم المدرسة، خاصة وأن المدرسة مؤسسة لغوية أخرى يستقبل فيها الطفل اللغة، وقد تكون لغة المدرسة هي نفسها لغة البيت وتصبح بذلك قطيعة لغوية بين المؤسستين (مؤسسة الأسرة ومؤسسة المدرسة) وهو حقيقة أشكال متواجد في المنطقة الشاوية خاصة بالنسبة للأسر الناطقة بالشاوية ونشير هنا على حسب بورديو باعتباره اللغة كقوة رمزية وتأديتها للدور المركزي في استمرار النفوذ وإعادة إنتاج هذه القوة (أي اللغة) من خلال نظام التعليم أي من خلال نظام اللغة المتواجدة في المدرسة.¹

وعليه فإن المدرسة الجزائرية تعمل على إعادة إنتاج خاصة هذه القوة الرمزية التي تتمثل في اللغة العربية، وهو ما يزيدها انتشارا وتوسعا واهتماما من قبل الأسر وهذا بتلقيها لهم وتعليمها لأبنائهم، خاصة لذوي المستوى الثقافي المرتفع، وهذا لوعيهم وإدراكهم لأهمية هذه اللغة (العربية) ودورها في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لهم.

فالمستوى الثقافي للأسرة بصفة عامة وللوالدين على وجه الخصوص يؤثر بشكل كبير على النمو اللغوي لدى الفرد وهذا لكون الوالدين يوظفون معلوماتهم وقدراتهم في شكل أساليب أثناء التعامل مع أبنائهم وهذا ما يؤثر على الاكتساب اللغوي وسلوكات ومواقف الآباء إزاء أبنائهم يكون وفق أفكارهم وتوجهاتهم والتي تعكس هي الأخرى مستواهم التعليمي الذي وصلا إليه وإلى مستوى تصوراتهم وميولهم بخصوص لغة أبنائهم.

إن البيئة الثقافية لها دورا هاما في تحديد طبيعة الطفولة، فكل فرد هو نتاج بيئته الثقافية التي تكون شخصيته بكل مكوناتها وتوجهاتها كما أنها تتحكم في نمو العقلي والمعرفي وتزوده بالخبرات وتشكل أنواع الحواجز والمواقف المثيرة في تفكيرهم وإذا كانت ثقافة الطفل هي من الثقافات الفرعية في

¹ - خصر محسن: "بيير بورديو فيلسوف العنف الرمزي"، مجلة العربي، الكويت، عدد 497، أبريل 2000، ص 65.

المجتمع فستكون منفردة عنها بمجموعة من الخصائص والسمات العامة كما أنها تشترك معها في مجموعة أخرى فالبيئة الثقافية للأسرة قسط كبير من قولبة الاتجاهات والتصورات لدى الأبناء وهذا لا يكون إلا من خلال المستويات الثقافية والاجتماعية لأسرة الطفل والتي تعتبر مؤسسته التربوية الأولى.

وما يمكن استخلاصه من هذا العرض أن كل لغة ترتبط ارتباطا وثيقا ببيئتها اللغوية وبطريقتها الخاصة وتتشكل وتتميز عن طريق الظروف الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيشوا متحدثوها في ظلها، وكذا عن طريق بيئتها اللغوية (التواصل اللغوي) خاصة وأنا اللغات تتفاعل خلال بيئة معينة ومجال معين ولكن هذا يتوقف طبعا على القائمين بتربية الأبناء خاصة، وهو ما يكسب اللغة للأبناء ولكن دون الخروج عن الإطار اللغوي الذي تعيش فيه هذه الأسر وبعبارة أخرى هو تعليم الأبناء لغة تفيدهم وتفيد مجتمعهم، وهذا لا يخرج عن مدى ما تستطيع كل أسرة تنفيذه من مطالب الدولة بخصوص تربية الأطفال والتوافق مع الاختيار الوطني اللغوي (العربية)، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات البيئية الجغرافية (ريف وحضر) والتي تكون منها الأسر وظروفهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية مختلفة وهو ما يجعل نظرتهم وتصوراتهم للغات أبناءهم قد تختلف أحيانا وتتشابه أحيانا أخرى.

إذا فالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لها أثر على النمو اللغوي للمجتمعات وخاصة بالنسبة للأبناء وبالتالي ينعكس ذلك على تكوين ميولهم واختياراتهم للغة يرونها مفيدة والتي ستكون ممارسة في المستقبل من طرف الأبناء ،وبالتالي فهذه الظروف تعتبر بمثابة موجه يتحكم في اختيار اللغة الملائمة للأبناء.

4- الخصائص الاجتماعية للتطور اللغوي:

4-1) الانتشار اللغوي:

إن الانتشار اللغوي متعلق بعوامل عديدة تمكن الفرد من توفير الأدوات التي تساعده على تعلم اللغة ونشرها ونقلها وتواترها وإيصالها عبر الأجيال فهي وسيلة للتواصل وربط العلاقات ويمكن القول بأنه ترافق الإنسان في شتى المجالات ومن بين العوامل التي تساعد على الانتشار اللغوي ما يلي:

4. 1. 1 العامل الجغرافي: يساهم العامل الجغرافي بل ويحدد طبيعة التوسع اللغوي وتستطيع اللغة بفعل هذا العامل الانتشار خاصة إذا كانت المناطق مفتوحة جغرافيا وباستطاعة الأفراد من مناطق

مجاورة ومناطق أخرى التنقل والوصول إليها دون إشكال كما أن اللغة تتوسع وتؤدي هذه الوظيفة " حين يستدعي تقسيم طبيعي للأرض أو للأعراق أداة مشتركة للتواصل " ¹

ومنه فإن الظروف الجغرافية تعتبر من العوامل التي تساعد على التوسع اللغوي، وهذا من خلال الموقع الذي يمكن أن يكون مصدر من مصادر الانتشار اللغوي لضرورة التواصل الذي تفرضه اللغة.

2.1.4 - العامل الحضري: " ترتبط الخطوة الطبيعية غالبا بين المدن أو المرافئ أو الأسواق وتتحول المدينة إلى مضخة تسرع حركة اللغات المتوسعة " ²

وتكون المدينة مركز تجمع لغوي متعدد، وفيه تنتشر اللغات وتتوسع أكثر فالمدينة هي مركز لغوي مهم، وبؤرة لتجمع اللغات وتوسعها، فاللمدينة دور في نشر اللغة ،ويعود ذلك لأسباب منها " أن المدينة هي مركز التجمع الإداري والموظفون الذين يدفعهم عملهم الى التنقل في البلد أكثر تعلما للغات المنتشرة من الريفيين الذين لا يغادرون قراهم، والمدينة مركز اقتصادي وللسوق دور في بروز اللغات المنتشرة " ³

3.1.4 العامل الاقتصادي: بما أن العوامل الجغرافية تعتبر خطوط نقل للتبادلات التجارية فكل من الطريق والمرفأ والأنتهار ،هي أماكن يمر من خلالها التجار وأصحاب المهمات الاقتصادية في المعاملات ما بين الدول، وكل هؤلاء يحملون اضافة الى الاهداف التجارية يحملون لغات تمكنهم من التواصل للتوصل إلى قضاء أهدافهم الاقتصادية، فاللغات يمكن أن تزدهر وتنتشر بفضل الرحلات التجارية المتنوعة والمتواصلة ،وكلما كانت هذه الرحلات كثيرة ومستمرة كلما كان ذلك عامل قوي للانتشار اللغوي «فالعلاقات التجارية تقتضي التواصل اللغوي وحين لا توجد لغة مشتركة تفرض لغة نشر نفسها». ⁴

4.1.4 العامل الديني: تعتبر الأديان من العوامل المهمة والفاعلة في انتشار اللغة وازدهارها وتوسعها واكتسابها صفة تقدير الناس واحترامهم لها، فهناك علاقة وطيدة بين الانتشار الديني والانتشار اللغوي ، لأن كل دين يتم نشره من خلال اللغة، فأقرب إلى الفرد اللغة التي تسهل وتمكنه من فهم توجهاته

¹ - 2 - لويس جان كالفي ، مرجع سابق ، ص 190

³ - لويس جان كالفي ، مرجع سابق ص 191.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 192.

واحتياجاته، وتزيد هذه العلاقة خاصة في الحالة التي يكون فيها " الدين نص مؤسس أي كتاب مقدس، حينئذ ينعكس تقدم الدين تقدما في اللغة " ¹ ، وما واقع العربية والإسلام خير دليل على ذلك، ويرافق أيضا هذا التوسع اللغوي، توسع وانتشار للكتابة.

5.1.4 - العامل العسكري: من الطبيعي أن تكون هناك علاقة بين التوسعات العسكرية والتوسع اللغوي فالاستعمار دائما يصبوا نحو أهداف من بينها محاولة نشر لغته بفرضها في التعليم والتواصل وواقع الاستعمار في الجزائر خير دليل.

4-1-6 - العامل السياسي: إذ كثيرا ما ترتبط الخيارات السياسية المختلفة للدول بمصير اللغات، بما أن اللغة تعتبر جزء من سيادة الدول، واليوم الزعماء السياسيين كي يحققون نجاح أضل وتواصل أفضل لابد أن يعززوا موقع اللغة حتى من الناحية السياسية أثناء الخطابات وغيرها.

إن هذه العوامل كلها تساهم بشكل كبير في التوسع اللغوي، والتي قد تجتمع مع بعضها حسب الحالات والأوضاع " وتسهم في إقامة تراتبية في وظائف كل واحدة منها ... فלغات النشر عابرة للحدود وتنتشر على مساحات شاسعة من الأراضي على حساب اللغات المحصورة في منطقة ما أو في قرية ... فكلما ازدادت رقعة انتشار اللغة ازدادت قدرتها على أن تفرض نفسها لغة تنتشر في مواجهة اللغات الحاضرة (المتوقعة في منطقة ما) " ².

وهناك أيضا العديد من العوامل المساعدة على انتشار اللغة ³ وهي:

*الهجرة ، إذ تعتبر أول قوة ، مشرت اللغات في التاريخ ..، وتعتبر البذرة الاساسية لانتشار اللغة.
*التجارة ، فالعلاقات التجارية قديمة كقدم اللغة المكتوبة ، وهو يميل الى تغلغل اللغة وانتشارها ، كحمل قرطاجة للغة التجار الفينيقية ، او البونية الى جزء كبير من شمال افريقيا، والعلاقة التجارية وحدها لا تضمن وجود لغوي ، الا اذا كانت مدعومة ، بعقيدة يحملها هؤلاء التجار (ولكن سرعان ما تكون لغة التجارة مهجورة ، عندما ينتقل الاساس التجاري ، او مصادر الثروة بعيدا عنها)
*التكنولوجيا ، حيث دفعت انتشار اللغة الى الامام ، فالحضارات بطبعها تدفعها التكنولوجيا.

¹ - لويس جان كالفي، مرجع سابق، ص 193.

² - المرجع نفسه ، ص 194.

³ - نيقولاس اوستلر : امبراطورية الكلمة، تاريخ اللغات في العالم، ترجمة/ محمد توفيق البحيري ، دارالكتاب العربية ، بيروت ، لبنان، 2011. ص ص 729-737.

ولعل انتشار اللغة في العصر الحديث ، قد تم قبل كل شئ عن طريق النصوص اللغوية ، ثم نشرها بعد ذلك باي وسيلة ، فجاءت الطباعة ، ثم الاتصالات الالكترونية، ثم الاذاعة، وكان نشرها للغة عميق، فصار من الممكن الحفاظ على المجتمعات اللغوية، رغم الانفصال المادي.

4-2) التطور اللغوي: إن أي لغة في حركة دائمة، ومستمرة والتطور اللغوي هو ذلك النمو اللغوي الذي يلاحق الإنسان طيلة مراحل حياته المختلفة، ويعود تطور اللغة إلى طبيعتها الاجتماعية «والتطور المستمر في اللغة لا يوصف بأنه متجه نحو الأفضل أو الأقبح أو تطور في الارتفاع أو الانخفاض ... فاللغة أو اللهجة لا تقاس من صلاحيتها بحسب التقدم أو التأخر في الزمن أو الرقي أو التأخر في الحضارة، بل بحسب قدرتها على أداء دورها الاجتماعي بين من ينطقونها، إذ تستجيب للتعبير عن تجاربهم ومظاهر حياتهم وتحقيق الاتصال والتفاهم بينهم».¹

فلغة الطفل تتطور باستمرار ويمكن للواقعة اللغوية الاستثنائية والتي يصادفها أن «تشكل أو تحل لانظام لغوي في الغد ... وأخيرا يمكن للعبارات الاستثنائية أن تكشف عن إبداعية الطفل اللغوية أكثر من ان تكشف عنها العبارات الأكثر تواترا ...».²

ويقول أولمان " Ullman " «اللغة ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، وبالرغم من أن تقدمها قد يبدوا بطيئا في بعض الأحيان ... ولكن سرعة الحركة والتغير هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومن قطاع إلى آخر من قطاعات اللغة»³

فالتغير دائما يبدأ على المستوى الفردي، وذلك بما يحاول كل فرد إدخاله على نظام اللغة المتعارف عليه لدى جماعة لغوية، وذلك من استعمالات جديدة عليهم، ويبقى هذا الاستعمال اللغوي الجديد خاضع لمواقف الجماعة اللغوية المنقول إليها، فإذا قبلته تصبح هذه الاستعمالات ذات طابع اجتماعي عام، وتصبح القاعدة التي ينتهجها ويتبعها جل الناطقين بتلك اللغة.

«إن تاريخ اللغة ليس سوى تاريخ الأخطاء اللغوية فيها»⁴، وهو بهذا يصف حدوث التطور اللغوي وكيفية حدوثه، ويتم ذلك عن طريق الفرد ثم يصبح إجتماعيا عبر مراحل متعددة، وهذه المراحل

¹ - أحمد عيد: مرجع سبق ذكره، ص 29.

² - ريشل مارك: إكتساب اللغة ، ترجمة / كمال بكداش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1984، ص 38.

³ - أحمد عيد، المرجع السابق، ص 30.

⁴ - المرجع نفسه، ص 30.

تعتبرها بعض الأخطاء، ومنها يكتسب الفرد اللغة المناسبة والصحيحة وهذا ما هو إلا دليل على أن التطور موجود وملحوظ عبر فترة من الزمن.

«إن كل تغير يطال البنية الاجتماعية يترجم بتغيير الظروف التي فيها تتطور اللغة فاللغة نفسها الموحدة في الأصل تتغير إن يسيرا أو كثيرا، وبخاصة في مستوى كلمها بفعل تموقعها الفضائي والملابسات والتطورات التجارية والتاريخية والدينية، وكذا بفعل مجاورتها لشعوب أخرى، غير أن الجوهر والجذور الأصلية يبقى ويخلد ولا يسع منكر إنكار الأثر الاستوصافي الأرضي والبيئي على اللغة».¹

فالتطور اللغوي لا يمكن أن يحدث هكذا دون عوامل عدة تؤدي وتساعد على تطور اللغة وارتقاءها ومن هذه العوامل ما يلي:

4-2-1 العوامل الاجتماعية: وهي عوامل مرتبطة تحديدا بحضارة الأمة وعاداتها وتقاليدها وعقائدها، ومدى نشاطها العملي والعقلي وثقافتها العامة واتجاهها الفكري ... و «تشتمل هذه العوامل على الخصائص العقلية للأمة، وانتقال اللغة من السلف إلى الخلف، والاحتكاك والعزلة الاجتماعية، ووسائل الاتصال، والتغير الاجتماعي، وانعكاسات هذه العوامل على اللغة وتطورها».²

أ- **الخصائص العقلية للأمة:** وهو أن اللغة تتأثر بالمجتمع الذي تعيش فيه، فهي بدوية في المجتمع البدوي وبدائية في المجتمع البدائي، أما إذا وجدت في مجتمع أخذ قسطا من الحضارة فإننا نجدها في هذه المجتمعات متحضرة الألفاظ ويسيرة في نطقها، فهي بذلك تتأثر بالواقع المجتمعي المتواجدة فيه، حيث تكون اللغة خاضعة لحضارة هذه الأمة ونظمها وتقاليدها، إذا أن كل تطور يحصل ينتقل صداه وتأثيره في أداة التعبير، فحضارة الأمة يمكن أن تتطور برقي تفكيرها ومدى ضبط وتحقيق الحاجات والاتجاهات النفسية لها، وهذا كله يساعد على التطور اللغوي سواء في القول أو في التعبير من خلال الاشتقاق والاقتباس أو الإبداع في استنباط الأفكار الجديدة ...

«كما أن عقائد الأمة وتقاليدها وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة، وميلها إلى الحرب والسلام وما تعتقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت

¹ - عبد الرحمان بن عطية: تاريخ العربية لسان العالمين، دار هومة، الجزائر، ترجمة حفناوي مالي، 2007 ص 27.

² - عبد الفتاح عفيفي، مرجع سبق ذكره، 1995، ص 86.

والرسم ... يصيغ اللغة بصيغة خاصة في جميع مظاهرها في الأصوات والمفردات والقواعد والأساليب».¹

و«خصائص الأمة العقلية ومميزاتها في الإدراك والوجدان والنزوع ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجها وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة، كل ذلك وما إليه ينبعث صداه في لغتها».²

ب- انتقال اللغة من السلف إلى الخلف: «تنتقل اللغة من جيل إلى جيل آخر من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة لنقل الثقافة من السلف إلى الخلف، وأن عملية التعلم والمحاكاة التي يقوم بها الأطفال نقلا عن الكبار لا تتم بصورة حرفية، وإنما تصاحبها عملية تطور وتغير ترجع في مضمونها إلى أسباب وعوامل اجتماعية وأخرى غير اجتماعية».³

وان العوامل الاجتماعية التي تساهم في تغير اللغة تتمثل في العادات والتقاليد والنظم وكذا العقائد والقيم السائدة في المجتمع.

والعوامل الغير اجتماعية تشمل التغيرات التي تصيب وتحدث لأعضاء النطق من خلال مراحل تطور النمو للإنسان، وهذا بطبيعة الحال تكون له انعكاسات على النمو اللغوي لدى الفرد.

ج- الاحتكاك اللغوي: إنه لمن المعروف في أي مجتمع ما، فإن هناك إحتكاكات لغوية أو لهجوية تفرضها تلك الاحتكاكات الاجتماعية بصورة عامة، بسبب التبادلات التجارية أو الهجرات ... إلخ، وعليه فإن أي لغة مهما كانت سوف لن تكون بمأمن عن هذا الاحتكاك وهو ما يجعلها قابلة لأن تتطور تماشيا مع هذا الاحتكاك.

إلا أنه «يختلف ما تأخذه لغة عن أخرى باختلاف العلاقات التي تربط الشعبين وما يتاح لها من فرص الاحتكاك المادي والثقافي، فكلما قويت العلاقات التي تربط أحدهما بالآخر، وكثرت فرص احتكاكهما نشطت بينهما حركة التبادل اللغوي، وتبلغ هذه الحركة أقصى شدتها حينما يسكن الشعبان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين (كبلوغ حركة التبادل اللغوي أقصى شدتها بين العربية والفارسية والتركية)».⁴

و «أن المفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل تلك اللغات، أو برزوا فيها، أو يمتازوا بإنتاجها أو كثرة إستخدامها وأخذت منهم، أو اعتمد عليهم

¹ - علي عبد الواحد وافي، مرجع سبق ذكره، ص 09.

² - المرجع نفسه، ص 19.

³ - عبد الفتاح عفيفي، مرجع سابق، ص 89.

⁴ - علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 30.

فيها أهل هذه اللغة، فمثلا معظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية يتصل بنواحي مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان وأخذت عنهم العرب»¹.

وبحكم الحضارة اليونانية وما توصلت إليه هذا ما جعل بعض الكلمات تؤخذ عن اللغة اليونانية من طرف اللغة العربية، ويتم إستعمالها بصيغة اللسان العربي وبلغة عربية، وهذا لطلب الحاجة إليها، وبفضل هذا الاحتكاك اللغوي يتم ذلك.

ولعل أهم ناحية يظهر فيها التأثير اللغوي بفعل الاحتكاك هي: " الناحية المتعلقة بالمفردات، إذ تنشط حركة التبادل اللغوي ويكثر إقتباسها بعضها عن بعض ... أما القواعد وأساليب الصوت فلا تنتقل في الغالب من لغة إلى أخرى إلا بعد صراع طويل بين اللغتين، ويكون إنتقالها إيذانا بقرب زوال اللغة التي انتقلت إليها وإندماجها في اللغة التي انتقلت إليه هذه الأمور قد أخذت تتلاشى في حضارة الشعب الذي انتقلت منه " ²

وعليه يمكن أن نقول أن الاحتكاك اللغوي يفرض بروز لغة مابين الشعوب من خلال التبادل اللغوي في مجالات متعددة ويكون ذلك بعد فترة زمنية قد تكون طويلة وهذا يدخل في إطار التطور اللغوي للغة معينة.

إلا أن الكثير من الكلمات تنتقل إلى اللغات أو اللهجات بفعل الاحتكاك، " ينالها تغيرا أو تحريف وذلك لما تقتضيه الظروف الاجتماعية المحيطة بهذا الانتقال " ³

د- العزلة الاجتماعية ووسائل الاتصال : " تؤدي العزلة الاجتماعية إلى عدم تحقيق الاتصال الثقافي، وانعزال اللغة عن غيرها من اللغات، مما يترتب عليه عادة ثبات اللغة على حالها في المجتمع المنعزل " ⁴.

وهذا بطبيعة الحال ينعكس على المجتمع الواحد (المحلي) ،فقد تؤدي بعض الظروف منها الطبيعية والجغرافية إلى عزل المجتمع، وهذا يؤثر على اللغة واللهجة المحلية ويقلل من الاتصال الذي يساهم في التطور اللغوي بشكل عام.

هـ - التغير الاجتماعي وتطور اللغة: " يعتبر التغير الاجتماعي سمة من سمات كافة المجتمعات، وعليه فإن على اللغة السائدة بالمجتمع أن تتطور لتواكب سرعة ذلك التغير وتمده بالمفردات اللغوية

¹ - المرجع نفسه، ص 31.

² - علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 35.

³ - المرجع نفسه، ص 36.

⁴ - عبد الفتاح عفيفي، مرجع سابق، ص 92.

المناسبة له، فلقد أدى مثلاً ظهور النفط بمنطقة الخليج العربي إلى شيوع مفردات لم تكن معروفة من قبل بالمنطقة، مثل عوائد النفط، الأوبك (منظمة الدول المصدرة للنفط) ... الخ ، وبالتالي فالتغير الاجتماعي يعني الانتقال من وضع لآخر والذي يحدث في المجتمعات بسبب من الأسباب كالتطور التكنولوجي - الحروب ...، وهذا التغير الذي يحدث حتماً يلاحقه ويتبعه تغير في شئ من اللغة المستعملة في تلك المجتمعات نظراً لتلك الظروف والأسباب الخاصة.

4-2-2- العوامل الأدبية: " وتشمل هذه العوامل كل أساليب الإبداع التي وجود بها العقل الإنساني لدى الصفوة من العلماء والأدباء والمفكرين، الذين تمثل إبداعاتهم العقلية زادا جديداً يؤدي إلى تطوير اللغة والمحافظة عليها وتعليمها ونشرها وتهذيبها ... " ¹

وتتجه آثار الأمور الأدبية هذه نحو لغة الكتابة، ولكنها لا تلبث أن تظهر في لغة المحادثة، كما أن هذه العوامل الأدبية تظهر وكأنها في صورة أمور وقضايا مقصودة تسيروها الإدارة الإنسانية، وتبدوا مظاهر العوامل الأدبية خاصة في الرسم وحركة التأليف والترجمة كرد بفضل الرسم " تضبط اللغة وتدور آثارها، ويسجل ما يصل إليه الذهن الإنساني، وتنتشر المعارف وتنتقل الحقائق في الزمان والمكان، وهو قوام اللغات الفصحى، ولغات الكتابة ودعامة بقائها " ²

وهناك نوعين للرسم استخدم في مختلف اللغات، فهناك نوع الرسم المعنوي والذي يضع لكل معنى صورة خطية خاصة، وثانيها نوع الرسم الصوتي والذي يضع لكل صوت صورة خاصة وهو النوع المستخدم في كثير من اللغات القديمة، ويستخدم حالياً في معظم الشعوب المتمدينة.

كما أن لحركة التجديد في اللغة أثر كبير في التطور اللغوي " فتأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية واقتباساتهم أو ترجمتهم لمفرداتها ومصطلحاتها وانتفاعهم بأفكار أهلها وإنتاجهم الأدبي والعلمي " ³. وهذا كان له الأثر الواسع في نهضة لغة الكتابة وتهذيبها وإتساع نطاقها وتضخم ثروتها اللغوية.

" كما أن لإحياء العلماء والأدباء لبعض المفردات القديمة والمهجورة للتعبير عن معانٍ صعب إيجاد مفردات تعبر عنها بدقة، أثر كذلك في نهضة لغة الكتابة واتساعها وزيادة قدرتها على التغير " ⁴

¹ - عبد الفتاح عفيفي، مرجع سابق ، ص 94 .

² - علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص 39.

³ - المرجع نفسه، ص 40.

⁴ - المرجع نفسه، ص 58.

زيادة على خلق الادباء والعلماء لألفاظ جديدة ومستحدثة بقصد التعبير عن أشياء وأمور لا يجدونها في مفردات اللغة المستعملة مثلاً (المخترعات الصناعية، المصطلحات العلمية، ...)، له دور أيضا في النهضة بلغة الكتابة واتساع متنها، ودقة مصطلحاتها، وزيادة مرونتها وقدرتها على التغير، وتساهم حركة التأليف والترجمة أيضا بما يتاح لها من إمكانيات ووسائل، وبما يقوم به أهلها من نشاط وسعي من أجل العمل على التوسع والانتشار والتطور اللغوي.

4-2-3- العوامل الطبيعية: " وتشمل الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية والبيولوجية والاثولوجية ... وما إلى ذلك من الأمور التي تتصل بالبيئة الطبيعية أو بوظائف الأعضاء أو بتطور الناحية الجسمية للإنسان، أو باختلاف الشعوب في خواصها الوراثية " ¹، وبالتالي فالبيئة الجغرافية لها دور كبير وبارز في خصائص اللغة وفي مظاهر تطورها عبر الزمن إذ " جميع خصائص الإقليم الطبيعية تتطبع في لغة سكانه ... ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والباردة وبين سكان المناطق الجبلية وسكان الصحراء وسكان الأودية وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية ونشأت فروق بين أفراد الفصيلة اللغوية الواحدة بل بين لهجات اللغة الواحدة " ²

ومنها يستطيع الباحث معرفة " البيئة الأولى التي نشأت فيها لغة ما على ضوء مفردات هذه اللغة " ³. وعليه فإن البيئة الجغرافية تتطافر معها عوامل أخرى معظمها اجتماعي وأن " هذا التطور حينما يتأثر بالبيئة الجغرافية لا يتأثر بها بصورة مباشرة وإنما ينجم عن ظواهر اجتماعية ونفسية كان لهذه البيئة دخل في نشأتها أو فيما تسلكه من مناهج " ⁴.

4-2-4- العوامل اللغوية: وهي أمور ذاتية في اللغة نفسها ذلك أن " بنية اللغة ومنتها وأصواتها وعناصر كلماتها، وقواعدها اللغوية ... كل أولئك ينطوي على أمور ذاتية تعمل هي نفسها في صورة آلية على التطور اللغوي وعلى توجيهه إلى عوامل تؤثر في تطور الأصوات كتفاعل أصوات حروف الكلمة مع بعضها البعض، وموقع الصوت في الكلمة وتناوب الأصوات وحلول بعضها محل بعض،

¹ - عبد الفتاح عفيفي، مرجع سابق، ص 74.

² - المرجع نفسه، ص 75.

³ -4- المرجع نفسه، ص 76.

والعامل الثاني المؤثر هو العامل المؤثر في تطور الدلالة والتي تعود إلى عوامل تتعلق بمبلغ إرتباط الكلمة بفصيلتها ووضوح دلالتها في الذهن وعوامل تتعلق بأصوات الكلمة وعوامل تتعلق بالقواعد " ¹ إذا فالتطور اللغوي هو حاصل عدة عوامل والتي سبق ذكرها وهذه العوامل هي التي تجعل التطور اللغوي يحدث على المستوى الاجتماعي، وعليه فإن ظاهرة التطور اللغوي تمس الإنسان عبر مراحل حياته بما في ذلك إكتساب الأطفال للغة في المحيط الذي ينشئون فيه وكل تلك العوامل تساهم في التطور اللغوي في اللغة التي يتكلمها الإنسان، والتي تعتبر وسيلة ضرورية للتواصل والاتصال بالآخرين، وهذا الاتصال الذي يحدث بين بني البشر ملفوظ ومنطوق وبالتالي مهما كانت العوامل سواء (أدبية - جغرافية - إجتماعية - لغوية - بيولوجية ...)، فإنها تكسب الجماعة صفات معينة، حيث تتميز بأسلوب خاص بلغتها، وهذه الصفات التي تكسبها الجماعة تعكس التصورات الداخلية والخارجية لهذه الجماعات ونظرتها إلى الآخرين، وبالتالي نظرتها وتصوراتها للغة الآخرين. وما يمكن أن نستخلصه أن التطور اللغوي لا يأتي من فراغ، بل يحدث نتيجة عوامل متعددة ومتضافرة، متكاملة وشاملة لمجال اللغة التي يكتسبها الإنسان عبر مراحل حياته المختلفة.

5- اللغة والفكر:

«إن بيئة اللغة قائمة على بنية الوجود من جهة، وعلى بنية الفكر البشري من جهة أخرى» ² فاللغة بما تحتويه من كلمات وأسماء وأفعال، إلا ولها دلالة معينة ناتجة عن حدث معين أو فكرة معينة، فاللغة والفكر شيان متلازمان، فاللغة تعتبر أداة يستعين بها الإنسان للتعبير عن ما يحمله من أفكار وما يعبر به عن الأشياء والأفعال وكل مستلزمات الحياة والعلاقات التي تتطلبها الحياة من تفاعل وتواصل لإشباع الحاجة التي يرغب فيها اجتماعيا، وكل ما يخطر بفكر الإنسان هو عبارة عن لغة سواء لفظية أو غير لفظية.

"إننا لا نفكر إلا داخل الكلمات، ولا ثقة لنا في أفكارنا المحددة والحقيقية إلا حينما نضفي عليها طابع الموضوعية، ونميزها عن أنشطتنا الذاتية، ونسجلها بعد ذلك في شكل خارجي يحتوي أيضا على خاصية الفعالية الداخلية الأكثر سموا، إن الشكل عبارة عن صوت متصل، أو كلمة تعطينا بمفردها

¹ - المرجع نفسه، ص 76.

² - حنفي بن عيسى، مرجع سابق، ص 28.

وجودا يتحد فيه الداخل بالخارج في صورة بديعية، الشيء الذي يجعل كل رغبة في التفكير بدون كلمات محض محاولة خرقاء لا أصل لها " ¹.

واللغة لا يقتصر دورها على تبليغ أفكار معينة فقط ، بل يتعدى ذلك في " إنها تحمل في طياتها الفكر نفسه ، لأنها كما تستمد وجودها ودلالاتها من أعماق الإنسان ، فكره وآلامه ، تحرك الحياة ، وتشحن هذا الوجود ، وهذه الدلالات من مسارات الفكر التاريخية والحاضرة " ²

فهناك ارتباط موجود بين اللغة المتكلم بها ، والفكر الإنساني، الذي يحمل هذه اللغة ، ويعبر عنها، إلا أن هناك من يرجح فكرة ، إن اللغة هي الأكثر مساهمة في تحديد الفكر ، وشتى الطرق والوسائل " أن ليس هناك أي قيود ، على كم ونوع التباين القائم بين اللغات المختلفة ، ومن ضمنها الاختلافات في الأبنية الدلالية للغات ، وترى أيضا أن تأثير اللغة على الفكر تأثير كامل ، أي انه ليس هناك فكر دون لغة " ³.

ويرى " سابير Sapir " أن اللغة هي " التي تجعل المجتمع يفكر ، ويتصرف بالطريقة التي يرتضيها ،وان المجتمع لا يستطيع رؤية العالم ،إلا من خلال لغته ،فالبشر واقعون تحت تأثير تلك اللغة المعنية ،التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعاتهم ، وهي وسيلة لتنمية الفكر الذي يعود ليؤثر في اللغة وتطورها ونموها ، فالتفاعل بين اللغة والفكر ، أمر واقع " ⁴.

والإنسان دائما يبقى متعاملا مع بيئته الواقعية التي يعيش فيها ، " وهي بيئة كانت أفكاره ،وتصوراته ،وعاداته اللغوية ، تتدخل في صياغتها وتشكيلها إلى ابعد الحدود...الخ ، كما نجحت بعض القدرات اللغوية في تطوير نفسها ، من خلال أنماط فكر محددة ، يمكن الوقوف على ملامحها عبر التاريخ اللغوي للإنسان " ⁵.

واللغة تتدخل في تحديد وتركيب أنماط الفكر في المجتمع ، سواء أدرك الناس ذلك ، أو لم يدركوه ⁶ ، كما نجد أن هناك اهتمامات كثيرة ، بالعلاقة التي تربط اللغة بالفكر ، وكل أشار إليها ، وفقا لما

¹ - سبيلا محمد و بنعبد العالي عبد السلام : اللغة ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، ط4 ، 2005.

² - غلاب عبد الكريم: الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات،الدار العربية للكتاب،طرابلس،ليبيا،1977،ص45.

³ - السيد عبد الفتاح عفيفي، مرجع سبق ذكره، ص 159.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 160.

⁵ - ابو زيد ، محمود : مرجع سبق ذكره ، ص 163.

⁶ - المرجع نفسه ، ص 169.

تقتضيه الضرورة ، فهناك من يرى " بأن اللغة تؤثر على التفكير ، ويعتمد التفكير على اللغة، فاللغة هي التي تقرر التفكير وتتحكم فيه " ¹.

ولعل النقطة المحورية في حياة الإنسان ، التي تحدث فيها هذه العلاقة ، بصورة واضحة " عندما يبلغ الطفل حوالي عامين من عمره ، حيث نجد أن منحى التفكير الذي يسبق اللغة ، ومنحى اللغة التي تسبق التفكير ، يلتقيان ويتربطان مع بعضهما البعض ، لكي يأذنا ببداية نوع جديد من السلوك، وهكذا يصبح التفكير لفظيا، والكلام معقولا يضم فكرا " ².

فهناك ارتباط وثيق، بين اللغة والفكر، فالتفكير مرتبط بمدى قدرة الأفراد اللغوية، واللغة بأساليبها وأنماطها المختلفة المنطوقة، والغير منطوقة، هي الوسيلة المثلى ، للتعبير عن أفكارهم وتصوراتهم، فاللغة هي "الوعاء الذي يحتوي الفكر ، فالإنسان يفكر في أثواب من اللغة ، والفكر عملية عقلية توجه السلوك الإنساني واللغوي، لاختيار الأسلوب المناسب للتعبير " ³.

فلا لغة دون فكر ، ولا فكر دون لغة ، فانا أفكر بلغة ، واللغة تقودني للتعبير عن الفكر الذي احمله.

ف " ما يمكننا قوله ، هو الذي يحدد لنا ما يمكننا تعقله وتنظيمه ، أن اللسان هو الذي يمدنا بالشكل الخارجي الأساسي ، للخصائص التي يعترف بها الفكر للأشياء ... " ⁴

ومنه يمكن القول بأن اللغة تعطى للفكر معنى أكثر وضوحا وإبداعا ووجودا وبهذه اللغة تصل الفكرة وتسمو وتتأكد أكثر.

6- اللغة والثقافة :

إن هناك دلالات عديدة تحملها الثقافة ، ولعل معظمها ينطلق من التحديد - الانتروبولوجي - الذي أعطاه إياها، العالم البريطاني "تايلور" ، والذي يرى بأنها " ذلك الكل المركب، الذي يشمل على المعارف والمعتقدات ،والفن والقانون والأخلاق والتقاليد، وكل ما ينتجه الفرد باعتباره عضوا في المجتمع " ⁵.

¹ - السيد عبد الفتاح عفيفي ، مرجع سبق ذكره ، ص 161 .

² - جرين ،جودت : التفكير واللغة، ترجمة/عبد الرحمان عبد العزيز العبدان، دار عالم الكتب،الرياض،1990،صص 111-114

³ - السيد عبد الفتاح ، عفيفي ، نفس المرجع السابق ، ص 162.

⁴ - سبيلا ،محمد و بنعبد العالي ، عبد السلام، مرجع سبق ذكره ، ص 80 .

⁵ - لبيب ، الطاهر : سوسولوجيا الثقافة ، دار ابن رشد ، عمان ، ط3 ، 1986 ، ص 10 .

فهي تشمل جميع مناحي الحياة البشرية، وأنشطة الأفراد، كما تشمل العديد من الجوانب النفسية، المرتبطة بهذا الكائن الثقافي " نماذج التفكير والإحساس المشترك بين معظم (غالبية) الأشخاص " ¹.

ويظهر تعريف " مالك بن نبي " يتبين الربط بين الثقافة ، والتنشئة الاجتماعية ن في دالتهما ، من حيث الاستمرارية ، إذ يكسبه شخصية اجتماعية ، تجعل منه عضوا فعالا في المجتمع " مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، والتي يتلقاها الفرد منذ ولادته، كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، وفي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته " ² ، ولعل هناك ارتباط بين الثقافة واللغة ، فاللغة تساعد على فهم البناء الاجتماعي للمجتمعات ، المختلفة وتلعب دورا هاما في إبراز شبكة العلاقات الاجتماعية فيها ، فكل مجتمع مهما كان، محكوم بلغته، وبثقافته الخاصة، واللغة تعكس جانبا من هذه الثقافة السائدة في تلك المجتمعات " فمهما كانت المحاولات لتبسيط اللغة ووظيفتها، فلا يمكن الاكتفاء، بأنها وسيلة للاتصال والتفاهم ونقل المعلومات، أو لأنها وسيلة تساعد على خلق الروابط، وتوطيد الصلات بين الأشخاص... فهي أيضا تكشف عن ملامح الخلفية الاجتماعية، وعن العديد من مظاهر الوضعيات الطبقية والثقافية... الخ التي ينتمي إليها المتحدثون " ³.

ولا تعتبر اللغة بالنسبة للثقافة، بأنها وسيلة للتعبير باستخدام نسق الرموز من خبرة ثقافة المجتمع فحسب، بل " موجه لنا (اللغة) نحو الحقيقة الاجتماعية، بتوجيه تفكيرنا نحو المشكلات والعمليات الاجتماعية بشدة ، بوصف اللغة وسيلة للتعبير في المجتمع ، كما تعتبر أداة ، لتحقيق التوافق الاجتماعي مع الواقع ، وفي حل المشكلات المتعلقة بالاتصال والتفكير... " ⁴.

وإذا كانت الثقافة السائدة في أي مجتمع ، تعتمد على الرموز، فإن " اللغة من أكثر العناصر التي تقوم على استخدام الرموز، فهي الركيزة الأساسية لقيام ثقافة حقيقية، إذا واكبت بدا عملية بناء التراث الثقافي ، فهي تعمل (اللغة) على صياغة التراث الثقافي ، الشفهي والمكتوب لأي مجتمع ، وهي تعبير عن المعاني وشتى الرموز التي تحملها العناصر الأخرى للثقافة ، ومدى تأثيره على الثقافة ، باعتبارها قوة موجهة لمجمل السلوكات الإنسانية ، في شتى المواقف الاجتماعية ⁵.

¹ -Guy Rocher ; **Introduction a La sociologie ; Première partie: l'action social:** coll;Point,Paris,1972,p59-

² -بن نبي مالك: **شروط النهضة** ، ترجمة /عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 ، ص 85.

³ - ابو زيد محمود ، مرجع سبق ذكره ، ص 177 .

⁴ - السيد عبد الفتاح عفيفي، مرجع سبق ذكره ، ص ص 152-154.

⁴ - السيد علوان محمد : **المجتمع وقضايا اللغة** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1955 ، ص 62

وقد أكد " برنارد كامبل B. Cambell " انه " لم يكن في مقدور الإنسان ، أن يكتسب التطورات الثقافية الهائلة ، التي حصل عليها بدون لغة مناسبة ، حيث مكنته من الحصول على مستويات أعلى من التدرج ، تعتبر ضرورية لتطور الثقافة المادية والمجتمع ، لأنها حققت نوعا من الاتصال بين الأفراد ، جعلت من الممكن تكامل البناءات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المعقدة " ¹.

إذا فكل من اللغة والثقافة ، لهما دور متكامل ومتفاعل ، إذ تعتمد على أن الرموز المختلفة الحاملة للمعاني والدلالات ، وهما أداة تواصل بين الأفراد فيما بينهم ، وبين الجماعات المختلفة ، أي أن اللغة هي " احد عناصر الثقافة المؤثرة والفاعلة في صياغة الفكر ، وحفظ التراث و المعرفة " ².

فهناك رباط حميم ، وقوي ، بين اللغة والثقافة ، فكل ثقافة وعاء لغوي يحتويها ويضمها ، ويتفاعل معها ، ويسهم في نقلها وانتشارها ، وهما جزء من حراك الوسط (البيئة) الذي يعيشان ويتلازمان فيه.

7- اللغة والهوية :

إن لكل فرد هويته الخاصة ، ولكل جماعة هويتها الخاصة، فالهويات التي نشكلها بالنسبة إلى أنفسنا والتي نشكلها بالنسبة للآخرين، لا تبدوا كأنها مختلفة من حيث النوع عن الآخرين" فالهوية هي الهوية- وإنما الذي يتغير هو الوضعية التي نمناها لهم" ³، فالهوية قد تكون " جزئية صغيرة ، خاصة بشي ، وقد تكون كلية مركبة ، خاصة بجماعة أو شعب أو أمة ، لكنها في صورتها الأولى في أدنى السلم ، وكلما اتسعت الهوية لتشمل أفرادا أكثر ، كانت أكثر تعقيدا ، وتشابكا وتركيبا ، لأنها تصبح أعمق دلالة على أفرادها ، وأكثر تعبيراً عن ذواتهم ، واشد التصاقا بمصالحهم وغاياتهم الجمعية" ⁴

لاشك أن الهوية التي يحملها الفرد ، هي جزء غير مستقل تماما عن الهوية المجتمعية، فبعض الملامح والصور والأنماط ، تظهر لديه ، كتعبى عن الانتماء ، لان المجتمع " هو الوسط الاجتماعي الذي يراه ، ويتعامل معه ، وهو أيضا المجتمع التاريخي ، او تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها ، والتاريخ بالطبع كل مركب ، فيه العلوم والمعارف ، والمواقف والذكريات والمشاعر ...، وكل ذلك

¹ - السيد عبد الفتاح عفيفي، المرجع السابق ، ص 155

² -3- جون جوزيف : اللغة والهوية ، تر/ عبد النور خرافي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 2007، ص 1.

⁴ - الحفيان فيصل : اللغة والهوية ، إشكالات المفاهيم وجدل العلاقات ، انظر الموقع www.alukah.net/literature-language تاريخ 2009/9/5 ، ص2.

يسهم في تشكيل هوية الفرد، كما يسهم بالقدر نفسه في تشكيل هوية الجماعة كلها... وهناك أيضا المكان - الجغرافي - الذي له دور في صياغة الهوية¹

وقد اقترح جيمس "مارشا James Marcia" تصنيفا رباعيا للهوية ، إذ يرى أنها تخضع لإحدى الحالات التالية²:

- انجاز الهوية : الالتزام بهوية محددة ، بعد الانتهاء من حزم معركة الهوية .
- تعليق الهوية: عدم الالتزام جراء عدم الحسم.
- وراثه الهوية : الالتزام بالهوية ، من غير خوض المعركة .
- تشتت الهوية : ليس هنالك الالتزام ولا معركة .

ويمكن التعبير عن هذه الحالات الأربع ، وفقا لترتيبها ، استقرار هويتي ، عراك هويتي، استسلام هويتي ، تبعثر هويتي ، ولا شك أن الهوية بصفة عامة ، لا تتسم بالمطلقية ، ثباتا وديمومة وسكونا، وهو ما يجعلها متحركة ، وهذا يجعل من الأفراد وحتى الجماعات - بدرجة اقل - أكثر تكيفا وإدخلا لأنماط وسلوكات وممارسات جديدة ، وبالتالي هويات جديدة او معدلة .

كما نجد الهوية الشخصية، النابعة من تصرفات شخصية، وغالبا ما ترتبط بمتصل السلوك، البين-الشخصي، أي أن هويات الأفراد تتفاعل فيما بينها، وفقا لشخصيات أصحابها، وهناك الهوية الاجتماعية ، التي تتشكل في إطار ، انتماء الإنسان لجماعة ما ، ومن ثم فهي ترتبط بمتصل السلوك البين - جماعي ، فهذه الهويات تتفاعل وفقا لانتماءاتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية والمهنية ، والهوية الاجتماعية ضرورية لإمداد الإنسان ، بالأمان والجدارة والقبول والدعم الاجتماعي.

وتعتبر اللغة "هوية ناطقة ،فكلمة ناطقة ، معبر عنها برموز مفهومة ...، كما ان مفردات اللغة ، تكتسب معاني مختلفة ، بحسب هوية الناطق بها ، فاللغة لا تكن أداة توصيل للأفكار والمعاني ، إلا إذا انغمست في هوية صاحبها ، وانبثقت منها"³ ، فالتفكير في " اللغة والهوية ، يستلزم تحسين فهمنا لماهيتنا ، في أعيننا ، وفي أعين الآخرين ، وبذلك يجب أن يعمق فهمنا للتفاعل الاجتماعي ، وكل

¹ - المرجع نفسه ، ص 2.

² - البريدي عبد الله : اللغة، هوية ناطقة ، المجلة العربية ، السعودية ، 1434 هـ ، ص ص 21-22.

³ - البريدي عبد الله ، مرجع سابق، ص ص 30-31.

واحد منا إذا ملتزم باللغة ضمن مشروع مستمر مدى الحياة ، لتشكيل ماهيتنا ،وماهية كل شخص نلتق به ،أو مسمع مجرد منطوقاته او نقرأها ¹

فاللغة والهوية وجهان لشيء واحد ، فالإنسان في جوهره ، ليس سوى لغة وهوية ، واللغة فكره ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء والعناصر هي وجهته وحقيقته وهويته، وشان الجماعة او الأمة، هو شان الفرد، لا فرق بينهما، وفي ذلك الإنسان ومقوماته ². فمهما كانت اللغة التي يستخدمها الأفراد، أو الجماعات في تواصلاتهم ، بالصيغ المختلفة ، فهم مدركون وواعون لما يقولون، اي هناك فهم مبني لجميع الأطراف، المتحدثة فيما بينها، فهي تمثل هويتهم ، المتأصلة في كلامهم، سواء أكان ذلك ، نطقا أو كتابة أو موقعا .

خلاصة :

وفي الأخير ما يمكن أن نستخلصه من هذا الفصل أن الأسرة تزود الأبناء وتغرس فيهم مجموعة من القيم والمعايير التي يتخذها أساسا سلوكا، وهذا في إطار تفاعلاته الاجتماعية اليومية، ولعل الأسرة هي المدرسة والمؤسسة الأولى التي ينشئ فيها الطفل، ومنها يتعلم اللغة ويكتسبها لتكون ممارسة في حياته، ويتم ذلك عبر مراحل حياته المختلفة، من حيث نموه اللغوي، وهو ما يعني أن هذا الطفل يكون مزود تكوينيا بقدرة على تعلم اللغة، وذلك مهما كان بلده أو وسطه أو طبقة الاجتماعية - الاقتصادية أو الثقافية، ولكن هذه الظروف البيئية التي يعيش فيها الأبناء تجعل اللغة التي يكسبونها (نوع اللغة)، ويكون الآباء هم الموجهون للغة أبناءهم، وبالتالي فإن أثر الأسرة في إكتساب اللغة وممارستها لدى الأبناء يتوقف على أثر نسق من العوامل البنيوية المكونة لهذه الأسر، خاصة من عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والجغرافية، وما لها من أثر في تعليم وإكساب الطفل للغة.

ونجد أيضا أن اللغة هي نظام معين من النظم الاجتماعية فهي خاضعة لنظام مشروط يتوقف على تطور الجماعة التي تتكلمها، فتكلم تلك اللغة لدى الجماعات والأفراد يعطي لهذه اللغة الاستمرارية والتطور فيما تتعرض للعكس إن لم تحفظ وتتداول على اللسان، والحياة الاجتماعية تقوم

¹ -جون جوزيف ، مرجع سبق ذكره ، ص22.

² -الحفيان فيصل ، مرجع سبق ذكره ، ص 3.

على العمل المشترك لقوى كثيرة ومختلفة خاصة من حيث درجة التأثير والقوة، وهذه العوامل تعمل على نشر اللغة في الأوساط الشعبية وإلى محاولة توحيدها وهذه العوامل قد تكون عن طريق (الاختلاط والاتصال أو الأدب الشفوي أو الحالة السياسية للدولة أو وسائل الإعلام ...) وهي كلها عوامل تساعد على استمرار وإنتشار وتوسع لغة ما وهي بذلك يمكن أن تتطور لأنه لا يمكن لأي لغة أن تتطور دون أن يكون لها استعمال في الأوساط المختلفة من الناس وهذا لتحافظ على تواجدها وانتشارها وفق العوامل التي تساعد على ذلك منها (الاجتماعية، الطبيعية، الأدبية ...) وكذلك للفكر دور في انتشار وتطور اللغة وهي كذلك تساعد الفكر على الإبداع والتجديد فهما متلازمان ومرتبطان ومتكاملان مع بعضهما البعض.

والأسرة تعمل على تربية أبنائها وتنشئتهم (بما فيها اللغة) وفق نموذج مفضل يسعون إلى تشكيله لكن دون الخروج عن قيم المجتمع ككل وثقافته وموروثاته فهي إذا (الأسرة) وسيط بين المجتمع وأفراده ، تعمل على تحقيق أهداف سامية في الحياة.

الفصل الثالث

اللغة واللهجة ومجالات الصراع اللغوي

تمهيد :

قد تتعد وتختلف رغبات واتجاهات الأفراد فيما يريدون التحدث به، وكيفية إيصاله للآخرين، فهناك من يستعمل اللغة وهناك من يستعمل اللهجة، وهذا حسب الأشخاص والأفراد الذين يتعامل ويتحدث معهم، وإلى المحيط الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ويستعمل تلك اللغة أو اللهجة وفقا لما يخدم أهدافه وأهداف الجماعة اللغوية، لذلك تختلف طبيعة اللغة التي يتم بها التواصل، وخاصة أن هذه اللغات عادة ما تكون في صراع مستمر حيث تسعى كل لغة إلى فرض تواجدها وسيطرتها، وهذا يتوقف على الأفراد اللذين يتحدثونها ويتواصلون بها.

قمنا بتقسيم فصلنا هذا إلى خمسة عناصر تشرح مختلف الجوانب المتعلقة باللغة، فاللهجة، ثم التمييز بين اللغة واللهجة من خلال ما تسعى كل واحدة منهما إلى تحقيقه، ثم الصراع اللغوي والأسباب المؤدية إلى بروزه ونتائجه، ثم تطرقنا إلى الثنائية اللغوية.

1- اللغة:

تعتبر اللغة من اهم الوسائل التي يمكن للإنسان أن يعبر بها عن ما يدور في نفسه ،وذلك من خلال أحاسيسه ومشاعره ورغباته وغيرها، فهي أساس العلاقات الإنسانية،و فيها يمكن تحقيق التواصل الإنساني والتفاهم، فالإنسان يعبر عن أفكاره وتصورات، ومواقفه، ويتبادل الآراء والخبرات ... كل هذا يتم بواسطة اللغة التي يتحدثها ويستعملها في حياته اليومية، فالتواصل يتحقق بهذه اللغة، فهي الوسيلة التي نكتشف بها الواقع وتنظيماته المختلفة والتي تعكس لنا صورة الشعب ،وهي الذاكرة الجماعية التي يودع فيها الشعب الخبرة الواجب نقلها إلى الأجيال المقبلة.

وإنه من الطبيعي لا يمكن أن تفهم اللغة إلا من خلال الدور الذي تؤديه هذه اللغة في حياة الإنسان وحياة الجماعة ،في أي من المجتمعات الكونية، والتي تجمع بينها قواسم روحية وفكرية وثقافية وحضارية، ولذلك سنحاول التطرق إلى ماهية اللغة وكيف تؤثر وتتأثر بالمجتمع ،وذلك من خلال الوظائف والأدوار التي تقوم بها هذه اللغة.

1.1- ماهية اللغة:

لقد كانت هناك اختلافات كثيرة في تعرف اللغة، وهذا بالنسبة للعلماء والمفكرين، والذي يرجع إلى اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم، ولذلك فإن هذا الاختلاف في تحديد مفهوم اللغة أوسع من أن نتمكن من تتبعه والتطرق إلى كل أبعاده، فاللغة شديدة الصلة بالممارسة والاستعمال، أي بالظواهر الاجتماعية في وحدتها و كليتها، وعليه سنحاول تقديم مجموعة تعاريف، لنصوغ في الأخير تعريفا واضحا وبسيطا:

- اللغة " وسيلة نظامية لتوصيل الأفكار والمشاعر باستعمال العلامات والأصوات والإثارات وكلها متواضع عليه ويؤدي معاني مفهومة " ¹

- كما تعرف بأنها تلك القدرة الذهنية المكتسبة من قبل الأفراد ويمثلها نسق من رموز اعتباطية منطوقة يتسنى من خلالها أفراد المجتمع من الاتصال والتواصل فيما بينهم " ²

من خلال التعريفين السابقين نستخلص أن اللغة هي عبارة عن أحاسيس ومشاعر وأفكار تترجم إلى وقائع منطوقة أو غير منطوقة، وهذا قصد تسيير الحياة اليومية للأفراد والجماعات.

¹ - دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، ترجمة، عبدة الرجحي، علي علي أحمد شعبان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1994، ص 23.

² - روي سي هجمان: اللغة والحياة والطبيعة البشرية ، ترجمة، داود حلمي و أحمد السيد ، جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1989 ، ص 15.

- تعرف أيضا: " هي تركيبة صوتية كلامية تجمع أركانها قواعد نحوية صرفية متفق عليها من طرف مجموعة من الأفراد، إذ تربطهم علاقات اجتماعية ثقافية معينة، وهذا لتكون أداة للتعبير ووسيلة تخاطب واتصال فيما بينهم " ¹
- " وتتحول تلك الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل لآخر ... " ²
- فاللغة تعتبر جزء من التراث الثقافي للمجتمعات، وبها يمكن التعبير عن هذا التراث الذي هو من شأنه أن يساهم في تطوير هذه اللغة.
- ويعتبرها " دي سوسور بأنها " نتاج اجتماعي من مقدور الكلام ومجموعة من الاعتقادات والتصورات اللاصقة والراسخة، وهي ضرورية للإنسان، وتستعمل وتمارس من طرف الكيان الاجتماعي وهذا حتى يتسنى لمجموعة الأفراد من ممارستها". ³
- " هي ملكة في اللسان تحصل بممارسة فعل الكلام ومعاودته، حتى تترسخ منوالا، يرتسم في المخيال بعد طول معايشة...، فتصبح صفة راسخة ينسج عليها ويعيد إنتاجها من جديد، فالممارسة هي التي تبني المنوال... " ⁴.
- " هي شيء مكتسب متواضع عليه، ولا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد الاجتماعي نتمثلها تدريجيا بالتدريب " ⁵.
- فاللغة هي ظاهرة اجتماعية تتطور بالاستعمال وتختلف باختلاف المجتمعات، تتجدد بالممارسة والتواتر من جيل إلى جيل.

¹ - Noureddine Taleb: **Cours de Linguistique et Didactique**, ed : DAR El GHARB, ORAN, 2002, P 106.

² - عاطف غيث محمد : مرجع سبق ذكره ، ص 265.

³ - Dsaussure Ferdinand: **Cours de linguistique général**, éd, ENAD, 1990, p 23.

⁴ - محسن بوعزيزي " اللغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون " **المستقبل العربي** ، يناير ، العدد 353، السنة التاسعة والعشرون ، 2007 ، ص 23.

⁵ - فردينان دي سوسير : **دروس الألسنية العامة** ، ترجمة، صالح الترمادي و محمد شاوش، محمد عجيبة ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1985، ص 29.

- " هي إحدى الأدوات المهمة في حياة الإنسان والمجتمع، وذلك قصد استخدامها للتنظيم والتوجيه، وتعزيز طرق التفكير والوعي والمعرفة كما أن هذه اللغة مرتبطة من الناحية الوظيفية بفئة اجتماعية معينة " ¹

- فاللغة من الناحية الاجتماعية هي ظاهرة اجتماعية هامة ووسيلة للتعبير عن ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه وهي أداة اتصال بين أفراد المجتمع و تعمل على تماسك أفراد المجتمع وعلى تبادل الأحاسيس والأفكار والرغبات، وذلك عن طريق نظام من الرموز الصوتية اختارها أفراد هذا المجتمع للتواصل فيما بينهم.

وحسب " فندريس " أن اللغة هي " مركب معقد يمس فروعاً من المعرفة المختلفة ... فهي فعل فسيولوجي من حيث أنها تدفع عدد من أعضاء الجسم الإنساني إلى العمل، وهي فعل نفساني من حيث أنها تستلزم نشاطاً إرادياً للعقل، وهي فعل اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان " ²

ومن خلال التعاريف السابقة ، ورغم اختلافها من تعريف لآخر، إلا أننا نستخلص أن اللغة الوسيلة والأداة التي يعتمدها الإنسان من أجل التواصل مع غيره، وهي الأداة التي تمكن بني البشر من تحقيق أهدافهم ورغباتهم في هذه الحياة، فهي تعبير عن ما يجول في صدور البشر من أحاسيس ومشاعر وأفكار ... وهي التي ترسم لنا الماضي والحاضر والمستقبل، وتمكننا من تحقيق ذواتنا الفردية والجماعية.

1-2- اللغة والهيمنة :

إن اللغة عند ابن خلدون ترتبط بالهيمنة وبشروط اجتماعية وجغرافية وتاريخية، وتتحدد فيه اللغة بروابط القوة، فاللغة ليست قوية في حد ذاتها، بل الهيمنة تعلمها أو تدنيها، إنها أداة بيد السلطة لتشريع هيمنتها وفرض قوتها، فهذه اللغة المهيمنة التي تحتكر القول وتفرض شرعيتها كلغة " اعتبارية " غير قابلة للاحتجاج، هي لغة المجتمع المهيمن بدينه " أعلم إن لغات أهل الامصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المخططيين لها ... فما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، والدين والملة صورة للوجود وللملك، وكلها مواد له، والصورة مقدمة على المادة والدين وإنما يستفاد من

¹ - Basil Benstien, Op Cit, p 76.

² - بن نعمان أحمد : التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 68.

الشريعة وهي بلسان العرب لما أن النبي (ص) عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر بن الخطاب من وطانة الأعاجم وقالها إنها خب، فلما هاجر الدين اللغات الأعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الإسلامية عربيا، هجرت كلها في جميع ممالكها، لأن الناس تبع للسلطات وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب " ¹

فهذه الهيمنة التي اكتسبتها اللغة العربية بفعل الارتباط الديني والسلطوي، يمكن أن تصل إلى حد إبعاد اللغات الأخرى، أو انكماشها على نطاق السلطة الممارسة " وهجروا الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك وصار وصار اللسان العربي لسانهم، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم " ².

فإخضاع ابن خلدون " اللغة " لمنطق الهيمنة و القوة يجعل حتى من اللغة العربية عرضة لفقدان شرعيتها، وذلك بتبديل منطق القوة التي يحكمها (السلطة).

" ولما تملك العجم ... وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي، لذلك لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة " ³.

" فعندما يكون رابط القوة لصالح الدولة الإسلامية، وفي اتجاهها ويصبح استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب، فحينها تسند شرعية احتكار السلطة لفائدة العربية، وينهى عن غيرها من اللغات الأعجمية، وعندما يحدث العكس وتخضع الدولة الإسلامية وتفقد لسلطانها، عندما تكون القوة والسلطة لصالح العجم، أي أن اللغة المهيمنة هي لغة الدولة المهيمنة تقوى بقوتها وتضعف بضعفها " ⁴

ويرى جون لويس كالفي (Jean Louis Calvet) " إلى كشف الهيمنة والامبريالية اللسانية التي تمارسها المؤسسة الاستعمارية، حين أجهزت على اللغات المحلية إجهازا بلغ حد قتلها، وليست اللغة عنده بما فيها جماعات لسانية، سوى خلق الدولة وكذبها تشريعا للهيمنة وتأكيدا لتفوق الغرب

¹ -ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: المقدمة ، الدار التونسية للنشر ، 1984 ، ج 1 ص 457.

² -3- محسن بوعزيزي، مرجع سابق ، ص 21.

⁴ - نفس المرجع ، ص 22.

المسيحي على " الشعوب البدائية "، ولقد مارست اللسانيات كذلك تحت وطأة السياسي الإيديولوجي نوعا من النفي للغات الشعوب الأخرى، وعليه أن تكون الآن مناضلة ¹.

ولعل هذه النظرة الإيديولوجية من شأنها العمل على تكريس وتثبيت سيطرة وتفوق لغة على أخرى، وهو ما يجعلها تقضي في بعض أوجهها إلى " تشريع الهيمنة وتبرير الاستعمار ونفي الهوية المحلية" ².

" وتتكشف في تاريخ اللغات سيرورة من الصراع بين لغة غالبية ولغة مغلوبة ، تظهر على شكل ثنائيات متقابلة (لغة المتوحش ولغة المتحضر - اللغة واللهجة - لغة حديثة ولغة بدائية ، لغة القرآن ولغة العجم، لغتنا ولغة الآخر...)، ويطلع خلف نفي لغة الآخر نفي للثقافات والجماعات المنتجة لها، هذه اللغة لا مبرر لوجودها إلا لإثبات تفوق المهيمن وتشريع هيمنته" ³.

1-3- وظائف اللغة:

تعتبر اللغة من أساسيات وضروريات وأهم وسائل الحياة البشرية، فيها يمكن ويتم التواصل والتفاعل في هذه الحياة، وهي أساس كذلك لتوطيد سبل التعايش فيها، وبها يعبر الإنسان عن أحاسيسه ومشاعره ورغباته ومواقفه، فهي ضرورة إجتماعية للتعامل الانساني في شتى مجالات حياته الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية أو السيكولوجية، ومهما بلغت قدرات الإنسان المعرفية والعلمية فإنه لا يمكن أن يعبر عنها بدون قدرة لغوية تمكنه من تحقيق ما يصبوا إليه.

وللغة دورها وأثرها على الحياة الإنسانية، ويتجلى ذلك في الاستعمالات المتنوعة سواء كانت بصورة فردية أو بشكل جماعي، مع الاختلافات الفردية في قدرات استعمالها، لأن كل فرد يستعملها حسب سنه، وحسب ثقافته، وحسب درجة وعيه ومستواه العلمي والثقافي والحضاري، وهذه الاختلافات في الأداءات (الممارسات) اللغوية طبيعة في الإنسان نظرا للاختلافات الثقافية والاجتماعية والفكرية بين الأفراد.

ومن خلال ما سبق رأينا أن للغة وظائف عديدة تؤديها في الحياة الإنسانية وتتمثل خاصة في:

أ- الوظيفة الاجتماعية. ج - الوظيفة الثقافية.

ب- الوظيفة المعرفية السيكولوجية. د- الوظيفة الاقتصادية.

¹ - Jean- Louis Calvet ; **linguistique et colonialisme**, petit traite de glottophagie bibliothèque Scientifique, Paris Poyot ,1974, P 10.

² - محسن بوعزيزي ، مرجع سابق، ص 22.

³ - - المرجع نفسه ، ص 22.

أ- الوظيفة الاجتماعية: تعتبر طريقا من طرق الانتماء للمجتمع بكافة طقوسه ومراسيمه وعاداته وتقاليده التي تعبر عنها وتعتبر " وسيلة التواصل مع الآخرين مجسدة بذلك الخصيصة الاجتماعية للكائن الإنساني الذي لا يستطيع الفكك من أسر الجماعة " ¹.

فاللغة هي أداة اتصال وتفاهم بين الأفراد والجماعات، كما تعتبر عامل اندماج، حيث يندمج المرء وينتمي إلى مجموعته الاجتماعية والتي يتكلم لغتها، أي " باللغة واللغة وحدها يندمج الفرد بالمجتمع ويلتقي كل تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين ... " ².

وتكون اللغة بهذا وسيلة أساسية للتفاعل الاجتماعي والنمو الفكري والمعرفي للإنسان لأنه من الطبيعي إذا لم يكون هناك تفاعل أو اتصال واحتكاك بين الأفراد داخل المجتمع، لا يمكن أن تتوفر المعرفة والفكر، وأيضا بدون لغة يمكن أن نقول أنه لا توجد معرفة، وإن عملية التفاعل الاجتماعي المتعلقة بالتنشئة والتربية تعتمد بالدرجة الأولى على اللغة، والتي يتم من خلالها وبواسطتها تلقين الأطفال وتعليمهم تراث مجتمعهم.

وهناك من يرى أن الوظيفة الأولى والأساسية للغة، سواء عند الأطفال أو الكبار تتمثل في الاتصال والعلاقة الاجتماعية، وهو ما يجعل أن اللغة التي يتعلمها الطفل في بداية نموه هي اجتماعية بالدرجة الأولى.

والتفاعل الاجتماعي هو الذي يتم بواسطته الاتصال بطريقة مستمرة ويومية وبطريقة مألوفة وهو " ما يضمن وحدة المنظومة اللغوية " ³

وبهذا يعمل التفاعل الذي يتم بين الأفراد والجماعات على استمرار وديمومة الروابط الاجتماعية، والمحافظة على قنوات الاتصال بينهم، وهو بذلك يساعد الفرد على التكيف والتوافق الاجتماعي والنفسي مع الجماعة والمجتمع وغيره من الأفراد.

ومما سبق ذكره، يتضح لنا أن هذه الوظيفة الاجتماعية للغة تعتبر من الوظائف الأساسية، حيث تحافظ على انسجام وترابط وتماسك المجتمع، كما أنها تعتبر عاملا أساسيا في تقوية واستمرارية

¹ - عبد الباري حسن: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 2000 م، ص 89.

² - السيد محمود: في قضايا اللغة التربوية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، بدون سنة ، ص 7.

³ - جولييت غارمادي : اللسانية الاجتماعية ، ترجمة: أحمد خليل أحمد خليل ، دار الطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1990، ص 144.

المجتمعات، وهذا من خلال تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، وهو ما يجعل شعورهم الجماعي بأنهم ينتمون إلى بعضهم البعض، كما أنها تعتبر من الوظائف التي تحقق الاتصال بين الأفراد، واللغة هي الأداة الأساسية والمفضلة للتواصل والترابط ويكون بذلك التواصل وسيلة للتماسك الاجتماعي، ويمكن تلخيص هذا بما قاله " أندريه مارتينييه " في هذا المقام حيث " أن الوظيفة الأساسية هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه، فاللغة مؤسسة إنسانية يرتد كيانها إلى المجتمع الذي يتكلمها، وهي الوسيلة التي تتيح للإنسان بصورة أساسية القيام بعملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته...، إلا أنه في الواقع أن الوظيفة اللغوية تتمحور في الحقيقة حول عملية التواصل أو عملية التفاهم المتبادل " ¹.

وهو ما يعتبر أن التواصل وسيلة مهمة وفعالة في جميع الأنشطة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية بينهم، وهذا حسب الطبقة الاجتماعية، والمراكز الاجتماعية الذي يشغله المتكلم والمخاطب معا، وذلك ما يجعلك تشعر بانتمائك لجماعة لغوية، وهو ما يجعل ويزيد من تماسك أفراد المجتمع بعضهم إلى بعض.

كما يرى " مارتينييه " أن اللغة قبل كل شيء هي الأداة التي يتوسلها أفراد المجتمع لإقامة الاتصال فيما بينهم، حيث أن تطور اللغات بحاجات التواصل والاتصال التي تقتضيها الحياة المجتمعية. ²

وعليه فإن اللغة التي يتكلم بها الفرد في المجتمع سواء كانت العربية أو الأمازيغية، أو الأمازيغية والعربية، أكيد لهما دور اجتماعي مهم في توطيد تلك العلاقات الاجتماعية المختلفة، وتحقيق الترابط والانسجام داخل هذا المجتمع، ويمكن أن تصده عن التفكك الذي قد ينشأ لسبب من الأسباب، كما أنها (العربية والأمازيغية) أداتان ووسيلتان أساسيتان للتواصل داخل المجتمع في المناطق التي تتحدث بالأمازيغية، وهو ما يجعل اندماجهم في المجتمع سهل، إذا كانوا يعرفون هذه اللغة أو اللهجة الممارسة لدى جماعتهم اللغوية لأن " الفرد يندمج في المجتمع باللغة، وباللغة وحدها يصبح عضوا في الشعب الذي يتكلمها " ³، وهي تحدد انتماءات الإنسان إلى الجماعات الصغيرة أو الكبيرة (مجتمع، أمة، ...) وهي بذلك لها ترابط وصلة بالذات الإنسانية.

¹ - ميشال زكرياء : الألسنية - علم اللغة الحديث المبادئ والإعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،

1983، ص 144.

2-3 - ساطع الحصري أبو خلدون : ماهي القومية، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات ، مركز دراسات الوحدة

العربية ، بيروت ، لبنان ، 1959، ص 48.

ب- **الوظيفة المعرفية السيكولوجية:** وتظهر خاصة في الإدراك الحسي كالفهم والتذكر، لأن " اللغة سلوك وفكر لا يخلوان من التعقيد " ¹، وعن طريق اللغة يبرز فكر الإنسان من مجال وحيز الكتمان إلى حيز الوجود، ويترجم ذلك إلى سلوك ونشاط جماعي، وبالتالي فاللغة " تزود الفكر بقوالب يتطبع فيها، ولولاها لما خرجت الأفكار من حيز الكمون " ²

فاللغة هي الأداة التي يمكن بواسطتها التعبير عن ما يجول في فكرنا من مشاعر وتحليل وتركيب، وبها يتم نقل المعارف من شخص لآخر، ومن جيل لآخر، فهي تعبر عن الفكر والمعرفة والمعرفة، وبذلك تعبر عن العلاقة الوطيدة بين الفكر واللغة، فكل ما يكون في الفكر الانساني تترجمه اللغة لينتقل إلى الآخرين، وهي دعامة أساسية للفكر، وعن طريق اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن أفكاره، وبالتالي فإن " اللغة أساس في التفكير والتفكير أساسه اللغة، وإلا ظل مخزوننا في الذاكرة الناسية إلى أن يذوب بالموت أو بالنسيان ... وكما أن اللغة تواجه زحما من التحديات الذاتية والخارجية ... قد تمسخها هذه التحديات، ولكن المسخ يتعدها إلى الفكر " ³.

وكما سبق أن ذكر في الفصل الأول، أن هناك علاقة وطيدة ومتماسكة بين الفكر واللغة وكلاهما لا يبتعد عن الآخر، فاللغة يمكن للفرد أن يكشف عن ما يدور في ذهنه من صور وبهذا فهو يعبر عن أفكاره ومشاعره، ويترجم ذلك إلى سلوكات وقعت أو قد تقع، فاللغة دور مهم من الناحية المعرفية السيكولوجية.

ج- **الوظيفة الثقافية:** إن الثقافة ترتبط بالممارسة المتقدمة للحضارة، والتي عادة ما تجد في اللغة المكتوبة خاصة أداة للتعبير عن نفسها، وتشمل أشياء كثيرة كالأدب والشعر والفلسفة والحصيلة الفكرية ...، ولذلك فإن ثقافة أي أمة أو جماعة ترتبط ارتباطا ثقافيا بنمط لغتها والتي تعكس عادة نشاطات وممارسات هذه الجماعة أو الأمة، وهو ما يجعل نمط " اللغة المتكلمة يفرض تأثيره المباشر على هذه النشاطات " ⁴.

ومنه فإن اللغة تعمل على نقل الإرث الثقافي إلى الأجيال، وذلك من خلال القيم والعادات والتقاليد والسنن، وهذه الكلمات تضيف عليها اللغة دلالات رمزية في مواقف إجتماعية مختلفة، ومن خلالها يتحدد سلوك الأفراد، وهذه الكلمات سواء كانت مكتوبة أو منطوقة، فهي توجه سلوكهم وتغرس

¹ - السامرائي إبراهيم : **اللغة والحضارة** ، مؤسسة الدراسة والنشر ، بدون مكان النشر ، 1977، ص 7.

² - بن عيسى حنفي ، مرجع سابق، ص 65.

³ - غلاب عبد الكريم : **من اللغة إلى الفكر** ، بدون دار نشر ، المغرب، ط1، 1993 ، ص ص 3-4.

⁴ - ماريو ياي، **لغات البشر** ، ترجمة / جيلالي الدين - القاهرة ، مصر ، 1970 ، ص 207.

لديهم المعاني والدلالات الرمزية ،والتي تعبر عن الثقافة اللامادية للمجتمع ، أما بالنسبة للثقافة المادية فإن دور اللغة يبرز في آدائها الوظيفي وذلك في توثيق تراثها المادي وتوصيله للأجيال ،وهذا بالصورة التي تحقق تراكمية التراث الثقافي للمجتمعات.

والثقافة حسب " تايلور " هي ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والتقاليد والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع"¹ ، فان نقل هذا الموروث الثقافي ،أو هذا المخزون الثقافي إلى الأجيال القادمة، يتم بواسطة قناة اللغة، فلا يمكن للإنسان أن يكتسب آليات السلوك والتوافق إذا كان في جماعة أو مجتمع لا يتخاطب بلغة ما، لأن هذه اللغة التي تنقل بها الثقافة ،وهي لغة يملكها الآباء والأجداد، فلغة الشعب تعد مركزا ثقافيا وبوتقة لحفظ الثقافة وتقويمها وتوصيلها للأجيال، فهي جزء من الوعي الثقافي للجماعة ومعبر عنه، وتكون بذلك تعبر أيضا عن مظاهر حضارة المجتمع لأن الحصول على السمات المميزة التي يتسم بها المجتمع والمفاهيم الحضارية التي يتصف بها لا يتم إلا عن طريق (بواسطة) اللغة ، و خاصة في ظل التقدم والتطور الحاصل في المجتمعات اليوم والدور الذي تلعبه الثقافة وأدوات إنتاج وتصدير القيم الثقافية المنتجة إلى الآخرين ، خاصة في ظل التطور في وسائل الإعلام بتنوعها ،والعناصر الثقافية التي تحملها معها أينما حلت وأينما تواجدت ،وكل هذا على الخصوص بواسطة اللغة التي يتم من خلالها نقل هذه العناصر، وهو ما يجعل هذه اللغة متغلغة في الكيان الاجتماعي والحضاري للمجتمعات، وهذا يجعل عملية الفصل بين اللغة والمجتمع واللغة والحضارة أمر ليس بالجدير، وتصبح بذلك اللغة مساهمة في تطوير الحضارة وعليه فإن النمو والتطور لأي بلد أو مجتمع لا يأتي بثماره إذا كان بعيدا عن إطار ثقافته أو لغته.

ومهما كانت الأنماط الثقافية التي يحملها الأشخاص سواء في المناطق الريفية أو المناطق الحضرية ، برغم بعض اختلافاتها، فإنها مشترك بصماتها الشخصية الإنسانية وتعمل على توجيه سلوكها ومواقفها عن قضايا عديدة، ولا يكون هذا إلا عن طريق اللغة التي يحملونها، والتي تلازمهم وتلاحقهم أينما كانوا.

د- الوظيفة الاقتصادية: إن اللغة تتأثر بالنظم الاجتماعية في المجتمع بما في ذلك النظام الاقتصادي، والذي هو الآخر له تأثير مباشر على اللغة والتي لها وظيفة إقتصادية خاصة في مجالها التنموي وسوق العمل وعمليتي البيع والشراء المتبادلة، حيث من خلالها يتعامل الإنسان بلغة

¹ - خلال عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 104.

ما، يتحدث بها أثناء هذه العمليات الاقتصادية، وهو ما يجعل لغة ما تسيطر وتهيمن في العالم على المجالات الرائدة في المؤسسات الاقتصادية، فحديث الشخص بلغة ما يكون أكثر فائدة إقتصاديا، حيث يسعى من خلالها إلى تحقيق فرص عديدة للعيش، وأكثر راحة، كما أن اللغة هي في حقيقتها "سلطة مستترة تعيد إنتاج السلطة والتمايز الاجتماعي..."¹.

ويكون هذا التمايز بمعايير عدة بما فيها المعيار الطبقي، والذي تحدده خاصة العملية الاقتصادية، من خلال المهنة التي يمارسها أو النشاط الاقتصادي الممارس من قبله، وهو ما يجعل هذه الفئات تتعامل باللغة المتطورة وخاصة أنها مستعملة في الميدان العلمي وهو ما يجعل تلك اللغة تساهم في الهيمنة الاقتصادية، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، حيث تروج السلع بلغة منتجها وصانعيها، وذلك من خلال الاسم المعطى لتلك السلعة، وهو ما يجعل من هذه المواد المنتجة تحمل إلينا كذلك اللغة، وهذا ما يساعد على انتشارها واستعمالها.

إن مجمل النشاطات الاقتصادية التي يقوم بها الأفراد تطبع اللغة بطابع خاص، وهو ما يجعل الاختلافات في مظاهر اللغة بين الأمم والمناطق تبعا لاختلافات في نوع الانتاج ونظم الاقتصاد وشؤون الحياة المادية والمهنية السائدة (زراعة، صناعة، تجارة، ...)، وعليه فإن اللغة تلعب دور أساسي في الجانب الاقتصادي، وهي أساس كل التعاملات باختلاف الأفراد والمجتمعات، وهذا ما يجعل لغة ما مهيمنة ومهيمنة في المجالات الاقتصادية، إذ تمثل الوسيلة المتعامل بها في هذا المجال، وهو ما يجعل نمط لغوي معين يفرض وجوده في السوق اللغوي، باعتباره عامل أساسي وجوهري في كل عملية اقتصادية، أي أنها واسطة أساسية وجوهريّة في التبادل الاقتصادي، وضرورة اقتصادية تفرضها طبيعة المعاملات.

ونشير إلى أن هناك تقسيمات كثيرة لوظائف اللغة باعتبارها هي لب الحياة، فهناك من يعتبر بأن لها وظائف انفعالية، ندائية، مرجعية)، وهذا حسب "بوهلر" وهو ما يقابله في راية "المتكلم أي المرسل والمخاطب أي المستقبل والغائب أي الشخص أو الحدث"².

¹ - المنصف وناس: الدولة والمسألة الثقافية في تونس، دارالميثاق للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1988، ص 221.

² - قاسم أنيس محمد أحمد، مرجع سبق ذكره، ص 23.

ويرى " هاليدي " أن وظائف اللغة تتمثل في:

- 1- **الوظيفة النفعية:** وذلك بإشباع الحاجيات والرغبات وكل ما يريد الفرد الحصول عليه.
- 2- **الوظيفة التنظيمية:** وذلك بأن اللغة لها وظيفة التوجيه العلمي المباشر.
- 3- **الوظيفة التفاعلية:** حيث ان الإنسان لا يمكن أن يكون بعيدا عن المجتمع، فهو بذلك يستخدم اللغة وتبادلها في جل المناسبات الاجتماعية المختلفة.
- 4- **الوظيفة الشخصية:** وهو تعبير الفرد عن مشاعره واتجاهاته وآرائه نحو موضوعات، أي أنه يحول إثبات هويته وشخصيته، وذلك من خلال اللغة.
- 5- **الوظيفة الاستكشافية:** أي انه يحاول الكشف عن البيئة المحيطة به، وهذا بالسؤال عن الجوانب الغامضة بالنسبة له.
- 6- **الوظيفة التخيلية:** حيث من خلال اللغة يتسنى للإنسان الهروب من الواقع، وذلك باللجوء مثلا إلى الشعر أو الغناء.
- 7- **الوظيفة الإخبارية:** أي نقله للآخرين معلومات جديدة.
- 8- **الوظيفة الرمزية:** فهي (أي اللغة) من خلال ألفاظها تمثل رموز تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي.¹

كما أنه هناك من يرى أنه قبل تحديد وظائف اللغة، يجب تحديد العوامل المكونة لكل تواصل ومنه " جاكسون " وبمعنى آخر لماذا نتحدث؟²، لكل تواصل هي:

- المرسل (ذلك الذي يتحدث أو يكتب).
- المرسل إليه (الشخص المستقبل لمحتوى الرسالة).
- المرجع (أي ما هذا الذي نتحدث عنه - السياق -).
- النظام (أي نسق القواعد المشترك بين المرسل والمرسل إليه، والذي بدوره لا يمكن فهم المرسل).
- الاتصال (وهو ما يسمع بقيام وبقاء التواصل فيزيائيا ونفسيا).
- المرسل ذاته (من حيث هو تحقق مادي للتواصل أي ما هو منطوق وما هو مكتوب).

¹ - المرجع نفسه ، ص 24.

² - سيلا محمد وبن عبد العالي عبد السلام ، مرجع سبق ذكره ، ص 54.

- وبعده يرى " جاكسون " أنه يمكن بعد ذلك الجواب على السؤال (لماذا نتحدث ؟) بست
 كفيات، وهو ما يبين أن لكل عامل من العوامل السابقة وظيفة معينة، وهذه الوظائف الست¹، هي:
- 1- **الوظيفة المرجعية:** أي أن سبب الحديث معرفة الشيء أي أنها تتعلق بالمرجع ويطلق عليها اسم وظيفة التسمية.
 - 2- **الوظيفة التعبيرية:** أي أنه نتحدث لنخبر الناس ونخبر كذلك ذاتنا.
 - 3- **الوظيفة الإيعازية:** يمكن أن نتحدث لنجعل شخصا آخر يتصرف كما في حالة الأمر والنصيحة أو الرجاء أو الرفض ... ووظيفة المرسول هنا وظيفة إيعازية.
 - 4- **الوظيفة الشعرية:** وهي لا تنحصر في الشعر بمعناه الضيق، ويمكن أن تسمى بالوظيفة البلاغية، وتظهر عندما يكون للدال أهمية أكبر من أهمية المدلول.
 - 5- **الوظيفة القولية:** ويكون فيها هدف المرسول هو إقامة الاتصال لا أكثر، وكذا الحفاظ على هذا الاتصال أو قطعه، وتسمى بالوظيفة القولية...حيث أن الهدف الأول للغة هو " الدخول في الجماعة " وخلق إمكانية التواصل.
 - 6- **الوظيفة فوق اللغوية:** وفيها يكون المرسول متعلق بالقانون والقواعد التي تجعله مفهوما، أي أننا نمارس ما فوق اللغة يوميا، حين نتحدث عن اللغة التي نستخدمها، وحين نضع تواصلنا في علاقة مع القواعد التي تجعل التواصل ممكنا تقريبا، وتظهر هذه الوظيفة في أسئلة مثل: ماذا تريد أن تقول؟، وتعلم اللغة يمر عبر هذه المرحلة².
- وعلى العموم مهما حاولنا الإشارة إلى الوظائف المختلفة والمتعددة للغة، فإننا لا يمكن أن نشير إلى كل ما توصل إليه الباحثين، ولكن نكتفي بهذه الوظائف البارزة في اللغة خاصة منها (الاجتماعية والثقافية والنفسية و الاقتصادية ...)، والتي لها فعالية خاصة في عملية التفاعل والتواصل الانساني، وكل هذه الوظائف ليست منفصلة عن بعضها البعض، بل متكاملة ومتناسقة فيما بينها.
- ويمكن تلخيص وظائفها فيما قاله " بلومفيلد " لدور اللغة في مجالات الحياة، وحيث أننا نستخدمها (اللغة) للتعبير عن مشاعرنا وإحساسنا ...، ولنقضي به حاجتنا ... نستخدمها لنقوم مقام الحدث أو الفعل ... ولإعلان والدعاية والتأثير في الناس ونستخدمها في الأغاني والشعر

1- سيلا محمد وين عبد العالي عبد السلام، مرجع سابق، ص ص 55-56.

² - المرجع نفسه ، ص 55.

والخطاب... وفي تنظيم علاقاتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونستخدمها للتعبير عن تراثنا الشعبي بأشكاله المختلفة ... " ¹.

ومن خلال هذا، فاللغة هي التي توجه حياتنا وتعمل على استمراريتها وتطورها ويضيف في الأخير " أننا نستخدم هذه اللغة في حياتنا ،وذلك بقصد إصلاح المجتمع أو إفساده " ²، وهذا حسب الدور أو الغرض (القصد) من استعمال اللغة واستخدامها في المواقف والمجالات المختلفة، وللغة وظائف واسعة المجال سواءا بالنسبة للفرد أو المجتمع فاللغة هي مفتاح الحياة.

2- اللهجة:

تعتبر اللهجة شكل من أشكال التواصل الإنساني في حياته، أي أنها وسيلة كفيلة بتحقيق تواصل الأفراد والمجتمعات، وهذا ليس من باب الصدفة، ولكن الواقع المعيشي كفيل بإثبات وجود هذه اللهجات على مستويات كثيرة ومتعددة، وفي كل البلدان دون استثناء مع بعض الاختلافات في النسب الممارسة لكل لهجة من اللهجات فهي تمثل انعكاسا لثقافة خاصة وموروثة وتقاليد محلية، إلا أن هناك اختلافات بين العلماء في تحديد اللهجة بصورة دقيقة، وهذا نظرا للاستعمالات اللهجية المختلفة عبر العالم، فهناك اللهجات المحلية، وهناك اللهجات الإقليمية، وهناك العامة ... ،لذلك فإننا سنحاول إبراز بعض الجوانب المتعلقة بهذه اللهجات، وهذا ليتسنى لنا بشكل واضح ارتباطه بمجتمع بحثنا وبواقع الممارسة اللهجية في المنطقة بصفة عامة.

2-1- ما هي اللهجة:

ونورد هنا مجموعة من تعاريف هي:

- " اللهجات مجموعة من الأداءات المحلية موحدة بواسطة سمات مشتركة تمكن مستعملها من التفاهم بشكل مرض نسبيا " ³
- اللهجة في الاصطلاح العلمي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عديد اللهجات، ولكل منها خصائصها يشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر

¹ - السيد علوان، مرجع سابق ، ص 108.

²⁻³ بير وبيار: اللسانيات، ترجمة الحوانس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق ، الجزائر، 2001، ص 16.

اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات.¹

فاللهجة هي من مجالات اللغة يتميز بها أفراد ينتمون إلى بيئة موحدة تيسر لهم نمط حياتهم وفق اتصال متوافق ومشارك في مجموعة من الظواهر اللغوية.

- ويرى " هوجن " " بأن اللهجة هي اللغة التي أبعدت عن المجتمع الرفيع ، ومن ثم فهي ترادف " غير الفصيح " أو " دون القياس " ².

بمعنى أن المجتمع يملك لغات متعددة، ومن بين تلك اللغات هناك لغة رفيعة وذات مستوى عالي تستخدم خاصة في المجالات الرسمية ،وهي فصيحة، وهناك لغة تستعمل من طرف عامة الشعب وتعتبر غير فصيحة، وهو ما يفسر باللهجة لديه.

واللهجة قدرة تعبيرية فعالة وخاصة في مجال المحادثة والحوارات ، أي أنها تستخدم في مختلف الممارسة اللغوية الاجتماعية والاقتصادية ... ، وبهذا فهي أداة لدعم العلاقات بين الأشخاص في البيئة المحلية، وداخل الأسرة على الخصوص، وتعتبر اللهجة ' اللغة الأولى التي يتم استعابها مبكرا، ويكون تلقاها سابقا على ملكة التفكير " ³.

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن اللهجة خصائص مميزة تشتمل فيما يلي:

- أنها اللغة الأولى التي يتعلمها الأفراد في المراحل الأولى من حياتهم.
- هي من مجالات اللغة لها نظامها المعجمي والتركيبى والصوتي الخاص بها.
- هي نمط من أنماط الاتصال مثلها مثل باقي اللغات الأخرى التي تؤدي هذا الدور (الاتصال).
- مرتبطة بمحيط محصور أي استعمالها أكثر محدودة.
- تتصل اللهجات اتصالا ضروريا بممارسة اللغة من مختلف الفئات والشرائح المتكلمة.
- استخدامها غالبا ما يكون في المستويات الغير رسمية.

2-2 اللهجة المحلية: وهي اللهجة التي تكون مرتبطة بمجموعة متكلمة ، بحيث تكون هذه المجموعة متميزة بخصائص اجتماعية ونفسية وثقافية معينة، وهو مما يجعل ألفاظها، كلماتها منطوية ومنزوية لا تزيد إلا بعدا عن اللغة الرسمية أي لغة الدولة. ⁴

¹ - إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ، القاهرة ، 1965، ص 16.

² - السيد صبري إبراهيم ، مرجع سابق، ص 21.

³ - سبيني سرجيو ، مرجع سابق ، ص 80.

⁴ - مرتاض عبد الجليل: مقاربات في علم اللهجات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2000 ، ص ص 107 - 108.

وتكون بذلك اللهجة تساهم في ضمان الاتصال بين مجموعات متحاورة، واللهجات المحلية ليست أقل قيمة من اللغة القومية (الرسمية) من الناحية الاجتماعية والتربوية، لأن لكلتاها مميزاتها الخاصة والرئيسية ، والتكامل بين اللهجات المختلفة سمح بتوسيع دائرة الاتصال، إذ " إن اللهجة هي الشيء الوحيد الذي يمكننا أن نقول عليه دون خوف من الخطأ وأني أرجو أن لا ننظر إلى اللهجة على أنها خطر جسيم يجب مواجهته ... " ¹.

وهذا ما يثير الاهتمام باللهجات في المجتمعات ، لأنه هناك من الأفراد والمجتمعات وحتى الدول يحاولون التقليل من قيمة هذه اللهجات في حياة المجتمعات، فهي ذات قيمة تربوية وثقافية كبيرة ، وتعتبر رصيد ثقافي ثمين إضافي يمكن أن يدعم الرصيد الثقافي الوطني، كما أن هذه اللهجات تعتبر واقيا لكل محاولة لتثويبه ما هو أصيل في المجتمع ، ولعل كثير من اللغات المتواجدة في العالم قبل أن تكون كذلك كانت عبارة عن لهجات محلية في تلك المناطق ، ولكن بتطورها أصبحت تلك اللهجات عبارة عن لغات وطنية لتلك الدول.

هذا وبالرغم من دورها المحتشم في المجال الأدبي والتقني، والذي يعتبر ضئيل لكن في الجهة المقابلة لها القدرة والفعالية التامة في مجال الحديث والتعامل بها، خاصة في التعامل والمحادثة في إطار العائلة والأصدقاء وكل اللقاءات الغير رسمية ،وهو ربما ما يفسر المستوى الأدنى للغة، عكس المستوى الأعلى وهو المستوى الذي يستخدم كوسيلة اتصال في السياقات الرسمية، وخاصة في الاتصالات في المكتوبة والمستوى الأولى والمتدني هو " نطق بسيط أو نطق عامي للغة " ² وهو اللهجة.

وكثيرا ما يرتبط هذا المستوى من اللغة أي اللهجة بتفرعاتها بالمناطق الريفية ويعتبرونها بؤرة لها، وينظر إليها نظرة استهزاء لأنها لغات شعبية وخاصة في السابق حيث " ... كانت اللغات الشعبية بكل بساطة منظورا إليها كنوع فاسد الأصل، حيث كان يقال لها اللغات المذمومة، لأنها محكية من الريفيين مع أن جهل هؤلاء لم يمكنهم من عمل أفضل " ³

¹ - سبيني سرجيو ، مرجع سابق، ص 85.

² - بلعيد صالح : في المسألة الأمازيغية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1999، ص 06.

³ - مرتاض عبد الجليل ، مرجع سابق، ص 99.

وإذا ألقينا نظرة على اللهجات الامازيغية اليوم والمتداولة في الجزائر، فإننا نجد أن هذه اللهجات يتحدثون بها في المجالات اليومية والحياة العائلية والمعاملات الخاصة وسائر المجالات التي لا تتسم بطابع الشكلية والرسمية، وإنما بطابع العلائق الشخصية التي تطبعها الحميمية والتآزر والتلاحم ، ولكن هذا لا يمنعها من استعمالها كأداة تواصل في مجالات المعاملات الاجتماعية والاقتصادية، وهذا بين الناطقين بها ،وهو ما يعني أنه حتى يكون تفاعل واحتكاك بين الناطقين باللهجة المحلية كالشاوية مثلا بالناطقين بالعربية، فإنهم بذلك خرجوا من المجال الخاص إلى المجال العام، لأنه هناك انحصار المجال والحيز الجغرافي للاستعمال اللهجي من قبل الأفراد، أي ارتباط اللهجات المحلية بوحدة جغرافية ضيقة نسبيا كمنطقة،أو ريف، أو قرية ، أو دشرة، ولكن الانتقال إلى خارج هذه الحدود التي لا تنتمي لحدودها الجغرافية المحدودة (اللهجة)، فإن ذلك الانتقال يرافقه انتقال لغوي آخر كالعربية مثلا، وهو ما يجعل الفرد (أو الأشخاص) مزدوجي اللغة.

لكن هذا لا يعني أننا يمكن تحديد المجال الجغرافي لمركمي اللهجة أو حتى اللغة بدقة، وذلك للتداخلات الحادثة، وللظروف الصعبة لتتقية كل مركمي لهجة أو لغة ما.

ويمكن لهذه اللهجات المحلية أن " تستقل كل واحدة منها بصفات معينة، تختلف اختلافا كبيرا عن اللهجات الأخرى ... لتتحول تدريجيا إلى لغة مستقلة لا تستخدم في الأمور الحياتية فحسب، بل ويكتب بها الأدب والعلم والقوانين والمعاهدات " ¹.

فاللغة أو اللهجة كائن حي متغير باستمرار، ولا أحد يستطيع أن يحكم أو يغلق أفواه الناس بعدم التلفظ أو التكلم بلهجة أو لغة ما فيمكنك أن " تتحكم في رقاب جميع الناس، ولكنك لا تستطيع أن تتحكم في رقاب جملة واحدة " ²

2-3 - اللهجات الاجتماعية:

إن اللهجات الاجتماعية تنشأ نتيجة عدة عوامل مختلفة منها الثقافية والاجتماعية والسياسية، وكذا طبيعة المجتمع بصفة عامة، ومدى اتجاهاته وتصورات وحقبته التاريخية كل هذا من شأنه " توجه اللهجة في كل طبقة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها، ولا تلبث اللهجة أن تنتشعب إلى لهجات تختلف كل واحدة عن أخواتها في المفردات وأساليب التعبير وتكوين الجمل ... " ³، ومن أمثلة ذلك

¹ - خرما نايف: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995، ص144.

² - مرتاض عبد الجليل: العربية بين الطبع والتطبيع، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993، ص 134.

³ - عيد محمد : في اللغة ودراساتها ، عالم الكتب، القاهرة ، مصر ، 1974، ص ص 188 - 189.

لهجة التجارة، لهجة المزارعين، لهجة الصيادين... الخ، وهي لهجات محصورة لدى فئات من المجتمع، وتكون مفهومة بشكل كبير، فما يوجد بين فئات الناس وطبقاتهم من فروق يزيد من إنحراف اللهجة الاجتماعية عن أخواتها.

واللهجة تزداد سعة نطاق استعمالها وانتشارها في المجتمع كلما اتسع نشاط الناطقين وكان احتكاكهم بالأجانب وبأهل الطبقات الأخرى مستمر، وكذا إلى ما يخرعون من مصطلحات، وما يقومون باقتباسه من مفردات وأفكار.

ويكون تمييز اللهجات المحلية بعضها عن بعض في بعض المناطق الحضرية، أي في المدينة، حيث يكون التكدس السكاني كبير، وتنشط الحركة الاقتصادية، وتتنوع الوظائف وتعدد المهن الموجودة.¹

2-4- العلاقة بين اللهجة المحلية واللهجة الاجتماعية:

يتضح لنا مما سبق أن هناك عوامل تشترك فيها اللهجتين معا (عوامل الاتفاق)، وهناك عوامل لا تشترك فيها هاتين اللهجتين، أما فيما يتفقان فيه هو:

- كل منهما يتفرع عن اللغة الأصلية، ويكون بذلك مستمد لاصول مفرداتها وأساليبه وتراكيبه.
 - كل منهما تلقائي النشأة، ينبعث نتيجة المقتضيات والحاجيات التي تتطلبها الحياة الاجتماعية وشؤون البيئة المتواجدة فيها.²
- أما ما يختلفان فيه هو أن:

- السبب الرئيسي في نشأة "اللهجات الاجتماعية" يعود إلى إختلاف الأقاليم والبيئة الجغرافية، وما يحيط بكل إقليم ومنطقة من ظروف، وما يمتاز به أهله من خصائص.
- إختلاف طبقات الناس في نفس الإقليم أو المنطقة، وما يكتنف كل طبقة من شؤون، وما يفصلها بعضها عن بعض من مميزات الحياة في شتى مظاهرها.³

إذا فكل من اللهجات المحلية واللهجات الاجتماعية متواجدة ومنتشرة في مناطق معينة وهي واسعة الانتشار، وبها يتحقق التفاهم بين الناس الناطقين بها، ويمكن القول بأنها تستعمل غالبا في المناسبات الغير رسمية خلال حياتهم اليومية، وهي مختلفة من منطقة لأخرى كاللهجات المختلفة في

¹ - عيد محمد مرجع سابق، ص 190.

² - المرجع نفسه، ص 192.

³ - المرجع نفسه، ص 193.

الجزائر ،والتي تنتمي للغة الأمازيغية، حيث اللهجة الشاوية في منطقة الأوراس مثلا تختلف عن اللهجة القبائلية في منطقة القبائل ...، ولكن هذا ليس بصورة مطلقة ، وهناك بعض التشابه في بعض الكلمات.

وغالبا ما كانت هذه اللهجات خاصة المحلية كالشاوية محافظة على استمرار تواجدها رغم السنوات الطويلة ،وحتى في الحفاظ جوهر بنيتها، وهذا لأنها " ظلت ملائمة لبيئتها التي نشأت فيها ، محصورة في الرقعة الجغرافية التي احتضنت نشأتها الأولى، فلم يكن يتخاطب بها إلا الشعب الذي وضعها " ¹، فاللهجة تبقى محصورة في منطقة معينة ذات رقعة جغرافية وتبقى متواجدة باستمرار وتطور.

3- التمييز بين اللغة واللهجة:

أن التمييز بين اللغة واللهجة، غالبا ما يرجعه العلماء إلى عدة عوامل، منها الاجتماعية واللغوية... " فالمتكلم في الجماعة اللغوية تعبر اللغة عنده عن إرادة الانتماء فتصبح علامة ترسم حدود الجماعة المعنية بالتواصل، فالمتكلم يدل على موقعه ،وعلى الحدود التي يقف خلفها من خلال اختياره هذا الشكل اللغوي أو ذاك، وهذا البديل أو ذاك، ويمكن أن تظهر هذه الحدود إلى العلن من خلال نبر تتميز به المنطقة أو تلك، أو بإدخال كلمات من اللهجة العامية في الكلام الفصيح، أو باستخدام لغة أخرى في مواضع التعدد اللغوي " ².

ولهذا فإنه من الصعب التمييز بين اللغة واللهجة وتحديد دلالات الفروق بين اللغات واللهجات والآداءات اللغوية المختلفة فسنحاول إبداء بعض الآراء في ذلك:

- يرى " ابراهيم أنيس " أن بيئة اللهجة أوسع وأشمل تضم مجموعة لهجات لكل لهجة من هذه اللهجات خصائصها ولكنها تشترك في مجموعة واحدة من الظواهر اللغوية والتي تجعل الاتصال بين الأفراد سهل في هذه البيئات ويتوقف في رأيه فهم الحديث الدائر بينهم على قدر الرابطة الموجودة بين هذه اللغات، وتلك البيئة الشاملة والتي تتألف من لهجات عدة والتي أطلق عليها اسم " اللغة " ³.
- وهو ما يعني أن اللغة تتألف من عدة لهجات.

¹ - غلاب عبد الكريم: من اللغة إلى الفكر، مرجع سابق، ص 59.

² - لويس جان كالفن، مرجع سابق، ص ص 128 - 129.

³ - السيد صبري إبراهيم، مرجع سابق ص 20.

• وهناك " فرق الحجم " يستعمل للتمييز بينها، حيث تكون اللغة أضخم من اللهجة، أي أن التنوع اللغوي الذي يطلق عليه اللغة هو الذي يحتوي على عدد كبير من الكلمات والألفاظ والمصطلحات ...، واللغة الفصحى غنية بثرواتها اللفظية ودلالاتها أكثر من أي لهجة تعيش بجوارها.¹

ومنه يمكن القول أن اللغة أوسع وأكثر تطوراً من اللهجة ، لما تحتويه من عدد كبير من الكلمات والألفاظ والمصطلحات، عكس اللهجة التي تبقى محصورة في منطقة معينة.

• ويوجد كذلك فرق " المنزل " حيث تكون اللغة في منزلة ومكانة عالية (مرتفعة) تقتقر إليها اللهجة، وهذه المكانة تجعلها لغة الكتابة الرسمية، ونجد الفصحى تحترم إجتماعياً، وتحترم قواعدها عند المنقّفين ، كما أنها تقوم بتدعيم النماذج الأدبية والكتب الثقافية والعلمية المختلفة، والكتابة بدورها تمنحها مكانة أكبر وأعلى من اللهجة².

وقد تتكون هذه اللغة الفصحى نتيجة ظروف دينية وإقتصادية وثقافية وسياسية، وبما أنها تستخدم في كل المناسبات الرسمية التي تجعلها تحتل مكانة مرموقة ومحترمة.

• وقد وضع " بيل "سبعة معايير للتمييز بين اللغات واللهجات تتمثل هذه المعايير السبعة³ في:

1- التوحيد اللغوي: ويقصد بها العملية التي تنظم بها اللغة، وهي عملية صعبة لأنها تعتمد على اختيار لغة جماعة معينة، وجعلها مقياساً لتفضيل أولئك الذين يتكلمون هذا التنوع اللغوي ، وهو ما ينقص من قدر الذين يتكلمون التنوعات الأخرى، والذين يستعملونها كذلك ، وعملية التوحيد تؤدي مجموعة وظائف كتوحيد الافراد والجماعات داخل جماعات كبيرة ، وتعكس الهوية الإقليمية أو الاجتماعية أو العرقية ...

2- الحيوية: ويعنى بها وجود جماعة حية من المتكلمين ، ويستعمل خاصة في التمييز بين اللغات الحية واللغات الميتة.

3- التاريخية: وهو إحساس وشعور جماعة معينة من الناس بالهوية، من خلال استعمال لغة بعينها ، وبالتالي فهي تنتمي إليهم ،والرباط الذي توفره اللغة المشتركة أقوى من أي رباط آخر (سياسي، إجتماعي،)، والتاريخية تعني الثبات المستمر والطويل.

¹ - - السيد صبري إبراهيم، مرجع سابق ، ص 25.

² - المرجع نفسه، ص 26.

³ - المرجع نفسه، ص ص 27-28.

4- الاستقلال: وهو شعور المتكلمين بلغة ما، بأن لغتهم التي يتحدثون بها تختلف عن اللغات الأخرى، وهذا المعيار موضوعي.

5- الاختصار: حيث ينظر إلى تنوع لغوي ما على أنه تنوع فرعي، أكثر من كونه كيانا مستقلا.

6- الامتزاج: ويشير إلى إحساس المتكلمين بنوع لغوي حول " مدى ' نقاوته وتختلف أهمية هذا المعيار من لغة إلى أخرى.

7- المعايير الواقعية: وهو شعور بأن هناك متكلما " حسنا " و متكلما " سيئا " وان المتكلم الحسن يتمثل في اعتقادهم معايير الاستعمال الصحيح، ويعني التركيز على تنوع لغوي معين بإعتباره أنه يمثل أحسن استعمال، واللغة تتخذ أشكالا وأنماط متنوعة، يستخدم لكل شكل مصطلح يعبر عنه ويحدد وظيفته (اللغة الدارجة، اللغة السائدة، اللغة الطبيعية، اللغة الصوتية ...).

ويتضح لنا مما سبق، أن اللغة أهمية ومكانة خاصة لدى المجموعات اللغوية التي تتكلمها، وتمتاز هذه اللغة بخاصية الكتابة والفصاحة، وهما ميزتان تجعلان من اللغة ذات مكانة مرموقة ومميزة، فهي تستخدم في جل المناسبات الرسمية للدولة أو المجتمع المتواجدة فيه، وتحظى باحترام وتقدير الشرائح الاجتماعية المختلفة، خاصة من قبل المثقفين، فهي وسيلة فعالة في الحفاظ على تراث الأمة وثقافتها ومميزاتها، وهذا من خلال حفظ ذلك كتابيا في كتب ومجلات وغيرها، مما يسهل نقلها وتواصلها عبر الأجيال، وهي غالبا ما لا ترتبط لدى المتحدثين بها بمنطقة جغرافية معينة أو طبقة اجتماعية خاصة، فهي وسيلة اتصال مكتوبة فصيحة وراقية ومحترمة، فهي بذلك اللغة القومية للدولة والتي لها مكانتها المرموقة والخاصة.

أما اللهجة فنجدتها مستعملة في المناسبات غير الرسمية، وهي عادة ما تكون مرتبطة بمنطقة جغرافية ضيقة، أي أنها محصورة المجال، وهي أساليب لغوية يعبر بها الناس عن أنفسهم واحتياجاتهم اليومية المتكررة، وهذه اللهجات عند تكرار سماعها وتصبح " صفة راسخة وعادة بديهية، ينطقها أهلها تلقائيا دون معاناة " ¹، وهذا ما يؤكد سهولة تداولها واستعمالها لدى متكلميها، ونطق هذه اللهجات سواء في الريف أو المدينة، أصبح من الأمور العادية، ولا تشكل أي مشكل في نطقها، لأنه لا يخطر على بال متكلميها ومستعمليها أن لهذه اللهجة التي ينطقونها قواعد ونظمها الخاصة والقابلة للتحليل

¹ - عيد محمد، في اللغة ودراساتها، مرجع سابق، ص 6.

والدراسة، لذلك نجدها في بعض الحالات لا تحترم حتى من قبل متكلميها، وهي عادة ما تكون شفوية، أي يتم الاتصال بين أفرادها شفويا فقط، وهي واسعة الانتشار في الممارسات اللغوية اليومية.

واللغة مما سبق تبدو أن لها معنيين: أولهما مفهوم لساني حيث تعرف اللغة " كنظام يسمح للتواصل دون أي حكم لقيمتها، والثاني يقوم على الشريعة السوسيو ثقافية التي تحتفظ لتعريف اللغة بعدد من المقاييس للنموذج، مقياس رسمي دولي، وجود نصوص مكتوبة وأدبية ...¹

وهو ما يجعلها لغة وطنية ورسمية بالنسبة للدولة المتواجد فيها، وفي المقابل فإن هذا المعنى الثاني للغة " محقر للأشكال التواصلية الأخرى "².

و" إن المجتمع اللغوي هو الذي يقف وراء اللغة عموما .. لذا يجب مراعاة اختلاف البيئة في اللهجات المحلية والطبقات الاجتماعية، فكل من النوعين نذقه وعاداته اللغوية الخاصة "³.

ومهما تكون هذه الاختلافات والتمييزات التي تتميز كل منها عن الأخرى، فكلاهما يؤدي عملية التواصل بين متكلميها، وكذا إلى التفاهم فيما بينهم ، سواءا للناطقين باللهجة أو الناطقين باللغة.

وهو ما يعني تداولهما وممارستهما في الأوساط الاجتماعية، وفي المجالات المختلفة والمتشعبة في هذه الحياة وقد قال " هيلمان " " أن التعارض بين اللغة واللهجة لا يرجع إلى مفهوم لغوي وإنما إلى سبب إجتماعي ثقافي ... "⁴

4- الصراع اللغوي:

" الصراع اللغوي هو حالة متطرفة من المنافسة بين لغتين أو أكثر للتنازع على البقاء، وسعي كل منهما لتحقيق السيطرة والغلبة على اللغات الأخرى بكافة الطرق والأساليب نتيجة للاحتكاك اللغوي، ويحتاج هذا الصراع لفترة طويلة "⁵.

فالصراع اللغوي هو حالة من التنافس بين اللغات من أجل اثبات لغة معينة في مجتمع ما وسيطرتها وفق ما تفرضه بعض العوامل اللغة، منها الوراثة والثقافية والاجتماعية، وهذه الحالة من الصراع تشبه الحرب فيها، إما النصر، أو الفشل للطرف الآخر، أو التعادل والخروج دون منتصر، ليبقى الصراع الدائم بتوافق عدة لغات في مجتمع ما في الاستعمال، " فاللغة هي ساحة صراع حتى عند

¹ - مرتاض عبد الجليل: مقاربات أولية في علم اللهجات، مرجع سابق ، ص 105.

² - المرجع نفسه، ص 105.

³ - عيد محمد، المرجع السابق ، ص 14

⁴ - سبيني سيرجيو، مرجع سابق ص 85.

⁵ - عبد الفتاح عفيفي، مرجع سابق ص 105.

الفرد الواحد، في اللغة الواحدة، بين لغة منتشرة ، هي لغة نشر بين ابناء الجماعة الواسعة، التي ينتمي اليها الفرد ، ولغة منحصرة ، اي لغة مجموعة صغيرة محدودة ، يقيم الفرد علاقات حميمية معها في داخل جماعته اللغوية، وهي ساحة صراع بين لغة الام، ولغة الاب في الاسر المختلطة، وهي ساحة صراع ايضا بين المستعمر، والمستعمر ... فاللغة ساحة صراع لأنها انتماء اجتماعي ... فهي وسيلة تمييز وأداة صراع " ¹.

وبما أن طبيعة الانسان في إحتكاك دائم ومستمر مع غيره من بني البشر، فهذا يؤدي حتما إلى صراع بينهم لأجل هدف معين، وهو تحقيق البقاء والغلبة، وإن كانت الكائنات الحية وجماعاتها تتصارع ، فإن ما يحملونه من لسان وينطقون به سيكون هو الآخر محل صراع (صراع لغوي)، وهذا الصراع اللغوي يستعملونه الأفراد في مظاهر حياتهم، ويتجلى ذلك من خلال سلطتهم ونفوذهم العلمي والسياسي والاقتصادي، من أجل الحفاظ على لغتهم، وفسح الطريق امامها للانتشار والتوسع والتطور، مع محاولة القضاء على اللغات الأخرى المنافسة لها، وكثيرا ما يبدوا لنا هذا الصراع في واقعنا الجزائري، بين المؤيدين والمناصرين للغة العربية، والمؤيدين والمناصرين للغة الفرنسية، وكذا المؤيدين والمناصرين للغة الأمازيغية، لكن هؤلاء الأفراد ما هم إلا وسيلة وأداة في يد لغتهم التي تؤدي دورا محدودا في تطوراتها ونتائجها ، وتكون نتائج الصراع اللغوي باختلاف الأحوال، فأحيانا تكون السيطرة والغلبة لأحد المتنازعين، ويحتل بذلك مناطقه، وأحيانا تتكافأ وتتساوى قواهما نسبيا فيبقى كل واحد محافظا على شخصيته وميزاته الخاصة. ² فيعيشان جنبا إلى جنب من غير ان يمتزجا.

4-1- عوامل الصراع اللغوي وأسبابه: هناك عدة عوامل وأسباب تحدث الصراع بين اللغات وهي:

4-1-1 - نزوح عناصر أجنبية إلى داخل البلد: ويكون هذا خاصة أثناء عمليات معينة كالفتح مثلا أو الاستعمار أو الحرب أو الهجرة... إلخ ، ويرافق هذا التكلم بلغة مخالفة للغة الموجودة في ذلك البلد فيحدث صراع بين اللغتين وينجم عنه تغلب إحدى اللغتين على الأخرى " فتصبح لغة جميع السكان

¹ - لويس جان كالفيني، مرجع سابق ص 18.

² - علي عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر، دون سنة، ص 207.

قديمهم وحديثهم، أصيلهم ودخيلهم " ¹ ، وفي حالات أخرى قد لا تتغلب أي من اللغتين على الأخرى " يؤدي ذلك إلى حالة التعايش واستمرارهما جنباً إلى جنب " ².

وتكون الحالات التي تتغلب فيها إحدى اللغتين على الأخرى تتمثل فيما يلي ³:

- أن يكون كلا الشعبين همجياً غير متحضر ومنحط الثقافة، ويزيد عدد أفراد إحداها عن عدد الآخر زيادة كبيرة، إذ تتغلب اللغة الأكثر عدداً، وذلك لانعدام النوع إذ يصبح الكم هو الفاصل والمتحكم في مصير أمورهما، ولكن هذه الحالة تحدث عندما تكون اللغتان المتصارعتان تنتميان لشعبية لغوية واحدة أو متقاربة وقد تحدث استثناءاً تتغلب لغة على أخرى ليست من فصيلتها، ولكن تغلبها يكون صعب ويحتاج إلى مدة طويلة، وكثيراً ما تنسم هذه اللغة في هذه الحالة بالتحريف في ألسنة الناطقين بها.
- أن يكون الشعب الغالب يتسم بأنه أرقى من الشعب المغلوب في حضارته ومظاهر ثقافته وآداب لغته، فتصبح بذلك هي اللغة الأكثر استعمالاً وتواجداً عند السكان، حتى وإن كان عدد سكان المغلوب أكبر من الغالب، على أن تكون غلبته باقية لأطول مدة وأن تكون متواجدة ومقيمة في هذا البلد (المغلوب)، وأن تكون أيضاً اللغتان من نفس الشعبة أو أنهما من شعبة متقاربة، إلا أنه في كلتا الحالتين السابقتين يكون ثبات إحدى اللغتين الغالبة بعد مدة ولو طويلة، حتى تستقر وتنتشر أكثر، إلا أن اللغة التي يكتب لها الغلب " لا تخرج سليمة من هذا الصراع، بل أن طول احتكاكها باللغة الأخرى يجعلها تتأثر بها في كثير من مظاهرها وبخاصة في مفرداتها، وتكثر مظاهره كلما طال أمد احتكاك اللغتين، وكان النزاع والصراع بينهما عنيفاً، والمقاومة قوية، من جانب اللغة المقهورة، وتقل مظاهره في الحالة العكسية " ⁴.
- وبهذا يمكن للغة الغالبة أن تفرض قوتها واستمراريتها وتطورها وحسم هذا الصراع لصالحها.
- أما الحالات التي لا تقوى فيها إحدى اللغتين على التغلب على الأخرى، وتبقيان مع بعضهما جنباً إلى جنب، فهذا يجعل التأثير بينهما يبقى دائماً متبادلاً (كالصراع بين الفرنسية والعربية، إذ تركت في اللهجة العربية آثاراً قوية).

¹ - علي عبد الواحد وافي، المرجع نفسه، ص 116.

² - المرجع نفسه، ص 118.

³ - المرجع نفسه، ص ص 117 - 118.

⁴ - المرجع نفسه، ص 122.

4-1-2- تجاور شعبين مختلفين في اللغة: في هذه الحالة وبطبيعة التجاور الموجود بين الشعبين (المختلفي اللغة) تحدث احتكاكات بين اللغتين ، وهو ما يؤدي إلى الصراع بينهما مما يجعل " إحدى اللغتين تنتصر على الأخرى وتحتل مناطقها، فتصبح لغة مشتركة بين الشعبين، وأحيانا لا تقوى واحدة منهما على الأخرى، فتعيشان معا جنبا لجنب " ¹.

وتكون حالات تغلب إحدى اللغتين على الأخرى في حالتين : ²

- الزيادة السكانية لدى إحدى الشعبين، ويشد الخناق عليهم فيزداد بذلك الضغط على حدود الشعب المجاور له، وتكثر الهجرات المؤقتة وانتقال العمال ... وهو ما يزيد من عوامل الاحتكاك والتنازع بين اللغتين، وفيه تتغلب لغة الشعب الكثيف على لغة المناطق الجوارية له، لأن ذلك يدعم قوته الحضارية والثقافية واللغوية.

- في حالة تغلب نفوذ أحد الشعبين مع الشعب المجاور له، إذ تتغلب لغة الشعب القوي النفوذ، على شرط ألا يقل في حضارته وثقافته وآداب لغته على الآخر، ويكون انتصاره إذا كان أرقى منه في هذه الأمور (الحضارة، الثقافة، اللغة).

ودائما نؤكد أنه مهما كانت الغلبة لإحدى اللغتين، فهذا لا يكون سهلا، بل إنه صراع يتطلب مدة زمنية طويلة من أجل فرض هيمنة لغة واحدة وسيطرتها على اللغة المصارع لها. أما حالات عدم قدرة إحدى اللغتين التغلب على الأخرى ، فتحدث في جميع الحالات باستثناء الحالتين السابقتين ، إذ الجوار يحاول الحفاظ على لغة كل شعب.

" فمهما اتاح للغتين متجاورتين فرص للاحتكاك ، لامناص من تأثر كل منهما بالأخرى سواء تغلبت إحداها على الأخرى أم كتب البقاء لكلتيهما، غير أن هذا التأثير يختلف في الحالة الأولى عنه في الحالة الثانية، وإذا كان البقاء قد كتب لكلتيهما، تعتمد كل منهما إلى ما تأخذه من الأخرى ، فتسيغه وتقاوم آثاره الهادمة، فتبقى كل منهما متميزة الشخصية موفرة القوى، سليمة البناء " ³.

وهناك عوامل أخرى للصراع اللغوي إلا أن تأثيرهما ليس بنفس حدة العاملين السابقين الذكر

وهما:

¹ - علي عبد الواحد وافي، المرجع نفسه، ص 132.

² - المرجع نفسه، ص ص 132-133.

³ - المرجع نفسه، ص ص 141 - 142.

• " اشتباك شعبيين مختلفي اللغة في حرب طويلة الأمد، وكذا توثيق العلاقات التجارية بين الشعبين مختلفي اللغة، وذلك أن منتجات كل شعب تحمل معها اسمائها الأصلية ، وكذا توثيق العلاقات الثقافية بين شعبيين مختلفي اللغة، فإن ذلك ينقل إلى لغة كل منهما، وبخاصة إلى لغة الكتابة آثار كثيرة، وهذه الآثار لا تقف عند المفردات، بل تتجاوزها غالبا إلى الأساليب.¹

وكذلك يمكن القول إن للإعلام دور في تغلب اللغة ما على الأخرى، إذا كان الإعلام الأجنبي متواجد بقوة عكس الإعلام المحلي في مجتمع ما، فهذا يفسح المجال للصراع اللغوي، وفرض لغة ما نفسها ، وإلى جانب هذا لا يمكن ان ننفي العلاقات السياسية ودورها في بروز لغة ما وتغلغلها في المجتمعات، ويمكن أن تصبح ضرورية الاستعمال في المدارس مثلا ، وهذا يساعد على حدوث الصراع اللغوي عند الفرد بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة.

كل هذه العوامل تؤدي إلى نشوب الصراع اللغوي، ولكن تبقى نتائج الصراع تتحكم في تغلب لغة ما على أخرى بعدة عوامل، كحضارة المجتمع وثقافته وآداء لغته والتي تكون فيها اللغة متطورة وكتابية ومحافضة على أصول كلماتها وقواعد بنيتها وتركيب جملها ...، وكذا النفوذ الذي تملكه تلك المجتمعات خاصة النفوذ السياسي والديني والاقتصادي، وهو ما يبسط تأثير هذه العوامل على فرض سلطتها وقوتها داخل هذه المجتمعات، ، وهو ما يبسط تأثير هذه العوامل على فرض سلطتها وقوتها داخل هذه المجتمعات المغلوبة، وكذا يتوقف على الفصيلة اللغوية التي تتحدر منها اللغتين المتصارعتين، وخاصة بعد التقسيمات التي قام بها العلماء في هذا الجانب، نظرا للتشابهات أو الاختلافات المتواجدة بين اللغات، وهذا التقسيم لفصائل اللغات تم وفق معايير خاصة تصنف من خلالها اللغات (رقي اللغات، معيار اللغة من حيث التراكيب ...)

وقد قسمت اللغات إلى فصائل² عديدة ، نذكر منها:

- اللغات الهندية (الأوروبية الأم): وتشمل اللغات الهندية - الإيرانية ، الانجليزية ... فهي تشمل تقريبا حملة اللغات الأوروبية واللغات الأمريكية والاسترالية.
- فصيلة اللغات السامية - الحامية: وتشمل العربية، اليمنية القديمة، المصرية القديمة، البربرية ...
- اللغات اليابانية - اللغات التركية.

¹ - ١ علي عبد الواحد وافي، المرجع نفسه، ص 143 - 144.

² - المرجع نفسه، ص 197.

4-2- نتائج الصراع اللغوي:

مما سبق في العنصر السابق نتوصل إلى استنتاج مفاده أن الصراع اللغوي يؤدي إلى نتيجتين إثنين وهما:

- إما تغلب إحدى اللغتين على الأخرى فتحتل مكانتها وترزحها.
 - إما أن لا تتغلب أي منهما على الأخرى وتبقى كل واحدة محافظة على مكانتها وتواجهها وميزاتها.
- أ- الحالة التي يحدث فيها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى: سبق وأن ذكرنا أنه من بين عوامل الصراع اللغوي النمو السكاني الكثيف بالنسبة لفئة معينة بين شعبين مجاورين، وهذا يساعد تغلب لغة الشعب ذات الكثافة السكانية الكبيرة لا محالة، شرط أن يكون المستوى الثقافي والحضاري والأدبي للغة هذا الشعب أكثر تطورا من الشعب المغلوب، وكذلك يحدث التغلب عندما يكون النفوذ والسلطة لأحد الشعبين المتصارعين، فتكون الغلبة للغة الشعب القوي النفوذ، مع التفوق الحضاري والثقافي والأدبي للغة الشعب الغالب، والنفوذ هنا يكون سياسي وإقتصادي وديني، ومثال على ذلك " لغة شعوب الباسك التي اخذت تنهزم أمام اللغة الفرنسية في المناطق التي تغلغل فيها نفوذ الفرنسيين " ¹.

وإن إمكانية حدوث ذلك، تتطلب وقت قد يكون طويل قد يصل إلى قرون، ويتطلب ذلك كذلك احتكاك طويل ومدى قرب اللغتين أو بعدهما من حيث الفصيلة التي ينتميان إليها وعلى حضارة ثقافة المجتمع المغلوب على لغته، كما ان هذا التفوق قد يكون عميقا وقد يكون يسيرا.

ب- الحالات التي لا تقوى إحدى اللغتين على التغلب: وفيها تبقى كل لغة محافظة على شخصيتها، وعلى ميزاتها المختلفة وتكون في الحالات التالية:

- عدم القدرة على النفوذ السياسي والاقتصادي والديني لأي منهما على الآخر، ومن الامثلة على ذلك الجوار بين فرنسا وألمانيا لم يؤدي إلى تغلب لغة شعب منها على لغة الشعب الآخر.
- التباعد اللغوي بين الفصيلتين، حيث كل لغة تنتمي إلى فصيلة أخرى، وكذا قلة عدد السكان، وهو ما يعني قلة عدد المتحدثين تلك اللغة، إضافة إلى ان فترة الاحتكاك بين لغة الشعبين تكون قصيرة مما يجعل تأثيرها ضئيلا جدا، حتى وإن كانت متفوقة في المستويات الأخرى.

¹ - السيد صبري ابراهيم، مرجع سابق، ص 28.

- وهناك عامل آخر هو العامل " العاطفي والذي له قوته في المحافظة على بقاء كثير من اللغات والمتمثل في الهبة " ¹.

وهو ما يجعل كثيرا لهيبة الدولة مبررا لقيمتها الذاتية، فاللغة الاغريقية وإرادتهم في عدم التضحية بلغتهم أمام لغة الفاتح واحتقارهم لها ، هي التي حفظت الاغريقية خلال العصور، فلم تستطع بذلك اللغة التركية يوما أن تحل محلها أو أن تتال منها.

وإن الأمثلة كثيرة لا يسع المقام هنا لذكرها ، والمتمثلة في احتكاك اللغة العربية عبر العصور باللغات الأخرى، والتي كان في بعض حالاتها التفوق للغة العربية، وإحلال مكانة بعض اللغات أو اللهجات، وهذا يعود أساسا للعامل الديني (انتشار الإسلام)، وذلك كقوة خلقية تفرض الاحترام وعقيدتها المتماسكة ، كما أن الحديث باللغة العربية في بعض المناطق كان دليل على التفوق الاجتماعي لها، ولأن تأثير العامل الديني كثيرا ما ارتبط باللغة العربية من قبل المجتمع بدرجة التدين، ودرجة الاهتمام العلمي بنصوص القرآن والحديث النبوي، ومن الأمثلة التي تفوقت فيها العربية على اللغات الأخرى ²

- رسوخ العربية في بلاد اليمن بعد ظهور الاسلام فيها، وقد خضعوا للنفوذ العربي السياسي وارتبطوا بالدين الاسلامي ، وقد ساعد هذا على انتشار العربية وازدياد قوتها في صراعها مع اللغات اليمنية القديمة، ولا تزال هناك بعض المناطق محافظة على لغتها وعلى لهجاتها المختلفة إلى اليوم، وهي مناطق معزلة ومنزوية على نفسها ، وهو ما ساعدها على حماية لهجاتها.

- في مصر بالتحول الديني الذي حدث فيها كان تحولها في اللغة يسير، حيث بدأ زعماء الكنيسة القبطية منذ القرنين العاشر والحادي عشر ينسون القبطية ، ويستعملون اللغة العربية مكانها، حتى بلغ اللسان العربي والدين الاسلامي ذروة السيادة، وصارت القبطية لغة ميتة في الواقع، وأصبحت العربية متكلمة من الجميع بما في ذلك المسيحيين.

ولكن أحيانا لم تتمكن العربية من التغلب على بعض اللغات وإحلال مكانها (وهذا الاسباب ثقافية وحضارية وأدبية)، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- لم تستطع العربية التغلب على الفارسية ، برغم فتح العرب بلاد فارس وبقاءهم تحت سلطانهم أمدا طويلا، حيث أن الشعب العربي في تلك الحقبة لم يكن أرقى حضارة من الشعب الفارسي ، ولقلة

¹ - السيد صبري ابراهيم، المرجع نفسه، ص 30.

² - المرجع نفسه، ص ص 30 - 31.

العرب بفارس، وضعف امتزاجها بالسكان، وكذا الانتماء اللغوي (العربية والفارسية من فصيلتين مختلفتين).

ونشير في الأخير إلى أن هذا الصراع بين اللغات وما يتوصل إليه من نتائج هو تقريبا نفس الصراع الذي يحدث بين اللهجات المحلية، وذلك بمحاربة الابتداع داخل مناطقها الجغرافية المحدودة، وهذا نتيجة تلك العلاقات الوثيقة والصلبة التي تربط أفراد الناطقين بها حيث يقوى ضميرهم الجمعي وتسيطر نظمهم، هذا إلى جانب صدها للهجات الدخيلة عليها وذلك بقلة الاحتكاك بالآخرين وركونها إلى العزلة.

ويكون هذا خاصة في المناطق الريفية لطبيعة سكانها، عكس المناطق الحضرية يكون مكانها في احتكاك مستمر ودائم بالأجانب، وتشابك وإحتكاك اللهجات يؤدي بها إلى صراع شبيه بالصراع اللغوي، ويؤدي تقريبا إلى نفس النتائج السالفة الذكر.

وعموما يمكن القول أن الصراع اللغوي هو ظاهرة طبيعية الحدوث، وهذا نظرا للاحتكاكات والتفاعلات الحادثة بين المجتمعات والدول، وخاصة في خضم التحولات والتغيرات التكنولوجية في الاعلام والاتصال الحاصلة في العالم اليوم، والتي تكون اللغة إحدى مظاهرها، وهو ما يعني ان الصراع سيبقى مستمرا ومتواصلا، ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال الاستسلام والخضوع للمغلوب، بل يجب البحث عن السبل الكفيلة بحماية اللغات الوطنية واللهجات المحلية، والتي تشكل المركب الثقافي والمعرفي لأي شعب من الشعوب، بما فيها الوطن الجزائر.

والنتيجة التي تحدث من خلال الصراع، هو أن اللغة أو اللهجة تحل مكان اللغة أو اللهجة المغلوبة تدريجيا، حتى تصل إلى الاستيلاء على قواعدها وألفاظها وكلماتها، وتصبح مستعملة على ألسنة المجتمعات والدول المغلوبة (الذوبان)، لتصبح بعد ذلك اللغة المغلوبة في عداد المفقودين ؟.. وهذا ما تم ملاحظته والحكم عليه باعتباري شخص يعيش وسط هذا المجتمع، وأؤكد انه المجال للحكم على ذلك يبقى دائما لأهل الاختصاص، هم أولى وما تم عرضه مجرد ملاحظة ومحاولة لطرح رأي معين، وهذا دائما من خلال احتكاكي متواصل والمستمر في هذا المجتمع (الأوراس)، وهذا هو الواقع المعاش في حقيقة الأمر ، وكذا للتعليم دور خاص في ذلك إلا أنه مؤخرا تم إدراج اللغة الأمازيغية في بعض المناطق، ويبقى هذا غير كافي وتبقى الشاوية في خانة التلاشي نظرا لما يحدث في هذا المجتمع من تغيرات لا تخدم اللهجة الشاوية وتطورها وتوسعها.

5- الازدواجية اللغوية (الثنائية اللغوية):

5-1- التعدد اللغوي حتمية تاريخية أو صناعة بشرية:

يتميز أي مجتمع بتنوع ثقافي وخصوصيات سوسيو ثقافية ،وعمق تاريخي لا محال فأينما كانت اللغة الأولى التي سمعها الناس، أو نشأوا عليها وتعلموها، ومهما كانت قيمة هذه اللغة عندهم ، فإنهم سيلاقون في مسار حياتهم لغات أخرى ولهجات متعددة ، سواءا فهموها أو لم يفهموها ، أعجبهم أو لم تعجبهم، فإنه الواقع الذي سيعيشون فيه، فالتعدد اللغوي لا يقتصر على بلد دون آخر، ولا على عالم دون آخر ، بل هو صورة واضحة موجودة في كل البلدان " فهي قدر مشترك وإن ظهرت بأشكال مختلفة " ¹، يمكن القول أن كل المجتمعات تتميز بتفاعل اللغات والثقافات، وهذا ما يدفعهم إلى التعدد اللغوي عبر احقاب الزمن.

5-2- الثنائية اللغوية: لقد استخدم (Charles Ferguson) هذا المصطلح ويرى فيه أنه يشير إلى " تلك العلاقة الثابتة بين ضريين لغويين بديلين ينتميان إلى أصل جيني واحد، أحدهما راق، والآخر وضيع (كالعربية الفصحى والعاميات ...)، ولهذين البديلين توزيع وظيفي " ². أي أن هذه الازدواجية تشير إلى أنه يمكن أن ترفع منزلة ومكانة لغة ما، " ويكتب به الأدب المعترف به، ولكن لا تتحدث به إلا الأقلية " ³.

ويمكن لها أن تنزل أو تحط من مكانة الآخر، إلا أن الحديث بها يكون واسعا، أي أن هناك " أشكال لغوية متشابهة وتنتمي إلى نموذج واحد ببديله المعياري وببديله الشعبي وهناك من جهة أخرى أشكال لغوية مختلفة، أي أنه يمكن إتقان أحد أشكالها دون إتقان الآخر " ⁴. وينشأ دائما عن هذين الشكلين سلوكيات بسبب العلاقات والتفاعلات التي يقيمها المتكلمون مع بعضهم.

ويقدم عالم اللسان الأمريكي " جوشوا فيشمان " (Joshoua Fishman) مقابلتين جعل فيها الثنائية اللغوية في جهة (وهي قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات)، وجعل فيها الازدواجية

¹ - لويس جان كاليفي ، مرجع سابق ص 77.

² - المرجع نفسه ، ص 78.

³ - المرجع نفسه ، ص 79.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 80.

اللغوية (وهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما)، وبهذه المقابلة يعدل تصور (فيرغسون) في مسألتين:¹

- أنه لا يولي عناية كبيرة لوجود شفرتين لغويتين مختلفتين.
- يفترض أن الازدواجية اللغوية قائمة على وجود اختلاف وظيفي بين لغتين، مهما كانت درجة هذا الاختلاف طفيفة جدا، أو عميقة جدا، وليس من الضروري أن تكون بين الشكلين المختلفين علاقة جينية.

إن " فيرغسون " يلح على مفهومي الوظيفة والرقي ، مهماشا دور السلطة إذ يصعب تحليل بعض الفوارق اللغوية الموجودة بالارتكاز على عامل الرقي، وعلى عامل الوظيفة لأن اللغة تكتسب هذا الرقي وتلك الوظيفة التي تمتلكها على نطاق واسع أو ضيق ،استنادا إلى السلطة وتنظيم المجتمع، والتي تعود به بدورها إلى عوامل ومركبات تاريخية واجتماعية معينة، إلا انه في مقابل ذلك قد تكون اللغة المكتسبة عند الفرد هي السبيل للوصول إلى السلطة، والسلطة الممنوحة أحيانا هي التي تجعل من اللغة أنها تتسم بأنها راقية ومكتسبة لسلطة نفوذها واحترامها ...

فالازدواجية اللغوية في أوسع معانيها هي " علاقات وظيفية واجتماعية بين لغات مختلفة، أو بين البدائل المختلفة في اللغة الواحدة " ².

5-3- اللغة الميتة: " يعرفها القاموس الفني بأنها : " لغة لم يعد الناس يتحدثون بها، ولكن موقعها في جماعة اجتماعية ثقافية، قد يسمح أحيانا بان يكون لها دور في التعليم، وفي الطقوس، وفي الاحتفالات " ³

وتعرف أيضا على أنها " اللغات التي لم تعد موجودة إلا في الكتب " ⁴

ويشير هذا الكلام بأن اللغة الميتة ، هي لغة كانت في زمانها مكتوبة ،إلا أنه لم يعد يتحدث بها في هذا الزمان، وبالتالي فإنه حسب التعريف السابق، فإن اللغات التي كانت موجودة تاريخيا وكان يتحدثون بها الناس سابقا، إلا أنه لم تتجح في الاستمرارية بنفس المحادثة بين الناس، فهي لغات أصبحت ميتة، لتبقى النظرة إلى اللغات الميتة منسية إلى حد ما ،خاصة إذا عرفنا أن العديد من اللغات السابقة قد تشنت أو انفجرت إلى لغات عدة، الآن يتكلم بها الناس في العديد من الأماكن،

1 - لويس جان كالفيني، المرجع نفسه، ص 80.

2 - المرجع نفسه ، ص 85.

3 - Dugois et All: **Dictionnaire de linguistique**, Paris, 1973 ,P 326.

4 - لويس جان كالفيني، مرجع سابق، ص 199.

وحتى المناسبات لتبقى بعض الكلمات النابعة من اللغة الأصلية التي نشأت منها ممتدة إلى هذه اللغات إلى اليوم (كاللغة اللاتينية التي تنتمي إليها الفرنسية والإسبانية) ، إذ كثيرا ما نجد هذه اللغات قد حرفها الحديث الشعبي في مواقف كلامه ، لتشتت الناس في أثناءها على مساحات جغرافية متباعدة من الأرض، وهذا ما يجعل هذه اللغة تتحول وتبديل من جيل إلى جيل ، ومن مكان لآخر وحتى بالتقاءها واحتكاكها باللغات الأخرى في أصقاع المعمورة.

وقد ميز اللسانيون بين ثلاث حالات في شان اختفاء اللغات¹:

- الأولى ، الاختفاء بالتحول Disparition par transformation، فعندما يتسع المجال الجغرافي لانتشار شعب ما، يخضع لسانه إلى التطور ،فتتولد عنه عائلات لغوية، تحمل -علاوة على سمات الائتلاف- سمات اختلاف تزداد كما ونوعا، كلما طال الأمد، وباعدت الجغرافيا بين الجماعات البشرية، ذات الأصل اللغوي الواحد (اختفاء الهندو اورية ، متحولة إلى تنوعات لغوية شكلت فيما بعد فصيلة ، تحمل اسم هذه اللغة الأصلية)

- الثانية، الاختفاء بالانطفاء Disparition par extinction، وذلك عندما ينقرض شعب ناطق بلغة ما ،دون ترك خلف (تواجد زوج عجوز بإقليم النابو ببلاد الأمازون الاستوائية ، يتكلمون لغة حكم عليها بالانطفاء بعد قضائهما، دون أن تتحول ،أو تعوض بتنوع لغوي آخر).

-الثالثة ، الاختفاء بالتعويض Disparition par remplacement ، فيقال لغة ما ، اختفت بالتعويض ،عندما تكون تحولت ، من سائدة إلى مسودة، فتخلي الميدان للغة السائدة ، تستبد به لوحدها (كما هو الشأن للغات الرومانية القديمة التي اندحرت إمام اللاتينية دون رجعة).

ولعل الحالتان الأولى والثانية ، تنطبق على اللغة الليبية (الامازيغية الأولى)، والتي اختفت بتحولها إلى لهجات عوضتها، واضطلعت بما كان على الليبية الاضطلاع به من وظائف تواصلية، كما نجدها في اللهجات الامازيغية ، المتواصل بها في الجزائر ، ببعض المناطق ، كالشاوية في منطقة الاوراس، والقبائلية في منطقة القبائل ، والمزابية في منطقة غرداية وورقلة، والترقية، في منطقة الاهقار، وبعض المناطق الصحراوية.

ونفس الشيء ، ينطبق على اللهجات الامازيغية ، المتواجدة ، في المغرب الأقصى (الريفية، السوسية، الامازيغية)، وفي تونس (بعدد قليل بجزيرة جربة)، وفي ليبيا (جبل نفوسة ، الغات وغدامس) ، وفي مصر (جماعات قليلة جدا ، بواحة سيوا)، وفي مالي ، والنيجر، وبوركينا فاسو.

¹ - التوري ميلود، مرجع سبق ذكره ، ص ص 59-60.

وعليه " فاللغة الليبية ، لم تمت ، بل اختفت ، بعد أن خلفت جمهورا من اللهجات ، تقوم مقامها ، حاملة خصائصها اللسانية " ¹.

5-3- الخيارات اللغوية:

إن الخيارات اللغوية لا تأتي هكذا وإنما التشبث اللغوي للفرد، وبعض العوامل التي تتحكم في اكتسابه ونموه اللغوي، هي التي تفرض عليه أن يتحدث بلغة ما " أن أتحدث بشكل لغوي ما، وأن أفضل استخدام هذا الشكل دون ذاك أو أن أزعم استخدام هذا الشكل دون ذاك ،شيء يتجاوز دائما مجرد الاستخدام لأداة من أدوات التواصل " ²

ومهما يكون اختيار الفرد،فهو دلالة على انتماءه اللغوي " أن أتحدث لغة ما يدل فضلا عن حديثي لهذه اللغة على شيء آخر ،لأنني حين أكون قادرا في وضع ما على الاختيار بين عدد من اللغات، فإن لاختياري دلالة كما أن لمحتوى الرسالة دلالة في الوقت نفسه،

إن للشكل اللغوي الذي تختار الحديث به، دلالة ذاتية هي الرسالة، ولهذا الشكل اللغوي على صعيد آخر دلالة إيحائية ³. ، والزمرة الاجتماعية الواحدة طبعا تشترك في لغة واحدة وهذا اختيار لا مفر منه، وأي لغة دخيلة تكون غير مقبولة.

«إن الأشكال اللغوية لا تزال تسمح بتصنيف المتكلم، نحن نعرف نظرائنا من كلامهم الذي يشبه كلامنا، ونرفض من كانت لففته شديدة البعد عن مجموعتنا» ⁴.

¹ - التوري ميلود، المرجع السابق، ص 61.

² - لويس جان كالفي، مرجع سابق، ص 139.

³ -4- المرجع نفسه ، ص 143.

الفصل الرابع

مؤسسات الممارسة اللغوية

تمهيد :

إن الإنسان يولد وهو مزود ببيولوجيا بالكلام، إلا إذا أصابته عاهة معينة على مستوى الكلام، ويمر هذا الإنسان بمراحل نمو مختلفة في الزمان والمكان، وأول تواجد له يكون بين أحضان الأسرة، ثم يتعدى ذلك إلى المحيط الخارجي، الذي يمثل المجتمع بكل قطاعاته وطبقاته وأشكاله ووسائل الاتصال فيه، وبهذا يمكن للفرد أن يكتسب ويمارس اللغة بمفرداتها وصيغها وتراكيبها وأساليبها في جل المؤسسات المتواجدة في المجتمع ومنها (الأسرة، المدرسة، الشارع، المسجد، جماعة الرفاق،... إلخ..)، وهي التي تلعب دوراً بارزاً في عملية «المقايضة اللغوية، وطرق التلقين والاكْتساب، وفي نشر اللغة مهما كانت»¹.

أي أن هذه المؤسسات التي تعمل على تزويد الفرد منذ نشأته بالألفاظ والكلمات التي يلزم باستعمالها في مواقفه اللغوية المختلفة، ولا شك أن هذه اللغة التي يكتسبها وينشأ عليها بطبيعتها ونوع تراكيبها ودلالاتها، تعكس الفرد الذي يستعملها وثقافته.

كما أنها تعتبر دلالة على نوع التنشئة التي خضع لها الفرد خلال مراحلها المختلفة من حياته، إضافة إلى دلالاتها على المجتمع ومفاهيمه وقيمه الموجودة.²

ولا يمكن إنكار أن اكتساب اللغة في أي مجتمع ما، ومدى ممارساته اللغوية يكون عبر قنوات عديدة موجودة في هذا المجتمع، حتى وإن اختلفت تأثيراتها من مؤسسة لأخرى، فسنحاول التطرق إلى دور كل مؤسسة في عملية اكتساب ونمو اللغة لدى الفرد، والتي لا يمكن للإنسان في أي حال من الأحوال الخروج عنها، ولذلك سنتناول في هذا الفصل أهم مؤسسات الممارسة اللغوية .

1- الأسرة:

تعتبر الأسرة من أهم وأول مؤسسة تحتضن الطفل، وتعمل على تعليمه وتلقينه اللغة التي تمارسها تلك الأسرة، وهذا من خلال ما يتلفظون من كلمات وألفاظ يسمعها الطفل، ويمكن التأكيد على أن الأسرة هي المؤسسة الأكبر تأثيراً، وأبقاها أثراً في نمو الطفل اللغوي، فهي اللب الذي يمكن للطفل

¹ - معتوق أحمد محمد: الحصيلّة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999 ، ص23.

² - علواني عبد الواحد: تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، ط1، 1997، ص80.

أن ينمو ويعيش فيه بسلام دون حدوث أي اضطراب، إذ «تهيئ الجو أو البيئة الاجتماعية التي يشرب الطفل معاييرها ومثلها وواقعها في تفكيره وسلوكه».¹

إلا أن اللغة التي يكتسبها الطفل في الأسرة، والتي يتكلمها طيلة حياته، وتمكنه من التواصل والتفاعل مع الآخرين بشكل طبيعي، ويعبر بها عن حاجاته وأفكاره وعواطفه، وبها يمكنه أن يتفهم ويتفاهم، إنما تتوقف وتتوَّع بالثقافة واللغة التي تمارسها أسرته، وكذا تتوقف على الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وبصفة عامة على الجو الأسري (تطرقنا إليه سابقاً)، وكذا إلى عوامل بيئية أسرية، وغيرها من العوامل التي يمكن أن تساهم في اكتساب اللغة داخل الأسرة.

وبما أن الأسرة هي الخلية الأولى التي تحتضن الطفل في جميع مراحل حياته، وخاصة في المراحل الأولى، فعلى الأسرة واجب التنمية اللغوية، والوعي بإدراك أهمية اكتساب الطفل لهذه اللغة «فاكتساب اللغة عملية ملازمة لعملية التنشئة الاجتماعية، ولذا من البديهي أن الطفل يكتسب في مرحلة نشأته اللهجة التي تتكلم بها الأسرة، ومن ثم يتعلم اللغة العربية القياسية، وهي مرحلة تالية للهجة، بعد تمكّن نظامها في ذاكرة الطفل اللغوية، وينشأ بذلك صراع بين نظام اللغة ونظام اللهجة، ومن هنا تأتي ازدواجية اللغة (فصيحة، عامية)».²

وعليه فإن الأسرة يطلق عليها مرحلة التلقين الأولى التي يمر بها الطفل ليكتسب اللهجة أو اللغة التي سوف يتكلمها، وعليها يقع الدور الكبير في تعزيز مكانة هذه اللغة التي سوف ينشأ عليها، ويقترب منها، وعملية الاكتساب هذه تكون عن طريق التفاعل والتواصل الجيد مع الطفل، وعن طريق الحديث إليه، أو دفعه لمتابعة برامج الأطفال، فلأسرة الأثر النافع في تثبيط اللغة لدى الأبناء وتحبيبها لديهم، فهم يولدون صفحة بيضاء، وبهذا تصبح اللغة في فضاء معاملاتهم وتعاملهم بها مستقبلاً «فنظام اللغة، والذي يتمثل فيما تتخذه البيئة الاجتماعية من وسائل للتخاطب والتفاهم والاحترام، واكتساب الطفل لهذه الأمور ما هو إلا جزء من الاندماج الحقيقي في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها».³

¹ - دسوقي كمال: النمو التربوي للطفل والمراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 267.

² - صالح بلعيد، مرجع سابق، ص 84.

³ - الشربيني زكرياء ويسرية صادق، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996، ص 84.

فلأسرة بصفة عامة، والوالدين على الخصوص، دوراً هاماً في بناء شخصية الطفل وتنشئته بما في ذلك التنشئة اللغوية التي يتعرض لها الطفل في الأسرة، وهذا من خلال الاتصال الكلامي الحادث بين الوالدين والطفل، وبدرجة كبيرة الأم والطفل، و يعتبر الاتصال واطئ اللبئات الأولى للألفاظ والكلمات التي ترون على مسامع الأطفال، خاصة إذا تمت رعاية الأطفال بعناية حيث يتمتع الطفل بـ«أفضل ظروف للنمو واكتساب اللغة».¹

ويكون ذلك عندما تكون الرعاية الأسرية للطفل بتفان ومتابعة مستمرة، ووفق متطلبات مراحل نمو الطفل، وما يحتاج تعلمه من حروف وألفاظ وكلمات وجمل، حيث يكون الجو الأسري بصفة عامة ملائم لذلك.

والفرد في معاملاته المختلفة في شتى المجالات، قد يستخدم لغة ما (أحادي اللغة)، أو للغتين (مزوج)، أو متعدد اللغات، وهذا طبعاً حسب المواقف المناسبة، فإذا كان يستعمل أثناء معاملاته (لغو واحدة) فهذا من إنتاج وسط أسري أحادي اللغة، وإذا كان (يستعمل اللغتين) فيكون إنتاج وسط أسري متعدد اللغة، وقد أشار "برنشتاين"² إلى أن اللغة المتواجدة لدى أفراد المجتمع، هي انعكاس للغة المتواجدة والممارسة في الأسر، حيث يرى أن هناك وسط أسري لغته هي لغة المجتمع، ووسط أسري لغته ليست لغة المجتمع، وهو ما يعكس في الحاليتين معاً أحادية اللغة في الأسرة، ويكون الوسط الأسري المزوج اللغة إذا كانت لغة الوالدين لغتين مختلفتين، وهو ما يؤدي إلى ازدواج لغوي، وبالتالي تتضح العلاقة بين لغة الأسرة ولغة المجتمع.

وخلاصةً يمكن القول أن للأسرة دور فعال وحاسم في تعليم واكتساب الطفل طبيعة ونوعية اللغة التي يمكن أن تكون وسيلة للاتصال والتواصل بينه وبين أفراد مجتمعه، وكما أشرنا سابقاً، أن تعلم اللغة يتوقف على الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية (موطن إقامتهم) لتلك الأسر وتنشئتهم عليها، وهذا يؤثر على لغة أبنائهم خاصة وأن اللغة تستعمل كرمزاً للانتماء إلى جماعة بعينها، وكما هو معلوم الناس يستعملون الكلام لتحديد الجماعة الاجتماعية التي ينتمون إليها، أو التي يرغبون في الانتماء إليها.³

¹ - عبد الفتاح كاميليا: التربية اللغوية للطفل، دار الفكر العربي، مصر، 1991، ص52.

² - Bernstein (Basil), OP.cit, p.229.

³ - هـسون، علم اللغة الاجتماعي: ترجمة، محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1990، ص304.

فالأُسرة هي مؤسسة من مؤسسات التنشئة والممارسة اللغوية (للطفل) وتختلف هذه التنشئة باختلاف الظروف (البيئية، الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية) التي تتواجد فيها هذه الأسر، والتي تنعكس على طبيعة اللغة التي يتعلمها أبنائهم.

وعليه فإن للأسرة الأثر الكبير في اكتساب وممارسة اللغة للطفل، وهذا يتوقف على أثر نسق من العوامل البنوية المكونة لهذه الأسرة، خاصة في عملية التنشئة الاجتماعية (المستوى الثقافي، المستوى الاجتماعي،...).

2- دار الحضانة: تعتبر دار الحضانة من بين المؤسسات التي تساهم في الممارسات اللغوية لدى الطفل، فهي تقوم بتهيئة الطفل للدخول للمدرسة بحيث يتم تعليمه أهم الأشياء التي يجب أن يعرفها ، وهذا بعيدا عن الأسرة، ووفق لغة قد تكون متداولة في الأسرة أو لا، وهذا ما يجعل الطفل متأثرا بهذا المحيط، وقد يحدث عدم التوافق اللغوي لديه ،ويؤثر عليه في المستقبل وأثناء دخوله إلى المدرسة ،لأن المرحلة التي هو فيها أثناء دخوله لدار الحضانة تتطلب عناية ورعاية خاصة بالنسبة للطفل، حتى تمكنه من النمو السليم في جميع النواحي ،وأفضل مؤسسة توفر له ذلك هي الأسرة، ولكن لظروف ما تضطر إلى وضعه في دار الحضانة ،وهنا تغيير المحيط بسرعة وبدون رغبة من الطفل له تأثير كبير على حياته وخاصة في المجال اللغوي، وبالأخص إذا كان الحديث المتداول في الأسرة يختلف عن الحديث المتداول في دار الحضانة، وبالتالي لا يمكن أن ننكر الدور الفعال والحاسم إن صح التعبير في اكتساب الطفل للغة في دار الحضانة بالنسبة لهؤلاء الأطفال الذين تم دخولهم دار الحضانة.

3 -المدرسة:

تعتبر المدرسة من أهم المؤسسات التي تساهم في البناء اللغوي للفرد، فهي المؤسسة الثانية بعد الأسرة ، وينتقل إليها الطفل بعدما كان في محيط أسري يختلف عما هو فيه، وهذا يفرض عليه تغيير نمط الحياة والمعاملات، فيمكن أن نقول أنه تحول مفاجئ بالنسبة للطفل، والمدرسة ذات قيمة تربوية وتعليمية مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات، فهي مجتمع صغير يدخل في كيان المجتمع الكبير، فهي «مؤسسة تهدف إلى تكثيف وتطوير عملية التلقين والتثقيف الاجتماعي، وإخضاعها لنظم مدروسة ترتقي بها عن العفوية... فالناشئ يكتسب ما يكتسب من مهارات اللغة فيها، على نحو مكثف ومنتظم ومتوازن ومتدرج ومستمر...»¹.

¹ - المعتوق أحمد محمد، مرجع سابق، ص23.

فإذا كان القائمون على وضع البرامج التربوية والتعليمية على أسس متينة وأهداف تخدم الفرد والمجتمع والوطن، فإن المدرسة تعتبر ركيزة أساسية لتوحيد الأنماط التي يراد إنتاجها من خلالها «إن المدرسة هي العتبة الأساس في لغة الطفل، وهي التي تعمل على صقل التجارب اللغوية وترسيمها في ذهن التلميذ...»، والمدرسة هي اللغة الأم، وهي الحياة الأولى للغة، ومن أساليبها تتغذى الجامعة»¹، فالغاية من تعليم اللغة في مراحل التعليم المختلفة هو الجانب الوظيفي، وعليه يجب أن تسير المقررات إذ «الممارسة الصحيحة للغة كتابة وحديثاً هي السبيل الأقوم نحو وجود لغة سليمة، إذ باستطاعة أي منا أن يتقن اللغة عن طريق الممارسة العملية بشكل أفضل، وفي وقت أقصر بكثير مما يمكنه ذلك عن طريق الكتب والدرس والتحصيل»².

فالمدرسة هي التي تزود الطفل والجيل الصاعد بالمفردات والصيغ والأساليب التي يقبل عليها الطفل، والتي يفنقدها المجتمع في إطاره العام، وتعتبر المدرسة المكان الأنسب لإدماج الفرد في محيطها، لتهيئته العضوية في المجتمع الأكبر، والذي عبر عنه "جون ديوي"³ بأن تكون هذه المدرسة هي مدرسة لحياة إجتماعية مصغرة، بحيث تكون ذات فعالية في مهنها التي تعكس بدورها حياة المجتمع الأكبر، وتجعل الأطفال يتشربون بروح العمل والخدمة، وذلك من خلال تسليحه وتجهيزه بالأدوات اللازمة لذلك.

فالمدرسة تعد من العوامل القوية والمؤثرة، والتي تربط الفرد ببيئته ومجتمعه، وهذا من خلال تبليغها للغة المجتمع الذي نشأ فيه الفرد، وهي قادرة على اعداد الفرد ذي الشخصية المتميزة المرتبطة ببيئته ومجتمعه، كما أنه بإمكانها أن تعمل عكس ذلك، ويكون هذا خاصة من خلال ما تلقنه للأطفال والأبناء من قيم ومعايير وسلوكيات، والتي عادة لا تخرج عن الإطار العام للمجتمع الكبير المتمثل في الدولة خاصة، وعادة ما تكون هي «المادة المقروءة في المدرسة تعبر عن حياة الأمة في مختلف عصورها، وبمختلف مستوياتها، وتجسيد كل ما ارتبط بحضارتها من معارف وخبرات وتجارب، وأحاسيس، وكل ما يحمله الفكر»⁴.

¹ - صالح بلعيد، مرجع سابق، ص 149.

² - صالح بلعيد، مرجع سابق، ص 154، نقلاً عن: محمود عبد الرحيم عدس، نحو لغة مدرسية سليمة، مجلة الخفاجي، القاهرة، 1412هـ.

³ - ديوي جون: المدرسة والمجتمع، ترجمة: أحمد حسن الريحم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون سنة، ص 50.

⁴ - المعتوق أحمد محمد، مرجع سابق، ص 24.

ويقصد تلك اللغة المكتوبة، والتي يستعملها الأبناء في المدرسة ،حيث تنقل إليهم الألفاظ والمفردات والصيغ والتراكيب والدلالات وغيرها، لتصبح تلك المادة المقروءة مصدر رئيسياً ومهماً لمفردات اللغة، وبالتالي فهي تقوم بتعليم اللغة الرسمية لأفراد المجتمع، وذلك من خلال تلقينهم المهارات اللغوية وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه.

فاللغة الرسمية المتعلمة في مدارسنا، وخاصة المدارس الابتدائية تكون باللغة العربية، والثقافة التي تنتمي إليها هي الثقافة العربية الإسلامية، فإن الثقافة العربية لا يعني أن اللغة التي تقوم عليها هي اللغة العربية، بل أيضا لأن الفكر الذي يحتوي هذه الثقافة هو الفكر العربي «والفكر هو مجموعة المبادئ والنوازع والانتماءات التي تتكون مع تطور تاريخ وحضارة أمة من الأمم، هو تلك الإيديولوجية الغير مقننة التي تشكل الجنسية الحقيقية لثقافة من الثقافات».¹

ولذلك فإن المدرسة هي همزة وصل التي تربط الفرد ببيئته ومجتمعه، وهذا عن طريق نشر اللغة القومية والثقافة الوطنية، وهو ما يجعل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد تتسم بالألفة والمحبة في المجتمع الذي يعيشون ويتفاعلون فيه.

وقد ركزت المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال على محاولة إحلال اللغة العربية في المدارس محل اللغة الفرنسية التي تركت بصماتها على المدرسة الجزائرية، وهذا من خلال مشروع التعريب الذي سعت إليه تماشياً مع الاختيار الوطني للدولة الجزائرية، في اعتبار اللغة العربية اللغة الوطنية والرسمية، وهذا من أجل توحيد لغة المجتمع، خاصة وأن هذه المدارس «... قد أوجدتها المجتمعات حين تعقدت ثقافتها وكثرت عناصر هذه الثقافة واتسعت دائرة المعارف الإنسانية...».²

اذ أن التربية تكون أكثر توجيهها من خلال المدرسة التي تعمل على ترسيخ الهوية الثقافية للمجتمع ، والقيم والمبادئ التي تراها مناسبة للمجتمع.

وقد كان التعليم اللغوي في المدرسة هدفاً لوزارة التربية في السنوات السابقة «توفر المدرسة الأساسية للتلاميذ دراسة اللغة العربية، بحيث يتقنون بها التعبير مشافهة وتحريراً وتهدف هذه الدراسة التي تعتبر عاملاً من عوامل شخصيتهم القومية إلى تزويدهم بأداة العمل والتبادل، وتمكنهم من تلقي المعارف...، كما تنتج لهم التجارب مع محيطهم».³

¹ - المهسني عفيف: الثورة الثقافية العربية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ، ليبيا، ط1، 1985، ص118.

² - تركي رابح: أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص186.

³ - الأمر رقم 76-35 المؤرخ في 16 أبريل 1976-الباب الثالث-الفصل الأول-المادة 125 .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الطفل كان في الأسرة يتحدث لغة ما، وعندما يذهب إلى المدرسة فإنه حتماً سيصادف لغة قد تختلف عن لغة الأسرة، والتي كان يتحدث بها ويمارسها، مما يجعله في حيرة «وهو ما قد يفقده الاتصال تلقائياً، وتظهر له المدرسة بمظهر غريب وشاذ».¹

وحسب بعض العلماء "بياجيه" و"كالبريد"، فإن المدرسة يجب أن تعمل وفق الواقع الذي ترعرع فيه الأطفال حيث أن «المدرسة ينبغي أن تكون فعالة ملتزمة بالحياة الواقعية، أي أن المدرسة ينبغي أن تعين التلميذ على خبراته الشخصية ليبنى المفاهيم التي سوف تمكنه من استيعاب الواقع وبناءه، ومن ثم تعديل سلوكه».²، فالطفل في مرحلة ما قبل المدرسة والتي تمت في أحضان الأسرة، فإنه تلقى تكويناً ونمو اجتماعياً وثقافياً ولغوياً مختلفاً عما يجده في المدرسة، وبهذا فإن خبراته السابقة التي اكتسبها في الأسرة، تختلف عما هو موجود في المدرسة، وعليه فإن واجب المدرسة حسب "بياجيه" و"كالبريد" أن تكون مناهجها وأهدافها متوافقة مع المحيط الخارجي الذي يعيش فيه الطفل حتى تزيد من خبراته وتكوينه، فمثلاً اللغة التي يكتسبها الطفل في الأسرة الناطقة بالشاوية تجعله يجد صعوبة ومفارقة أثناء دخوله المدرسة، وهو ما يجعله كأنه غريب عن هذا المحيط الذي هو فيه، وقد أثبت الواقع المعاش ذلك، وأشار في هذا المقام أنني أتذكر بعض الحالات والتي يأتي فيها الأطفال الناطقين بالشاوية إلى المدرسة، وأثناء دخولهم القسم يبدو عليهم الحياء ورغبتهم الملحة على الخروج من القسم، وعدم تأقلمهم مع بعض التلاميذ الذين يحبذون الحديث باللغة العربية، وهذا قد يسبب ويساهم في التسرب المبكر لبعض الحالات من المدرسة والدراسة بصفة خاصة، وطبعاً هذا إذا لم يجد الطفل الدعم والعون من قبل الآباء وأهل الاختصاص، وإلا فإن مصيره يؤول إلى مغادرة مقاعد الدراسة من أجل عدم التوافق اللغوي مع المحيط الجديد بالنسبة له، وفي الوقت الحاضر هناك العديد من المدارس أدرجت اللغة الأمازيغية للتدريس بطلب من الأولياء حتى يتسنى لأبنائهم التوافق الدراسي، وبطبيعة الحال هذا لا يعبر بالضرورة عن أن سبب التسرب المبكر من المدرسة يعود إلى اللغة، وإنما هناك أسباب أخرى كثيرة نذكر منها (الخجل من المدرسة-عدم تحفيز الأطفال من طرف الآباء من أجل حب الدراسة والمدرسة-الفقر...).

وحسب "برنشتاين" «فإن طفل الطبقة المتوسطة يدخل المدرسة وهو يتكلم لغتها، بينما طفل الطبقات الدنيا بطريقته المختلفة في الكلام سيكون في موقف مختلف من البداية، وسوف يؤثر ذلك في

¹ - مجل سيجوان ووليم ف.مكاي، مرجع سابق، ص90.

² - المرجع نفسه ، ص91.

سلوكه في المدرسة وقد يكون سبباً في كثير من فشله»¹، أي أن الطفل الذي ينتمي للطبقات التي تكون فيها الحوافز والتشجيعات واستعمال اللغة يكون كاستعمال لغة المدرسة أو قريباً إليها، فإن ذلك يساعد الطفل على تعلم اللغة التي يدرسها بسهولة عكس الطفل الذي ينتمي للطبقات المحرومة(الدنيا)، والتي قليلا ما تقدم مساعدات وحوافز لأبنائها لتعلم اللغة التي خارج المدرسة واللغة الموجودة في المدرسة.

وهو ما أشار إليه الكثير من العلماء منهم "برنشتاين" في اكتساب اللغة الثانية في البيئة المدرسية، يكون حسب اللغة الموجودة فيها، فإذا كانت المدرسة أحادية اللغة(تدرس) بلغة واحدة، فإن لغتها أقرب أن تكون هي نفسها لغة المحيط الأسري، وإذا كانت نفسها لغة الأسرة، فإن الفرد يجد فيها صعوبة في إكتساب اللغة الثانية، أما إذا كانت لغة المدرسة مخالفة للغة الأسرة فإن للفرد حظوظ أكثر لتعلم اللغة الثانية.²

وإذا نظرنا إلى ما هو متواجد في الأسر المتواجدة في منطقة الأوراس، فإننا نجد هناك اللغة العربية (العامية)، وهناك اللهجة المحلية (الشاوية)، ونادرا ما نجد الذين يمارسون اللغة الفرنسية (يتحدثونها ولا اقصدا معرفتها وإتقانها)، وهذا يعني أن مهما كانت نطق الأسر وممارسة اللغة، فإنه إما أن تكون باللهجة المحلية أو اللغة العربية العامية، وهو مختلف عن لغة المدرسة، مما يجعل أن هناك هوة و فراغ بين اللغة الممارسة في الوسط الاسري واللغة المدروسة والمتعلم بها في الوسط المدرسي(العربية الفصحى)، وهو ما ينعكس على لغة الأفراد والأطفال خصوصا أثناء دخولهم المدرسة لأول مرة، حيث المعاني والألفاظ والكلمات التي يتلقاها تكون منفصلة وبعيدة عن عالم خبرة الطفل السابقة، والتي اكتسبها في الأسرة خصوصا.

ولذلك نجد الكثير من العلماء يفضلون ويستحسنون أن تكون اللغة المستخدمة في الأسرة هي اللغة المستخدمة والمتعلمة في المدرسة، حتى تسهل العملية التعليمية التعلمية للطفل، وتساعد على العملية التواصلية التفاعلية بين محيط الأسرة ومحيط المدرسة، وهذا ما يساعده على التفاعل الجيد، والتواصل المستمر، وفهمه وإدراكه للواقع المرتبط بالمدرسة التي تزيد من خبراته وفعاليته الدينامية التفاعلية.

¹ - المرجع نفسه، ص ص 92-93.

² - Berstein Basil : Op.cit p 381.

تعتبر المدرسة من المؤسسات التي تساهم في الممارسة اللغوية بشكل فعال ومستمر، فهي تعمل على نقل اللغة والمحافظة عليها بطريقة متواصلة للأفراد، ويخول لها الدور الهام في عملية التربية والتعليم، من خلال تربية وتعليم الأجيال المستقبلية القيم والمعايير واللغة والثقافة الوطنية، خاصة من خلال البرامج والمناهج والأهداف المسطرة لهم، فهي تلعب دورا أساسيا وبارزا في تنمية الجانب اللغوي لدى الأفراد منذ المراحل الأولى من الحياة، وبطبيعة الحال لا بد أن يكون ذلك متمشيا مع استراتيجية المجتمع الكبير من أجل المحافظة على الثقافة والحضارة واللغة الوطنية الرسمية، والمدرسة هي مؤسسة تهدف إلى توحيد ذلك من خلال نظام تربوي هادف لما تصبوا إليه الدولة من وحدة وتنمية وتكامل شامل.

4- وسائل الإعلام والاتصال:

لقد أصبحت وسائل الاعلام والاتصال في الوقت الحاضر بفضل ما عرفته من تطور سريع أداة فاعلة ورئيسية في تربية وتوجيه وتكوين الاتجاهات للأفراد والجماعات، وما حدث ويحدث اليوم في العالم من تغيرات، ما هو إلا دليل على الدور المغذي للشعوب، والذي تقوم به وسائل الإعلام والاتصال، وهذا لقدرتها على الاتصال بجميع الأفراد بمستوياتهم المختلفة، فلهذه الوسائل دور كبير في مختلف المجالات " التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي، محو الأمية، تعليم اللغة، التعليم الموازي والدائم،"¹، والذي يرتبط بطبيعة الأنظمة الاجتماعية لكل حضارة، وتعرف وسائل الإعلام بأنها " جميع المؤسسات الحكومية والأهلية التي تنشر الثقافة للجماهير وتهتم هذه المؤسسات بالنواحي التربوية كهدف لتحقيق تكيف الفرد مع الجماعة " ².

فلهذه الوسائل القدرة على التأثير في سلوك الاشخاص وفي شخصياتهم، من خلال ما تبثه من حصص وأفلام ومسلسلات، وكذا لنوع الثقافة باختلافها وتنوعها، وبما أن اللغة جزء من تلك الثقافة فهي بذلك تؤثر تأثيرا كبيرا ومباشرا على اللغة التي يختارها الآباء لأبناءهم من خلال القنوات التي يتابعونها والبرامج المختلفة، سواء كانت إعلامية أو ترفيهية أو تثقيفية، فكلها تساهم في تأثيرات معينة على الأفراد، فيمن كان متحفظ أو رافض الاعتراف بخصوصية الأمازيغ فقد بدأ يسمع إلى الإذاعات المحلية الرسمية التي تذيع باللغة الأمازيغية، وتعيد التذكير بتراث الأمازيغ وتاريخهم وثقافتهم

¹ - دليو فضيل: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 70.

² - عبد الحميد العناني حنان: الطفل والاسرة والمجتمع، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط، 1997، ص 177.

وتقاليدهم، وهذا من خلال الوقت الكبير الذي تحتله وسائل الإعلام من خلال مشاهديها، وكذا من خلال وسائل الإعلام المختلفة (التلفزيون، الراديو، السينما، ...)، والتي تزودهم بالمعلومات وبالتالي تساهم في تكوينهم، فمن خلال " الوسائط يتعرضون للتنشئة الاجتماعية " ¹.

وبالتالي فإن للوسائط التقنية الحديثة للاتصال دور فعال في نشر اللغة، من خلال ما يتم تقديمه بصريا أو سمعيا، فهي تقرب الصلة بين أفراد الجماعة اللغوية، وتساعد بمرور الوقت على تكوين " لغة مشتركة " بينهم، وتعينهم على الفهم السريع، وهو ما يسهل لهم قضاء أهم المصالح والحاجات في شتى مجالات الحياة، ووسائل الإعلام تساهم بشكل كبير في استقرار اللغة وانتشارها وتوحيدها.

فللإعلام دور كبير لما يقدمه من خدمات، فهو يتحمل المسؤولية التاريخية والحضارية لإعداد المشاهد إعدادا جيدا، لأجل مواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية بكل ما تحمله من مستجدات على أرض الواقع، بلغة تجعل المستمع (المشاهد) يرغب في الاستماع لها والتحدث بها، وبهذا فهو يساعد في تعزيز مكانة اللغة في ذهن المتلقي والمشاهد وإشعاره بأهمية الوعي بذلك، ويستوجب في هذا الحقل استعمال اللغة (العربية) في كل مجالات التواصل والعمل على جعلها حاضرة فيها بوصفها لغة تواصل ... وذلك من خلال استعمال العربية في كل البرامج الإذاعية والتلفزيونية. ²

ومهما كانت طبيعة وسائل الاعلام، سواء في البرامج و الثقافة التي تحملها والافكار التي تبثها وكل ما يتعلق بها، لا يكون إلا من خلال اللغة التي بواسطتها يتم فهم محتوى ما نشاهده ونسمعه، خاصة وأن اللغة تعتبر أحسن وسيلة لتبليغ وتوصيل المعلومات للجماهير والتي تكون " لصيقة بآدائها لوظيفتها - التي هي تحقيق التواصل بين الأفراد الناطقين بها والمتداولين لمقاصدهم بألفاظها " ³.

وهذه اللغة تحتوي في داخلها أفكار ومعلومات ومفاهيم وألفاظ، تظهر من خلال الكلام المنطوق، وهذه اللغة المنطوقة خاصة، والتي تندرج في إطار نظام إتصالي أوسع، فهي "تفترض من جهة نظام

¹ - Piaton (G): **Education et socialisation, Eléments de la psycho-sociologie de l'éducation** Toulouse, éd Edouard Privat, 1997, p 148.

² - محمد عناي - مرجع سابق ص 55.

³ - السدي عبد السلام: ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسة بن عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، 1994 ص

قواعد ، إذ اللغة هي التي تحدد طريقة الاستعمال للأداة اللفظية للتعبير عن (الترميز) الحقيقة الخارجية أو الصورة ،ومن جهة أخرى تجسيد هذا النظام على شكل سلوك ملموس ... " ¹.

ونجد خاصة في جهاز التلفزيون والراديو اللغة المنطوقة أكثر حيث تسمع وتفهم مباشرة؛ ويمكن أن نقول أن وسائل الإعلام والاتصال التي تؤثر على الطفل وعلى لغته تتمثل في:

4-1- التلفزيون: إن معظم الذين يتابعون ويشاهدون التلفزيون بكثرة هم الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد، حيث يتابعون ويشاهدون برامج مختلفة وخاصة برامج الأطفال ومن خلال ذلك يسعون ويقومون بتقليد ما يسمعون من كلمات وألفاظ ويكرارها، وهو ما يترك إنطبعا لبعض المفاهيم والمصطلحات في أذهانهم، خاصة إذا وجدت المتابعة والمساعدة من قبل الأسرة، ويكون بذلك قد جعل الأطفال المشاهدين له " أكثر في عدد المفردات وأكثر معلومات عن البيئة من الأطفال الذي لا يشاهدون التلفزيون " ²، وما يزيده تأثيرا وتعلقا أكبر من المشاهدين هو جمعه بين الصورة والكلمة المنطوقة، والأطفال في بدايتهم يستخدمون الكلمات المنطوقة وعلى نطاق واسع، ويكون بذلك يستعمل في حديثه اليومي " كلمات من محصول لغوي، ويحقق قدرا كبيرا من كفايته اللغوية دون أن يعرف شيئا عن قواعد اللغة " ³، وهذا ما يجعل محصول الطفل اللغوي أثناء سماعه للكلمات والألفاظ يزداد ليشكل حصيلة لغوية مقبولة. كما انه عن طريق التلفزيون يتم تخاطب الأفراد والجماعات، ويتبادلون الآراء والأفكار والخبرات مما يجعلهم ينقلون إلى بعضهم البعض المعارف وما يحملون من أفكار، وتلتقي بذلك ألسنتهم وعقولهم وثقافتهم وحضارتهم على اختلافها وتباعد أمكنتها، حيث يسمع بعضهم ويتفاعل معهم ويتجاذب ويتأثر بما يقولون ⁴. ومنها يكتسب الكلمات والألفاظ والعبارات مما يجعل مهاراته اللغوية تتطور بمرور الوقت.

فالتلفزيون في الوقت الحالي أصبح من الوسائل الأكثر تأثيرا على الأفراد وعلى ثقافتهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، خاصة في ظل الهوائيات المقعرة التي أصبحت تغزو العالم بأسره، وما تحمله من نماذج متعددة ومتشعبة وستسافر إلى حيث تشاء ولغة التي تبحث عنها، وأصبح بذلك التلفزيون وكأنه

¹ - Rondly (A) : **Trouble du langage Diagnostic et réduction**, éd, Pierre Mordaga Paris, 1982 p 37 .

² - عبد الحميد العناني حنان ، مرجع سابق، ص 125.

³ - دياب فوزية ، مرجع سابق، ص 57.

⁴ - المعتوق أحمد محمد، مرجع سابق، ص 87.

جزء من افراد الاسرة في التأثير عليهم وتوجيههم، وهو في حال من الأحوال يكاد لا يمكن الاستغناء عنه إطلاقاً.

2.4- الراديو: يقوم هو الآخر بدور في نشر اللغة والثقافة المتعلقة بمنطقة أو مجتمع ما، حيث يقوم بضخ الألفاظ اللغوية لدى الجماهير المختلفة إلى درجة أنه أصبح " أعظم الوسائل في نشر اللغة.."¹ خاصة وأنه أصبح مستعمل ومستخدم لدى شرائح كبيرة وواسعة من الأفراد، ومما يجعله يمد الناس خاصيتهم وعاميتهم بما يزيد من إثراء الألفاظ اللغوية قديمها وحديثها، فصيحها وعاميتها.

ويمكننا القول بأن جهازي التلفزيون والراديو من الوسائل المهمة والفاعلة في نقل اللغة والثقافة إلى الأفراد، وذلك بإمدادهم بالألفاظ والكلمات والجمل، والتي لا شك أن لها الأثر البالغ في نفوسهم وأذهانهم، وهما بذلك يساعدان ويساهمان في " توحيد وتجميع اللغة خارج المستوى المحلي أو الطبقي "². ويكون هذا من خلال ما يقدمانه من برامج ناطقة بلغة ما والتي تنال إعجاباً وقبولاً لدى الأطفال خاصة، كما أن كلاهما يعتمد على توظيف الكلمة المنطوقة، والتي ما تزال تحظى بخواص صوتية تمنحها وتعطيها قوة التأثير والتفاعل خاصة بين طرفي الرسالة، المرسل والمستقبل ويكون بذلك أكثر تأثيراً وتغلغلاً في ذهن المستمع³.

إذا فكل من التلفزيون والإذاعة مؤسستين اجتماعيتين من مؤسسات الممارسة اللغوية تساهمان في التأثير على الأفراد، من خلال ما تقدمانه من برامج بصرية وسمعية، وخاصة عندما تكون اللغة التي تبث بها البرامج هي نفسها أو فيها أغلب الألفاظ والكلمات والعبارات التي تتداول وتستعمل من قبل المتابعين والمشاهدين للبرامج التلفزيونية والإذاعية، هما أدوات التواصل الحي والفاعل المؤثر في وجدانهم وعقولهم والموجه لأفكارهم واتجاهاتهم وتصوراتهم.

وكذا إن للانترنت أهمية كبيرة في تزويد الفرد بحزمة من الكلمات، من اصقاع المعمورة، وتصح أن تكون هذه الوسيلة بحق " ملتقى اللغات واللهجات "، فهي سوق لغوية واسعة النطاق والاستعمال، إذ تمكن الأفراد من التواصل والتخاطب وتبادل المعلومات والأفكار، وهذا لن يكون الا من خلال اللغة، فبالنسبة للغة العربية بوصفها فرصة للإقلاع والنهوض، لذا يقتضي استغلال هذه الشبكة من

¹ - المرجع نفسه، ص 90.

² - ياي ماريو، مرجع سابق، ص 213.

³ - بشير كمال محمد: العلاقات الانسانية والاعلام، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1984، ص 197.

خلال توطين اللغة العربية في مجتمع المعلومة والمعرفة، وكذا الاقتصاد الجديد المرتبط بأنشطة الشركات المتخصصة في الثقافة الجديدة للتواصل والانترنت والمعلومة، وعليه لابد من التشجيع على التواصل واستعمال الانترنت باللغة العربية، لأن هذه التكنولوجيا تعتبر فرصة للغة العربية في الألفية الثالثة (حضورها في محركات البحث في شبكة الانترنت، وحضورها عبر الجرائد الالكترونية، ووجود نصوص ومواقع لا بأس بها على الشبكة ...)، ويعتبر هذا المعطى من الأدوات الرافعة للغة العربية، وذلك بمقتضى جعله للغة مسايرة العصر وتطوره.

وعليه فإن الانترنت تفرض على الفرد ممارسة لغوية معينة، حتى يتمكن من البحث والتواصل المعرفي وفق احتياجاته، ونشير كذلك إلى أن هناك وسائل أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها وهي السينما والإعلام الآلي والمسرح والتي لها القسط في التنقيف وفي اللغة التي تلقى بها.

5- المسجد: يعتبر المسجد المكان الذي يجتمع فيه جميع شرائح المجتمع وهو يؤدي أدوار عديدة تنطوي تحت راية العبادة التي أمرنا الله عز وجل بها، فهو يساهم في تربية وتعليم الفرد بشكل كبير، ويسعى إلى تعديل سلوكيات الفرد وتوحيد الأمة نحو أهداف نبيلة وشريفة، ومما لا شك فيه أن جل الأدوار التي يقوم بها المسجد مستتبطة من القرآن والسنة، ومن المعلوم أن القرآن الكريم الذي هو للناس كافة نزل على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، وهذا يعني أنه نزل باللغة التي كان يتكلمها ويفهمها محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وهذا مورد في قوله تعالى "ألر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " ¹، وقال أيضا " وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا " ²

وهناك العديد من الآيات تثبت ذلك، ففي حقيقة الأمر هذا القرآن هو معجزة الرسول (ص) في كل ما ورد فيه من ألفاظ ونظمه، وحين نزل القرآن الكريم كانت " اللغة العربية قد بلغت أوجا من تطورها ونضجها، ووصلت قمة ما وصلت إليه الفصاحة والبلاغة والبيان، وكان العرب يعتزون بفصاحتهم أيما اعتزاز، ويتفاخرون ببلاغتهم أيما افتخار " ³.

¹ - القرآن الكريم ، سورة يوسف : الآية 2

² - القرآن الكريم ، سورة طه: الآية 113.

³ - عبد العالي الودغيزي : اللغة والدين والهوية، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2000، ص ص 19 - 20.

ومنذ ذلك الحين ازداد التعلق بهذه اللغة والتمسك بها، وبطبيعة الحال هذا الدور مسند للعلماء والمساجد، فكان للمسجد دور فعال في نشر اللغة العربية عن طريق ما يقدمه الأئمة والخطباء من دروس واعظة في مجال الدين، وهذا يستلزم اللغة المناسبة لذلك، وهي اللغة العربية التي تبقى لغة القرآن الكريم، ودائما يسعى الفرد الذي يطمح في الاخذ من الدنيا والآخرة أن يتعلم ويتعظ بالفضائل عن طريق هذه اللغة، التي يتعامل بها المسلمون في جل المساجد، وحتى تعليم الأطفال القرآن وتحفيظه لهم يتم باللغة العربية، فلا يمكن لنا أن ننفي الدور القائم للمسجد في النمو اللغوي لدى الفرد في مختلف مراحل حياته، وهذا نظرا للارتباط اللغوي المهم للأهداف والأدوار التي ينبغي للمسجد أن يؤديها فهو لا يقل اختلافا عن المدرسة في إثراء الفرد باللغة التي ينتسب إليها.

6- جماعة الرفاق: لا يمكن للطفل أن يبقى قابعا في بيته طوال الوقت، فهو بطبعه يحب الحركة، ومع مرور الزمن وتقدمه في السن يحاول ويبدأ الخروج إلى خارج المنزل، وهنا يبدأ بالالتقاء مع أفراد آخرين، سواء من أقربائه أو أبناء عشيرته، وغالبا ما يكونون من أمثال سنه أو متقاربين، ومن هنا يبدأ التعلم والبحث عن الأشياء التي لم يجدها في الأسرة وأهم ما يصبوا إليه هو اللعب مع أقرانه، وبما أن الجماعة في مفهومها هي: "جملة أفراد أو أشخاص تربط بينهم علاقات متبادلة ومتداخلة ويضمهم وعي، ولا يمثل دخول فرد فيها زيادة عددية وحسب، بل تغيرا كينيا فيما يخص تأثيراتها الوظيفية السلوكية فيه" ¹.

وإذا قلنا هذا لا يعني أن جماعة الرفاق متمركزة أو موجودة عند الأطفال فقط، فهي تكبر كلما كبر الفرد، واتسعت مجالات احتكاكه وتفاعله، ومما يجعل اكتسابه لبعض السلوكات أو تعديلها أمر وارد، وبالتالي فإن هذه الجماعة سيكون لها تأثير على لغة الطفل أو الفرد، فهي بذلك تقوم بدور تربوي وأثر هذه الجماعة يكون أكثر بروزا، من خلال ما توفره من فرص وظروف لا تتوفر في جماعات أخرى كالأسرة والمدرسة...، ومنه تقوم جماعة الرفاق "بدور هام في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي تؤثر في قيم وعادات واتجاهات الاطفال وحتى الكبار..." ².

ويتضح من هذا التعريف أن لجماعة الرفاق دور وتأثير في ما يكتسبه الطفل، خاصة في مجال اللغة، حيث تدور جميع مراحل الحديث ووسيلة للتواصل فيما بينهم، وهذا ما يجعل جماعة الرفاق لها

¹ - الشربيني زكرياء ويسرية صادق، مرجع سابق، ص 128.

² - المرجع نفسه، ص 129.

تأثير كبير في الجانب اللغوي، لأن الطفل إذا أراد الاحتكاك والتواصل معهم لابد أن يتقن اللغة التي يتحدثون بها، وإذا كان العكس فيفرض عليه تعلم لغتهم حتى يتمكن من الاندماج والتعامل السهل معهم.

ومنه فلجماعة الرفاق دور لا يتعدى دور الأسرة ومؤسسات الممارسة اللغوية الأخرى، وهذا طبعا يتوقف دائما على الخلفية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي تتكون منها تلك الجماعة من الرفاق (الأصدقاء)، وتتعد هذه الجماعات فقد تكون جماعة رفاق الشارع، جماعة رفاق المدرسة، جماعة رفاق اللعب، جماعة العمل، ...

وقد قام " برنشتاين " ¹ بتقسيم جماعة الرفاق إلى الحالات السابقة، حيث يرى أن لكل جماعة من هذه الجماعات لغتها الخاصة، وذلك حسب الجماعة المتواجد فيها، أي أن اللغة المتداولة والممارسة عند أي جماعة من تلك الجماعات، بحيث تكون لغة الحديث هي لغة تلك الجماعة، وهو ما يجعل أن اللغة التي اكتسبها الطفل في الأسرة قد تكون كاللغة التي يجدها عند جماعة الرفاق (أي لغة مشتركة) وقد تكون اللغة التي اكتسبها في الأسرة تختلف عن تلك الموجودة في جماعة ما، وهنا يضطر لأن يستعمل لغة الجماعة المتحدث بها، أي أن الموقف الجماعي إن صح القول عليه والمتواجد فيه يفرض عليه طبيعة اللغة الممارسة والتي ستكون لغة الحديث فيما بينهم.

ومنه نستخلص أن لجماعة الرفاق (الأصدقاء، الأقران، ...) دور بارز في التأثير على اللغة الممارسة من قبل الأفراد داخل هذه الجماعات، وهو ما قد يفرض إكتساب لغة ثانية للبعض، وقد تتعدد عند البعض الآخر، وهنا تتجلى وتتضح رغبة الجماعة في تحديد اللغة الممارسة من قبل المنتمين إليهم.

¹ – Berstein (Basil) : Op.cit, p 381.

خلاصة :

وفي الأخير يمكن أن نستخلص مما سبق التطرق إليه من تأثير اللغة والمؤسسات الممارسة لها (الأسرة - دار الحضانة - وسائل الإعلام والاتصال - جماعة الرفاق) وما لهذه المؤسسات من دور فعال وتأثير كبير على اللغة التي سوف يكتسبها ويتحدثها الأطفال الأفراد، وهذا حسب المراحل المختلفة للنمو عند الأطفال، وحسب تواجدهم داخل كل مؤسسة والعلاقة اللغوية والممارسة داخل كل مؤسسة، ابتداء من احتضان الطفل في الأسرة إلى المجتمع الكبير، وهذا ما يجعل درجات التأثير تختلف حسب كل مؤسسة وكذا حسب الظروف المختلفة للأفراد أنفسهم (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، ...)، وأحيانا إلى طبيعة ونوعية اللغة الممارسة في تلك المؤسسات (هل هي ذات قيمة ؟ هل تحقق وظائف معينة، هل تساهم في الارتقاء والتميز الاجتماعي ؟ ...

حيث هذه العوامل تجعل اللغة الممارسة والمتعلمة داخل تلك المؤسسة من المؤسسات السالفة الذكر، هي لغة التواصل والحديث ولغة الوجدان...

كما أن التباينات في عملية الممارسة اللغوية من مجتمع لآخر، يتجلى ويكون أكثر وضوحا خاصة من خلال التغيرات التي تحدث في القيم الاجتماعية أو قيم المنهج الدراسي، أو القيم التربوية أو القيم الاقتصادية، وكذا إلى القيم التي تبث من خلال وسائل الاتصال المختلفة، حتى أن هذه التباينات في الممارسات اللغوية، ستختلف من مكان لآخر ومن جيل إلى جيل، وهذا يعود للتباينات في الأنظمة المختلفة والثقافات المختلفة والتفاوت في المستوى الحضاري والاقتصادي ...)، ويتضح ذلك من خلال المكانة التي يحتلها كل فرد من مجتمع لآخر، والممارسة اللغوية لا يمكن أن تخرج بصفة عامة عن الإطار العام للغة التي يتحدث بها المجتمع الكبير، وتعمل الأنساق المختلفة على التأثير في اللغة الممارسة، كما أن جل هذه المؤسسات هي عبارة عن سلسلة يكمل كل واحد منهما الآخر، وهي متداخلة فيما بينها فهي تهدف إلى الوحدة الوطنية، الوحدة اللغوية الوحدة الدينية، ... وبالتالي فكل مؤسسة لها الاثر في تعلم اللغة وممارستها.

الفصل الخامس

المشهد اللغوي في الجزائر

- رؤية سوسيو تاريخية -

تمهيد :

إن التمثلات التي يحملها الأفراد عن لغة ما، تؤدي دورا أساسيا في تطور الحالات اللغوية وعليه فإن نجاح أي سياسة لغوية يستدعي أن تكون متوازنة مع رؤى الناس ومتماشية مع تطلعاتهم المادية والرمزية « وتتشكل التمثلات من مجموع الصور والمواقف الإيديولوجية والمعتقدات لدى المتكلمين عن اللغات الموجودة والمستعملة، كما أنها تغذي الوقائع وتؤثر فيها، وتحدد الممارسات اللسانية، إنها بمثابة رؤية وأفكار وتمثل المتكلم - فردا وجماعة - لممارسته وممارسات الآخرين اللغوية والتي تتمظهر في الأفكار الجاهزة أو المقولبة، والمواقف اللسانية وغياب الأمن اللغوي¹.

وفي هذا الفصل نتناول الأوضاع اللغوية في الجزائر - رؤية سوسيو تاريخية - وهذا من خلال التطرق إلى الأمازيغ واللغة التي يتحدثونها، والتي تعتبر اللغة الأصلية للسكان خلال الحقب التاريخية السابقة، وبها يتم التواصل والتفاعل لتحقيق الغاية بين بني البشر، وهذه اللغة لا تزال مستعملة ليوما هذا من قبل الأفراد في الشمال الإفريقي عامة وفي الجزائر خاصة، ورغم ما قيل عن هذه اللغة (الأمازيغية) فهي لا تزال ممارسة لدى بعض الأفراد والجماعات وبصورة متفاوتة من منطقة لأخرى ومن بلد لآخر.

وبما أن دول الشمال الإفريقي تعرضت خلال فترات التاريخ المختلفة إلى دخول الأجانب، سواء إستعمارا أو هجرة أو تجارة... إلخ .. فلا شك أن لهذا أثر على واقعها ووضعها اللغوي، وهو ما يجعل الوضع اللغوي غير مستقر والجزائر واحدة من هذه الدول

وعليه فقد تطرقنا في هذا الفصل إلى التعريف بالأمازيغ وأصلهم واللغة أو اللهجة التي، يتحدثونها، ثم تطرقنا بعد ذلك إلى الوضع اللغوي في الجزائر قبل الإسلام، وبعدها وضحنا الترابط الوظيفي بين الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر وكذا الدور الذي لعبه الإستعمار الفرنسي في سياسة فرنسة، المجتمع وأخيرا تطرقنا إلى الوضع اللغوي في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال التعدد اللغوي والبيئات اللغوية الموجودة في الجزائر.

ورغم ما قيل عن اللغة في الجزائر إلا أن الوضع اللغوي فيها يتسم بالتعدد اللغوي.

¹ - محمد غنאים: مرجع سبق ذكره ، ص59.

1- الأمازيغ واللغة:

1-1 الأمازيغ أو البربر:

إن كلمة الأمازيغ قد عرفت إستعمالات عديدة وتطورت إستخداماتها عبر السنين وتعني «لغة من فعل ازيغ أو يوازغ بمعنى غزا أو أغار، وإصطلاحا تعني الأحرار وتشير إلى الرتبة الإجتماعية الوسطى بين الفئة العليا المكونة من الشرفاء والمرابطين والفئة الدنيا في المجتمع».¹

وهذه الكلمة استعملت حديثا، وفي السابق كانت عادة تستعمل كلمة «البربر» حيث استعملها الرومان أثناء تواجده، وهذا إطلاقا على سكان المنطقة (شمال إفريقيا)، واعتبروهم خارجون عن القانون وهمجيون، وهذا نظرا لدفاع سكان المنطقة عن أراضيهم وشرفهم، وقد أشار أيضا "ابن خلدون" إلى هذه التسمية حيث يرى أن «إفريقس ابن قيس ابن صيغي من ملوك التابعة لما غزى المغرب وإفريقيا، وقتل الملك جريس وبنى المدن والأمصار فباسمه زعموا سميت إفريقية، وعندما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعي إختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال: ما أكثر بربرتكم والبربرة بلسان العرب هي إختلاط الأصوات غير المفهومة».²

وهو ما يعني أن هذه الكلمة تطلق على سكان شمال إفريقيا، ويسمون كذلك الأمازيغ والتي تعني على المستوى المعجمي «يعني في الترقية مثلا «امهاغ» بمعنى «المستلب» وفي الشلحية «امرير» بمعنى «الشاعر».

وهذه الكلمة أمازيغ مصدر من «مزغ» بمعنى وثب ونزغ إلى التحرر».³

مصطلح البربر: لعل مصطلح البربر، ليس كمصطلح الامازيغ، في الدلالة، أو المعنى التاريخي له، وهو ما يجعلنا أحيانا، نتصرف في هذه المصطلحات في عمومها، أنها تدل على شيء ما، والحقيقة أنها محكومة بتوجهات ونزعات ناشريها - سلبية في العادة - وان مصطلح البربر، تعود جذوره وبداياته، إلى الحقبة الإغريقية والرومانية بعدها، حيث "سمى اليونانيون القدامى، كل من لا يتكلم بالاغريقية من الاعاجم - باربروس-، ثم استعار الرومان نفس المصطلح، فاطلقوه على الأجانب

¹ - صالح بلعيد، مرجع سبق ذكره، ص 31.

² - ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ العلامة ابن خلدون، المجلد 6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1968، ص 113.

³ - بلعيد صالح، المرجع السابق، ص 17.

الخارجين عن طاعتهم ،والرافضين لأفكارها الاستبدادية ، ونفوذها العسكري ،والامازيغ -حسب
شهادات تاريخهم القديم - تمردوا على الحكم الروماني ورفضوا سيادته عليهم ، وعليه نعتوا من قبله
بـ "Barbari"¹

وقد اشار "شارل اندري جوليان" الى ان البربر " لم يطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ،بل أخذوه من دون
أن يروموا استعماله عن الرومان، الذين كانوا يعتبرونهم أجنب عن حضارتهم ،وينعتونهم بالهمج،
ومنه استعمل العرب كلمة برابر، وبرابرة"²

فالاستعمار الروماني لما سمى الامازيغ بالبربر، تلقى عنه هذه الكلمة ، بعض تلامذة الأجانب ،
واتخذوها وصمة عار على اللغة الامازيغية ، ويقولون أنها ليست لغة ، وإنما هي لهجة بربرية ،تكلم
بها جماعة من الوحوش المتبريرة ، لذلك لا تستحق النظر والبحث عندهم ، وعلى هذا المبدأ ،تمرد
أولئك التلاميذ على اللغة الامازيغية ، وأرادوا أن يوهموا العالم أنها ليست لغة ، وإنما هي أصوات
مبهمة..."³

"وصنف الإغريق كل من لا يتكلم اللغة الاغريقية، الغرباء، في صنف البرابرة
المتوحشين(Barbaroi)، واستعار الرومان هذه اللفظة بمعناها (Barbarus)، أي الغريب..، واصل
كلمة (Barbaros) كترجمة للغريب، تهمل جانبا من المعنى، لان لفظ البرابرة، كان يعني بإعادة
الكلمة إلى أصولها" من لا يتكلم "، لأنه لا يتكلم الإغريقية، ولا يستطيع أن يصدر إلا صوتا هو أشبه
بالضجيج من الكلام، أو " غمغمة " أو " قرقرة " أي باختصار، شيئا يمكن أن يكون على سبيل
السخرية، محاكاة لصوت من أصوات الطبيعة ، مبني على تكرار مقطع يشب صوته صوت الأطفال
(بر) (بر)، مما يعطي " بربر (وس)"، وسوف تأخذ اللغات الرومانية هذا اللفظ بهذا المعنى...وان
مفهوم البربرية في أصله، مفهوم عرقي لتمييز اللغة الإغريقية " "⁴

¹ -التجاني بولعوالي :الإسلام والامازيغية، نحو فهم وسطي للقضية الامازيغية ،إفريقيا الشرق ، المغرب ،2007، ص71.

² -شارل اندري جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية ،ترجمة/محمد مزالي و البشر سلامة ،الدار التونسية ، 1969، ص12

³ - التجاني بولعوالي، المرجع السابق ، ص ص 72-73.

⁴ - لويس جان كافالي، مرجع سبق ذكره ، ص ص 102-103.

والأمازيغ يطلق على السكان الذين يعيشون في «أقاليم تمتد من البحر المتوسط إلى جنوب النيجر، ومن النيل إلى شاطئ المحيط الأطلسي... ويتكلمون لغات مشتقة من لغة أم هي: تمازيغت (البربرية)»¹.

وبالتالي فإن الأمازيغية هي لغة سكان «إيمازيغن» ، وهم سكان «استقروا منذ العصر النيوليتي في فضاء جغرافي يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى النيجر ومن المحيط الأطلسي إلى الحدود الليبية المصرية»².

ويتجلى لنا من خلال هذا، أن الأمازيغ يتوزعون على مناطق كثيرة، وهو ما يعني أن هناك أعداد لا زالت ناطقة- بل ناطقة- بهذه اللغة، وخاصة في شمال إفريقيا ،وهي موجودة في كل من الجزائر - المغرب- ليبيا- موريطانيا- تونس- الصحراء الغربية، ولكن استعمالها في الحديث بها في مجالات مختلفة من الحياة والممارسات التجارية يتفاوت من بلد لآخر، فهناك نسبة كبيرة من المجتمع فيه يطالب بتفعيل هذا اللغة على المستوى المحلي في شتى المجالات ،وهناك من يعارض ذلك ،وهناك من يلتزم الصمت حيال ذلك .

1-2- أصل الأمازيغ:

الأمازيغ هي من الأسماء ذات الشأن في تاريخ البربر العريق وإسم «أمازيغ» ورد بصيغ متعددة منها «مازيس»، وكان يطلق على شعب قوي أقلق الرومان كثيرا بالثورات، كما تذكر المصادر البيزنطية على أنه كان يطلق على أهل إفريقية³.

وقال المؤرخ «أندري جوليان» أطلق هذا الاسم على قبائل عديدة وقبيل الاحتلال الروماني وقال «رسل» " والجدير بالملاحظة أننا نعرف من المكتشفات الحديثة أن اللوبيين كانوا يطلقون على

¹ - سرياك لحسن: الهوية الأمازيغية، الجزائر في أصول البشرية، ثلاثون قرنا من التاريخ، بدون دار النشر، الجزائر، 2003، ص 24.

² - الغربي المصطفى: الفرنكفونية والتعريب وتدریس اللغات الأجنبية في المغرب، ترجمة محمد اسليم، مطبعة سندي، مكناس (المغرب)، ط1، 1994، ص13.

³ - محمد المختار العريايوي: في مواجهة البربرية وأخطارها الإنقسامية، بيت الحكمة، بغداد، ط1، 2002 ص8.

أنفسهم إسم «أمازيغ» المعروف عند اللاتنيين ب«Mazax»، فإسم «أمازيغ» إسم حقيقي كان شائعاً في العهدين الفينيقي والروماني¹

ويصنف البربر في المصادر العربية والإسلامية إلى جذعين كبيرين هما «البرانس» أبناء برنس «والبتر» أبناء (مادغيس)، وابن خلدون يرى أن سكان الأمازيغ «... يجمعهم جدمان عظيمان وهما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالابتر، ولذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا أبناء برنس، وذكر ابن خزم عن أيوب بن أبي زيد.. أنهما لأب واحد»²، ويرى «ابن حزم علي بن أحمد» في نسب البربر بقوله «... إنهم من بقايا أولاد حام بن نوح- عليه السلام- وأدعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان، وهذا باطل لا شك فيه»³.

وما نلاحظه في هذا أنهم يرجعون نسب الأمازيغ إلى العرب، أي أنهم من أصول عربية(مشرقية بالخصوص) ، وقد تمت الهجرات من بلاد الحضارات إلى المغرب خصوصاً لأجل تعمير الأرض، وهجرات خاصة من اليمن، وقد أشار أصحاب هذه النظرية إلى التفاوت اللساني بين اللهجات اللسانية الحالية، والتي مازالت مستعملة ومتداولة ، وخاصة اللهجة الشاوية المتداولة في المنطقة الشرقية للجزائر، واللهجة اليمنية المتداولة في اليمن الحالي (منطقة حضر موت بالتحديد)، وإلى وجود الصلات اللغوية بين اليمنيين حالياً في عمان، وعند الاباضيين في الجزائر، وإلى التشابهات في الفنون والعادات ، وخاصة الرقص المتقارب بينهم بصورة كبيرة⁴.

وقد تعمم اسم كلمة البربر « إن هذه الشعوب الخمسة (صنهاجة ، مصمودة، زناتة، هواره، غمارة) المنقسمة إلى مئات السلالات ، وآلاف المساكن تستعمل لغة واحدة تطلق عليها -أوال أمازيغ - أي الكلام النبيل بينما يسميها العرب البربرية»⁵.

¹ - المرجع نفسه ، ص 09.

² - ابن خلدون عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 176.

³ - صالح بلعيد، مرجع سابق ، ص 20.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 23.

⁵ - محمد المختار العريايوي، مرجع سابق، ص 10.

ونجد أن هناك الغربيين ينسبون (يرجعون) أصل الأمازيغ إلى الجنس الآري، حيث يرى «Dupont» أن «الأمازيغ هم من جنس آري، هاجر من نواحي الكنج بالهند».¹

ويرى البعض منهم أنهم من أوروبا الشرقية، ويستندون في ذلك إلى السمات العامة للرجل البربري، حيث يرون بأنهم (جنس أبيض يتواجدون في سيوا بمصر، وشمال إفريقيا...) وهناك من يرى بأنهم من هنود أمريكا.²

وعلى كل حال مهما كانت هذه التفسيرات والنظريات التي تقسم بموجبها أصل الأمازيغ إلى صنفين اثنين، صنف يرجع الانتماء الأمازيغي إلى العرب، وصنف يرجع الانتماء الأمازيغي إلى الغرب، فالشيء الأكيد أن الأمازيغ أمة لها حضارتها ولها وجودها في التاريخ.

وبما أن المغرب العربي لا يخرج عن إطار الأمازيغ (في الأصل)، فإن أصله وبناء على ما سبق يمكن تصنيفه كذلك إلى صنفين:³

-صنف يرى أصحابه أن أصل سكان المغرب من اليمن، ويعتمدون في ذلك على التاريخ.

-والصنف الثاني يرى أن أصل سكان المغرب هو مزيج من أجناس مختلفة لسكان البحر الأبيض المتوسط ويعتمد على الخصائص الفسيولوجية.

«وإن كلمة امازيغ عربية مبنية ومعنى، فضلا على أنها دليل آخر يضاف إلى تأكيد الأصل الشرقي العربي القديم»⁴

ومن الأسماء التي أطلقت على شمال إفريقيا قديما هناك اسميين إثنين:⁵

1- اللوبي: هو اسم ظهر للمرة الأولى في الوثائق المصرية في القرن (13 ق.م) ويبدو أنه انتقل عن طريق الفينيقيين إلى الإغريق الذين كانوا أول من أطلق على سكان شمال إفريقيا، وهذا راجع إلى مكانة القبائل اللوبية وزعامتها القبائل الأخرى، وعن الإغريق أخذ الرومان هذه التسمية.

¹ - الجبالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 1، بدون سنة، ص 35.

² - بلعيد صالح، مرجع سابق، ص 25.

³ - بوقرة بلقاسم: من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد، التاريخ الاجتماعي للجزائر تحت المجهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 ص ص 13-14.

⁴ - محمد المختاري العريايوي، مرجع سابق ص 14.

⁵ - المرجع نفسه، ص ص 25-26.

2- البربر: وهو اسم عربي قديم ليس خاصا بسكان شمال إفريقيا وحدهم، بل وكان يطلق أيضا على جماعات في العراق وشرقي إفريقيا، ولا علاقة له بكلمة «Varvaras» اليونانية، ولا كلمة «Barbarus» اللاتينية، وكلمة البربر التاريخية إكتسبت قيمتها التاريخية منذ مجيء العرب المسلمين، حيث صارت منذ ذلك الوقت علما متميزا يطلقه الناس جميعا على سكان شمال إفريقيا. وهناك وجهات نظر مختلفة إلى أصل الأمازيغ، وبهذا فإنه من الصعوبة التحديد الدقيق للمسألة اللغوية، وهو ما يجعل منها قراءات كثيرة، وأحكام قد لا تستند إلى أدلة علمية، وبالتالي قد تكون المنطلقات أيديولوجية، وسياسية، صرفة في النظر لهذه المسألة، ويكون غياب الوثائق خاصة بهذه المسألة هو أحد أسباب هذه التوجهات، وهناك عدة قراءات ومعالجات لهذه المسألة اللغوية يمكن تصنيفها إلى الآتي:¹

1- تيار عروبي ديمقراطي: ويرى هذا التيار أن الأمازيغ أصلهم عربي هاجروا من فلسطين إلى إفريقيا الشمالية بعد هزيمة (جالوت الفلسطينيين)، ويرى أيضا أن اللغة الأمازيغية هي أحد فروع، اللغة الكنعانية القرطاجية، ويقر بأن اللغة العربية هي اللغة الموحدة للأقطار العربية، ويعطي إمكانية تدريس الأمازيغية كرافد ثقافي قديم في المؤسسات الجامعية (المتخصصة)، وتدريسها في المدارس كلغة وطنية ثانية، مع كتابة حروفها عربيا أو أنها تحتفظ بشكلها الأصلي بعيدا عن مجالات ربطها (الأمازيغية) باللاتينية.

2- تيار عروبي دكتاتوري: وهذا التيار يوجه تهم للعرب الأمازيغ بالإنحراف عن الخط الأصل، والتبعية لأطراف خارجية، ويرفض (يدحض) خصوصية الثقافة الأمازيغية ضمن مفهوم وحدة المغرب العربي الكبير دون معالجة هذه المشكلة.

3- تيار أمازيغي ديمقراطي: وهو تيار يؤمن بالإسلام والعروبة كمكون هام للشخصية البربرية، إلا أنه يفسح هامش حرية التعبير عن خصوصيتهم الأمازيغية في إطار التعددية الثقافية ضمن وحدة المغرب العربي الكبير، ويؤمنون بأن العربية هي اللغة الموحدة وهي اللغة الرسمية والقانونية.

¹ - عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب (إشكالية التعددية اللغوية)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 1999 ص ص 9-10.

4- تيار أمازيغي غرائزي: وهو التيار الذي يؤمن باللغة الأمازيغية كلغة موازية للعربية الرسمية، ويقولون بأن الأمازيغ هم أصحاب الأرض الأصليين، وأن العرب غزاة وأن أصول اللغة الأمازيغية مرتبط بالغة اللاتينية، ويدعم كتابة الأمازيغية بهذه الأحرف.¹

ويقول "عبد الله العروي" في ذلك "معظم السكان متكونون من خليط استقر ببلاد المغرب، إبان العصر الحجري الحديث، من أصل مجموعتين قادمتين كلتيهما من شرق البحر الأبيض المتوسط بآسيا الغربية، ولكنهما دخلتا إلى المغرب عن طريقتين مختلفتين، أحدهما في الشمال الشرقي، حيث مال بها إلى البياض، والآخر في الجنوب الشرقي، بعد أن قام بدورة كبيرة في إفريقيا الشرقية، حيث تهجن بالسود، وأيا كانت درجة الصحة العلمية في هذه النظرية، فالملاحظ أنها لم تعد مستبعدة للبحث في الاتجاه إلى أصل غربي، أو شرقي للسكان كلهم، إنها تسجل التنوع الحالي، وتسقطها حتى على أزمنة ما قبل التاريخ، غير أن الأبحاث في لغة وثقافة قدماء البرابرة، آخذة في ترجيح الكفة في اتجاه الشرق" ²

1-2-1 الكتابة البربرية(اللوية والتيفناغ):

إن أول كتابة ظهرت في الحوض الغربي للمتوسط، هي الكتابة الفينيقيّة، ومنها أخذت الكتابات(اليونانية واللاتينية)، واستعمل البربر في تاريخهم القديم هذه الكتابات الثلاث، إلا أنهم لم يقتصروا عليها، فقد استعملوا كتابة أخرى هي الكتابة البربرية، وهي مكتوبة من خطين هما الخط اللوبي وخط التيفناغ ³

أ- **الخط اللوبي:** اكتشف في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وما أن اكتشف هذا الخط حتى انصب اهتمام الباحثين عليه، فجمعوا المئات من نقائشه وحفظوا صورها في مدونات مهمة منها (مدونة الباحث (J.Bchabot) المعنونه بـ «مجموعة نقوش ليبية Recueil des inscriptions Libyques»، وبلغ ما جمع فيها من صور النقاش 1125 صورة)، ومن بين النقائش المكتشفة نقاش مزدوج منها ما هو للغة البونية والليبية، ومنها ما هو باللغة اللاتينية واللوية.⁴

¹-المرجع نفسه ، ص10.

²- عبد الله العروي: تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة/ذوقان قرطوط، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 1977، ص19.

³- المرجع نفسه ، ص34.

⁴- محمد المختار العرياوي، المرجع السابق، ص36.

وقد كانت هذه النقائش منتشرة في بلاد المغرب خاصة المغرب والجزائر وتونس بغض النظر عن الجهة التي تتوافر فيها النقائش أكثر من غيرها ،وهي نقائش كثيرة تصل بها بعض المصادر إلى 1300 نقيشة، وأغلبها خاص بالضرائح ولا تتعدى اسم الميت وأبيه.

وقد كتبت هذه النقائش من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ومن أسفل إلى أعلى ،ومن أعلى إلى أسفل، وقد أدى عدم الانتظام هذا إلى تغيير في بعض الحروف، ولا يزال جانب من النقائش مستعصيا على الفهم¹.

«وعليه فإن الكتابة «اللوية» استعملت استعمالا ضيقا للغاية، فقد كانت هامشية مفتقرة منذ الوهلة الأولى إلى الدوافع التي تجعل منها الأداة الأساسية للتدوين والتعبير الحضاري ، ولذا كان الأدباء والكتاب ورجال السياسة من البربر يتوسلون في ميدان الثقافة والمعاملات باللغة الفينيقية واليونانية واللاتينية ، وهو ما يجعلنا نستنتج أن البربر في تلك العهود الغابرة لم يتبنوا هذه الكتابة بصفة أساسية²»

إلا أنه وبدخول البربر الإسلام فقد تبنا العربية (خاصة منذ القرن الثاني للهجرة- الثامن الميلادي)، عندما بسط الفكر الخارجي الشرقي من «صفري» و«إياضي» على المنطقة، وهو ما ساعد على انتشار العربية، وقوى من حركة التعريب التلقائية «فعلماء البربر الأوائل كالإياضيين، ومن جاء بعدهم كانوا يكتبون بالعربية، وإذا ما اضطروا للكتابة بالبربرية فبحروف عربية، وذلك في مسائل يغلب عليها الطابع الديني والفقهني بقصد تقريبها من الفهم لبعض الجماعات البربرية حرصا على إكمال إسلامهم³»

وعموما فانه في الشمال الافريقي " استعمل الافريقيون القدامى (قدماء البربر)، منظومة كتابية ، هي الخط الليبي ، الذي انبثق منه تيفناغ التوارق، اذ النقوش الليبية والتيفناغ القديم، عثر عليهما في مناطق هي اليوم مستعربة تماما، وكانت هذه الكتابة ، في المناطق الشمالية من بلاد البربر ، وعلى الخصوص الساحلية منها...⁴ " ولعل الكتابة الليبية في تلك المناطق طواها النسيان عند اهلها

¹ - محمد المختار العريايوي، المرجع السابق، ، ص.37.

² - المرجع نفسه، ص.38.

³ - 4 - عقون العربي: الامازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصول والهوية ، التتوخي للطباعة والنشر ، الرباط ، المغرب ،

ط 1 ، 2010 ، ص 10

،وعلى الخصوص عند حلول الالفباء العربية مع انتشار الإسلام في القرن - 17 - ، أما في المناطق الصحراوية البعيدة عن المنافسة ، فقد ظلت محفوظة ..¹

ب- **خط التيفناغ:** وهو الخط الذي كتب به «الطوارق» بربر الصحراء إذ كان الخط الذي يكتب به منذ العقود القديمة، ولا يزال هذا الخط حتى في عصرنا هذا يحتفظ به، إلا أن هذا «الحفظ لم يكن بذی بال، إذ ليس للطوارق تراث ثقافي بهذا الخط، فأدبهم من شعر وحكايات وأساطير.... كله شفهي وينتقل من جيل إلى جيل بالمشافهة»²

ونساء الطوارق هن من يحسن الكتابة بخط التيفناغ، وهن من يعلمن حروفه «وحروف الطوارق لا يفهمها كل الطوارق، بل تتقنها النساء والخدم وبعض الذين تعلموها من النساء»³

وقد كان استعمال هذا الخط كان محدودا هو الآخر عند البداية، ويعود ذلك إلى ظروف مجتمعات الصحراء، من حيث جمود الحياة فيها وعزلتها عن العالم الخارجي والحاجات المحدودة.

وقد كان عدد حروف هذا الخط يتكون من عشرة (10) أحرف، وهي كافية للتعبير عن العديد من الأغراض، والكثير من المسميات، ثم سرعان ما توسع هذا الخط في الاستعمال في المرحلة اللاحقة، إذ أضيف له بعض الحروف، وأصبحت أبجدية هذا الخط المشاعة بين الطوارق تبلغ (22) حرفا، مع الملاحظة أن اللهجة الطارقية لا توجد فيها بعض الحروف (الحاء، العين، الثاء، الذال، الضاد، -ح-ع، ث، ذ، ظ)، كما أنه يوجد اختلاف لدى قبائل الطوارق في نطق بعض الأصوات⁴.

وخط التيفناغ مثل الخط اللوبي يكتب هو الآخر من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى تحت، ومن تحت إلى أعلى، ثم غلبت عليه الكتابة من اليمين إلى اليسار إقتداء بالعربية، إلا في الحالات النادرة عندما يتوقع الطارقي أن رسالته ستقع «في يد الأعداء، فإنه يضطر إلى الكتابة في كل الاتجاهات... وهنا يستغرق فك رموز الرسالة الواحدة عدة أيام»⁵

وعليه يمكن القول أن اللغة دور كبير ومهم في بلوغ بعض الأهداف، من حيث الإعلان والتوصيل أثناء الكتابة، وهذا ما يلجأ إليه الطوارق في بعض الحالات كتحدي الأعداء.

1- عقون العربي، مرجع سابق، ص 11.

2- 3- محمد المختار العريايوي، المرجع السابق، ص 44.

4 - المرجع نفسه، ص 44.

5- المرجع نفسه، ص 46.

«ولعل أقدم فترة ترجع لاستعمال خط "التيفناغ" تعود إلى ما قبل الميلاد بقليل».¹

وهذا أمر لا يستهان به نظرا لامتداد جذور هذا الخط منذ زمن بعيد « وإن الكتابة البربرية ما هي إلا نموذج من نماذج الكتابة العربية القديمة ، سواءً كانت معتمدة في أصولها على الفينيقية والخطوط العربية الأخرى، أم كانت متضمنة بعض الحروف التي يمكن أن تكون مستنبطة، فنسقتها وسمات منحى خطوطها، والطابع العام في العمق ومن كل الوجوه».²

1-3- اللغة واللهجات:

إذا نظرنا إلى واقع الأمازيغية ،لوجدنا أنها لغة كغيرها من اللغات البشرية ذات لهجات وصيغ مختلفة، وهي لغة متداولة ومنطوق بها لدى سكان شمال إفريقيا بالخصوص، واللغة الأمازيغية كما ورد «تلك اللغة الجامعة للغات البربرية».³

كما أن هذه اللغة ليس لها نحو مدوّن في كتاب يشمل على المعايير المصوغة بطريقة منهجية وواضحة، وهو ما جعل البعض يعتبرها شيء مجرد، ولم تتجسد في سورة التراث وحتى إن وجدت فهي لغة ميتة، ورغم هذا فاللغة الأمازيغية مخصوصة بنوع من «التاريخية مادام أن علم اللهجات قد توصل إلى رسم تطورها التعاقبي، إنطلاقاً من فرع مشترك قد يكون هو التمازيغت...».⁴ ، وهذا لأن الأمازيغية الآن تتفرع لعدة لهجات متواجدة في مناطق عديدة في الدول المختلفة، فنجد مثلاً في الجزائر (الشاوية، القبايلية، الميزابية...) وفي المغرب (تاريفت، الشلحية...)، وهي تختلف في النطق عن بعضها البعض، حتى داخل الوطن الواحد، أي يصعب التفاهم الكامل بين أبناء منطقتين، وعموماً يرى ابن خلدون أن اللغات الأمازيغية الموجودة في المغرب العربي تنقسم إلى ثلاثة مجموعات:⁵

أ- مجموعة أمازيغية زناتة.

ب- مجموعة أمازيغية صنهاجة.

ج- مجموعة أمازيغية مصمودة أو كتامة.

كما أن الأمازيغية يعرف عنها أنها متعددة اللهجات، وكل لهجة تعتبر وتعكس نمط العيش المميز لكل منطقة، أو غالباً ما تكون معبرة عن الحياة والأمور اليومية.

¹ - عقون العربي، مرجع سابق، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص ص 93-94.

³ - بوقر بلقاسم، مرجع سابق، ص ص 3-4.

⁴ - بلعيد صالح، مرجع سابق ص 31.

⁵ - المرجع نفسه، ص 33.

وقد كان اندثار اللغة الأولى (الأمازيغية) للهجاتها المختلفة للأسباب الآتية:¹

- تَوَزَّع الأمازيغ لأماكن متباعدة فيما بينها، وهو ما جعل الاستعمالات مختلفة.
- عدم تأسيس المدينة التي تعمل على ترقية اللغة وتطورها.
- لم تكن هناك دولة للأمازيغ (مركزية) تفرض لغتها فرضاً قهرياً لتكون مستعملة حتى في المستويات الرسمية.

- وهناك أيضاً جانب نفسي أثر في ذلك، أوجب لغة الغير والتعلق بها، وهذا ما يجعلهم يتوافدون على لغة الآخر (أي الوافد إليهم)، وهذا يؤدي إلى تهميش لغتهم.

وبشكل عام يمكن القول أن اللغة الأمازيغية من خلال لهجاتها المختلفة هي لغة مشافهة (شفوية)، تستعمل بنسبة كبيرة في مجالات الحياة اليومية، بحيث لم تكن لغة مشتركة بين جميع الساكنين بالوطن، وكذلك لاقت من خلال تواجدها التهميش واللاهتمام، لأسباب عديدة ومختلفة منها (إيديولوجية، سياسية، إقتصادية...)، وبالتالي صمودها أمام اللغات الوافدة كان ضئيلاً، وذلك لكونها شفوية وقابلة للتطور وبالرافد الأجنبي، وما تأثير العربية عليها خير دليل على ذلك، حيث استسلمت اللهجة المحلية الأمازيغية للغة العربية (لغة الحضارة والثقافة)، وفرضت وجودها في مناطق الشمال الإفريقي عموماً، والمغرب العربي خصوصاً، خاصة وأنها لغة كتابة (لغة مكتوبة)، وقد عمل الأمازيغ أنفسهم على تعليم ونشر هذه اللغة في مناطقهم، وقد يكون الإسلام من بين العوامل المساعدة-أو الأثر الكبير- في عمل الأمازيغ على تعلّم هذه اللغة ونشرها، عكس اللهجات (الأمازيغية)، والتي بقيت مستعملة مشافهة، وهو ما جعل ألفاظها عرضة للتلف، وإلى الفروق بين لهجاتها المختلفة، أي أنها (الأمازيغية) بقيت لغة مشافهة فقط من خلال لهجاتها ومحافظة على تواجدها، بسبب تلك الاستعمالات اليومية فقط عبر العصور.

ونلفت النظر هنا أن التأثير على الأمازيغية، وعلى حياة الأمازيغ، لم يكن من قبل الدول المستعمرة لها، حيث بقي الأمازيغ صامدين ومدافعين عن أرضهم وقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم ودينهم، لكن دخول العرب الفاتحين² الحاملين لواء الإسلام هو الذي أثر في الأمازيغ، وكان بذلك الفتح نقطة

¹ - بلعيد صالح، مرجع سابق، ص 31.

² - قد أستخدم «الفتح» لأن البربر في حد ذاتهم تبنا ذلك وعملوا على نشره، عكس الاستعمار الذي فرض تواجده بالقوة (وأهدافه واضحة).

تحول مهمة في التاريخ المغربي، وهذا من خلال فرض اللغة التي يمكن أن تحدث التواصل والتفاعل بطريقة تساعدهم حتى في قضاء معظم متطلبات ومستلزمات الحياة العادية.

2- الوضع اللغوي في الجزائر قبل الإسلام:

الوضع اللغوي في هذه الفترة كان يخضع في مجمل فتراته إلى الإمبراطوريات، أو الدول التي حكمت المغرب العربي بصفة عامة والجزائر خاصة، واتي أثرت على سكان المنطقة، إلا أنه يمكن أن نقول أن هناك مقاومة جعلت كل دولة تحافظ على لغتها ولو محلياً وسنحاول عرض مختلف المراحل لهذه الفترة كما يلي:

1.2. الفينيقيين:

بعد الحرب بين الفينيقيين والأمازيغ، فإن الأمازيغ صمدوا واستطاعوا أن يحافظوا على طبعهم وقيمهم وأغلب عناصر ثقافتهم، ولم يرضخوا لحملات الفينيقيّة رغم طول تواجدهم بها، وهو ما يؤكد حفاظهم على شخصيتهم، وربما هذا يعكس شعورهم القوي إلى الاستقلال والتمسك بموروثهم الثقافي. وقد رأى أهل البلد أن لغة المحتلين (الفينيقيين) قريبة الشبه من لغتهم (ابن خلدون) -وهي أخت العربية-¹، ويرى في هذا الشأن أحد الغربيين «وليام شالر» أنه: «...إنه إذا كانت سياسة الرومان التي تتسم بسداد الرأي وبالتعمق والمواظبة، لم تتمكن بعد سيطرة دامت عدة قرون، من فرض اللغة اللاتينية على القبائل الإفريقية، فإن من الممكن الاعتقاد بأن حظ قرطاجنة لم يكن أحسن من حظ الرومان...»².

بالتالي فهو من وجهة نظره، يرى بن أهل قبائل في إفريقيا الشمالية بقوا محافظين على لغتهم حيث يضيف «...وبالتالي فإن اللغة الشاوية* كانت موجودة في إفريقيا قبل وصول الفينيقيين...»³.

¹ - الجبالي عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 45.

² -3- العربي إسماعيل: مذكرات وليام شالر -قنصل أمريكا في الجزائر (1816-182)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر - 1982، ص120.

* الشاوية في هذا الموضع، يقصد بها اللغة الامازيغية بلهجاتها المختلفة، والمستعملة في مناطق الشمال الافريقي خصوصا

وكذا هناك تقارب بين العربية والبنينية، حيث أنها «(البينية) لغة سامية وشقيقة للعربية، والتي كان لها انتشار واسع في البلدان المغربية، بسبب النفوذ المعنوي والثقافي الذي استطاعت الدول القرطاجية المفترضة أن تحرزه فيما سبق من الأيام»¹.

وهذا التقارب بين اللغتين سهل الاحتكاك بينهما فالتأثير متبادل وهو ما يمكن القول بأن التأثير كان في السكان.

وقد طغى على الوجود الفينيقي في بلاد المغرب "الاندماج الاجتماعي، بالتساكن والتصاهر وتبادل المصالح الاقتصادية، وظل المجتمعان، الفينيقي والمازيغي، متميزين، يحتفظ كل منهما بمقومات استمراره، فلا المجتمع الفينيقي هضم المجتمع المازيغي... ولا المجتمع المازيغي هضم المجتمع الفينيقي... فالمجتمع المازيغي ساهم بالارض وما تحمله من ثروات معدنية وحيوانية ونباتية، كما ساهم بموارده البشرية في ميدان الزراعة والجندي، بل ساهم بلغته التي اعتمدتها قرطاج في تتبع اخبار القبائل المازيغية المتمردة واقتفاء اثرها، وساهم المجتمع الفينيقي بخبرته في استعمال الآلات ونظم التجارة ونظم الحكم، كما ساهم بالعلوم والفنون التي نقلها، وساهم بأبجديته التي سهلت المعاملات...²

2.2 الرومان:

رغم السياسة التي انتهجها الرومان في القتل والتشريد ومحاولة طرد السكان من أراضيهم واستعبادهم، إلا أن القبائل البربرية « صمدت وحافظت على بنيتها وثقافتها ولغتها»³، وبما أن بعض القبائل بقيت صامدة في وجه الرومان «القبائل التي استعصى عليهم أمر إخضاعها»⁴، تخلل ذلك عدة انتفاضات ضد الممارسات الرومانية، وهذا دليل على وحدة وتماسك هذه القبائل والحفاظ على أراضيهم، من خلال العمل لدى الرومان مع إيمانهم القوي بالاستقلال في يوم ما، وهو ما يدل في كل حال من الأحوال أن البربر كانوا على مرّ التاريخ متشبثون بأرضهم، ويعملون فيها الزراعة وتربية

¹ - سعيدوني ناصر الدين: "الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة-دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة لأوراس قبل وأثناء العهد العثماني"، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية- الجزائر عدد 61/60 أوت-سبتمبر 1987، ص119.

² -التوري ميلود:المازيغية والفينيقية، وبينهما العبرية واليونانية، سلسلة تاريخ اللغات المغاربية، مطبعة الرباط، المغرب، ط1، 2009، ص31.

³ - بوقرة بلقاسم، مرجع سابق، ص126.

⁴ - العربي أكينج: في المسألة الأمازيغية أصول المغاربة-مطبعة آف- برانت- فاس، ط2، 2006، ص23.

*- يقصد بها هنا اللغة الأمازيغية بلهجاتها المختلفة والمستعملة في مناطق الشمال الإفريقي خصوصا.

المواشي، بهدف الحفاظ عليها، وكل ذلك من حبّهم الكبير لأرضهم ووطنهم فهم كانوا « فلاحون، عاشوا في قرى زراعية، عبدوا آلهتهم وتكلموا لغتهم».¹

أما التعليم في هذه الفترة فقد كان إجبارياً، ويعتبر تعليم اللاتينية ومعرفتها من بين الشروط للإقامة والعيش في البلد، وفي مقابل هذا عملت على محاربة الفينيقية، وهو ما جعل بعض السكان يتعلمون اللاتينية ، وخاصة في المدن مع الحفاظ على لغتهم الأم.²

وعموماً يمكن القول أن التواجد الروماني قد عمل على تحطيم وتذليل وقهر السكان الأصليين لشمال إفريقيا والمغرب العربي خصوصاً ،وهذا بطردهم من أراضيهم وفرض عليهم أنماط ثقافية ولغوية جديدة، لكن وحدة وتماسك الأمازيغ بأرضهم وحبّهم لها، كان الدرع الواقي من هذا التواجد، حتى أنهم أجبروا إلى التنقل والهجرة إلى المناطق الجبلية والصحاري حتى يحافظوا على وحدتهم وموروثهم الثقافي، وخاصة اللغوي، ورغم ذلك هناك بعض اثر فمنهم من أجبر على تعلّم اللاتينية، إلا أنه لم يتخلّى عن اللغة الأم وكذا الحفاظ على العادات والتقاليد والقيم ، وتمكنوا من الرومان رغم محاولاتهم.

3.2 الوندال:

لم يكن هناك تأثير للوندال على البنية الاجتماعية والاقتصادية في شمال إفريقيا، حيث تصدى السكان لذلك بكل شجاعة، عندما حاول الوندال اجتياز الحدود ومحاولة عبورها تصدى لها « السكان البربر في الأوراس(477-484م) وألحقوا بهم هزيمة كبيرة».³ وبالتالي يمكن أن نستخلص أنه على العموم الوندال لم يكن لهم أي تأثير على بنية السكان الثقافية والاجتماعية.

4.2. البيزنطيين:

لقد بقي الأمازيغ يقاومون دخول الأجانب في بلادهم، رغم بعض المحاولات من قبل البيزنطيين لإخماد المقاومة، وذلك بإقامتهم حكم عسكري، إلا أن ذلك دفع البربر إلى دق أبواب قرطاج، وقد استعاد البربر مدينة قرطاج ، وهذا بمساعدة العرب الفاتحين، وكان ذلك نهاية الحكم البيزنطي في شمال إفريقيا.⁴

¹ - بوقرة بلقاسم، مرجع سابق، ص 128.

² - الجيلالي عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 48.

³ - بوقرة بلقاسم، مرجع سابق، ص 131.

⁴ - المرجع نفسه، ص 128.

ومنه فإن البربر (الأمازيغ) رغم تداول المحتلين عليهم، إلا أنهم بقوا صامدين محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم أرضهم وطنيتهم، وقد كان النظام الاجتماعي المتمثل خاصة في «القبيلة»، والذي كان سائدا عندهم من العوامل التي حافظت على تماسك البربر وصمد تلك الهجمات، وخاصة منها المناطق الريفية والصحراوية، وبالتالي فلا الرومان ولا الوندال ولا البيزنطيين، تمكنوا من النيل من هذا الشعب الذي بقي صامداً في وجههم حفاظاً على وحدة وطنه وثقافته، وهذا كله يدفعنا إلى محاولة الإجابة على السؤال التالي: هل عومل العرب بنفس الطريقة التي عوم بها الرومان والوندال...؟ وكيف كان تأثير العرب الفاتحين على المنطقة ؟

3 - الفتح العربي الإسلامي وواقع اللغة العربية:

من المعروف أن اللغة الأصلية للمغرب العربي بصفة عامة وللجزائر بصفة خاصة، هي اللهجات المختلفة فيها (الشاوية، القبائلية، الميزابية، الشنوية...)، هي اللغة المعروفة والمتحدث بها، ورغم الغزو الروماني الطويل إلا أنه لم يستطع التأثير في لغتهم تأثيراً عميقاً كما عجز عن فرض ديانته عليهم، ولا حتى تلك الحضارة التي جاء بها، فقد عجزت اللغة الرومانية عن ترك أثراً في اللغة البربرية، فالجزائر كانت تمتاز بوحدة اللغة والحضارة الخاصة بها قبل دخول الفينيقيين إليها، وتأثرت بعدها البربرية بالفينيقية واختلطت بها (سبق الإشارة لأسباب ذلك) ، ونفس الشيء حدث مع البيزنطيين أو الوندال، لكن بمجيء العرب اختلف الأمر عن ذلك تماماً، حيث بدأ الفتح بمحاولات من ليبيا (647-660م) ولم «يجدوا هناك مقاومة عند دخول طرابلس 643م»¹.

ونشير إلى أنه هناك روايات عديدة حول تفسير الحملات التي قادها العرب، حيث يرى البعض أن هدفهم يتمثل في إضعاف الدولة الرومية للحصول على ثرواتهم-وهي عادات العرب القديمة- أو طريقة أخرى لدخول شمال إفريقيا عن طريق المعاهدات تبرم لأجل السلم، لإعلان الصلح بين العرب والبربر، وهناك من يرى حتى وإن كان الغرض دينياً، فهذا لم يمنع من تصرفات النهب وغيرها، وهناك من يعتبر أن دخول العرب وبدايته كان إختبار للقدرات العسكرية البيزنطية وإمكاناتهم.

وقد كان كذلك بداية الفتح وصل إلى القيروان (تونس) سنة 672م، ولم يتم فتح المغرب وتعيين "موسى بن نصير" إلا سنة 704م، وهذا التأخر يرجع ربما إلى «الخلافت السياسية الدينية في مركز

¹ - الهرماسي محمد صالح: مقاربات في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001، ص51.

القرار، والتي كانت وراء تأجيل فتح بقية بلدان المغرب العربي ودمجها في المحيط العربي الإسلامي»¹.

ومن خلال ما ورد سابقا يمكن القول أن تأخر الفتح العربي في بدايته يرجع إلى أن البربر دائماً، وبسبب الاستغلال الواضح لبعض المستعمرين لهم محاولة للاستيلاء على ثرواتهم، كانوا صامدين ومحافظين عن أراضيهم، فهم دائماً يبدون مقاومة لكل من يحاول الدخول إلى أرضهم، وبطبيعة الحال لا بد للبربر أن يدافعوا ويقاوموا عن أراضيهم، ولكن بعد تأكد من أن العرب أهدافهم تختلف عن الآخرين من الأجانب تغيرت النظرة وكان الإقبال على الإسلام وعلى العربية.

4- الترابط الوظيفي بين الدين الإسلامي واللغة العربية وعوامل انتشارها في الجزائر:

من المعلوم أن القرآن نزل على سيدنا محمد (ص) بلسان عربي مبين لكل الناس، عرب أو غير عرب، وهذه حقيقة لا يمكن لأي كان إنكارها «احتضنت بلاد الشمال الإفريقي القرآن، ولغة القرآن، وجعلوها جزءاً من هويتهم وشخصيتهم، وصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام في بلاد المغرب والأندلس...، لقد عمل العرب والأمازيغ على تكوين الهوية الوطنية بمختلف أبعادها.. وأصبحت اللغة العربية مكوناً هاماً للشعب الجزائري، واستقرت في أذهانهم وأعلوا من شأنها، فلا توجد دار أو قرية في وقت الاستعمار لا يُدرس فيها القرآن، فكانت لغة التجارة والاكتتاب قبل الاستعمار...، فكانت اللغة الموحدة العاملة على التماسك الاجتماعي وتساوي الفرص امام الجميع»².

كل ذلك ساهم في وحدة تماسك الجزائريين، وجعلهم يواجهون تحديات العصر وأصبحت اللغة العربية أساس الهوية الجزائرية، وساهمت بتوافقها مع الأمازيغية في الرفع من شأنها وتقبلها وأصبحت لغة متداخلة غيما بينها.

«لقد كانت الاسر الأمازيغية التي حكمت الشمال الإفريقي هي التي أعلنت من العربية وأنتجت تصاهراً خليطاً، لذا صبح الحديث صعباً عن ثقافة أمازيغية خاصة أو ثقافة عربية تتحاز عن الأمازيغية، فقد تداخلت العناصر والمكونات المختلفة وتكاملت فيما بينها وتمازجت»³.

وقد كتب (E.Renan) عن العربية بقوله «العربية دونما مدافعة، هي اللغة التي غزت أكبر مدى من البلدان...، إنها نظام فكر ديني وسياسي فائق على اختلاف الأعراق، ولكن نفوذ اللاتينية

¹ - المرجع نفسه، ص 51.

² - صالح بلعيد، مرجع سابق، ص ص 27-28.

³ - المرجع نفسه، ص 28.

واليونانية لا يداني الذي للعربية.. ، الهيمنة العظيمة للغة العربية تحتضن إسبانيا وإفريقيا إلى غاية الخط الاستوائي وجنوب شرق آسيا إلى غاية جاوة، وروسيا إلى غاية قازان»¹.
فالعربية هي حاملة القرآن لساناً حافظاً مصوناً في كل فضاء وزمان، غير زائل تداعياً لتأثير لغات أخرى.

لقد دخلت العربية إلى الجزائر بدخول الدين الإسلامي حيث « انتشرت بانتشار القرآن الكريم، الذي هو أساس الدين ومرتكز العبادة والعقيدة، والعلم والفكر والثقافة والحكم والتصرف في كل الأمور الدينية والدنيوية والمالية والإدارية، وكل العادات والتقاليد بالمجتمع الإسلامي»².
وكان كذلك لدخول الدين الإسلامي دخول موجات وأفواج متعددة من العرب أو المستعربين الذين اختلطوا وامتزجوا إمتزاجاً كلياً يكاد يكون متطابقاً بالسكان الأصليين، فامتزجت لغتهم بلغتهم، إلى أن أفضى هذا الواقع إلى تعريب الأغلبية الساحقة من السكان الأصليين³.
4. 2- عوامل انتشار اللغة العربية:

4. 2. 1. التعليم: التعليم عبر جميع مراحل التاريخ وفي مختلف المناطق الإسلامية كانت أدواته الوحيدة عي العربية، وذلك بفضل المناهج التعليمية التي كانت معتمدة خاصة في الماضي، والتي لا تزال في بعض المؤسسات إلى اليوم إذ « يبدأ المنهج التعليمي بحفظ كتاب الله بقراءته المختلفة، ثم ينتقل إلى تحفيظ المتون اللغوية والأدبية والدينية، ثم إلى دراسة المصنفة في مختلف وجوه المعرفة، وكلها مكتوبة باللغة العربية إلى أن يتخرج المتعلم وله خبرة باللغة العربية»⁴.
وقد تمّ توارث هذه المناهج في التدريس في كل المدارس والزوايا والمساجد المنتشرة في المناطق المختلفة من الجزائر، سواءاً في المناطق الحضرية أو الريفية، وحتى المداشر 'الدواوير'، وبذلك كان لهذا الأثر البالغ في نشر وانتشار اللغة العربية، وتكوين أئمة وعلماء لهم ما يكفي من معرفة لهذه اللغة خاصة الأمازيغ.

¹ - عبد الرحمان بن عطية، مرجع سبق ذكره، 2007، ص 391.

² - مجموعة من الكتاب: مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة (ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، تطوان 6-7 فيفري 2007، ص 145.

³ - 4 - المرجع نفسه، ص ص 145-146.

4. 2. 2. النظام الإداري: كان للنظام الإداري دور غي تشر العربية، بحيث كانت به «تكتب السجلات الإدارية والمالية والمراسلات وبها تصدر المراسيم والتعيينات والوثائق... وهذا ما كان يحتم على من يرغب في نيل منصب من المناصب الإدارية معرفة ضرورية باللغة العربية».¹ وقد كان هذا خاصة من الفترة الممتدة من دخول الإسلام إلى دخول الاستعمار، فلإسلام دور كبير وفعال في الاحتواء على جلّ المعاملات تقريباً بلغة موحّدة، وهي العربية التي كانت تفرض نفسها آنذاك بصفتها لغة القرآن.

4. 2. 3. المعاملات الاقتصادية: كانت اللغة العربية أيضاً وإلى حين دخول الاستعمار هي اللغة التي تسجل بها العقود في البيع والشراء والقرض والرهن والهبة، وكل المعاملات التجارية الأخرى، فهي لغة المجالين الاقتصادي والتجاري، فاللغة العربية ليست لغة خاصة بالعرب أو بقرش، ولكنها انتقلت من هذه الخصوصية لتصبح لغة القرآن والإسلام وملكاً للشعوب الإسلامية الداخلة في هذا الدين العالمي، برغم اختلاف ألسنتها وألوانها.²

ومنه فإن اللغة العربية هي لغة الشعوب الإسلامية جميعاً، وليست لغة العرب خاصة، وبما أنها لغة القرن الذي يعدّ نبراس الحياة، فقد أصبحت هي اللغة التي تستعمل في التواصل بين العديد من الشعوب الإسلامية، وأخرجت البعض عن فهمهم الضيق في تمسّكهم بلغة واحدة والارتباط أشد الارتباط بالعادات والقيم والحدود الجغرافية التي تصنع شخصية منغلقة على نفسها، وأدركوا أن هذه اللغة (لغة القرآن) هي التي يمكن أن توحد الأمة الإسلامية، والعمل على نشرها وتلّمها لمسيرة الحياة «إنساننا العربي -حرّاً كريماً- هو الغاية ووحدة أمتنا، هي الوسيلة إلى هذا الإنسان، ولساننا العربي هو الدعامة الأولى والأهم والأرسخ لهذه الوحدة، ولا لساناً عربياً فعّالاً متطوراً دون تعريب».³

لقد أصبحت اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الإسلامية هي « لغة الثقافة العالمية على الأمل، فهي لغة العلم والتعليم ولغة الدين والإدارة والسياسة والحكم والتجارة والاقتصاد والمعاملات المكتوبة في جميع مجالات الحياة».⁴

¹ -2- مجموعة من الكتاب: مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة (ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية)، المرجع نفسه، ص 148.

³ -ممدوح خسارة: التعريب والتنمية اللغوية، الأمل للطبع والتوزيع، ط10، دمشق، 1994، ص 05.

⁴ -مجموعة من الكتاب، مرجع سابق، ص 151.

وقد كان المغاربة في جميع الشمال الإفريقي، بما فيها الجزائر ينظرون إلى العربية «نظرة تقديس وحب عظيم لهذه اللغة ولم يتعاملوا معها قط على أنها لغة مفروضة عليهم من قبل أي سلطة دنيوية، لأنه لم يثبت في أي مرحلة من تاريخ المغرب أن يسجل نزاع عسكري أو سياسي أو أي نوع آخر حول هذا الامتياز الذي حظيت به هذه اللغة منذ دخول الإسلام إلى غاية دخول الاستعمار الحديث...، ولم يلجأ أحد من الحكام إلى التدخل في الوضع اللغوي بفرض سياسة لغوية مخالفة لما كان معروفاً وسائداً في جلّ أقطار العالم العربي الإسلامي».¹

لقد كانت هذه الفترة القبل إستعمارية وتحديداً في فترة الدخول الإسلامي، فترة أصبحت العربية فيها هي اللغة المعبرة والعاكسة للغة العلم والدين والثقافة والإدارة... إلخ...، إلى غاية الدخول الاستعماري الذي حارب العربية والحرف العربي بمنع استعمالها.

ونشير إلى أن هذا الواقع اللغوي الموجود لا يعني أنه لا توجد كتابات * أمازيغية «لا سيما في المجال الديني، كما لا ينفي وجود بعض الخطباء الذين كانوا يضطرون في مواقف معينة دينية وسياسية وعسكرية واجتماعية، إلى استعمال لهجات محلية أمازيغية لشرح أفكارهم وتعميمها وإيصال الخطاب الرسمي للدولة إلى عموم أفراد الشعب»²، خاصة للأمازيغ الذين يتقنون هذه اللهجات، وقد كانت اللغة العربية الفصحى هي اللغة الأكثر استعمالاً في شتى المجالات الحيوية، وخاصة بصفتها أداة العلم والتعليم ومن أهم الوسائل للتواصل مع العالم الخارجي مع شتى الدول والشعوب.

وبجانب هذا الوجه الرسمي والرفيع لثقافة البلاد، كانت هناك أيضاً ثقافة شعبية، قامت فيها اللهجات العربية الدارجة واللهجات الأمازيغية (الشاوية، الترقية، القبائلية...) بدور الوسيط في التعامل اليومي بين الأسر والأصدقاء، وأفراد القبيلة والتعبير بها عن العادات والتقاليد الشعبية المحلية والمختلفة بين المناطق والأمكنة.

أي أن الأدوار الوظيفية للعربية الفصحى واللهجات المختلفة (عربية أو أمازيغية) موزعة بطريقة تلقائية وعفوية دون أن تكون هناك سياسة لغوية مدروسة ومخططة أو مفروضة من أعلى.³

وكان هناك « تعايش وتكامل وتبادل في الأدوار والوظائف الاجتماعية طوال القرون الماضية....، ولم يكن الشخص المنحدر من أصل أمازيغي يجد أدنى غضاضة في تعلّم العربية

¹ - نفس المرجع ، ص 151.

* - إن وجود هذه الكتابة كان قليلاً ، والخط العربي هو الذي كان مستعملاً في الكتابة.

2-3 - المرجع نفسه، ص 152-153

والإقبال عليها والتبحر فيها، لتحسين وضعيته الاجتماعية...، بل كان الذي يمتلك هذه الثقافة وهذه اللغة يعتبر نفسه محظوظاً في مجتمعه»¹.

إن كل من العربية واللهجات الأمازيغية عاشت جنباً إلى جنب، ولم يكن بينهما صراع ونزاع، بل كان هناك تداخل فيما بينهما، فاللغة العربية فتحت المجال أكثر للتواصل والتخاطب، وهي لغة القرآن الذي به تفتح الآفاق للوصول إلى مواكبة العالم لكل التطورات وبها يعتز ويفتخر الإنسان لما جاء به من تراث نقي تنبئ لحضارة بدون منازع لغوياً وفكرياً وثقافياً...

5- الاستعمار الفرنسي وسياسته في فرنسا المجتمع:

لقد واجهت جلّ الدول النامية ويلات الاستعمار، بما فيها الجزائر، وكما هو معلوم أن الاستعمار دائماً يسعى إلى الاستحواذ على كل ممتلكات الدول التي يحتلها، بما في ذلك الهوية للمجتمع والسير به نحو ثقافة هو من يصنعه، وهذا أمراً ليس بالهين وهذا ما لم يدركه الاستعمار فسعى جاهداً لتحقيق أهدافه بطابعه الاستغلالي الاستنابطي والتسلطي على الشعب الجزائري منذ حقبة من الزمن « الدمج الجذري الاجتماعي لأبناء المستعمرة المعنية في حضارة فرنسا وثقافتها»²، وهذا ما سعت إليه فرنسا لتحقيقه، وعملت على تفكيك وحدة الشعب الجزائري باتباع سياسة "فرق تسد"، حيث عملت على محاولة التفريق بين العرب والأمازيغ، وذلك من خلال إحياء العصبية الأمازيغية والزعم بأن الأمازيغ هم أحسن الناس إسلاماً وتماسكاً به ولهم كيانه الخاص ولغتهم الخاصة والتي تختلف بدورها عن كيان ولغة الجزائريين، وقد ادعت أن إسلام الأمازيغ كان ظاهرياً ولم يتغلغل ويدخل أعماق قلوبهم، لذلك دعت إلى إحياء لغتهم وتقاليدهم وأعرافهم الوثنية، والتي ينبغي أن تكون أساساً يحكمون إليه قانونياً في أمور الأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية، كما أنها سعت إلى محاربة إنتشار المدارس العربية الحرة والكتاتيب حيث يتم تعليم القرآن والدين الإسلامي³.

ففرنسا في بداية الأمر حاولت وعملت على تقسيم الجزائريين على أساس عرقي، حتى يتناحروا فيما بينهم ويصبح كل واحد منهم منفصل عن الآخر في تفاعله ومعاملاته وعاداته وتقاليده حيث قال

¹ -2- نازلي معوض أحمد: التعريب والقومية العربية في المغرب العربي، مكتب دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 56.

³ - تركي رايح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969، ص 134.

الدوق (Duc de Rovigo) في سنة 1831 « لقد كنت أنظر إلى انتشار التعليم ولغتنا الفرنسية على أنها الوسيلة الأنجع للمضي قدماً في بسط هيمنتنا على هذا البلد».¹

كما أن الاستعمار عمل على محاولة القضاء على اللغة العربية، وذلك بإصدار قرار يعتبرها لغة أجنبية في موطنها، وإحلال اللغة الفرنسية مكانها حيث يرى روفيجو «أن الشيء العجيب الذي يمكن القيام به هو تعويض العربية شيئاً فشيئاً بالفرنسية (...) والذي لا يفتأ ينتشر في أوساط الأهالي، لاسيما إذا وفد الجيل الجديد بأعداد كبيرة للتعلّم في مدارسنا».²

ولم يكتفي الاستعمار الفرنسي بمكافحة اللغة، بل تعدى ذلك إلى الدين الإسلامي الذي منه تستنبط قيم المجتمع آنذاك، فمنع العلماء المسلمين من الارتياح والذهاب إلى بعض المناطق لتعليم أهلها القرآن وأمور الدين، وكذلك استحوذوا على أوقاف المساجد والتعليم، ورغم ما قام به المستعمر إلا أن الشعب الجزائري كان صامداً ومحافظاً على هويته الوطنية وعلى ثقافته من خلال ردود الفعل الإيجابية عن طريق الحركات الوطنية المتعددة، وبخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحفاظ على اللغة العربية، وكان شعارها (الجزائر وطننا، العربية لغتنا، الإسلام ديننا)، وعموماً فإن فرنسا ركّزت في سياستها الاستعمار على أربعة محاور « التنصير والفرنسة والإدماج والتفرقة بين العرب والبربر».³

وهي كلها عوامل تمس الجزائريين في شخصيتهم وثقافتهم وحضارتهم العربية الإسلامية، التي تبلورت مع الفتوحات الإسلامية، لذلك عمل المستعمر بتسخير كامل إمكانياته لتحقيق مطامعه وبطرق أكثر تصلباً خلال فترة تواجده، وخلق مشكلاً لم يكن مطروحاً من قبل وهو المشكل اللغوي (العربية والأمازيغية)، وهذا بغرض تفكيك وتشتت الوحدة الجزائرية والتاريخية لهذا الشعب، إذ سعى الاستعمار إلى « الفصل بين العرب والأمازيغ، أو حركة الصراع المفتعل بين اللغتين والثقافتين العربية والأمازيغية».⁴، ونظراً للمدة التي بقى فيها الاستعمار، والتي كانت طويلة جعل اللغة الأجنبية تحل

¹ - إيفون تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة - المدارس والممارسة الطبية والدين (1830-1880)، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 45.

² - المرجع نفسه، ص 45.

³ - تركي رابح: "أضواء على سياسة تعريب التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي في الجزائر"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 57 / 1983، ص 86.

⁴ - مجموعة من الكتاب: مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة (ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية)، مرجع سابق، ص 160.

محل اللغة الوطنية وأخذت مكانها في التعليم والإدارة والحياة العامة ،وخلقت نوعاً من الصراع بينهما، وقد نتج عن هذا الوضع مشكلتان هما: ¹

1. **الثنائية اللغوية (الازدواجية):** والتي أصبحت أساس العمل في الإدارة والتعليم والوسائط الإعلامية... إلخ..، وانقسم فيها الرأي العام الجزائري إلى مؤيد ومناهض ووسط بينهما، والمشكل لا يكمن في وجود اللغة الأجنبية كضرورة ملحة، بقدر ما يطرح كيفية التعامل مع هذه اللغة ؟ وما هي المكانة التي ينبغي أن تحتلها هذه اللغة في النسق التعليمي والثقافي والإعلامي والنظام الإداري والاقتصادي؟ وهل نتعامل معها على حساب اللغة الوطنية ، وفي المقابل التنازل على مقومات شخصيتنا وهويتنا ؟ أم اعتبارها منفذ للتفتح العلمي والتواصل الثقافي والحضاري؟

2- **التعريب:** والذي هو رد فعل طبيعي على حركة التعريب، التي فرضتها السياسة اللغوية والتعليمية للاستعمار، فحركة التعريب حركة نشأت للمطالبة بإعادة الاعتبار للغة الوطنية وتثبيتها في مكانها المكتسبة منذ عقود، وبعبارة أخرى أنها إعادة الأدوار التي كانت تلعبها العربية في المجال التعليمي والإداري والسياسي والاقتصادي...

إلا أن عملية التعريب أعادت النقاشات والنزاعات بين النخب المثقفة بين مؤيد ومعارض، واعتبارها لغة لا يمكن لها أن تواكب العصرية والانفتاح على الحضارات، وتعتبر رمز للتخلف والعودة إلى عصور ماضية، وهذا كله ساهم في تشويه مقاصد التعريب وتحريف مدلوله ومعناه، وكذا اعتبارها لغة منغلقة على نفسها غير متفتحة على اللغات واللهجات والثقافات الأخرى.

في حين كان الهدف الحقيقي من التعريب وهو إعادة اللغة العربية إل مكانتها (لغة الإدارة والحكم والاقتصاد والمعاملات) ،بدلاً من اللغة الفرنسية التي اكتسبت قوة الحماية الاستعمارية، فهو لم يكن موجهاً ضد ثقافة وحضارة الوطن ،ولا ضد لهجاته الأمازيغية المتنوعة والتي تعتبر روافد إضافية للوطن، ولكن كان المقصود منه « وضع اللغة الأجنبية في موضعها الصحيح، أي اعتبارها لغة أجنبية

¹ - المرجع نفسه ، ص ص 160-161.

يتوسل بها إلى اكتساب التقنيات والتفتح على العالم الخارجي والتواصل بين الأمم والحضارات واعتبار اللغة الوطنية(العربية) لغة السيادة داخل البلاد».¹

وعليه فإن الصراع في قضية التعريب هو «صراع بين لغتين إحداهما أجنبية تصرّ على احتلال مكانة السيادة في البلاد، ولغة وطنية تعتبر شرعيتها قد أنتهكت ومكانتها قد سُلبت وحققها ضاع منها وتحاول استرداده...».²

ويمكن التطرق أيضا إلى مشكل آخر، وهو مشكل ناتج عن الخطابات الاستعمارية خاصة اللغوية منها، وهو مشكل ازدواجية الفصحى والعامية، والذي قدم على أنه عائق كبير أمام نشر التعليم ومحو الأمية ومحاولة إحلال هذه العمليات محل الفصحى للإسراع بتعميم التعليم ومحو الأمية، ولا شك أن هذه الدعوى ما هي إلا دعوة دخيلة على الفكر الوطني لأن اللغة العربية هي لغة القرآن لا التباس فيها.

وفي الأخير يمكن القول أن اللغة الأجنبية دخلت إلى الجزائر بدخول الاستعمار، ومع مرور الزمن أصبحت لغة مكتسبة عند الكثير من الجزائريين نظراً للارتباطات التاريخية والسياسية أبقى على اللغة الفرنسية فاعلة في واقعنا الحالي، ويتجلى ذلك في الكثير من المواقف المستعملة فيها على غرار الإدارة، المعاملات،... ، وهذا رغم سياسة التعريب المنتهجة منذ الاستقلال إلى يومنا هذا ،وهي الاختيار للغة العربية كلغة رسمية ووطنية باعتبارها «الضامن الأساسي للهوية، والتي تستطيع الحيلولة دون الاندماج والتلاشي في الثقافة الأجنبية ، التي أدخلها الاستعمار، والذي لا يزال حاضراً من خلال المبادلات الاقتصادية والثقافية المتعددة... ، وهي وحدها(العربية) تستطيع المحافظة على أصالة نوعية».³

الجزائر عبر التاريخ تعرضت للعديد من التأثيرات المختلفة وخاصة في مرحلة لاستعمار الفرنسي،الذي حاول الهيمنة الكاملة على الهوية الوطنية وفرض ما يريده، هو جعل الجزائر فريسة بتفكيك وحدة الشعب ،والقضاء على موروته لثقافي، واحلال ذلك بالادعاءات الحضارية التي يرون بأنهم هم أولى بها ،وأن اللغة الملائمة لمواكبة التطورات الحاصل في العالم هي لغتهم(الفرنسية)، وأن اللغة العربية هي لغة تخلف وتخريب، ولا يمكن أن ننفي أن لاستعمار وما قام به من خلال حقبة من

¹ - مجموعة من الكتاب: مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة(ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية)، المرجع نفسه ، ص 162.

² - المرجع نفسه ، ص 163.

³ - جليبير غرانيوم، مرجع سبق ذكره ، ص ص 27-28.

الزمن عمل على ترك بصماته في عديد من المجالات وخلق صراع إيديولوج، تسبب في العديد من المشاكل بعد الاستقلال، وخاصة في الهرم الأعلى للسلطة الذي بات هاجس يهدد كيان الأمة في كل مناسبة « اللغة العربية من خلال علاقتها بالإسلام، هي الوحيدة القادرة على منح مشروعية للحكم في الجزائر الرّاهنة ومحو «خطيئة الأصلية» من خلال ربطه بالجذور العميقة للقانون المنحدر من القرآن، هذا القانون الذي يعترف به ويحبه الجميع في نقطته الأساسية المتمثلة في كونه مرجعا للهوية».¹

إن التطورات الحاصلة وبمختلف اللغات ،أساسها الشرعية التي تذوب فيها كل الصراعات، والجزائر أثر فيها التواجد الاستعماري كثيراً ،وترك الصراع العرقي قائم إلى اليوم، وبالتالي فالمسؤولية صعبة وثقيلة من أجل فرض ما هو واجب تجاه اللغة والثقافة.

6- الوضع اللغوي في المجتمع الجزائري:

إن قيام الحركة الوطنية كان من أجل تحرير الجزائر من يمنة الاستعمار، إذ اتخذت لذلك وسائل وأساليب متنوعة استخدمتها في مسارها لأجل بلوغ الهدف خاصة، وإن الوجود الاستعماري عقد العزم على قطع صلة هذا الوطن وأواصره من جذوره التاريخية، وطمس معالم الشخصية الوطنية بكل مكوناتها، وكان ذلك هو المبدأ الأول من مبادئ السياسة الاستعمارية، إذ أدرك هذا العدو تمام الإدراك وبكل الإمكانيات والوسائل المتاحة له (ثقافية، فكرية)، والتي استخدمها بدهاء (بل وبخبت) لمحو هذه الشخصية الوطنية، وكذلك أدرك بأن مكونات الشخصية الجزائرية أصبحت مركب على الركائز (الإسلام دين الشعب وعقيدته، اللغة العربية هي لغة القرآن ولغة العبادة والثقافة والحضارة، وكل مظاهر الحياة الموحدة التي تجمع بين كل الجزائريين دون تمييز)، لذا حاول دائما زعزعة الشخصية الوطنية عن طريق تذويبها والقضاء عليها.

لقد اقتنعت الحركة الوطنية بأنه كل من الإسلام الذي يمثل دين الشعب وعقيدته وموجهه في الحياة العامة، سواء داخل الأسرة أو في نطاق المدرسة والشارع، وفي جل المعاملات ،وكذلك اقتنعت أن اللغة العربية لغة القرآن ،هي أساس الحياة بما فيها من تعاون وتواصل ،سواءً على مستوى الجزائر خاصة أو على المستوى العربي الإسلامي بصفة عامة، كما أدركت هذه الحركات بأن الوحدة الوطنية هي السبيل الوحيد لجمع الجزائريين بجميع عناصره البربرية (الأمازيغية) أو العربية أو الإفريقية ،والذي توحدت أواصره خاصة بالنسب والدم والقرابة.

¹ - المرجع نفسه ، ص 80.

فقد سعى الاستعمار إلى الانقلاب العقائدي والفكري والثقافي الشامل، ليبقى خاضعا لهم ولا يرتبط بماضيه الحضاري، ولا بلغته الموحدة ولا بدين الإسلام، والشواهد التاريخية كثيرة على هذه الفعلة الاستعمارية، كما أن الاستعمار حاول إبعاد البربر عن العربية والإسلام من خلال إرجاعهم (تحويلهم) إلى المسيحية، وكذا بدواعي تمدينهم، ونظراً للمخططات الفرنسية المختلفة، فقد برزت هذه الحركات الوطنية لمواجهة هذه المخططات ومقاومتها، وذلك وفق مناخ سياسي واجتماعي واقتصادي، وقد عملت الحركة الوطنية في اتجاهين هما:

تعبيرها الصريح عن رفض الواقع الاستعماري بشتى الطرق والأساليب المتاحة، وكذا العمل على تعبئة الشعب وشحنه وتوجيهه وتكوينه وتعليمه وتوعيته سياسياً.

لذلك كان سعي الحركة الوطنية بكل أطرافها هو العمل على الحفاظ على الهوية والشخصية الوطنية بكل مكوناتها، والحفاظ عليها من التلاشي والذوبان في نكهة الاستعمار، كما كان هدفها استراتيجياً تحقيق الاستقلال مهما كانت الظروف.

ويمكن القول أن المجهودات التي بذلتها الحركة الوطنية قد حققت نجاحاً قوياً على الاستعمار، إذ استطاعت أن تحافظ على الهوية الوطنية، إذ كان هناك التلاحم بين العرب والبربر، وكان هناك فضاء للاستعمار ينشر مظاهر الانحراف العقائدي والفكري والاجتماعي، كما أنه تحقق العمل والارتباط الوثيق بين الجزائر والبلدان الإسلامية في إطار الأخوة الإسلامية، وبالتالي أصبحت أصداء الحركة الوطنية مترددة في أقطار العالم العربي الإسلامي مدعمة لها في المطالب الشرعية لأي دولة.

6. 1. الوضع اللغوي بعد الاستعمار:

أصبح التعريب في ظل محاولة استعادة الهوية الجزائرية مطلب لا بد منه، وهو في الحقيقة لا يجب أن يتحول إلى مشكل يعرقل الحياة، فهذا المشكل يحتاج أن يواجه دائماً بوعي وإدراك تعقل لعدد من الحقائق¹ أهمها:

- أن التعريب لا يعني الانطواء على الذات والانغلاق، وعدم تعلم لغات أخرى لتكون بوابة للتفتح على مختلف الثقافات والحضارات ولكن دون الوقوع في قبضة أي لغة أجنبية حتى لا تكون مهيمنة ونافذة وذلك مهما كانت أهمية هذه اللغة وقدراتها حتى لا تكون التبعية لها.
- أن اللغة الأم (اللغة الوطنية) هي وحدها مجال الابتكار والإبداع.

¹ - عباس الجزائري، مرجع سابق، ص ص 20-21.

- أنها بفكرها ومضامينها، هي إحدى وسائل حماية الذات والدفاع عنها تخلصها من التبعية الاستعمارية.
- أن استعمالها في التعليم البحث العلمي والتعبير الأدبي والتعبير الأدبي والتسيير والاتصال بالآخرين في مختلف ميادين الحياة ووحده الكيل بتطويرها وإمداده بالجديد وجعلها قادرة على مواكبة العصرية.
- أن هذا الاستعمال هو الذي يشجع المسلمين غير العرب على اتخاذها في التعليم وقضايا الفكر وشؤون الدين.
- وعليه فإن واقع اللغة من واقع ناطقيها، هي أساس معلمي لكل الثقافات وبها يمكن أن تفرض الأمة نفسها وتجعل رائدة على المستوى العالمي.
- « أجمعت التيارات الوطنية بعد الاستقلال على عملية التعريب، إلا أن هذه العملية لم تكن ناجحة، مع هذا لم تفشل لأسباب عديدة أهمها: عدم الجدية في التعريب، حيث ترك المجال قويا للفرنسية التي أصبحت أقوى في عهد الاستقلال، وتخلف آليات التعريب واستغلال التيار السلفي الإسلامي والقوي لورقة اللغة العربية في صراعها السياسي...»¹
- وعليه فقد كان للفرنسية بعد الاستقلال مخلفات كثيرة، سواء في الجانب الإداري أو السياسي، وحتى في قطاع التعليم ما دفع بالدولة إلى اتخاذ العديد من الإجراءات التي توضح معالم الدولة، وأهمها ترسيم اللغة العربية كلغة وطنية وواقع اللغة في الجزائر سنتطرق إليه في العنصر الموالي.

6. 2. اللغات الموجودة في المجتمع الجزائري:

توجد في الجزائر لغات تؤدي وظائف متنوعة « تستخدم في بلدان المغرب العربي الحالي ثلاث لغات، العربية والفرنسية واللغة الأم، أما الأوليان فلغتا الثقافة، وهما لغتان مكتوبتان وتستخدم الفرنسية أيضا لغة للمحادثة، غير أن اللغة الأم الحقيقية التي يستخدمها الناس دائما في خطابهم اليومي لهجة، هي العربية أو البربرية، وليست هذه اللغة الأم باستثناء حالات نادرة جداً، لغة مكتوبة»².

¹ - عز الدين المناصرة: المسألة اللغوية في الجزائر والمغرب (إشكالية التعددية اللغوية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999، ص21.

² - Gilbert Grandguillume : Arabisation et politique linguistique au Moghreb, éd, G.P, Maisonneuve et Larose, Paris, 1983, p11.

وتعتبر اللغة العربية بنوعيهما (الفصحى والدارجة) هي اللغة الأكثر تواجداً في الجزائر فهي لها إرث وثقل تاريخي واجتماعي كبير، زد على كونها لغة الدين والقرآن ولغة المغرب العربي ولغة العالم العربي، وتستخدم هذه اللغة في الكتابة بصورة أساسية، وتستخدم كذلك في التدريس في جميع مراحلها المختلفة، ما عدا في بعض التخصصات العلمية والتقنية، كما أنها تستخدم في المساجد، وهي لغة وسائل الإعلام ولغة الحياة العامة بصورة أشمل.

أما اللغة الفرنسية فهي اللغة التي جاءت مرافقة للاستعمار الفرنسي، أي أنها موروثه عنه، وقد كانت هذه اللغة لغة رسمية عنوة في تلك الحقبة، وحتى بعدها بقليل كما سبق وأن ذكرنا في العديد من المؤسسات والمجالات، إلا أنه وبعد السياسة التعريبية المنتهجة أصبحت في مكانها الطبيعي، وهي لغة أجنبية، وقد كانت هذه اللغة حكراً على فئات من الناس، وهي لغة مرجعية في الثقافة للعديد منهم، كما أنها تحقق من خلالها مكاسب اجتماعية مقابل اللغة العربية.

أما اللغة الأمازيغية بلهجاتها المختلفة فهي متواجدة منذ أزل بعيد في الجزائر، وتتواجد في مناطق جغرافية من الوطن (الأوراس، القبائل، وادي ميزاب...)، إلا أن هذه اللغة كانت تستخدم بطرق المشافهة والمحاذثة فقط، ولم ترقى إلى لغة الكتابة بشكل واسع، وبقيت في أغلبها التواصل اليومي للعديد من الأفراد وفي العديد من الأماكن.

وإذا نظرنا إلى خريطة التوزيع اللغوي لهذه اللغة الأمازيغية، فيمكن تقسيمها إلى مجموعات لغوية في مناطق مختلفة هي:

أ- الجماعة التي تتكلم باللهجة المعروفة بالشاوية(باتنة، خنشلة، أم البواقي، تبسة، سوق اهراس...) وداخل هذه المجموعة تتفاوت نسبة استعمالها.

ب- الجماعة التي تتكلم باللهجة المعروفة بالقبائلية(تيزي وزو، بجاية، البويرة، بومرداس...).

ج- الجماعة اللغوية التي تتكلم باللهجة المعروفة بالمزابية(غرداية والمدن الإباضية الأخرى).

د- وهناك جماعات لغوية تتكلم بالأمازيغية كذلك، ولكنها بدرجة قليلة في كل من «ورقلة، ونجوسة، وقورارة وجنوب وهران، وجيل بيسا وشنوا».¹

واللغة العربية هي اللغة الغالبة في المجتمع الجزائري سواءً من حيث عدد متكلميها، أو من حيث أنها لغة السلطة السياسية والثقافية، والتي تعبّر عن وجهة النظر السياسية والاجتماعية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية.

¹- شاكر سالم، مرجع سابق، ص13.

واللغة الفرنسية تحظى كذلك باستعمالات في بعض المؤسسات والإدارات تحديداً، وحتى في المجالات الثقافية.

وهي لغة الربط بين مختلف المناطق بتنوع خصائصها، وهناك تعايش لغوي قوي في الممارسات اللغوية في المجتمع الجزائري، بين العربية بتنوعها وبين الأمازيغية بلهجاتها المختلفة، وهو ما خلق الألفة اللغوية التي أدت إلى الألفة الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

أما اللغة الفرنسية فكان تواجدها مرفقاً بالتواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر، ونظراً لطول المدة التي تواجد فيها هذا الاستعمار كان لها التأثير البالغ، حيث بقيت أداة للعمل في الإدارات، إلى جانب أنها كانت وسيلة حتى في التواصل اليومي لدى بعض الأسر المثقفة.¹ وكذا في مجال التعليم، فأصبحت العربية مطاردة في كل مكان.

وقد عبر «Rovigo» عن ذلك بقوله «إنني أنظر إلى انتشار التعليم ، ولأن لغتنا هي الوسيلة الفعلية من أجل الهيمنة على هذا القطر، وهدفنا هو تعويض خطوة خطوة العربية باللغة الفرنسية، خاصة إذ يذهب الجيل الجديد جماعات جماعات للتعليم في مدارسنا...».²

ومنه يمكن أن نستخلص أن اللغة الفرنسية في واقعنا اللغوي لازالت فاعلة، وهذا من خلال استعمالاتها في المجالات الرسمية والإدارية، وحتى في المعاملات الشفوية، وهناك من يعتبرها الوسيلة لمعرفة الحضارات الأجنبية والاطلاع عليها، وهي بمثابة سبيل للتطور التكنولوجي، ، فالיום كما نرى أن اللغة العالمية الأولى الإنجليزية وبالتالي، فهي نفرض نفسها في جل المجالات، والأجدر بذلك اللغة العربية بصفتها لغة القانون الإلهي الذي يسير الكون، ويرسم معالم الحياة على جميع المستويات، فالمجتمع الجزائري معروف عنه أنه يتميز بالتنوع اللغوي، إلا أن هناك تفاهم بين لغات المناطق المختلفة، سواءاً اللهجات العربية في الشرق والغرب والوسط والجنوب، أو بالنسبة للهجات الأمازيغية فيما بينها، حيث نجد بعض الاختلافات في نطق بعض الكلمات أو اللفظة الصوتية فقط.

1- السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي :

لعل الدور الكبير الذي تلعبه اللغة في الحياة الاجتماعية للأفراد والمجتمعات ، تساعد في الوصول إلى مراكز السلطة والقرار ، وبالتالي التأثير في العديد من المجالات ، وهو ما يفرض

¹ - حفيدة تازورتي: إكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص 98.

² - Taleb Ibrahimi(Khaoula) : Op-Cit, p36.

تدخل ما للسلطة السياسية في القرارات اللغوية (الميدان اللغوي)، ويكون خاصة من خلال السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي .

فالسياسة اللغوية هي " مجمل الخيارات الواعية ، المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة ، والحياة في الوطن "¹، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأطراف الرسمية ، التي تعمل على اختيار لغة ، وتكون الدولة هي الأكثر تأثيرا في فرض خيارات لغوية ما ، وهذا لا يلغي بعض السياسات اللغوية الخاصة بكل جماعة أو فئة ، ولكن ضمن الإطار العام للمجتمع ، فالدولة هي التي تحدد اللغة ذات الطابع الرسمي والوطني لها .

أما التخطيط اللغوي فهو " البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية ، وعن وضع هذه الوسائل موضع التنفيذ "²، وهو أيضا " مصطلح حكومي سلطوي طويل المدى، بوصفه جهدا واعيا لتغيير اللغة ذاتها، أو لتعديل وظائفها في المجتمع، بهدف حل مشكلات الاتصال والتواصل بين أفراد "³.

أي أن هذا التخطيط اللغوي، يمكن اللغة من تحقيق وظائفها، آخذا في الحسبان كل المتغيرات اللغوية ، والادوار المتعددة في المجتمع ، كما انه يفترض سياسة لغوية ما ، ويحتاج إلى إمكانات ، تمكن من تجسيد وتنفيذ تلك السياسة اللغوية ، وهو ما يجعل تدخل الدولة ضروري لتنفيذ هذه السياسة عمليا، اذ نجد اتخاذ الدولة (في الجزائر) بعد الاستقلال قرارا باتخاذ اللغة العربية كلغة رسمية ووطنية ، وتبعت هذا القرار مجموعة من الإجراءات بغرض تنفيذ هذا القرار، كإدخالها في المدارس والإدارة و....الخ، ولكن تنفيذ هذا القرار كان صعب التحقيق عمليا ، وبخاصة في مراحله الأولى ، وكذا كل قرارات التعريب المتخذة على فترات زمنية محددة ، إلا أن ذلك لم يتحقق بالصورة المخطط لها ، وبقيت اللغة الفرنسية ، لغة الإدارة والاقتصاد، ولغة التكنولوجيا

¹ -لويس جان كالفالي ، مرجع سبق ذكره ، ص 221.

2- السيد عبد الفتاح عفيفي، مرجع سبق ذكره ، ص 170.

3- لويس جان كالفالي ، المرجع السابق ، ص 223.

وتهدف " السياسة اللغوية ، والتخطيط اللغوي من ورائها ، إلى التأثير في شكل اللغة ، أي إلى تنميط اللغة الوطنية وتقييسها " ¹ ، وهذا التنميط هو كل محاولة " تهدف إلى توحيد القواعد النحوية، وصيغ النطق، لتتماشى وفق المعايير اللغوية المكتشفة أو المستحدثة من قبل بعض الهيئات الرسمية، أو من قبل بعض الجماعات، التي تجعل من نفسها حارسا أميناً على هذه اللغة " ²، فهو يقع (التنميط اللغوي) على ثلاث مستويات ³ :

-مستوى الخط، حين يتعلق الأمر بان يبتدع خط اللغة الشفوية ، او ان يغير الخط المعتمد فيها ، او ان تغير أبجديتها.

-مستوى المعجم، حين يتعلق الأمر بخلق وحدات معجمية جديدة (بالاقتراض او بالتوليد)، ليسمح للغة بالتعبير عن معان، كان يعبر عنها بلغة أخرى .

-مستوى الأشكال اللهجية ، حين يكون للغة التي ارتقت حديثاً إلى مستوى اللغة الوطنية أشكال مختلفة باختلاف مناطقها ، ويجب ان يختار واحد من هذه الأشكال ، وإما أن يخلق شكل جديد يأخذ من مختلف اللهجات .

ولعل هذه الحالة ، تنطبق بصورة كبيرة على الوضع اللغوي الحالي في الجزائر، والذي تم اتخاذ القرار فيه باعتبار اللغة الامازيغية لغة وطنية ، وهو ما يفرض تنميط لغوي ، اذ نجد هناك اختلافات وتباينات عميقة، سواءا على المستوى الرسمي، أو السياسي ، أو النخبوي ، أو حتى على مستوى الجماعات اللغوية الناطقة بهذه اللغة (الامازيغية)، في استعمال الخط ، أو الأبجدية ، الأنسب للامازيغية ، ولعل هذه النقطة المحورية ، ستكون ذات تبعات أيديولوجية ، تزيد من التنافر والانقسامات ، بين هذه الجماعات ، في ظل غياب سياسة لغوية مبنية على أسس علمية وبحثية ، مراعية لجميع التشكيلات الاجتماعية في المجتمع.

فكثيرا ما ينتج " عن اتخاذ قرار النظام اللغوي ، وضعيات اجتماعية تتضمن عدم رغبة الأفراد في تعلم لغة ما ، لا تستخدم في كلامهم اليومي " ⁴

وهذا أيضا ، قد ظهر في التجربة الأولى في تدريس اللغة الامازيغية في المدارس الجزائرية ، في المرحلة الابتدائية ، للموسم 1996/1995 ، بعد قرار الدولة بإدخال الامازيغية إلى

¹ - برنار صبولسكي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة/ عبد القادر ستقادي، دويوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص. 163.

² - 3- لويس جان كالفالي ، المرجع السابق ، ص 223.

⁴ - برنار صبولسكي ، المرجع السابق ، ص 164.

المدارس ، والتي لقيت عدم الإقبال والرفض ، من قبل أولياء التلاميذ ، وخاصة بعد اكتشاف أن اللغة المدرس بها ، لا تراعي خصوصية اللهجات المنتشرة في المناطق الناطقة بها ، وخاصة عند الشاوية وبني مزاب والتوارق .

كما أن السياسة اللغوية ، تتدخل في العلاقات بين اللغات ، في أوضاع التعدد اللغوي ، ولعل هذين النوعين من التأثير (التأثير في اللغة ، التأثير في اللغات - حالة التعدد) ، يمكن أن يتداخلا ، إذ يمكن أن يؤدي التدخل في لغة من اللغات إلى ترقيتها واعتمادها لغة وطنية ، تسعى السياسة اللغوية فيما بعد إلى تنميطها¹ .

خلاصة :

وخلاصة هذا الفصل يمكن القول بشكل عام إن وضع اللغة له انعكاس على الوضع الاجتماعي والاتصالات ، فقبل مجيء الإسلام ، كانت توجد مجموعة من اللهجات واللغات على مر التاريخ ومنها الأمازيغية، وفيما بعد وخلال العصر الإسلامي استعملت العربية على نطاق واسع باعتبارها لغة التعليم الديني ولغة القرآن ،وبعد الفترة الاستعمارية أخذت الفرنسية تسود في الاستعمال عن طوعية أو كرهاً باعتبارها اللغة الرسمية للإدارات والأنشطة، وهكذا بقي حال اللغة إلى غاية الاستقلال ،ومع مرور الزمن استقرت اللغات الثلاث بأولويات(العربية-الأمازيغية-الفرنسية).

¹ - لويس جان كافالي ، المرجع السابق ، ص 223.

الفصل السادس

واقع الممارسة اللغوية في المناطق
الناطقة بالأمازيغية

تمهيد :

إن تواجد اللغة الأمازيغية كان منذ إمتداد تاريخي عميق، وكذا امتداد جغرافي شاسع يرجع إلى قرون مضت، وكما هو معلوم أنه تتأثر الممارسة اللغوية للأفراد وتنشئة الأبناء على اللغة أو اللهجة التي ينشئون عليها بالأصل الجغرافي، لتواجد وتفاعل هؤلاء الأفراد، ويتعلق ذلك خصوصاً بمكان إقامتهم، سواء في الريف أو المدينة، واللغة الأمازيغية تعرضت للإقصاء في شتى مجالات الحياة العامة، وعلى مستوى المؤسسات ذات الطابع الرسمي، وبقي توظيفها سوى في العلاقات الحميمة ، وبعض المجالات المحدودة وبصورة ضيقة ،وهذا الإقصاء يرجع إلى واقع الوضع السوسيو- ثقافي، ولهذا سوف نتطرق في هذا الفصل والمتمثل في واقع الممارسة اللغوية في المناطق الناطقة بالأمازيغية ،إلى التعرف على الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق ، وبعدها التطرق للخصائص الاجتماعية لكل منهم،ولكن قبل ذلك سوف نعرض بإيجاز على وضعية اللغة في الجزائر ، واللهجات الأمازيغية ، والتنوع اللهجي المميز للمجتمع ، وذلك لان اللغة الأمازيغية في الأصل، تختلف في لهجاتها من منطقة إلى أخرى ومن قطاع لآخر، وهذا ما يمكننا إستكشافه في هذا الفصل.

1 - وضعية اللغات في الجزائر:

لقد مرّت الجزائر عبر التاريخ بمراحل عديدة، يتخللها تنوّع لغوي، منه ما هو موروث عن السكان الأصليين للمنطقة، والمتمثلة في الأمازيغية بمختلف لهجاتها، وكذلك اللغة العربية بمنظور هي اللغة الموحدة للعالم الإسلامي، وبما أنها لغة القرآن (اكتسابها لصفة القداسة)، هي التي تصنع الفارق في أغلب المجالات، وكذا اللغة الفرنسية التي جعل منها الاستعمال أمراً لا مفر منه « لقد وجدت جزائر -1996- نفسها تجاه تعدد لغوي حقيقي، وهو يتضمن لغات ذات استعمال يومي تنعت أحياناً بلغات أم، شفوية أساساً، إنها اللهجات العربية والأمازيغية، هناك أيضاً لغة عربية مكتوبة تسمى فصحي أو كلاسيكية، أخيراً لقد أدخل الاستعمار لغة فرنسية تستعمل استعمالاً كتابياً وشفهياً في آن، يترسخ استعمالها بعد الاستقلال».¹

2- اللهجات الأمازيغية:

تعتبر اللهجات الأمازيغية هي الأكبر قدماً بما أنها سابقة للإسلام، ولكن مع دخول الإسلام تقلص حقلها، وأصبحت غير مؤثرة، بسيطرة لغة الدين من جهة، والغزو الاستعماري من جهة أخرى، جعل منها الأقل أهمية بفرض هيمنته اللغوية على مجموع المغرب العربي، وجعل لغته هي الأساس في جميع المجالات، وخاصة في أهم قطاع وهو القطاع التعليمي، وما بقي يدرس في المساجد هو حفظ القرآن، وتقديم بعض الدروس باللغة العربية، فهي كذلك محل اهتمام وسبيل للتواصل والتفاعل بين أبناء الشعب الواحد « نفترض أن المتغيرة اللسانية المؤهلة في سوق الاستعمال اللغوي للاضطلاع بذلك، هي العربية بوصفها لغة السلم الثقافي في محيط مطبوع بالتعدد اللغوي والتنوّع الثقافي».²

3 - التعدد أو التنوع اللهجي:

إن أساس التنوّع اللهجي هو إمكانية الاتصال والتفاعل وممارسة الحياة اليومية في الوطن، دون أي عوائق لغوية شائكة « إذا كان التعدد اللغوي مبدئاً مستحبا، لأنه يمكن من الاتصال والتفاعل، فإن التعدد اللهجي مشروع كذلك لأنه يتيح التنوّع، لذلك يستند البعد الثاني لهذه السياسة اللغوية إلى مبادئ الهوية الثقافية الوطنية الشمولية والتنوّع المحلي».³

¹ - جليبر غرانيوم، مرجع سابق، ص .

² - آفاق، مجلة إتحاد كتاب المغرب، محمد غنايم، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006، ص 190.

³ - أمانة إبراهيمي: وضع اللغة العربية-المغرب وصف ورصد وتخطيط، مطبعة الأمانة، الرباط، ط1، 2007، ص 128.

4- الشاوية:

هذه اللهجة معروف عنها أنها تخص منطقة الأوراس، فأهل هذه المنطقة هم الذين يتكلمون هذه اللهجة، وقد كان تحديد منطقة الأوراس جغرافيا محل اختلاف عند الباحثين، وحتى نحدد منطقة الأوراس في الجزائر نشير إلى أنها تستعمل للدلالة جغرافيا على كامل جبال الأوراس، يأخذ بعين الاعتبار كل امتداداتها الطبيعية، فهي تضم الكتلتين الأوراسيتين الشرقية والغربية، الشرقية المتمثلة في «أوراس النمامشة» والكتلة الأوراسية الغربية متمثلة في «أوراس بلزمة»، وتشمل خاصة (باتنة، خنشلة، تبسة، سوق اهراس)، وقد كانت هذه المناطق وأثناء التقسيم السابق للولايات، بأنها تسمى ولاية الأوراس وعاصمتها باتنة، وقد وصف «بروكوب» منطقة الأوراس بأنها « تتميز بثلاث مواصفات أساسية ومتكاملة في نفس الوقت، فهي مرتفعات مناهضة لمن يباشرها لأول مرة، وهي النعيم لمن يعيش بها أو يعبرها سالماً، إلا أنها ضد العدو الذي يهاجمها، توفر لسكانها مناطق محصنة ومواقع دفاعية...، وأن محيط هذه السلسلة يستغرق مسافة حوالي ثلاثة أيام بالنسبة لمسافر غير متنقل بالبضائع».¹

ويتضح لنا من هذا أن سكان منطقة الأوراس (الشاوية) أفرادها يسمون بروح الدفاع عن منطقتهم، كما أنهم يتسمون بروح الاستقبال والضيافة لمن كان عابراً بها أو مسالماً بحيث يتسنى لزائرها التمتع بمناظرها الخلابة وبجمال طبيعتها.

4. 1. خصائص منطقة الأوراس:

تتميز منطقة الأوراس بظروف طبيعية قاسية وتغطي معظم مساحتها أشجار وأحجار كثيرة تفصل المناطق بعضها بعضاً، وهو ما يصعب مسالكها، كما أنها كانت تتميز قبل القرن الثاني الميلادي بازدهار حواضرها الواقعة بمحاذاة السفوح الشمالية والجنوبية على حد سواء، وتعتبر منطقة حصينة نظراً للكتلة الجبلية التي تميزها، وهو ما يسهل عملية الدفاع عنها، وفي مقابل ذلك يصعب إختراقها والتغلغل في أعماقها، وهو ما كان فعلاً من خلال الحقب التاريخية على المنطقة من خلال رفضه لأي احتلال أجنبي له « رفضهم للحضارة الغربية».²

¹ - عيش يوسف: "الأوراس في مصادر القرن السادس الميلادي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، العدد2، مارس 2003، ص97.

² - ركيبي عبد الله: الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1999، ص 44.

وكل هذه الظروف أثّرت على مجالات عديدة سواء في النواحي الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية اوحى من ناحية طريقة العيش والتصرف.

4. 2 . سكان الأوراس:

إن البحث عن أصل سكان الأوراس لا يخرج عن البحث عن أصل سكان شمال إفريقيا والمغرب العربي « فهناك من اعتبرها منطقة مغلقة لم تتسرب إليها المؤثرات الرومانية قط، مما جعلها خزاناً بريئاً...، وهناك من حاول إبرازها بوجه مسالم متفتح على التأثيرات الرومانية خاصة، وهذا من خلال زراعة الزيتون ومن خلال المنشآت العمرانية المكتشفة...»¹

وعموماً فثمة تساؤلات عن مدى أصالة التركيبة البشرية القاطنة بهذه المنطقة، فهناك من يعتبر سكان جبال الأوراس أنهم « عناصر مختلفة بالإضافة إلى سكانه الأصليين -البربر- فقد انضم إليهم في أحقاب متقدمة سلاسل من غزاة الرومان والروم البيزنطيين، وفي أيام الفتح الإسلامي، كانت تسكنه قبائل من زناتة، ثم حل به قبائل هواره ولواته...، على أن إغارة الهلاليين قد غيرت من موقف الشعوب بهذا الجيل...»²

وهناك من يعتبرهم أنهم لا يخرجون عن تلك التكونات (التكدسات) الطويلة للعناصر المتناثرة والمختلفة فوق هذه الطبقة العميقة (الأوراس)، لكل من (الرومان والوندال والبيزنطيين والعرب...) ، وبذلك يصعب الحديث بالتحديد عن تكون أو تشكّل الشاوية.³

وقد اعتبر «عبد الرحمان الجيلالي»⁴ ، أن التأثير العربي على الأوراس كبيراً، حيث امتزج العنصران امتزاج الماء بالماء، فتبرير العرب وتعرب البربر، وأصبح منذ تلك الفترة يطلق عليهم اسم الشاوية، وأصبح هذا الاسم فيما بعد يطلق على عدة جماعات تسكن أرض المغرب العربي أهمها: هؤلاء الشاوية بالأوراس بالقطر الجزائري، وشاوية (تامسنا) بالمغرب الأقصى.

وإذا نظرنا إلى كلمة «الشاوية» فإننا نجد أن لها دلالتين، أنها تطلق على الإنسان الأوراسي الذي يقطن بمنطقة الأوراس، وهي جمع لكلمة «شاوي» كما أنها تطلق على اللغة (اللهجة) التي يتحدث بها سكان منطقة الأوراس.

¹ - عيش يوسف، مرجع سابق، ص 97.

² - الجيلالي عبد الرحمان: "شخصيات لامعة من الأوراس"، مجلة الأصالة، مرجع سابق، ص 105.

³ - Mathéo(Gaudry) : **La Femme Chaouia de l'Aurès**, éd Chihab, Awal, Algérie, p.20.

⁴ - الجيلالي عبد الرحمان، نفس المرجع السابق، ص 106.

وتعتبر الشاوية كباقي اللهجات المحلية الأخرى أو التي تتسم بطابعها الشفوي، أي أنها متعاملة بين أفراد السكان في صورتها الشفهية لأنها غير مكتوبة، والشاوية في الجزائر هو السكان القاطنين بمنطقة الأوراس، وهذا بصرف النظر عن إن كانوا يتكلمون الشاوية أو العربية، وقد نجد كثيراً من القاطنين يؤكدون إنتماءهم للشاوية، ولكن لا يتحدثون اللهجة الشاوية، وهو ما يجعل مقياس النطق (التكلم بها) ليس هو الأساس الذي نحدد به المجتمع الشاوي.

4. 3 . الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأوراس (الشاوية):

الحديث عن الحياة في طابعها الاجتماعي، يقودنا إلى الحديث عن نظام الجماعة والتي يطلق عليها باللهجة الشاوية «ثاجماث»، وفي بعض المناطق «لجمماث»، هذه الجماعة تضم مجموعة أفراد يختلف عددهم من منطقة لأخرى، يقوم بقيادة هذه الجماعة شخص، وهو غالباً ما يكون كبير السن يطلق عليه «أمغار» أي «الشيخ»، وهذا الشيخ يحتكمون إليه في كل ما يحدث داخل هذه القبيلة أو العرش، وغالباً ما تحلّ جلّ القضايا من صراعات ونزاعات دون أن تصل إلى المحاكم.

ونظراً للتغير الاجتماعي الحاصل في المجتمع اليوم، نجد في واقعنا أن هذه الجماعات ودور «أمغار» على المستوى الظاهري قد تقلصت أدواره كثيراً، إلا أن ذلك لم يمنع من تواجدها في بعض المناطق، ولا زالت تمثل رمز وإرث يجب المحافظة عليه، خاصة في المناطق المعزولة.

ومن بين كذلك الأعمال التضامنية التي تدل على تماسك وتضامن الأعراس، ما يعرف بـ«التوزيع»، وهي عبارة عن أعمال تضامنية يقوم الأفراد من خلالها بتقديم يد المساعدة للأسرة أو العائلة بالتعاون في الكثير من الأعمال التي تستدعي وفرة اليد العاملة، كما يقومون بتقديم المساعدة للأسر التي طرأ عليها مشكل ألحق بها ضرر مادي، وذلك لجمع المال وتقديم الدعم المعنوي له كذلك.

أما على مستوى الأسرة، فبرغم الدور البارز للمرأة والتي أصبحت جزء مهم في تسيير الأمور والأعمال إلا أن سلطة الأب لدى أغلب الأسر لا زالت قائمة، وخاصة في المناطق الريفية.

فالمرأة في منطقة الأوراس الشاوية، هي التي تقوم بتربية الأولاد والتكفل بالأعمال البيتية، والأعمال المتعلقة بالنسيج (البرنوس، الزرابي،...)، وكذا تربية الدواجن والمواشي، خاصة إذا كانت الأراضي الزراعية قريبة منهم « تخضع لها المرأة الشاوية جزئياً أو كلياً، كأعمال النسيج وصناعة الفخار، تجفيف الخضر والفواكه...، وصناعة الحلفاء...»¹.

¹ – Mathéo(G) : OP cit, p.125.

كما نجد أن لسكان منطقة الأوراس بعض العادات والتقاليد التي تخصهم ،ومن ذلك اثناء دخول فصل الربيع (ثافسوث) ،حيث يقام الاحتفال بهذه المناسبة بصنع الحلويات كـ«الرفيس» ، وكذا لعب ما يعرف عندهم «ثافوست» ، وهي عبارة عن لعبة جماعية يقوم بها الأفراد (سواء النساء أو الرجال) ،حيث يأخذ كل واحد منهم عصا، وتوضع بينهم قطعة مصنوعة من الصوف والقماش على شكل كرة صغيرة، ويقسم إلى فريقان ثم يتم اللعب ،وهذا في اعتقادي دليل على بركة هذا الفصل وما يحمله من خير خاصة في المجال الفلاحي.

وهناك بعض العادات والتقاليد لا تزال موجودة إلى اليوم بنسبة قليلة، وهي في تلاشي مستمر في ظل التغيرات الحاصلة في المجتمع، وخاصة لعنصر ما يعرف بالجيل الجديد.

أما عن الحياة الاقتصادية نجد أن سكان الأوراس (الشاوية) يعتمدون بصورة أساسية على الزراعة وتربية المواشي، وهذا دليل على ارتباطهم بالأرض وقوة الاستقلال الذاتي لمهنتهم، وإن منطقة الأوراس في فترة ما كانت معزولة من وجهة النظر الاقتصادية والاجتماعية «...لم تلبث الأوراس أن تحولت إلى منطقة خامد فاقدة الحركة، وذلك ابتداءً من القرن الثاني عشر الميلادي...، وقد يعود هذا إلى نوعية العلاقات الاجتماعية التي أدت إلى اضمحلال المنطقة إقتصادياً وبشرياً...»¹.

وهذا ما يجعل حكم «ابن خلدون» ينطبق عليها، إذ أن كل قبيلة من المغرب غالباً ما تكون عرضة للتلاشي والذوبان إذا ما تحملت عبء قيام دولة أو... أو التصدي لغزو أو الدخول في حروب مستمرة ،وهو ما يعني ذوبان هذه القبائل وتشتتها غير مواطنها الأصلية أو الهجرة نحو مناطق أخرى.²

فهذه الوضعية جعلت الأوراس يعيش اقتصاد مغلق ومرتکز أساساً على الزراعة وتربية المواشي، وكانوا كذلك يمتنعون بعض الحرف كصناعة الأواني الفخارية...، إلا أنهم رغم بعض الممارسات لبعض الأنشطة إلا أنهم يعتمدون أكثر على المجال الفلاحي الذي لا يزال ليومنا هذا مجال حيوي في المنطقة رغم توسع المهن المختلفة.

4.4. الحياة الثقافية لمنطقة الأوراس (الشاوية):

الثقافة كما هو معلوم هي مركب من قيم وعادات وتقاليد وسلوكات، كما تشمل الفنون والآداب وكل ما يتعلق بالإنسان، فالفرد باحتكاكه مع أنماط اجتماعية وثقافية وتفاعله معها، يجد نفسه مضطراً

¹ - سعد الله أبو القاسم، مرجع سابق، ص462.

² - المرجع نفسه ، ص464.

لإتباع نمط ثقافي محدد، أو أنه يشكل محل إجماع لمجموعة اجتماعية أو لمجتمع ما؛ فلا مجتمع بدون ثقافة ولا ثقافة بدون مجتمع فهي رمز كل حضارة.

والمجتمع الشاوي يمتلك تراث ثقافي كبير يمكن أن تكون مكانته ساطعة داخل وخارج المجتمع، أنه التراث الثقافي الأمازيغي، واللغة سواءاً لفظية أو غير لفظية، فهي تعكس ثقافة المجتمع وتعتبر اللهجة المحلية «الشاوية» إحدى اللهجات الأمازيغية التي لا تزال محافظة على تواجدتها واستمراريتها وتواصل الأجيال فيما بينهم بها، واللهجة الشاوية في مجتمع الأوراس لها شعرائها الذين يتغنون بها، ولها قصاصها، ولا يزال الناس يتخاطبون بها في عفوية وتلقائية وفي جميع الممارسات. فهذه اللهجة «الشاوية» ظلت مطبوعة بتاريخها بواقع أنها جرى استعمالها لوقت، وهي لا تزال مستعملة حتى الآن.

ولعل الحفاظ على هذه اللهجة المحلية إلى اليوم ودوامها فإنه يرجع إلى «روح التعصب والانتماء القبلي التي تجعل هذه الجماعة اللسانية... متفانية في الإخلاص للتقاليد التي نشأت وتطوّرت بداخلها... والتي تعتبر من المسائل الأولى التي يتلقنها ويتشربها الفرد في صباه...»¹ وكما سبق وأن ذكرنا أن المجتمع الشاوي مبني على النظام القبلي والعشائري، والذي يكون فيه التماسك والتضامن والتلاحم بين أفراد الجماعة بما في ذلك اللغة التي يتحدثون بها. وتعتبر منطقة الأوراس منطقة أثرية ذات قيمة تاريخية كبيرة ويتجلى ذلك في المعالم والآثار والمدن القديمة المنتشرة في الأوراس، مثل ضريح إدغاسن والذي يعود إلى القرن الثالث قبل المسيح، وكذا «لمباز» مقر اللفيث الثالث الروماني، أوغسطو وتيمقاد وكذا مشونش واحة وادي الأبيض، وسوق أهراس مسقط رأس الفيلسوف والباحث أوغستان.²

ولا ننكر دور الغناء والشعر في الحفاظ على التراث الثقافي للمنطقة، ومعظم هذه الأغاني والأشعار رسداً للحياة الاجتماعية للسكان، وما يعانون من مشاكل، وما لديهم من طموحات وآمال، ويؤدي ذلك أثناء العمل في الحقول أو إقامة الأعراس ولديهم ما يعرف بـ«نظام الرحابة»، وهو أداء غنائي بتشكيل مجموعتين يتقابلون فيما بينهم في مكان معتدل يسمى «الطرحث»، وبعدها يردد ويتداول الطرفان الكلمات وفق تناسق وتناعم تام، وهذا يعرف بالتراث الأصيل للأغنية الشاوية.

¹ - ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مصطاع صفيدة، سالم يغوت... وآخرون، مركز الإنماء القومي، لبنان، بيروت، 1989، ص 262.

² - الجزائر، الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ص ص 354-355.

ونشير إلى أن الأغاني ليست بالضرورة تغنى باللهجة المحلية ،بل تكون أيضاً بالعربية الدارجة وأحياناً معاً، وإلى يومنا هذا لا زال هذا الطابع التقليدي محافظاً على تواجدته وتداوله، ويكون أكثر بروزاً في المناطق الريفية.

كما نجد انتشار الصناعة التقليدية والحرفية في المنطقة كصناعة الزرابي، وتلك الرموز الإبداعية التي تكون فيها، وصناعة الفخار، وذلك بالنقوش التي تستعمل على ظاهرها وكلها تساهم وتعبّر عن الإبداع الثقافي في المنطقة.

أما الحياة الثقافية اليوم، فهي أكثر نشاطاً وحيوية من خلال تفعيل وإحداث مؤسسات تسهر على ذلك، كالمؤسسات التعليمية والمؤسسات الثقافية الأخرى (المسرح، السينما، دار الثقافة،...) وأصبحت كلها وسائل تهدف إلى خدمة الثقافة، إضافة إلى دور الجمعيات المحلية في المنطقة.

ومهما تطرقنا إلى مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية الثقافية، لا يمكن تحري كل الخصوصيات في هذه المجالات، وتحتاج إلى دراسات أعمق، وما يمكن استخلاصه هو أن منطقة الأوراس (الشاوية) لازالت محافظة على لهجتها المحلية «الشاوية» في مناطق متعددة ولدى الأوساط الشعبية المختلفة، وبخاصة في المناطق الريفية حيث لا تزال اللغة الأولى المستعملة في الأسر، والتي يتعلمها الأبناء في صغرهم، وهذا ما يجعلهم يمارسونها ويتداولونها فيما بينهم، وبالتالي الحفاظ على إستمراريتها لدى الأجيال بصورتها الشفهية.

أما بالنسبة للعربية فلا ينظر إليها أنها لغة أجنبية، بل يعتبرونها لغة وطنية وجزء من شخصيتهم وكيانهم، وهذا ما جعلهم يستعملونها أيضاً في شتى مجالات حياتهم المختلفة، وكذا نقلها إلى أبنائهم.

أما اللغة الفرنسية فينظر إليها كلغة أجنبية داخل المنطقة، وليست مركب يدخل في شخصيته وكيانه وثقافته، لكن هذا لا يمنع من تعلّمها لمعرفة الثقافات والحضارات والعلوم الأخرى.

4. 5. الوضع اللغوي في منطقة الأوراس (الشاوية):

الواقع اللغوي في هذه المنطقة لا يكون منفصلاً عن الواقع اللغوي الجزائري ككل، وتستعمل اللهجة الشاوية كلهجة من الأمازيغية، وبذلك تكون اللغات التي تشكل المشهد الثقافي واللغوي في

الأوراس هي: (اللغة العربية الفصحى - اللغة الدارجة الأوراسية* - اللهجة المحلية الشاوية، الفرنسية)، حيث يؤدي تواجد وحضور مختلف هذه اللغات، إلى ظهور أوضاع لغوية تجعل في أغلب الأحيان ثلاث لغات تتداول وتتوافق في التجمعات الحضرية (المدينة)، وخاصة أن نسبة التمدن هامة، ونجد في بعض المناطق الريفية لغتين كما أنه توجد في بعض المناطق المعزولة لغة واحدة، وقلة ما نجد ذلك، وهناك بعض الأفراد غير الناطقين بالأمازيغية في منطقة الشاوية، لا يعرفون هذه اللغة وتكون لغتهم هي الدارجة.

وهي اللغة المستعملة في شتى معاملاتهم، وهذا يحدث بعض الاختلالات اللغوية بينهم وبين الناطقين بالشاوية أثناء التواصل فيما بينهم، وتعتبر المنافسة اللغوية في الأوراس -إن صح القول عليها- بين اللغتين كبير، ويكون الاستعمال كثيراً للعربية الدارجة نظراً لانتشارها الواسع، وبعدها إلى اللهجة الشاوية، ثم بعد ذلك اللغة الفرنسية، إلا أن هذه الاستعمالات اللغوية تبقى نسبية لعدم وجود دراسات وإحصائيات دقيقة.

فالاستعمالات لهذه اللغات، نجد أن اللغة العربية الفصحى هي الأكثر استعمالاً، وهذا لطابعها الرسمي، في حين تشهد العربية الدارجة انتشاراً واسعاً، وبملاحظتنا بالمشاهدة يستطيع أي إنسان أن يلاحظ ذلك، وخاصة في المنطقة الحضرية، كما نجد أن اللهجة المحلية الشاوية، تستعمل في جميع المجالات اليومية، وفي المواقف غير الرسمية (التي تأخذ طابع مؤسساتي)، حيث تستعمل في السوق، المحادثة اليومية،... وكذا بعض وسائل الإعلام، وتكون اللهجة الشاوية مستعملة بصورة كبيرة في المناطق الريفية، واستعمال الفرنسية نادراً ما نجده عند بعض الفئات خاصة المتعلمة منها (ذات ثقافة عالية)، ناهيك عن بعض المفاهيم والمصطلحات التي تستعمل في العربية والدارجة والشاوية.

وخلاصة ما تم ذكره، أن هذه اللغات واللهجات المتعايشة في الأوراس، من عربية ولهجة محلية، هي قادرة على تشكيل مصادر للذكاء والخيال لفائدة تقدم وتطور البلاد، وأهم ما يمكن الوصول إليه، أن تواجد العربية والشاوية في منطقة الأوراس لم يأخذ طابع الصراع المفضي إلى الغاء الآخر، واللغتان متعايشتان بعلاقة حميمية متكاملة من أجل هدف واحد وهو خدمة الصالح الوطني، وهو ما

* - أطلقت عليها هذا الاسم لما رأيته من الاختلافات الموجودة أثناء الحديث بهذه الدارجة عن بعض المناطق، كما أشير حتى أن داخل الولاية أجد أن هناك إختلافات في دارجة المدينة، ودارجة الريف، وهذا بملاحظتي المقصودة لهذا الغرض حتى أن اللهجة الشاوية تختلف من منطقة لأخرى.

لم يؤدي إلى انزلاقات وأزمات على الأقل خلال فترة الأحداث التي عرفتھا الجزائر بسبب مشكل الأمازيغية.

5- بني ميزاب:

5. 1 الطور الحضاري لمزاب: يعتبر الطور التاريخي لمزاب كغيره من الحقب التاريخية التي تمر به العديد من المناطق عبر المكان والزمان، ومزاب لا يخلو أصلهم عن شمال إفريقيا والمغرب العربي، وأصولهم تعود إلى زمن بعيد، ويمكن تقسيم تاريخ مزاب إلى أربعة عقود متميزة:¹

العهد الأول يمتد من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، وكان سكان هذه المنطقة التي تعرف ببادية بني مصعب، يمتازون بالعيش البدوي البسيط، واعتنقوا الإسلام ويعتمدون في عيشهم على تربية المواشي والزراعة.

العهد الثاني يمتد من نهاية القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن، وفيه تم تأسيس القرى الموجودة حالياً على وادي مزاب، واعتمد بنوا مزاب على الفلاحة، وتحولوا تدريجياً إلى المذهب الإباضي، وأُنيطت إدارة كل قرية بحلقة العزلة التي مقرها المسجد.

والعهد الثالث يدوم أربعة قرون ونصف من بداية القرن التاسع إلى إمضاء عقد الحماية مع فرنسا عام 1269هـ/1853م، وفي هذه الفترة توسّع العمران وكذا ممارسة التجارة، وقدم قوافل جديدة بالمنطق، وأسست القرارة وبرّيان، وكل هذه التطورات أحدثت العديد من الفتن المزمنة.

العهد الرابع دام قرن، فقدّ فيه مزاب الاستقلال السياسي، وبمقاومة الاحتلال الفرنسي والمطالبة باحترام بنود معاهدة الحماية، وفيه تأثر بنو مزاب بالثقافة الأوروبية، وكان لهم الدور في استرجاع السيادة الوطنية.

¹ - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط3، 2014، ص3-4.

5. 2. سكان بنوا مزاب:

يقول الشيخ مبارك الملي: «ومن أفخاذ بادين مصاب بالوطن المعروف بهم المدعو اليوم مزاب، والزاي والصاد متقاريان».¹

ومصاب هو مصعب بن محمد بن بادين، إنتقل بنوه إلى الشبكة* مع بني إخوته عبد الواد ولجين وزردال، وهم من الطبقة الثانية من زناتة، وحسب ما ورد فإن بني مزاب كانوا يقطنون في مناطق أخرى، وربما لأسباب سياسية أو جغرافية انتقلوا إلى بلاد الشبكة.²

أما سبب تحريف مصعب إلى مزاب فلأن من البربر من لا يستطيع النطق بالعين مخففة، وإنما ينطق بها همزة وكذا تقارب مخارج الصاد والزاي والصاد، وتعدد اللهجات من جهة أخرى وتقدم العهد من جهة ثالثة، أدت إلى الاختلاف في نطق هذه الكلمة، فقالوا مصعب ومصاب ومُصاب ومُزاب ميزاب، وكل هذا لا يغير من بعض الخصوصيات التي يتميز بها هذا المجتمع (المزابي)، والتي لا تكاد تتمايز عن المجتمع الكلي للدولة الجزائرية وتبقى التسمية المتداولة اليوم هي بني مزاب.

5. 3. اللغة المزابية:

إن اللغة المزابية هي كغيرها من اللغات التي ينطق بها الإنسان على حسب موروثه اللغوي، وتتشبته الاجتماعية، والتي يمكن لها أن يتواصل بها ويتفاعل مع غيره ليتمكن من مسيرة الحياة بشكل طبيعي، وهي لغة قريبة من الشاوية في الكثير من الكلمات، وهناك تباين ليس ببعيد بينهم «أصلها زناتية، وهي قريبة جداً من القورارية والشاوية والشلحية والنقوسية، من خصائصها الابتداء بالسكان كقولهم (ثمارت) اللحية، و(ثفويت) للشمس».³

ومن خلال ما تم توضيحه من طرف الكاتب للكلمات كثمارت، نعم فهي أقرب إلى الشاوية فعلاً، وكلاهما ينطويان تحت اللغة الأمازيغية في الأساس، وهي كغيرها من اللغات غنية بالأمثال والحكم، وكذلك فيها الشعراء والمغنيين.

«إن اللغة المزابية تأثرت كثيراً باللغة العربية لغة القرآن، لكن الألفاظ المقتبسة منها لم تبقى على هيئتها الأولى، بل صاغها المزابيون على قواعد لغتهم وركبوها تركيباً جديداً، فانسجمت مع

¹ - المرجع نفسه ، ص06.

* - الشبكة: يطلق هذا الاسم على هضبة صخرية كلسية تقع شمال صحراء الجزائر وتمتاز عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية فهي صحراء ضمن صحراء سميت ببلاد الشبكة لأنها تتخللها أودية عديدة.

² - يوسف بن بكير (الحاج سعيد)، مرجع سابق، ص06.

³ - يوسف بن بكير (الحاج سعيد)، مرجع سابق ، ص11.

المزابية، وصارت جزءاً منها لا ينتبه إليها، إلا من عرف أصلها فكلمة (أمبارش) أصلها مبارك وكلمة (ينزال) معناها يصلي».¹

فيمكن القول بأن اللغة المزابية في نظري بني مزاب ، هي لغة استشرافية بالنسبة إليهم ،وعلى هذا الأساس حاولوا صياغة اللغة العربية على قواعد لغتهم وركبوها تركيباً جديداً ، حتى يتمكنوا من مواكبة التطورات وفق اللغة المناسبة لهم، ولم يدركوا جيداً أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوطنية، وتبقى لغتهم ذات خصوصية لا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال.

5. 4. الحياة الاجتماعية لبني مزاب:

الحياة الاجتماعية لبني مزاب كانت تعتمد على نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غالبية حياتهم « وأهم مظهر تتجلى فيه الحياة الاجتماعية بمزاب هو نظام العزابة الذي استقر فيه منذ ما يربو على تسعة قرون ،وكان له أعمق الأثر في النفوس».²

فلهذا النظام أثر كبير على بني مزاب، وكما هو معلوم ذلك لا يخلو من حالات العصبية والإحساس بالمسؤولية تجاه هذا النظام الذي دام لمدة طويلة، ونظام العزابة هو نظام إجتماعي مبني على مراعاة الدين والمحافظة عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الجهلة والأغرار، فهو منبثق من المنهج الإسلامي وحمل شعلته من هم أهل لذلك وكان واضعه حكيماً إلى أبعد حدّ، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة من النواحي الاجتماعية إلا وجعل لمجلس العزابة عليه اشرافاً مباشراً أو غير مباشر وبطبيعة الحال ،هذا النظام مع مرور الزمن وما يحدث من تغير في المجتمع والتقدم العلمي، كل ذلك ساهم في إدخال تحسينات ضرورية على النظام، وهذا ما هو متّبع عملياً الآن، ويقال أن العزّاب هو من يعزب عن الدنيا ويتجه إلى الآخرة بالدعوة والإصلاح الديني وإرشاد الناس إلى ما هو أصلح وأفلح، ولهذا يوجد ما يعرف عندهم بمجلس العزابة وينتدب لهذا المجلس الشخص الذي تتجلى

¹ - المرجع نفسه ، ص12.

² - إبراهيم محمد طلاي: مزاب بلد كفاح، مطبعة الأفاق، غرداية، ص41.

فيه الصفات الحميدة، ومعروف بسيرته المستقيمة، وينتدب لهذا المجلس من طرف كبار العزابة من الشيخ والإمام ومن إليهما، بعد استشارة ذوي الصلاح في القرية، وإذا رضي بالدخول في هذا المجلس قد توكل له مهمة من المهمات، وإذا لم يفلح فيها فللذين انتدبوه الحق في عزله.¹

وأعضاء هذا المجلس من أهم الصفات التي يتمتعون بها، هي التي تضي عليهم سلطة روحية وتغنيهم عن السلطة المادية التي تعوزهم، ولا بد أن يكون العضو المنتمي لهذا المجلس حافظاً لكتاب الله وفقهياً في الدين وملازماً لأحكام الشريعة في سلوكه.

ومجلس العزابة يتكون من اثني عشر عضواً، لكل واحد مهمة خاصة ورئيس المجلس هو الشيخ أو المفتي، وهو يتولى الوعظ بين المسجد والتدريس، وإمام ووكيل أو وكيلان يشرفان على أوقاف المسجد وثلاثة معلمين «فقهاء» لتعليم الصغار والمحافظة على النظام العام للمسجد، وخمسة أعضاء مساعدون تسند إليهم مهمات اجتماعية، ويختلف هذا النظام اختلافاً طفيفاً بين حلقات العزابة في القرى، وهؤلاء يجندون أنفسهم لإعلاء كلمة الله وهم لا يتقاضون أجراً على أعمالهم.

إذا رجعنا إلى الحقب التاريخية وما يكتنفها من غموض، وإذا نظرنا إلى ما تنقله الألسن -إن صح أن نعتمد على ما تقوله - نجد شيئاً من المداراة أو المبدلات الودية بين سكان مزاب وأمراء ورؤساء العشائر كأولاد سيدي الشيخ وأولاد جلاب في بسكرة وأولاد نائل وغيرهم، وأول اتصال سجله التاريخ إنما كان على عهد الولاة العثمانيين من طرف المزابيين المهاجرين للتجارة والعمل في الشمال كقسنطينة والجزائر وسوق أهراس، وهذا الاتصال والعلاقات كان من أجل التعاهد من الطرفين لضمان المصالح المتبادلة.

وللمزابيين دور في دفع أتاوة الدولة ومساعدتها في بعض الصناعات والخدمات الفنية التي تحتاج إليها، ويعينون ممثلاً لدى الباي، وقد أشار الشيخ "أطفيش" في بعض تقاييده إلى أسماء بعض الممثلين أو الأمناء كما يسميهم وإلى تاريخ تعيينهم.²

وكذلك هناك ما يعرف بالمجالس العائلية التي تسهر على تحقيق التوازن للعشيرة داخل القرى، فلا تجد عندهم يتيماً ضائعاً ولا مُقعداً معوزاً ولا أرملة استضعفت ولا غائبا ضاع حقه، ويعمل كذلك

¹ - المرجع نفسه، ص 44.

² - إبراهيم محمد طلاي، المرجع نفسه، ص 46-47.

على الإصلاح بما استطاع إذا ظهر انحراف لأحد الأفراد، وعلى العموم فبني المزاب كانوا في القديم يحتكمون إلى المجالس المتكونة من العديد من الأعضاء يرأسها أحد هؤلاء الأعضاء ، ولابد أن يكون حكيماً حافظاً لكتاب الله عالماً بفقهاء الدين، وكل واحد من هؤلاء الأعضاء توكل إليه مهمة لابد أن يؤديها على أكمل وجه ، وبهذا تتحقق العدالة الاجتماعية، وتزرع روح التضامن والوحدة بين أفراد هذا المجتمع، وبما أنهم يميلون إلى التحكّم إلى الشريعة الإسلامية ، فلا شك أنهم تأثروا باللغة العربية كثيراً ، وهي السلطة المسيطرة في حياتهم ، وهذا مع الحفاظ على لغتهم المزابية مع الإلتقان، كما سبق وأن ذكرنا عملوا على تحسينها وفق قواعد محكمة ، وهذا ما يجعل حياتهم الاجتماعية ثرية بمقومات المجتمع ذات الهوية الأصيلة، المقاومة لكل مؤثرات خارجية، وتمسكهم بالدين ما هو إلا دليل على تشبعهم بأخلاقيات إجتماعية عالية، والعمل على تحقيق المصلحة العامة أكثر منها مصلحة الأنا.

5.5. الحياة الاقتصادية لبني مزاب:

مما هو معروف عن الأراضي الصحراوية، هي أرضي رملية قاحلة يصعب الاستثمار فيها، وهذا ما واجه بني مزاب منذ زمن طويل، والحرث فيها محصور بشريط ضيق يحصره الجبل الصخري والوادي المحصب، وكذا شح الأمطار فهي لا تنزل إلا أحيانا فقط مرة أو مرتين في السنة ، وبكمية قليلة ، فأغلبهم يسعون إلى كسب قوتهم متاجرين عاملين بعيدين عن الديار، مواجهين لكل الصعوبات، والشيء الذي له أعمق الأثر في حياة بني مزاب هو التضامن العجيب الذي وجد بينهم، وكذا الإرادة لديهم والنشاط في ممارسة الاشغال التي طبع عليه العنصر البربري منذ القدم وامتاز به، وكذا تلك الحملات الجماعية التي يقومون بها «تويزة» ، فساهموا في بناء السدود من أجل تخزين مياه الأمطار للاستفادة منها في مجال الفلاحة، ومن خرج عن المؤلف فيقولون في شأنه «فُلانُ خانُ العَرشِ».¹

فهذه الحملات الجماعية تقام كذلك بين الجيران في العديد من الأعمال، وبهذا التضامن استطاعوا حفر الكثير من الآبار في واحات الوادي وغرسوا أشجار النخيل، وتتميز المرأة المزابية بصناعة الصوف والقيام بمختلف أنواع النسيج، فهي كانت درع الرجل في الاقتصاد ومكافحة الفقر، ولذلك اشتهر مزاب في القطر الجزائري بكونه سوقاً للمنسوجات الصوفية، وهم يعملون على تطبيق أحكام

¹ - إبراهيم محمد طلاي، المرجع نفسه، ص73.

الدين في كل معاملاتهم، وكان يشرف على السقي عندهم أهل المسجد وهو من جماعة العزابة ومؤخراً ترك الأمر إلى ضمائهم الناس أو غلى أعوان الحكومة من شرطة أو أعضاء البلدية.¹

5. 6 الحياة الثقافية :

إن الثقافة تمثل نمط الحياة لأي مجتمع فهي صورة عاكسة للمجتمعات من خلال ما يصدر من الفرد داخل كيان الجماعة التي ينتمي إليها، والمجتمع المزابي اهتم بالتعليم الديني وحارب الجهل بهذه الطريقة، وكما سبق وأن ذكرنا في اعتماده على تسيير أموره من طرف العزابة، وهم في الأغلب أهل علم ودين، كافحوا من أجل تنشئة بني مزاب على التربية الدينية وتعليمها وتلقيها، فكانوا يعتمدون على المساجد في ذلك ويعلمون أطفالهم مبادئ الكتابة واللغة وتحفيظهم القرآن الكريم، وكان يقوم بذلك أهل العلم وكان التدريس مجانياً، وبالتالي كان لذلك الفضل في نشر الثقافة المزابية، ومحو الأمية، ومحاربة الجهل، وجرت العادة عندهم بتوفير الشروط الضرورية لذلك، وإنشاء المدارس والمعاهد، وأولوا أهمية كبيرة للجانب التربوي والديني، وساهم ذلك في دحض التعليم الفرنسي وإحداث تعليم عصري يلاءم ثقافة المجتمع المزابي، الذي اعتمد بصورة كبيرة على الاهتمام بالثقافة الإسلامية، التي يرون بأنها هي المناسبة للحياة الاجتماعية المحترمة والمسيرة للركب العلمي المعاصر، وكل هذا ساهم في النشاط الثقافي في العديد من المناسبات الوطنية والدولية، فتقافتهم من ثقافة المجتمع الجزائري المبنية على الوحدة والتكامل والمنفعة العامة.

وكخلاصة نستنتجها مما سبق نقول أنه مهما كان، فلا يمكن أن نصل إلى وصف ودراسة ولو الجزء القليل من المجتمع المزابي وتاريخه في هذا النقل الطفيف، فذاك يحتاج إلى دراسة خاصة تتطلب جهداً ووقت كبيرين، إلا أننا حاولنا سرد ولو جزئيات صغيرة لهذا المجتمع وتوصلنا، إلى أن هذا المجتمع مرَّ عبر الحقب التاريخية كغيره من المجتمعات واستطاع أن يحقق حقاً معاني المجتمع الأمازيغي المسلم المعاصر ضمن المجتمع الجزائري والأمة الإسلامية « وقد حققوا حقاً بعض معاني المجتمع المحلي المسلم والمعاصر أو المتطور ضمن المجتمع الجزائري والأمة الإسلامية الناهضة الموحدة والواحدة ضمن التعدد».²

¹ - المرجع نفسه، ص 67-68.

² - قاسم حجاج: مزاب رؤية مستقبلية مع مدخل إلى قضايا المستقبلات، العالمية للتصميم والفنون المطبعية، غرداية، الجزائر، ط 1 2006، ص 282.

والمجتمع المزابي يتميز ربما عن الجماعات اللغوية الأخرى ، عربية أو أمازيغية ،بمذهبه الإسلامي الاباضي الخاص ،وبتواجد نظام اجتماعي (العزابة) و تربوي تعليمي مميز (تمويللا، وتسييرا، وتاطيرا للتلاميذ) ، وكذا بلهجته الامازيغية الخاصة بهم وهي المزابية .

6 - التوارق :

6.1. أصل التوارق:

هناك الكثير من الآراء في أصل التوارق، وكذا التسمية الحقيقية لذلك، فكل باحث في دراسته ينظر إلى ذلك من وجهة نظره، وإلى الروايات التي ينسب إليها ،ومما لاشك فيه أن أغلب ما تمّ التوصل إليه أن التوارق من القبائل البربرية التي استوطنت منذ القدم بالجزائر، ويكفيهم فخراً أنهم أنشأوا أول حضارة عبر التاريخ القديم على ضفاف بحيرات الصحراء الكبرى « والباحثون يجمعون على أن النقوش الصخرية بالصحراء متطورة مقارنة مع مثيلاتها المصرية القديمة ، مما يبين أن المركز الحقيقي الذي انتشرت منه الحضارة قبل الميلاد ،هو مناطق المرتفعات بالصحراء كالهقار والتاسيلي»¹.

وهي مناطق في القديم كانت معروفة بالغنى والخصب وباستمرار الحياة، وبمرور الزمن أصبحت مناطق غير ملائمة للعمران،بسبب جفاف بحيراتها وأوديتها وضيق العيش فيها، وبسبب ذلك القحط اضطر سكانها إلى الهجرة عبر مختلف المناطق من العالم « يقول "برستد" في هذا الصدد ، فمن حسن حظ مياه هضبة شمال إفريقيا أن وادي النيل الذي كان حديث التكوين، كان بمثابة المنفذ للمنطقة من عائلة الجفاف الذي كان يجتاحها بين فترة زمنية وأخرى»².

وبالتالي فوجهة التوارق كانت وادي النيل ووادي الرافدين،فهم في الحضارة المصرية القديمة ولا شك في التشابه الكبير بين الفن الصخري بالصحراء الجزائرية(جبال الهقار والتاسيلي) ومثيله بمصر، ولا عجب أن يكون هناك تفاعل بين قدماء المصريين والبربر في شرق إفريقيا فهم أبناء قرابة من أصل واحد.

¹ - عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روية، الجزائر، 1995، ص13.

² - المرجع نفسه ، ص14.

وأما تسمية الهقار نجد "ابن خلدون" يطلق عليها اسم "هكارة أو الهكار"، ويرجعها إلى كلمة (هواره)، وهناك قبيلة في مصر تحمل نفس الاسم (عرب هواره)، وهناك صفات مشتركة في الشكل واللون مع التوارق، فأهل الهقار رحلوا إلى مصر وأقاموا بها، وهناك قرية أخرى تسمى هواره الأهون بالفيوم بمصر، وهي ذات أماكن أثرية كما توجد بشمال بلادنا وبالضبط في بلدية أولاد تبان قرية اسمها هواره وكذلك "عرش" وجبل هواره قرب قالمة.

وعندما اتصل البربر في شمال إفريقيا بالفينيقيين تطورت العلاقات بينهم، واحتكوا بهم وتأثروا بلغاتهم، كما اصطبغت الثقافة البونيقية في نوميديا بطابع مغربي، وهذا ما يفسر عدم استجابتهم للرومان والوندال، وبالتالي لم تستطع الحضارة الرومانية إدماج في بوتقتها البربر، فهم كانوا رافضين للمستعمرين بأي شكل من الأشكال.¹

بقي البربر خارج الخط القنصلي - البيزنطي - يحيون حياة مستقلة، يابون العيش إلا مع بني جنسهم من العرب، الذين يختلطون بهم ويتفاعلون معهم بسرعة، وكأنهم شعب واحد لا شيء سوى لأنهم عرب.

وهناك عدة عوامل تتداخل هنا لتثبت هذه الحقيقة، فعلم الجماجم يثبت تشابه الإنسان في كل من ليبيا والجزائر وفلسطين.²

هناك تشابه كبير بين العرب والبربر، فالتوارق قبائل بربرية من أقدم سكان الصحراء، والعديد من البحوث يرجعونهم إلى أصل عربي أو عربي مختلط، فلا غرابة إن وجدنا تشابه بين بعض الحروف العربية وحروف التيفيناغ (أبجدية التوارق).³

وعلى العموم فإن تحليل البربرية ومعانيها نسبتها إلى الأصول العربية.

ويرى علماء الأجناس بأن السكان في البلاد العربية ينتمون من حيث تكوينهم السلالي إلى أجناس البحر الأبيض المتوسط « انتشر فرع من عناصر البحر الأبيض المتوسط والصحراء، من سلالة

¹ - عبد السلام بوشارب، المرجع نفسه، ص 16.

² - رشيد الناضوري: المغرب العربي الكبير، القاهرة 1966، ج 1، ص 62.

³ - عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص 19.

الرؤوس الطويلة، وهم أقرب إلى العرب والبربر وغيرهم في جنوب أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأدنى»¹.

كما يؤكد المؤرخين الذين أقروا بأن الساميين والهاميين سلالة واحدة، مهدها الجزيرة العربية، وابتداءً من (الألف الثالث ق.م) ، شرعت جماعات من شعوب الجزيرة العربية تندفع نحو الشمال في فترات من القحط بالغة الخطورة، فإذا بالبابليين يغشون العراق ويقتبسون منه ثقافة السومريين، وإذا بالكنعانيين واليهود والآراميين يهبطون سوريا وفلسطين ويأخذون من الفينيقيين ثقافتهم، أما لغتهم التي ندعوهم من أجلها ساميين، فقد احتفظت بخصائصها الرئيسية التي يربطها بالعربية نسب وثيق، على الرغم مما طرأ عليها من تغيير كبير.²

أما أمهات الكتب العربية والمصادر التاريخية التي يعول عليها فتتفق كلها على أن البربر ساميون حاميون ما في ذلك شك، وأنهم تنازعوا وانفصلوا وذهب منهم جمع إلى شمال إفريقيا.³

يقول ابن خلدون: «... وقال هاني بن بكور الضريبي وسابق سليمان المظماطي وكهلان بن أبي لؤي وأيوب بن أبي زيد وغيرهم من نسابة البربر: إن البربر فرقتان كما قدمنا وهما البرانس والبتتر، فالبتتر من ولد بر بن قيس بن عيلان، والبرانس بنو برنس بن سفجو بن ابزح بن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن مازيغ بن كنعان بن نوح، وهذا هو الذي تعتمده نسابة البربر»⁴.

وأخيراً يمكن القول أن الفصل في أصول التوارق يبقى دائماً محل بحث متواصل بناءً على مصادر موثوقة، وموضوعية حتى نتمكن من معرفة الأصول الحقيقية لهم، فهناك الكثير من الاختلافات والآراء في تحديد دقيق لأصولهم، إلا أن الحديث عن هذه الأصول والانتماءات ، يبقى مجرد افتراضات ، وقد وردت أربع روايات في ذلك ، فمنها من يرجعهم إلى أصول صنهاجية، وهناك من يرجعهم إلى أصول أمازيغية بربرية ، وهناك من يرجعهم ، إلى أنهم من أحفاد الكرامانت (الجرمنت) ومنهم من يرجعهم إلى التوارق ، أي التوارق هم التوارق .⁵ وهذا التصنيف لجميع التوارق .

¹ - وليام لانغر: موسوعة العالم، الترجمة العربية، القاهرة 1962، ج1، ص 25-26، نقلا عن: همام هاشم الألوسي، مرجع سابق.

² - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1965، ص15. نقلا عن: همام هاشم الألوسي ، مرجع سابق.

³ - السلاوي (أحمد بن خالد الناصري): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، مطبعة بهية المصرية، القاهرة، 1985، ص28. نقلا عن: همام هاشم الألوسي ، مرجع سابق

⁴ - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: مطبعة النهضة، القاهرة، الجزء 3 ، 1939، ص 186.

⁵ - اكناتة ولد النقرة: الطوارق من الهوية الى القضية ، مطبعة طوب باريس الرباط ، موريطانيا ، 2014 ، صص39-50

6.2 . أماكن ومدن التوارق في الجزائر:

كما هو معلوم تقع مناطق تواجد التوارق في الجزائر جنوب البلاد ومن أهمها:

- أ- تمنغست- تمنراست: تقع هذه البلدة الكبيرة نسبياً بأقصى جنوب الجزائر قرب الحدود مع مالي، وهي تعتبر العاصمة الفعلية لتوارق الجزائر يسكنها عدد كبير منهم ،وهي منطقة سياحية تستقطب عادة عدد كبير من السياح الأجانب، ويوجد بها فندق "تاهات" السياحي كما تنتشر في أطراف هذه المدينة مخيمات يملكها أصحاب الوكالات السياحية الذين ينظمون الرحلات الصحراوية تعرف باسم "السفاري" ،ورغم النهضة الاقتصادية التي شهدتها هذه المنطقة (تمنراست) من اكتشافات نفطية إلا أن التوارق بقوا على بداوتهم الموروثة وعلى تقاليدهم وعاداتهم وسبل عيشهم.¹
- ب- تيندوف: مدينة قديمة تقع في أقصى الجنوب الغربي الجزائري تحيط بها واحة نخيل، تجمع كل عام عدداً كبيراً من تجار الدول المجاورة لتبادل البضائع والحيوانات.
- ت- ج- جانيت/ جانت: تقع في واد ذي نخل تحيطه جبال من سلسلة جبال أكاكوس... تضم المدينة العديد من الآثار التاريخية وتشتهر بوجود مقر تاريخي فيها يسمى بقصر الميهان
- ث- د- ورقلة: واحة صحراوية ظليلة تشتهر بزراعة النخيل وتمرها (دقلة نور) تقع في المنطقة التي تربط الجزائر العاصمة بجنوب البلاد وتشتهر بأشهر أنواع التمور داخل وخارج البلاد.
- ومن المدن والقرى الصغيرة الأخرى التي يتواجد فيها الطوارق: تين زواتين، وسيلت وتيميمون.²

6.3 . لغاتهم ولهجاتهم:

تعتبر اللغة الطارقية عند الكثير لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية الكثيرة العدد نذكر منها:³

- الإيموهاغية: ويتحدث بها سكان آجر والهقار.
- الاماجيغية: يتحدث بها معظم طوارق النيجر وأيو للمدن.
- التامشقية: ويسمونها البعض (التماشك)، أو التماهق، أو الأضاغية، ويتحدث بها سكان أدرار وواضة وهي كما يسميها البعض (الطارقية).
- التاترمت: ويتحدث بها السكان المقيمون في غرب منطقة تمبوكتو.
- الدوسحاقية: تتحدث بها قبيلة دوسحاق الطارقية وهي لغة قليلة الاستعمال.

¹ - همام هاشم الألويسي: الطوارق الشعب والقضية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2010، ص119.

² - المرجع نفسه ، ص120.

³ - المرجع نفسه ، صص135-136.

• شن-سرت: يتحدث بها أبناء قبيلة (آيت أداري) الطارقية في النيجر، وهي لغة محدودة الاستعمال.

« وبخصوص اللغة الطارقية " هي عبارة عن لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية التي يتكلمها شعب الأمازيغ في دول شمال إفريقيا وبالأخص في المغرب والجزائر».¹

ومن خلال العديد من الدراسات التي أثبتت أن أصول اللغة الأمازيغية، والتي تعتبر اللهجة التارقية جزء منها ، ذات صلة كبيرة باللغة العربية ، ومنهم من يقول أن هذه اللغة هي مزيج من الليبية القديمة والعربية العدنانية والمصرية كما تسمى، وهي عربية الفتح الإسلامي من أهل نجد والحجاز.

ويقول طوارق مالي أن التماشق هي لغتهم الوطنية ، وحروفها هي ما تسمى بـ(التيفيناغ)، ويرى "عثمان سعدي" في هذا الصدد (إن الرأي السائد لدى كثير من الباحثين هو أن أبجدية التيفيناغ استعارها الطوارق من الفنيقيين)، من جهته أكد بعض المؤرخون الطوارق أن كلمة(التيفيناغ) تعني باللغة الطارقية(الحروف التي تنسب للفنيقيين)، والمعروف أن الفنيقيين هم شاميون نزحوا منذ أزمان قديمة إلى شمال إفريقيا، وكما سبق وأن أشرنا إلى أن اللغة الأمازيغية بلهجاتها أكثر توافقاً مع اللغة العربية، وخاصة من اختاروا اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة كالجزائر، والدور الذي لعبته بعض المنظمات الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة له الأثر الكبير في الترويج للغة العربية كلغة للدين ، بأن تكون هي أساس النجاح والتوافق والتطور على جميع الأصعدة إلا أنه في الآونة الأخيرة حوالي 2005، 2006 تم إدراج اللغة الأمازيغية ضمن القطاع التربوي بشكل اختياري في العديد من الولايات في الجزائر، وهذا أكيد سيساهم في إثراء وإحياء الموروث اللغوي للأمازيغية وتبقى إمكانية النجاح وما هي الطريقة والحروف التي يتم استعمالها من استخلاص واستنتاج أهل الميدان.²

ولعل وضعية الانعزال في الصحراء ، سمحت بالحفاظ على اللغات العروبية في احسن صور نقائها، بمنأى عن اي تأثير لغوي دخيل ،...حيث بقيت اللغة البربرية في اوجه اعاصيرومد وجزر التاريخ، وظلت قارة الة الاركان وثابتة ،فملاذ هذه اللغة (الامازيغية) اساسا داخل الاقاليم المعزولة والمطوقة والصحراوية، او الجبلية ، اتاح الحفاظ عليها ودوامها " ³

¹ - المرجع نفسه ، ص186.

² - همام هاشم الألويسي، المرجع نفسه، ص145.

³ - بن عطية عبد الرحمان : مرجع سبق ذكره ، ص107.

6. 4. قبائلهم ونظمهم القبلية:

فيما سبق تحدثنا وقلنا أن ابن خلدون صنف الطوارق إلى البربر البرانس والبربر البتر، وهاتين المجموعتين الأمازيغيتين ضمنا أكبر قبيلتين هما صنهاجة وزناتة، وقبيلة صنهاجة هي التي يعرف عنها بالمرابطين (الملثمين)، الممتدة من الصحراء الكبرى إلى الأندلس، أما زناتة فهي في وسط الصحراء بالجزائر، ولصنهاجة دور كبير في تكوين أسرة المرابطين القوية، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن قبائل الطوارق شكلت فيما بينها وقبل فترة طويلة من مجيء الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة عام 1891م اتحادات في شكل إمارات يديرها رئيس الاتحاد يطلق عليه اسم (الأمنوكال - أي أمين المال) وقد توحدت هذه الإمارات أربع مرات في زمان الرومان عندما شكلت مملكة (جرمة بأوباري) وبعد الفتح الإسلامي تحت راية المرابطين، وفي عهد شرفاء بني صالح ضمن ما كان يسمى ب(امبراطورية سني علي الطرابلسي)، وأخيرا تحت زعامة سلطان (أمناق)، وبعد فترة من الزمن وانفصال بعض الإمارات تفكك هذا النظام ليتأسس على أنقاضه نظام كونفدرالي بسبب ما فعلته الغارات والغزوات بين أهل المنطقة، وهو نظام أقل تماسكا ووحدة في الفترة التي ابتدأت عام 1665م عندما استلم خالون أقي الاد الوللدي زمام أمور إمارة (أدرار) انطلاقا من مدينة (تادمكة/السوك).¹

وللنظام القبلي عند الطوارق مكانة مرموقة في الحياة العامة لمجتمعهم، وكما هو معروف عن هذا النظام يترأسه زعيم مخلص يعمل على حل المشاكل التي قد تواجه القبيلة داخليا أو خارجيا، وتتميز القبيلة بالوحدة والتكامل والتضامن، وكذلك أهم ما يعرف به الطوارق هو اعتزازهم وافتخارهم برجال وعلماء الدين الذين يعملون على ترسيخ دعائم الإسلام وزعماء القبائل هم من لهم السلطة في النظام السياسي وهذا ما يراه أفراد مناسبا.²

6. 5. الواقع السوسيو-ثقافي للمجتمع الطارقي:

المجتمع الطارقي كغيره من المجتمعات في العالم، له واقعه وخصوصياته تسير حياته، فهو تحكمه عادت وتقاليد متوارثة من جيل إلى جيل، وهذا طبعا لا يكاد يخرج عن الضوابط الإنسانية للمجتمع الكلي الذي ينتمي إليه.

¹ - همام هاشم الألويسي : المرجع السابق، ص ص155-157.

² - نفس المرجع ، 158.

« لمجتمع الطارقي لا يقيم حواجز طبقية بين القبائل والأسر، وهو معروف بما يسود أفراده من روح تعاون في تدبير وتسيير أمور الحياة، انطلاقاً من حقيقة الولاء للقبيلة والالتزام بمثلها ومبادئها».¹

فكما سبق وأن أشرنا إلى النظام القبلي الذي يفرض على أفراد القبيلة الالتزام واحترام زعمائهم الذين يعملون على نشر روح التضامن والتكافل بين أفراد قبيلتهم، والحرص على استمرار عاداتهم وتقاليدهم في حياتهم، وهذا ما نلتمسه في الكثير من القراءات عن المجتمع الطارقي، فبرغم ما يحدث في العالم من تطورات إلا أن ذلك لم يؤثر عليهم وبقي المجتمع الطارقي حريصاً على بقاء الشرائع والعادات والتقاليد التي تنظم العلاقات الداخلية والخارجية للقبيلة.

تعتبر الأسرة الطارقية كغيرها من الأسر في العالم من ناحية تكوينها إلا أنه « هناك أعمال خاصة بالرجل الطارقي-رب الأسرة- كالرعي وحلب النوق وتوفير الماء والغذاء وضمان حماية الأسرة واستقرارها».²

وللمرأة باختلاف مكانتها تختلف خصوصياتها بين أسر الأشراف والأسر التي تلي هذه الطبقة، فعند الأشراف واجباتها تكاد تنعدم بسبب وجود الخدم، ويعرف عن المرأة الطارقية المنزلة الكبيرة التي تتمتع بها داخل الأسرة، والكثير من الدراسات أثبتت أن هذا المجتمع مجتمعاً أمومياً (اذ ينتسب الرجل الى امه)، والمهم عندهم هو أصل الأم، إلا أن ذلك شهد تبديلاً لاحقاً في العقود الأخيرة وربما في طريقه للزوال لاعتبارات شرعية، وللطارقية حقوق واسعة في اختيار شريكها دون أي ضغوط، بما يحقق للعروس المحافظة على ما تملكه من مال وماشية قبل زواجها، ويتكفل الرجل بالمعيشة، ولها الحق إن شأعت المشاركة بهذه التكاليف ويفضل للحررة الطارقية الزواج من طارقي معتوق على بقائها عازبة، وللمرأة كذلك الحق في طلب الطلاق من زوجها واحترام الزوج لزوجته واجب مقدس، وكذلك المرأة التي تفضل إنجاب الأولاد أمر يجلب لها زيادة في محبة زوجها ولأسرته.

"وتمثل الأسرة النواة المكون للقبيلة، فقد جعل المجتمع من رعايتها، والمحافظة على انسجامها، وتماسك أفرادها، أحد الأهداف الرئيسية لمؤسسة القبيلة"³

¹ - المرجع نفسه، ص 176.

² - همام هاشم الألويسي، المرجع نفسه، ص 177.

³ - اكنانة ولد النقرة، المرجع السابق، ص 72.

ومعروف عن المجتمع الطارقي والذي لا اختلاف فيه هو تضامنهم وتكافلهم مع بعضهم البعض وهذه ميزة اجتماعية تزيد من وحدة وتماسك هذا المجتمع، ويكون هذا التضامن والتكافل في مختلف شؤون الحياة .

والمجتمع الطارقي كغيره من المجتمعات الصحراوية فهم ينتهجون نمط الترحال في حياتهم من أجل التجارة وكذلك طلبا للكلأ والعشب، ولا يرتحل الطارقي إلا والجمل معه، فهو رفيقه الدائم، هو الحيوان الرئيس الذي يعتني به كونه من لوازم القبائل في حلها وترحالها وكونهم يعتمدون على تربية المواشي والماشية تعتمد على المراعي، فذلك يتطلب الترحال من حين لآخر، وخاصة في فصل الصيف.

وهناك من القبائل المعروفة بإقامتها الدائمة وخاصة مع التغيرات الحاصلة في المجتمعات من إقامة المدن، مع توفير الحياة المعيشية الملائمة ومختلف الحرف التي أصبح البعض من المجتمع الطارقي يمتثلها، فهي تساعده على الاستقرار في الحياة الاجتماعية، ومعروف عنهم في القدم أن مساكنهم عبارة عن الخيام ويفضل إقامتها في أماكن مرتفعة عن الأرض ولكل أسرة خيمة.. وفي الآونة الأخيرة لم يبق إلا القليل منهم يعتمد على هذا النوع من السكن، وما يميز الطوارق عن غيرهم من الأقوام هو لباسهم التقليدي وخصوصاً منه اللثام لاعتبارات خاصة، وهذا بطبيعة الحال يعتبر جزءاً أساسياً من شخصية الإنسان الطارقي..، والطوارق من الشعوب التي تضرب بشجاعتهم الأمثال ولهم بطولات مشهورة في ميادين الحروب، وهم يتميزون بالغموض والصمت والتأمل والوقار والصبر... وعموما يحب الافتخار بالأمجاد و...¹

وللطوارق اهتمام كبير بالشعر والأدب والعلوم، وثقافتهم العامة واسعة مدهشة لمن يتعرف عليها، ويعتبرون المعرفة الحاجة المهمة الثانية للإنسان بعد الغذاء ، فلهم عبر العصور شعراء وأدباء بارزون عرفوا بقوة بلاغتهم وقوة تحكمهم بالشعر، وشعرهم باللغة العربية، ويهتمون كذلك بالموسيقى والغناء، ويعتمدون جلسات في المساء والليل تتركز معظمها على تعاطي مختلف أنواع الأدب والفنون، وهم يهتمون كثيراً باحتفالاتهم ومناسبات الفرح التي تجمعهم ، ومن أهم احتفالاتهم الدينية احتفالهم بعيد المولد النبوي الشريف ، ويكون ذلك بعقد حلقات ذكر بمدح الرسول(ص)، ترافقه قصائد وأشعار

¹ - - اكنانة ولد النقرة، المرجع نفسه ، ص178.

بالمناسبة ونفس الشيء بالنسبة لاحتفالهم بيوم عاشوراء ،وهي مناسبة يوزع فيها الطعام كثرًا ،ونفس الشيء في المناسبات الدينية الأخرى كعيد الفطر وعيد الأضحى...¹

« في فصل الربيع تقام في مناطق كثيرة من الصحراء احتفالات بقدوم هذا الفصل ... تضم هذه الاحتفالات سباق الجمال... تنظم عدد من السهرات الفولكلورية التي تقدم خلالها الأغاني التي تحكي عن الصحراء والحب والربيع ، ترافقها رقصات شعبية من بينها رقصة "شروا" التي تتخذ شكل مبارزة يؤديها شبان بلباس مميز... وهناك رقصة العرس التي يقوم بها طوارق ملثمون...»²

وهناك كذلك احتفالات وطنية أخرى منها مناسبة تنصيب السلطان (الاموكال)، الاحتفال برأس السنة الأمازيغية، وفي الجزائر يطلق على هذا اليوم اسم «يناير».

وهناك أيضا مهرجان (سببيا) الذي يقام في واحة (جانت) الجزائرية في نهاية فصل الربيع من كل عام ،ويشهد هذا الاحتفال الغناء والرقص، بالإضافة إلى تقديم الطعام والمشروب للمهنيين وحاضري الاحتفال، ومن المناسبات البهيجة التي تستمر أكثر من ثلاثة أيام أحيانا هي احتفالات الزواج ورابطة الزواج لا تختلف في أطرها العامة عن تلك التي تعتمد لدى المسلمين والعرب.³

والمعروف عند الطوارق أن الزوجة ملزمة بعد زواجها بالبقاء سنة كاملة مع أهلها قبل أن يسمح لها بالاستقرار، وهذا يختلف لدى الكثير من المجتمعات عن ذلك، وهو ما يعكس تمجيد الطوارق للمرأة، وفي حالة نشوب أي خلاف في هذه الفترة فما على الزوج سوى المغادرة، وكما سبق وأن أشرنا إلى أن المرأة الطارقية لها الحق في طلب الطلاق، فهي تفخر بذلك، ويعد الطلاق شرفا لها، لأنها سرعان ما تتزوج، ومن أهم أسبابه عند الزواج من طرف الزوج بثنائية أو عند الإطالة في رحلاته المستمرة أو إقامته للعمل فترة طويلة، ونجد المجتمع الطارقي يعتمد على الغذاء الرئيسي له وهو اللحم المشوي-لحم البقر ولحم الغنم- واللبن والتمر وما تجود به الصحراء من صيد وكذلك يستعملون بكثرة: الرز والذرة والدخن والقمح والشعير... وبالنسبة للخبر يهتمون بوجبة خبز الرمال التي تسمى ب(التوغيل) طريقة إعدادها تتطلب مهارة كبيرة إذ لا يزجج آكليها ويعتمدون شراب الشاي بكثرة ، ومن عاداتهم الغريبة شرب دم الجمل الذي يقول عنه البعض أنه يمنع العطش لفترة طويلة ،وذلك أثناء عدم وجود الماء، فحياتهم بالبساطة والهدوء والبعد عن أجواء المدنية الزائفة وتتميز بالعمق والقناعة

¹ - همام هاشم الألويسي، المرجع السابق، ص119.

² - المرجع نفسه، ص200.

³ - همام هاشم الألويسي، المرجع السابق، ص203.

والتكيف، ومعظم أوقاتهم مقسمة في البحث عن الرزق عند الكبار، أما الشباب والأولاد فأوقاتهم مقسمة بين نهل علوم الدين والمعرفة نهائياً واللعب خارج هذه الأوقات، والمرأة تحرص على تسيير الأمور داخل بيتها والاعتناء بالرجل والأطفال.

إذا فلدَى الطوارق ثقافة خاصة بهم موروثة من جيل إلى جيل، فهم في القدم كانوا يحكمهم النظام القبلي الذي ساهم بشكل كبير في المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم، التي تمثل أساس الوحدة الاجتماعية في أي من المجتمعات البشرية، ونظراً للنكسات الاستعمارية عبر التاريخ بقي الطوارق محافظين على ثقافتهم وخصوصياتهم.

ولعل "الملاح والممارسات الثقافية لدى التوارق"، هو مكون أساسي من مكونات الهوية، ومرتبطة بالمرجعية الإسلامية ونضالها الحضاري، الذي استوعب التنوع الثقافي والاجتماعي للأمم والشعوب التي اعتنقته ضمن الهوية الإسلامية الجامعة... واللغة تعتبر اصدق العناصر تعبيراً عن تفرد وخصوصية الهوية التارقية¹

6.6. الواقع الاقتصادي للمجتمع الطارقي:

أهم ما يمكن أن نشير إليه في هذا الجانب وهو الثروات الطبيعية التي تزخر بها هذه المناطق، وعلى وجه الخصوص في الجزائر الثروة المتمثلة في النفط، فهو مصدر أساسي وفعال في المنطقة، ويمثل نسبة كبيرة من عائدات الدولة، وكذلك الغاز الطبيعي فهما يساهمان بشكل كبير في تنمية الاقتصاد الوطني وازدهار منطقة الجنوب مع توفير مناصب العمل في الوقت الراهن، وتؤكد بعض «المصادر على وجود كميات كبيرة من المعادن الثمينة كالألماس والذهب في أزواد الجزائرية»².

والحديث عن المناطق الصحراوية وغناها بالكثير من الثروات الطبيعية منها الحديد والبلاتين والطاقة الشمسية يبقى قيد الدراسة الاستكشافية.

وعبر الأزمان الماضية، كان المجتمع الطارقي كغيره من المجتمعات الصحراوية، يعتمد في مكاسب قوته على التجارة وتربية المواشي، التي ينتقل بها من مكان إلى آخر ليوثر لها ما يناسبها من مرعى بسبب الجفاف الذي يصيب المنطقة تقريباً في كل سنة، وهذا ما جعلهم يبتعدون عن الزراعة فهم

¹ - اكنانة ولد النقرة، المرجع السابق، ص 21

² - همام هاشم الأغوسي، المرجع السابق، ص 229.

يهتمون بتربية المواشي وأكثر اهتماماتهم تنصب نحو الإبل بحيث يصفونها بـ«الملكية القيمة»¹ فهي تساعد في الكثير من الأعمال كحمل أمتعتهم ووسيلة للتنقل...إلخ..وكذلك من بين الأنشطةهم الصناعات التقليدية،والحرفية .

« ولما كان الصيد يمثل جزءاً من حياتهم الصحراوية خاصة صيد الغزلان والوعول والنعام والزرافات، لذلك نجدهم يدخلون جزءاً من منتجات هذه الحيوانات في تعاملهم التجاري كبيض النعام وريشها ودهنها الذي يشتهر بكونه مرهما مفيداً»².

وهناك موضوع آخر نرى فيه وجوب الاهتمام في المناطق ونتحدث عن الجزائر والمتمثل في السياحة، فهذا الجانب لا يقل أهمية عن الثروات التي يمكن أن تكون كمصدر للتنمية في المنطقة، ونذكر مثال على ذلك المهرجان الذي تحدثنا عنه فيما سبق، والذي يقام في كل سنة مهرجان "سببيا" ،هذا يمكن أبناء جانت من العمل بمختلف إبداعاتهم، ويزيد من التعرف على المنطقة وما تحمله في طبيعتها من آثار وجمال للطبيعة الصحراوية الخلابة .

فمجتمع التوارق، يتسم بالانغلاق والانعزال النسبي على ذاته، زيادة على الحاضر الجغرافي (الطبيعي) الذي شكلته الصحراء، حيث يقيم التوارق وينتظمون عبر فضائهم الصحراوي الواسع،³ وهناك غلبة للطابع البدوي على أهلها، حيث الترحال، إلا أن هناك واقع تواجد التوارق في المناطق الحضرية، واستقرارهم فيها، برغم بعض الصعوبات في التأقلم مع هذا الطابع، الذي يفرض ممارسات وأعمال، وأنماط ،...وهو ما ادخل تغييرات في أشكال وأنماط العيش لديهم، سواء ثقافيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا .

¹ - المرجع نفسه، ص245.

² - المرجع نفسه، ص217.

³ - اكنانة ولد النقرة ، المرجع السابق ، ص21.

7- القبائل :

7-1- "القبائل" تسمية وأصول:

تشير كلمة "قبائل" إلى تلك المجموعات البشرية التي تسكن الجهة الشمالية من الجزائر، والتي يتحدد موقعها الجغرافي عادة بين وادي "يسر" غربا، ووادي "الصومام" شرقا ، ضمن ما يسمى بالقبائل الكبرى، وما خلفها تسمى القبائل الصغرى.

وأما من الناحية التكوينية، فإن النسيج الاجتماعي الذي يسكن هذا الحيز الجغرافي فهو يتكون من مجموعة من التشكيلات القبلية، أهمها قبيلة زواوة والتي تجاورها قبيلتي "صنهاجة" و"لواتة"، وتشكل هذه القبائل " تحالفات سياسية دائمة نوعا ما في المنطقة الممتدة غرب دلس والتي تسكنها قبيلة صنهاجة وشرقها إلى مرسى بجاية موطن زواوة ، ومن هذا المرسى إلى غاية عنابة في مساكن قبلية كتامة".¹

وتعتبر منطقة القبائل من المناطق الامازيغية، وقد أطلقت تسميات عديدة على منطقة القبائل ، تميزا لهم عن المناطق الأخرى، إذ سميت بهذا الاسم، نسبة إلى مجموعة القبائل المتجمعة في هذه الرقعة الجغرافية ، إلا أن هناك من يقر بأن معناها الاستثنائي مأخوذ من " القابلية للعناصر الأخرى ، تخلو عن لغتهم وقبلوا لغة أخرى"²

كما نسبت هذه الكلمة أيضا عند البعض إلى، نسبة إلى سكان الجبال ، وذلك وفقا للأبجديات اللغوية سواء أكانت عربية أو فرنسية³.

ويعود أصل سكان منطقة القبائل، إلى العصر الامازيغي، كباقي سكان المجموعات الامازيغية الأخرى ، كالشاوية وبني مزاب والتوارق..، وحتى للذين لا ينطقون اللغة العربية لأسباب تاريخية لان الكثير من الدراسات والأبحاث، تقر بالأصل الامازيغي لسكان الشمال الإفريقي، إلا أن هناك تباين في أصل انتمائهم (جذورهم) ، فبرغم المحاولات في هذا الأمر ، إلا أن ذلك يبقى معقدا وصعبا للغاية ،

¹ - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص34.

² -Mayer (A): **Origine de la dénomination de K EB AIL**, IN, R, AN 3, Alger, 1858,p366.

³ -MAHE : histoire de la grand Kabylie xix e xx Siècles Anthropologie historique du lien Social dans les communautés, villageoises, Editions Bouchene, France ,2002 ,p20.

نتيجة التداخل التاريخي للأحداث، وبرغم هذا ، فمنهم من يرجع أصولهم إلى الشرق¹، ومنهم من يرجعهم إلى أصول أوروبية² ، وفريق آخر يرجعهم إلى محلية أصلهم.

وتسمى أيضا منطقة القبائل بزواوة " فأما زواوة فهم من بطونهم، وقد يقال بأن زواوة من بطون كتامة وصنهاجة، أوطنوا منها جبالا شاهقة متوعدة تتدعر منها الأبصار... وجبلهم ما بين بجاية وتدلّس"³

وهي تضم مجموعة قبائل (جمع قبيلة) ، فالزواوة " قبائل كثيرة ومشهورة ، ومواطنهم ومساكنهم بشمال افريقية ، يجعلهم البحر الأبيض المتوسط ، من خليج مدينة بجاية إلى إحدى عواصمهم ، وإلى جيجل نصف دائرة..."⁴

وتنقسم القبائل إلى قسمين اثنين⁵ :

-منطقة القبائل الكبرى الغربية، وتتربع على مساحة كبيرة، تمتد من دلس الى راسم كريون، من سلسلة جرجرة ، إلى منخفضات وادي الصومام.

-منطقة القبائل الصغرى، القبائل الشرقية (قبائل الصومام).

بيد أن نسبة السكان أو البلاد إلى هذا الاسم لم يكن معروفا من قبل، فحسب المؤرخ الفرنسي المعروف شارل رويبر أجرون، فكلمة القبائل غامضة ولم تظهر قبل القرن السادس عشر، أي أن أول من استعملهاهم الأتراك، أما الفرنسيون فقد عنوا بها الجنود من الأهالي المشاة دون الخيالة ، ثم أطلقوها على سكان الجبال عموما، وسرعان ما صار المصطلح حصرا على منطقة بعينها، والمنقسمة بدورها إلى قبائل جرجرة الكبرى، وقبائل صغرى⁶، وقد سبق وأن حددناها جغرافيا.

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون ، مرجع سبق ذكره ، ص 1601.

² - Boulifa (s) : **le Djurdjura a travers l'histoire(depuis l'antiquité jusque 1830),organisation et Independance des Zouaoua (grand Kabylie)**, imprimeur éditeur, Alger,1925,p383.

³ - ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص 1618.

⁴ - منشورات وزارة الثقافة ، تاريخ زواوة ، الجزائر 2005 ، ص 90

⁵ -Jean servier : les berbères , MAHLAB éditions , saint Germain ,Paris ,France ,2éme ed , 1990,p27.

وأما عن طبيعة سكان هذه المنطقة، والذين استوطنوها منذ آلاف السنين فهي مرتبطة جدا بالطبيعة الجغرافية والمناخية لتلك الناحية من العالم، حيث كان الشمال الإفريقي ولا يزال موطننا خصباً، تزخر فيه الأرض بشتى أنواع الفاكهة والمزروعات وقد وصف الشيخ "مبارك الملي" ذلك التكيف بين الإنسان والطبيعة في كلام بديع أودعه كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث، فكتب يقول "أما الجنس الذي يكون بالأراضي التي منحها الطبيعة سلطان الجمال وجعلت عليها ضروب الزينة، فأضحت عروساً ترمقها الأعين من كل جانب، وهي في عزتها لا تحتفل بأحد، هذا الجنس تجده راضياً عن وطنه مستغنياً بحظه الوافر عن أن يمد عينه إلى غيره، فلا يظهر تحصيل رزقه إلى هاد بعيد القعر - ولا يكتسب الشجاعة إلا من مطاردات الحيوانات الوحشية ترويضاً لنفسه وتنميماً للذته"¹، وفي كلام الملي ما يمكن أن نفسر به الرفض الذي يبديه السكان الأصليون لكل ما هو أجنبي عنهم، رغم المحاولات العسكرية العديدة للسيطرة عليه وإخضاعه.

7-2- التنظيم السياسي والإداري:

كغيرهم من القبائل البربرية في المغرب العربي، فقد أبدى سكان منطقة القبائل منذ القديم رفضهم لكل سلطة مركزية، وإن كانت تلك القاعدة لا تنفي أنهم قد أبدوا تجاوباً مع بعض تلك الأنظمة السياسية الكثيرة التي أحكمت سيطرتها على منطقة المغرب منذ القديم، حيث أبدوا تجاوباً مع الأنظمة السياسية التي حكمت باسم الدين الإسلامي منذ الفتح، ومن الناحية السياسية، استمرت منطقة القبائل تسعة قرون جزءاً من الممالك المتعاقبة من الزيانيين إلى الحماديين، ثم ضمن الإمبراطورية الموحدية وجزءاً من المملكة الزيانية.²

ويظهر في الكثير من الكتابات التاريخية أن منطقة القبائل لم تعرف حدوداً سياسية متميزة بذاتها، أو تاريخاً حضارياً وسياسياً منفصلاً لهذه المنطقة عن باقي مناطق ما يعرف الآن بالجزائر، غير أن مجيء الاستعمار الفرنسي في عام 1830، قد كان عاملاً مساعداً لخلق ذلك التمييز والتباين الذي أبدته منطقة القبائل عن بعض المناطق الأخرى التي يقطنها المجتمع البربري، حيث قام هذا الاستعمار بمحاولة هدم البنية الاجتماعية التي صمدت لقرون عديدة، وذلك لم يمنع من قيام أو تواجد كيانات مغلقة في المنطقة فرضت في الكثير من الأحيان إرادتها على الغزاة.

¹ - مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ، ص90.

² - حاجي فريد: السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر: 1837-1937، دار الخلدونية، 20013، ص179.

ففي عهد الاستعمار الفرنسي عرفت المنطقة تغيرات إدارية واضحة ومتوالية نتيجة لسياسات الاحتواء تارةً والاندماج القسري تارةً أخرى، فقد تحدث المؤرخون عن الخطة التي وضعها الحاكم العام "كيدون"، كما أراد أن يشكل من منطقة القبائل عمالة خاصة ومتميزة، تضم كافة الشريط الساحلي الذي يتحدث سكانه القبائلية وكان مركز هذه العمالة هو بجاية، لكن الفكرة لم تتجح، لتأتي بعدها محاولات أخرى لفصل المنطقة كعمالة خاصة.

وقد أبدى سكان المنطقة مقاومة شديدة للهجة لتلك السياسة الاستعمارية وكانت ظاهرتا المقاومة والصمود اللتان أبداهما السكان إحدى الإشكالات العvisية على الفهم لدى ضباط الحملة، وإذ كانت الظاهرتان قد دفعت بأساطين الاستعمار إلى ارتكاب جرائم إبادة في حق المقاوم، اقتداء بما فعله نظرائهم الأوروبيين في القارة الأمريكية،¹ غير أن سكان الجزائر واصلوا مقاومتهم بشتى الوسائل المتاحة قصد الحفاظ على هويتهم و أصالتهم.

7-3- البنية الاجتماعية لسكان منطقة القبائل:

تشكل القبيلة بنية اجتماعية أساسية في حياة المجتمعات العربية و البربرية على السواء، لذلك جعلها العلامة "إبن خلدون" إحدى المفاتيح الأساسية لفهم المجتمعات التي تسكن المغرب العربي، فالحياة القبلية كانت هي القاعدة الأولى في بلاد القبائل مع تقسيماتها القديمة إلى أعراش و فرق ومداشر، " فنجد على رأس كل دشرة أمينا، ينتخب بطريقة حرة من قبل كل العائلات، أما تنظيم "تاجماعات"، فيتكون من كل الأعضاء وتنتخب بدورها ما يسمى أمين الأمناء، وهو قائد القبيلة وهو مكلف بالمحافظة على النظام وقيادة الحرب، ويتصل بالجماعة كلما دعت الحاجة، يحترم القانون العرفي، كما نجد حضورا لسلطة المرابط، الذي يحتل مكانة كبيرة في التنظيم الاجتماعي القبائلي، ويتدخل في كل القرارات الكبيرة، ويقترح الأعضاء، ويقراً الفاتحة، بل ويقترح حتى الهدنة وبيارك السلم، فهو يشمل الماضي الأساسي".²

وقد عاش سكان القبائل ممتنعون في الجبال طيلة فترات الاحتلال الأجنبي، يطلقون على أرضهم كلمة "وطن" رافضين بكل دخیل وقد ألزموا الإمبراطورية الرومانية بالتعامل مع اتحاد القبائل

¹ - نفس المرجع ، ص164.

² - دو نوفو إدوارد: الإخوة، دراسة إثنوغرافية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ت/ كمال فيلاي، مكتبة الهدى، عين مليلة، 2002، ص36.

الخمس، التي تقيم في وديان وسفوح جرجرة، وفي نفس السياق فقد حاول الاستعمار الفرنسي احتواء المنطقة وتفكيك نسيجها السوسيو ثقافي ، وفصلها عن بقية الوطن، فقد حاول وضع يده على الاستقلال السياسي والمالي لتاجماعت، ولم يعد الأمين العام إلا عوناً للإدارة التي تُعين له مساعداً يسمى "الخوجة"، وتكلفه بتحصيل الضرائب، وكان تصرف الإدارة الاستعمارية مع "تاجماعت" على شاكلة تصرفه مع مؤسسات الوقف، التي لعبت دوراً حاسماً في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

ولقد انصب النشاط الإثنولوجي والأنثروبولوجي على عنصر البربر، وما يتعلق به من خصائص إجتماعية وثقافية، كمحاولة من المحتمل للتدليل على أن الجزائر تفتقر لمكونات الأمة، وهذا المنحى يتجلى فيما قاله العقيد توماس: "... إن هناك صراع قومي متجذر عبر القرون، وهو دليل داحض على تناحر هذين العرقين، فهم أشبه بمعدنين لا يمكن صهرهما كيميائياً¹، وهو يقصد العنصر البربري والعنصر العربي، وتلك إحدى خصص سياسة "فرق تسد".

7-4- الخصائص الثقافية لمنطقة القبائل:

عشية الاحتلال الفرنسي لم تكن منطقة القبائل تحمل خصائص وسمات ثقافية متميزة كثيراً عن باقي مناطق الجزائر، نظراً لأن مصادر تشكيل تلك السمات هي واحدة، حيث كان الإسلام هو العنصر الأساسي الذي تستمد منه الثقافة أنماطها القاعدية عند عمليات تشكيل شخصيات الأفراد، ولقد كان "الفرد هو نتاج التشكيلة الاجتماعية والثقافية، وهو يعبر عنها بعد ذلك"² في كل القطر الجزائري لفترة ما قبل الاستعمار الفرنسي.

وتعتبر منطقة القبائل وخصوصاً بجاية، من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان، فقد كانت زاوية تيزي راشد (وتسمى كذلك زاوية ابن عراب) ذائعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة، وكذلك زاوية عبد الرحمان البلولي، بجمال جرجرة، في عرش "يلولة" أو "يلولن" ناحية عازقة بولاية تيزي وزو، كانت تهتم بتعليم القرآن الكريم أكثر من غيره، إذ تأسست على قراءة القرآن وتجويده بمختلف الروايات في فقه القراءات، وعلى

¹ - حاجي فريد، مرجع سبق ذكره، 2002، ص 169.

² - Jean Servier Op-Cit , P 83.

طريقة الإلتقان والأحكام والضبط، وتخرّج منها الكثير من طلاب العلم الشرعي الذي يتم عن طريق اللغة العربية طبعاً،¹ وذلك دليل على ذلك التقبل الذي أبداه سكان القبائل للغة العربية نظراً لأهميتها في التعليم القرآني، وتلقي العلوم الشرعية.

وعليه فقد كانت اللغة العربية هي الوعاء الذي تصب فيه ثقافة سكان القبائل طيلة قرون عديدة، لذلك ركز الاحتلال حربه عليها، لأنه متى تم القضاء عليها، يمكن القضاء على الشخصية الجزائرية، تماشياً مع سياسة الاندماج التي أشرنا إليها في موضوع سابق، وقد سعى المستعمر إلى القضاء على مراكز الإشعاع الثقافية العربية والإسلامية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا التي كانت قائمة في البلاد آنذاك، فحوّل بعضها إلى معاهد للثقافة الفرنسية، وسلّم بعضها الآخر إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذت مراكز لنشاطها المستهدف هدم عقيدة الجزائريين المسلمين.

ومهما يكن فإن الصيرورة التاريخية لمنطقة القبائل، لها مثل غيرها من مناطق الوطن خصائص محلية، تنهل في منبع واحد هو التراث الأمازيغي والثقافة العربية الإسلامية، فكل الجزائريين أمازيغ عرب، وعرب أمازيغ تاريخياً وثقافياً، لا عزفاً وسلالة.²

7-5- النزعة البربرية (المسألة الامازيغية):

هناك ارتباط بين تطور مسار المسألة الامازيغية، وإفرازاتها من جهة، وبين الحالة الإيديولوجية والثقافية والسياسية لهذه القضية خلال سيرورتها التاريخية، انطلاقاً من المرحلة الاستعمارية، وصولاً إلى مرحلة الاستقلال، وما رافق ذلك من أحداث حول هذه القضية الامازيغية، وارتباط ذلك بصفة خاصة بمنطقة القبائل، باعتبار طرح القضية تمركز فيها (أثناء الاستعمار وبعد الاستقلال).

أثناء الفترة الاستعمارية : إن ما يميز هذه الفترة الاستعمارية، هو تلك السياسة المنتهجة من قبل المستعمر الفرنسي، وبكل جهد ودقة، في محاولة تجهيل وتمسيح وتغريب المجتمع الجزائري بكل أطيافه ومكوناته، وذلك بأبعاده عن التعليم، وبخاصة التعليم القرآني منه، وعن الزوايا، ودور العبادة، وإبعاده عن الدين الإسلامي وقيمه السمحاء، محاولاً بكل الإمكانات والوسائل المتاحة، بإحلال اللغة الفرنسية، مكان اللغة العربية تحديداً.

¹ - شهابي عبد العزيز : الزوايا الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، وهران، 2007، ص 76.

² - حاجي فريد، مرجع سبق ذكره، ص 179.

إلا أن هذه السياسة الفرنسية، لاقت الرفض الواسع أيضا من كل الشرائح المجتمعية ، وبخاصة المثقفة منها، وذلك بنشر الوعي، والالتفاف حول الثقافة الوطنية بكل مكوناتها، وأبعادها الدينية واللغوية والتاريخية، برغم الاختلاف في النظرة إلى طبيعة هذه الهوية في أبعادها المختلفة بين النخب المختلفة، في توجهاتها وإيديولوجيتها (ذات التوجه العربي الإسلامي، وذات التوجه الأمازيغي خاصة).

وبفضل السياسة الاستعمارية الأولى ، في التجهيل والتهميش والتغريب ، لجأ إلى سياسته المعروفة " فرق تسد "، وهذا بين المكونين العربي والأمازيغي، المتلاحمين والمندمجين لفترات طويلة ، وسعى الاستعمار في ذلك، إلى محاولة السماح لولادة بربرية في منطقة القبائل، وبالتركيز عليه، فقد ظن مثلا " بيليسي دير ينو، والبارون "أوكايتان (العسكريين) " انه من الممكن، بل من المرغوب فيه ، خلط العنصر القبائلي، بالعنصر الفرنسي، إذ انه بعد مائة سنة، سوف يصبح القبائليون فرنسيين"¹ ، وقد بذل المستعمر كل ما في وسعه، لزرع بذور التفرقة ، والتنافر ، بين هذين العنصرين لمدة طويلة ، مع تغييره في الطرق والوسائل لذلك إذ " هيمنت الأسطورة القبائلية ، خلا عشرينين من الزمن على الأقل، على كل العقول، ولقد استمرت نفس الأفكار الجاهزة المطمئنة تارة ، والمروعة تارة أخرى ، تتكرر بلا كلل ولا ملل، من قبيل - أن العرب كسالي ، خاملون ، بطيئون في قرارة أنفسهم ، متحجرون وحالمون، باردون وحزاني تقريبا، ومتعصبون، أما البربري فانه عامل جدي يملك روح المبادرة ، والحس العملي ، وهو في الظاهر حركي ، انبساطي وحيوي ومرح (...)، انه اقتصادي ، ونزيه ومحِب للاطلاع ، وهو في أعماقه قليل الندين "²

وهكذا بقي الفرنسيون ، في محاولاتهم ، ومعركتهم ضد كل شئ يربط المجتمع بدينه ولغته وتعاليمه ، فقد الغوا المدارس القرآنية ، وأغلقوا الزوايا ، وشجعوا الأفراد على الهجرة والتجنس ، وسعوا أيضا بكل جهد " لتفضيل اللهجات البربرية ، على حساب اللغة العربية ، إذ استحدثت منح دراسية معتبرة ، في صالح الموظفين الفرنسيين ، لتعلم اللهجة القبائلية ، وانشئ سنة 1885 كرسي اللهجات البربرية ، بمدرسة الآداب بالجزائر " ³

¹ - شارل روبيير اجرون : تاريخ الجزائر المعاصرة ، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ترجمة /محمد

حمداوي و ابراهيم صحراوي ، ط2، دار الامة ، الجزائر ، 2008 ، ص 219.

² - نفس المرجع ، ص ص 222-223.

³ - نفس المرجع ، ص 227.

وبخصوص اللغة ، فقد كشف كل من " Doutté " و " E.F. Gautier " سنة 1913 ، بأن هناك "إشارة إلى انتشار اللغة العربية ، كلغة مستعملة عادة ، لدى الناطقين بالبربرية ، وتأتي اللهجات البربرية في العديد من المناطق ، في مستوى اللهجات العائلية ، التي لا تستعمل بصورة صارمة إلا داخل البيوت ، ولقد صارت العربية لغة المعاملات الاقتصادية ، ولغة المبادلات التجارية في الأسواق وفي سبيل ضمان رزقه ، كما أكد الإداريون ، فإن القبائلي كان لابد له من الحديث بالعربية ، وفهم الفرنسية قليلا ، ولذلك كانت المناطق المفتوحة تتعرب بسرعة ... كذلك كان حديث بان البربرية كانت تتقهقر قليلا في الاوراس ، وكثيرا في بلاد القبائل ، وقد كانت هذه النتائج مرهقة بالنسبة للإدارة التي أقرت بان " البربرية تتجه نحو الزوال في الجزائر لتحل محلها العربية "¹

إلا انه برغم المحاولات الحثيثة فان ذلك لم يتحقق ، وقد فشلت فرنسا في تحويل ، هذين العنصرين (الامازيغي والعربي) إلى عنصرين متناحرين ، ومنقسمين ، وقد فشلت في التبشير الديني خاصة ، و هذا لا يعني مدى قدرة المدرسة الفرنسية، عندما تركوها مستمرة ، مع إثارتهم للوعي القبائلي ، أو البربري بعض الشيء ، على " إنتاج نخبة قليلة العدد ، تحمل أفكارا استعمارية ، مغطاة بنزعة بربرية ، بعيدة عن الثقافة البربرية الحقيقية ، فظهر بعض دعاة البربرية المعادين ، لنزعة بربرية إسلامية ، خاصة ضمن خريجي مدرسة المعلمين ببوزريعة "²

وقد كان بروز الأزمة البربرية لأول مرة ، داخل الحركة الوطنية ، من خلال إعادة طرح مسألة الهوية الجزائرية ، ببعدها البربري داخل حزب الشعب الجزائري 'PPA' ، وحزب حركة الانتصار والحريات الديمقراطية MTLPA ، فبدأت بذلك بوادر الأزمة البربرية ، واحتدم الصراع بين المنادين بمفهوم الجزائر عربية مسلمة ، وأنصار مفهوم الجزائر جزائرية ، أي وجود انقسام داخل الحزب ³.

وقد أبرزت هذه الأزمة سنة 1948/1949 ، عمق الخلاف داخل هذا الحزب ، وظهرت هناك عدة مظاهر تعمل على احياء الثقافة الامازيغية " كتأليف أغاني ملتزمة باللغة الامازيغية ، خاصة أناشيد الحركة الكشفية ... وذلك باستعمال النشيد * kker a mmi-s umazigh * أي - انهض يا ابن

¹ - شارل روبيير اجرون ، المرجع السابق ، ص ص 236-237.

² - لونييسي رايح ، مرجع سبق ذكره ، ص 32.

³ - المرجع نفسه ، ص 34.

الامازيغ - " ¹ ، كما تم في هذه المرحلة " اتخاذ جميع التدابير التي يتطلبها الموقف ، شهر بهذه الفكرة (البربرية) ، واخرج الداعون إليها من الحزب " ²

إلا انه بعد اندلاع الثورة التحريرية ، قضى وبسرعة على كل محاولة تجمع خارج نطاق الحركة الوطنية ، ولكن الأمر هنا متعلق بمرحلة سبات ، وليس باختفاء الرجال والأفكار ³

مرحلة بعد الاستقلال : لقد كانت مرحلة الاستقلال ، مرحلة حاسمة بالنسبة للمسالة الثقافية في الجزائر ، فقد تم اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية ووطنية للجزائر ، وتحديد الانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية كتوجه عام للجزائر المستقلة ، وكتوجه توحيدي للغة والثقافة الوطنية ، وأصبحت عملية التعريب واقعا حقيقي ، والذي كان " عملية رقابة اجتماعية " ⁴ ، ولعل موقف جبهة القوى الاشتراكية كان غامضا حول المسالة الامازيغية ، وبعد الوضع الذي عرفته المنطقة من (1926-1965) " فقد أفرزت المرحلة وضعاً جدياً معقد تداخلت فيه الصراعات الشخصية والجماعية على حد سواء ، وصراعات حقيقية مجسدة في مشاريع سياسية ، كما وجدت حساسيات شعبية وتيارات رأي مجسدة وجاهرة " ⁵

ولكن ابتداء من (1963-1965) بدأت " تبرز بين صفوف التلاميذ الثانويات والطلبة الجامعيين في منطقة القبائل ، ومدينة الجزائر ، وفي المهجر (باريس) مراكز تجمع تكفلت بعمل ثقافي ، وبيداغوجي ، امازيغي مستقل ، أخذت على عاتقها تنظيم دروس ونشاطات ثقافية ، وإصدار منشورات ، وأصبحت منذ السبعينات ذات فعالية حقيقية " ⁶

زيادة على مساهمة الأغنية القبائلية، في التطرق إلى مواضيع الهوية الامازيغية، ومخاطبة الجماهير بأكثر حماسية ، وهو ما زاد من تعزيز موقع المسالة الامازيغية لدى الأوساط الشعبية خاصة، فهناك نوع من النضال الغير مهيكّل على عدة مستويات (الأغنية ، الرياضة ، النشاطات الثقافية ، ...)

¹ - سالم شاكر ، مرجع سبق ذكره ، ص 34.

² - بوعزيز يحي : الأيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 198 ، ص 92.

³ - سالم شاكر ، نفس المرجع السابق ، ص 37.

⁴ - HARBI (M); Nationalisme algérien et identité berbère, In ,Les Peuples Méditerranéens, N 11, Avril-juin 1980, p35.

⁵ - سالم شاكر ، مرجع سابق ، ص 40.

⁶ - المرجع نفسه ، ص ص 40-41.

ساهم في بلورة القضية ، وعززت موقعها وقاعدتها داخل المجتمع، وخروجها مرة أخرى إلى العلن ، لتصبح " ظاهرة سياسية محضة ، أثرت على جميع الشرائح الاجتماعية للمجتمع القبائلي "¹

الربيع الامازيغي 1980 : ويعتبر من أهم الأحداث التاريخية بروزا في الجزائر ، والحقيقة ان هذه الأحداث هي ليست وليدة لحظة وقوعها ، بقدر ما تعود إلى تلك التراكمات التاريخية للقضية ، سواء أثناء الاستعمار ، أو بعده ، وفيه نوع من -النضال- أو الحرص ، الثقافي والسياسي ، وحتى الأيديولوجي ، ويعتبر " حدث منع المحاضرة التي كان سيلقيها مولود معمري يوم 10 مارس 1980 حول الشعر القبائلي القديم ، الشرارة التي فجرت الوضع في منطقة القبائل "²

وقد سهل التمرکز القوي للمتقنين بتيزي وزو، من عملية الغليان الشعبي، وانتشار الحركة الاحتجاجية، إلا أنها لم تكن ذات طابع مثقف ...لقد شاركت منطقة القبائل كلها - الكبرى والصغرى - في هذه المظاهرات ...وان وجود الجامعة سمح للحركة الاحتجاجية أن تكتسب مركزا ، ولولاه لما تمكنت من الوصول إلى ما وصلت إليه ..."³

ولعل بروز هذه الأحداث ، أعاد النظر إلى المسألة الثقافية في الجزائر -أو على الأقل بداية المراجعة لهذه المسألة - وابتدت السلطة الرسمية نوع من الانفتاح والليونة في التعامل مع القضية ، ولكن بصورة ضعيفة ، " كإنشاء فروع للثقافات واللهجات الشعبية في عدد من الجامعات الجزائرية ، قسنطينة ووهران والجزائر وعنابة " ⁴

وساهمت هذه الخطوة أيضا في " الإسهام الفعلي للناطقين بالامازيغية في ميدان الإنتاج العلمي والدراسات الامازيغية ، فإسهام المغاربة في الدراسات الامازيغية عمل على جعل هذا الميدان أكثر شرعية ...فالامازيغوية أخذت تتحول شيئا فشيئا إلى تيار فكري ومثقف ذو بعد مغربي .. "⁵

وبعد التحول الديمقراطي، عرفت المسألة الامازيغية انفراجا أكثر ، وحرية اكبر في الظهور والنشاط، سياسيا، بوجود أحزاب وتيارات سياسية تنادي بترسيم اللغة الامازيغية ، كحزبي جبهة القوى الاشتراكية،

¹ - المرجع نفسه ، ص 46 .

² - المرجع نفسه ، ص 51.

³ - سالم شاكر ، مرجع سابق، ص ص 53-54.

⁴ -Guenoum (Ali): **Chronologie du movment berbère** , Alger , Casbah editions , 1999, p15.

⁵ - سالم شاكر ، المرجع السابق ، ص 61

والتجمع من اجل الثقافة والديمقراطية واللذان بنيا وفقا لقواعد اجتماعية بربرية، وتوسعت مراكز الاهتمام لدى الأحزاب الأخرى أيضا تكيفا مع الوضع الجديد، وكذا ظهور حركات جمعوية ذات طابع اجتماعي وثقافي خاصة، تتشط في مجال الاهتمام باللغة والثقافة الامازيغية، فقد " ظهرت في ولاية تيزي وزو وحدها 463 جمعية، و 699 جمعية قروية، وذلك بين سنة 1989 إلى 1998 ¹، ويدل هذا على حيوية ونشاط الحقل الثقافي في الاساط المجتمعية، الا ان ذلك عرف تلرجعا ملحوظا بسبب نقص الحماسة التي كانت متوفرة في بداية النشاط، وكذا الى احتواء النسبي للمسالة الامازيغية من قبل الجهات الرسمية²، من خلال الاعتراف دستوريا بوطنيتها، ورسميتها لاحقا.

وهكذا بقيت المسالة الامازيغية تأخذ مكانها شيئا فشيئا في الساحة السياسية والرسمية والشعبية، من خلا الاعتراف بشرعيتها كمكون أساسي في الشخصية الوطنية إلى جانب العربية، ولا تزال بعض التجاذبات حول المسالة الامازيغية تظهر إلى اليوم، ولكنها تظهر بصورة هلالية (مناسباتية) كلما ظهر هناك تاريخ مناسباتي يسترجع ذكريات القضية.

كما نجد أيضا أن هناك تمركز للمطلب الامازيغى، وتموقعه في منطقة القبائل، دون غيرها من المناطق المصنفة كمناطق امازيغية في الجزائر (مناطق ذات اللغة والثقافة الامازيغية)، سواء سياسيا أو قياديا أو نخبويا، أو حتى شعبيا، وهو فعلا ما يحتاج إلى أبحاث ودراسات معمقة تبرز أسباب ذلك.

¹ -SALHI (B): Modernité et retraditionalisation a travers les champs associatifs et politique , lecas de la Kapylie ; In *Insaniyat*, N° 8 Mai- Aout 1999, Vol. 2 , p36.

* فهناك انشاء للمحافظة السامية للامازيغية بمرسوم رئاسي رقم 95-147 مؤرخ في 27 ماي 1995، وقرار تدریس اللغة الامازيغية في المدرسة الجزائرية موسم 96/95 في بعض المدارس في المناطق الناطقة بالامازيغية، بصدر منشور رقم 938-95 مؤرخ في 17 اكتوبر 1995 .

الباب الثاني

الجانب الميداني للبحث

الفصل السابع

التعريف بمجتمع البحث

1- تحديد مجالات الدراسة :

1-1- مجالات البحث (الدراسة):

إن كل بحث اجتماعي، يخضع لمجال خاص به، وتجري فيه الدراسة الميدانية بشكل واضح، ولأن فهمه (البحث الاجتماعي)، لا يمكن أن يكون سليماً وجيداً، إلا من خلال وضعه في إطاره (مجاله) المكاني والبشري والزمني، ولذا كان تحديد هذه المجالات في دراستنا على النحو الآتي:

1.1.1-المجال البشري: يتمثل في مجموع الأسر المقيمة في كل من ولايات باتنة، تيزي

وزو، غرداية، تمنراست، وقد اختيرت من هذه الولايات تماشياً مع طبيعة دراستنا، التي تستوجب المقارنة بين الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، كما أنه هذه الولايات هي ولايات تنتمي جغرافياً إلى المناطق المحسوبة على تركز الأسر الأمازيغية بها، كما تمثل أكبر الولايات من حيث عدد السكان الممثلين لهذه الجماعات اللغوية (الناطقية بالأمازيغية)، إذ تمثل ولاية باتنة منطقة الشاوية، وولاية تيزي وزو منطقة القبائل، وولاية غرداية منطقة بني مزاب، وولاية تمنراست منطقة التوارق، على أن تكون تلك الأسر المقيمة في هذه المناطق، قد ولدت ونشأت فيها، لما له علاقة بالبيئة الاجتماعية الخاصة خلال تنشئته، وأن يكون أحد الآباء (الأب أو الأم)، عارفاً ومستعملاً للغة الأمازيغية (أمازيغي اللسان)، وفقاً للهجة المحلية الخاصة بكل منطقة، الشاوية والقبائلية والمزابية، والتارقية، وهو مؤشر على انتمائهم لهذه المناطق الأمازيغية، وهذا حتى يتسنى لنا معرفة الممارسات اللغوية لديهم، زيادةً على أن تكون الأسر، لديها أبناء (أطفال)، وهذا للتمكن من معرفة مدى انتقال وممارسة اللغة عند الأبناء (ضرورة وجود الأبناء في الأسرة)، وضرورة وجود الزوجين معاً في الأسرة، أي أنهما على قيد الحياة، وهذا لطبيعة بعض الأسئلة الواردة في الاستمارة.

كما أننا اخترنا في كل أسرة، إما الأب أو الأم في توأجهما في عينة الدراسة، مع طرح أسئلة متعلقة أيضاً، بالطرف الآخر (الأب / الأم)، والذي لم يدخل في عينة البحث، وذلك لصعوبة اشتغال عينتنا على الزوجين معاً، نظراً لبعض الخصوصيات الثقافية التي لا تتيح الفرصة للمرأة أكثر في الظهور والإدلاء برأيها (وقد ظهر هذا فعلياً أثناء قيامنا بالبحث الميداني)، فكنا نفضل أن تكون العينة أيضاً شاملة للجنسين، إلا أن ذلك تعذر (للسبب السابق ذكره).

2.1.1. المجال الزمني: ينقسم إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: وهي مرحلة إعداد الاستمارة (كأداة رئيسية للبحث) وتجريبها على فئات تنتمي إلى هذه الجماعات اللغوية، وهذا قبل إعطائها الصبغة النهائية، والتي قمت فيها بإلغاء بعض الأسئلة، وتعديل البعض الآخر، وامتدت هذه الفترة من مارس 2015 إلى غاية جوان من نفس السنة.

- المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تمّ فيها النزول إلى الميدان للحصول على المعلومات الأساسية، التي تطلبتها تساؤلات الدراسة وفرضياتها، وذلك بتطبيق أداة الاستمارة، وكانت هذه الفترة ممتدة من جانفي 2016 إلى غاية نوفمبر من نفس السنة، وشملت الجماعات اللغوية المختلفة لكل المناطق (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق).

3.1.1. المجال المكاني: أجريت الدراسة الميدانية على ثلاث مناطق جغرافية ، تم اعتمادها استناداً إلى انتمائها إلى المناطق التي يتواجد بها الناطقين بالأمازيغية (تمركز الأمازيغ فيها)، وهذه المناطق هي ولايات (باتنة- تيزي وزو - غرداية- تمنراست).

* ولاية باتنة :

ولاية باتنة هي ولاية من ولايات الشرق الجزائري في الأوراس ، تحيط بها من الشرق ولاية خنشلة وولاية أم البواقي، ومن الشمال الغربي ولايتي سطيف والمسيلا، من الشمال الشرقي ولاية أم البواقي ومن الجنوب بسكرة.

أسست مدينة باتنة عن طريق المرسوم المؤرخ في 12 سبتمبر 1848 الصادر عن نابليون، وذلك بعد أن قررت اللجنة الاستشارية الكائن مقرها بقسنطينة جعل باتنة مدينة مستقبلية نظرا لموقعها الاستراتيجي على محاور بسكرة، تبسة، سطيف وقسنطينة.

تتموقع ولاية باتنة في قلب الاوراس، وتتميز بتضاريسها الوعرة وبحلة تلوجها شتاء، والمناظر الخلابة ربيعا وصيفا. يمتاز شعبها بالكرم والجود. ويقطنها خليط من العرب و "الشاوية"، وهم ذوو أصول أمازيغية، أما مدينة باتنة، عاصمة الأوراس ومقر الولاية، تقع على بعد 425 كم جنوب شرق الجزائر العاصمة وترتفع عن سطح البحر بـ1200 م.

اداريا ولاية باتنة تتكون من إحدى وعشرون (21) دائرة و إحدى و ستون بلدية.

تحتل الولاية المرتبة الخامسة على مستوى الجزائر من حيث التعداد السكاني والذي بلغ 1,549,931 تتربع ولاية باتنة على مساحة تقدر بـ 12.038.76 كم² . إقليم الولاية مسجل في أغلبه ضمن المجموعة الطبيعية المكونة من ملتقى الأطلسين " التلي و الصحراوي " و هذا ما يمثل الخاصية الطبيعية للولاية، و يحدد كذلك خاصية البيئة والظروف المعيشية للإنسان¹

• ولاية تيزي وزو :

تقع المدينة على بعد 100 كيلومتر شرق العاصمة الجزائر، على بعد 125 كم من بجاية غربا، وعلى بعد 30 كيلومترا من سواحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا، يبلغ عدد سكانها 1.350.100 نسمة المسجلة في عام 2008، وتعتبر تيزي وزو ثاني أكبر مدينة من حيث عدد السكان بعد بجاية في منطقة القبائل..²

تنسب تسمية مدينة تيزي وزو إلى شجيرات شوكية ذات ورود صفراء منتشرة بكثرة في هذه المنطقة التي تتوفر على 1400 قرية، وتتركب كلمة تيزي وزو من كلمتين (تيزي) تعني فج و (وزو) المراد منها شجرة شوكية تسمى وزال بالأمازيغية.

يعود أصل السكان إلى البربر الأمازيغية وهم السكان الأصليون للجزائر، سكان المنطقة أمازيغ ويطلقون على أنفسهم أسم زواوة نسبة للقبيلة القاطنة في هذه المنطقة، كما يرجع البعض أصل سكان المنطقة إلى قبيلة كتامة الأمازيغية كما يوجد مجموعة كبيرة من الأشراف الأدارسة في المنطقة ويلقبون بالمرابطين الأشراف، وقد أندمجوا مع السكان ، يتكلم الأغلبية العظمى اللغة الأمازيغية بلهجتها القبائلية تقبايليث، وتوجد أقلية تتكلم العربية في الغرب.

• ولاية غرداية :

تقع ولاية غرداية شمالي صحراء الجزائر، ومقر الولاية مدينة غرداية تبعد بـ 600 كلم جنوب العاصمة الجزائر، مساحتها الإجمالية تقدر بـ 86105 كلم²، امتدادها من الشمال إلى الجنوب 450 كلم، ومن الشرق إلى الغرب من 200 إلى 250 كلم ترتفع عن مستوى سطح البحر بـ 486 م.

¹ /http://wilaya-batna.gov.dz/content
² - https://ar.wikipedia.org/wiki

تحد ولاية غرداية كل من: شمالا، ولاية الجلفة، وولاية الأغواط جنوب، ولاية تمنراست شرقا وولاية ورقلة غربا وولاية البيض وولاية أدرار

يقدر عدد سكان ولاية غرداية سنة 2008 ب 363598 نسمة نسمة، أي بكثافة تقدر ب 4,22 نسمة/كم²، تتفرع ولاية غرداية إلى 09 دوائر، مقسمة إلى 13 بلدية.

• ولاية تمنراست :

تقع ولاية تمنراست أقصى الجنوب الجزائري على بعد 2200 كم عن العاصمة ، و قد انبثقت بموجب التقسيم الإداري لسنة 1974 م ، تحدها من الشمال ولاية غرداية و ولاية ورقلة، و من الشرق ولاية إليزي، و من الغرب ولاية أدرار، و من الجنوب دولة النيجر ودولة مالي، وهي أكبر الولايات مساحة ، و مع أنها تقع في قلب الصحراء، فولاية تمنراست هي ولاية تارقية، فمناخها مختلف يغلب عليه الاعتدال نظرا لتضاريسها الجبلية حيث تقع عاصمة الولاية على ارتفاع 1400 متر عن مستوى سطح البحر، و تضم سلسلة جبال الهقار التي بها أعلى قمة جبلية بالجزائر وهي تاهات آتاكور ، بارتفاع قدره 3303 متر.

تنقسم ولاية تمنراست إلى 7 دوائر و 10 بلديات ، ويبلغ عدد سكانها ، الى غاية 2010 حوالي 204.540 نسمة ، وبكثافة 0.32 نسمة/كم². سنة 2008.²

2. تحديد العينة:

لعل اختيار العينة، في أي بحث من البحوث، هو خطوة هامة، تفرضها منهجية البحث العلمي الميداني، وتدرس العينة جزءاً صغيراً من مجتمع البحث بعد اختياره، ويختارها الباحث لغاية جمع البيانات (المعلومات)، وتوفيراً للجهد والوقت، لتعذر إجراء مسح شامل، وتعميم هذه العينات يتطلب الانتباه إلى مجموعة من النقاط، تتعلق بوحداتها وحجمها وأنواعها، والمناطق التي تُنتقى منها، وعند اختبار الباحث للحقل الموجه للتحليل، فإنه يتعامل مع ثلاث إمكانات « إما أن يجمع المعطيات، ويوجه تحليله في النهاية إلى المجتمع الإحصائي بأكليته في هذا الحقل، وإما أن يكتفي بعينة ممثلة

¹ - <http://www.wikiwand.com/ar>
² <https://ar.wikipedia.org/wiki>

لهذا المجتمع، وإما أن يقتصر تحليله على بعض المكونات النمطية، حتى ولو لم تكن ممثلة تماماً لهذا المجتمع».¹

وبالنظر إلى صعوبة اللجوء إلى العينات الاحتمالية، وتماشياً مع طبيعة الموضوع المدروس، ومشكلة البحث، فقد كانت العينة الغير احتمالية هي الأكثر تغيراً عن هذا الواقع وعن متطلبات البحث، ويبقى هذا النوع من العينات (غير احتمالية)، في معطياتها «مقبولة وملائمة، إلا أنه لا يمكن معرفة درجة تمثيلية هذه العينة، بالنسبة إلى مجتمع البحث الذي أخذت منه»²

وعليه فإن العينة التي تم اختبارها، هي عينة قصدية -عرضية- حيث تعتبر العينة القصدية (العمدية)، يختار فيها الباحث مجموعة عناصر تعتبر كنماذج للمجتمع المدروس، ويتم اختبار العناصر على أساس أنها خادمة للموضوع المعالج، وهي أكثر تعبيراً عن خصوصيته (المجتمع المدروس)، وارتباطاً به، إذ تتكون من «مجموعة من العناصر المثالية المنتقاة من مجتمع البحث».³

ولكن طريقة أخذ هذه العناصر المنتمية إلى هذه المجموعة، تم اللجوء إلى الطريقة المعتمدة في العينة العرضية، إذ «يحصل الباحث على المعلومات من الذين يصادفهم»⁴، حيث تم أخذ هذه العناصر عند الجماعات اللغوية المختلفة بطريقة الصدفة، على أن يكون منتمياً إلى تلك المجموعة التي تؤخذ منها هذه العينة، ويمكننا أيضاً هذا النوع من العينات من الحصول على المعلومات لما يجري في مجتمع البحث، وبخاصة أن هذا المجتمع (بمجموعاته المختلفة)، يضم أعداداً كبيرة من الأسر، يصعب تحديدها بدقة.

وعليه قمنا بتحديد عدد أفراد العينة بـ 200، على أن يكون هذا العدد موزع بالتساوي بين الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق)، بغرض إجراء المقارنة بين هذه المجموعات وبخاصة، أن موضوع دراستنا قائم على هذه المقارنة، إذ كان العدد لكل جماعة لغوية هو

¹ - ريمون كفي، لوك فان كمبنهود، مرجع سبق ذكره، ص 194.

² - مورييس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات علمية، ترجمة: بوزيد صحراوي، سعيد سبعون، كمال بوشرف، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص 310.

³ - نفس المرجع، ص 311.

⁴ - بوحوش عمار، الذنبيات محمد محمود: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 66.

50 (50 للشاوية، و 50 للقبائل، و 50 للتوارق و 50 لبني مزاب)، وهذا العدد المأخوذ يسمح لنا ببناء جداول تامة.

وبالنسبة لعدد الاستثمارات الموزعة، فإنه قمنا بتوزيع عدد مقبول من الاستثمارات، حوالي 400 استثمار، موزعة بالتساوي بين هذه الجماعات اللغوية، إلا أن الكثير من الاستثمارات الموزعة، لم يتم إرجاعها بالكامل، برغم طول المدة التي مُنحت للمبحوثين، وكان التجاوب معها ضئيلا -وقد هدرت الكثير من الوقت- وكان عدد الاستثمارات المتحصل عليها بعد جُهد كبير وبجهد كبير (بشق النفس) هو 280 استثمار لدى الجماعات اللغوية كلها، استبعدنا منها 80 استثمار لعدم جدية الإجابات أو لتقلص في عدد الإجابات، وقد كانت العدد النهائي الذي تمّ الحفاظ عليه هو 200 استثمار، مع مراعاة قدر المستطاع أن يكون هناك توازن في توزيع الاستثمارات بين هذه المجموعات اللغوية، لغرض الحفاظ على تساوي العدد لديهم.

3. خصائص أفراد العينة:

جدول رقم (01) : يبين توزيع المبحوثين حسب الجنس.

الجنس	الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
ذكور	52%	26	64%	32	100%	50	42%	21
إناث	48%	24	36%	18	/	/	58%	29
المجموع	100%	50	100%	50	100%	50	100%	50

نلاحظ من خلال الجدول أن أكبر نسبة هي 52% هم من الذكور، مقابل 48% للإناث، وهذا للجماعة اللغوية للشاوية، وما نسبته 64% من الذكور مقابل 36% للإناث عند القبائل، وما نسبته 100% من المبحوثين عند الجماعة اللغوية لبني مزاب هم من الذكور، وما نسبته 58% هم من الذكور، مقابل 42% للإناث وهذا للجماعة اللغوية للتوارق.

وتعكس هذه الأرقام أن مجتمع البحث بصورة عامة يغلب عليه عنصر الذكور، وخاصة للجماعتين اللغويتين (القبائل والشاوية)، بينما نجد لدى الجماعة اللغوية لبني مزاب أن كل أفراد العينة هم من الذكور، ويفسر ذلك إلى طبيعة هذا المجتمع، المتسم بتحفظ هذا العنصر (النسوي)، أن يكون جزءاً من العينة المدروسة، وقد استعنت ببعض الزملاء لذات الأمر (لأن تشمل العينة عدداً من الإناث)، إلا أن ذلك لم يحصل، ولذلك كانت النسبة كلها للذكور (100%)، ولعل طابع التحفظ، نابع من مبررات موضوعية، متعلقة بخصوصية العائلة في بني مزاب، والتي يكون فيها ظهور المرأة كعنصر بارز في العديد من المواقف -نادر جداً- أرى أن هناك تحفظ مازالت تبديه ثقافة المجتمع، وقيمه وأعرافه، وأن الرجل كفيل بتمثيل ذلك، كما نجد أن هناك تفوق للعنصر النسوي على العنصر الذكوري لدى الجماعة اللغوية للتوارق، وهذا نابع من أن المجتمع التارقي هو مجتمع أموسي، أي أن للمرأة مكانة هامة، وتحظى بالتقدير والتبجيل، نظراً للأدوار الموكلة لهذه المرأة، والتي تعتبر الركيزة الأساسية داخل هذه الجماعات اللغوية، فهي التي تتكفل بجل حاجيات الأسرة، ولذلك فقد ظهر تفوق عنصر الإناث على الذكور في هذا المجتمع.

فمجتمع البحث يعكس تباين في أفراد العينة الخاصة بكل جماعة لغوية، وهذا راجع إلى ثقافة كل جماعة، والتي تسمح بمشاركة الذكور أكثر في المواقف الحياتية المختلفة للأسرة الجزائرية بصورة عامة، إلا أن هناك تفاوت في درجة تغلب الذكور على معظم هذه الحالات (المواقف الحياتية)، كما أنها قد تعكس ثقافة جماعة ما بظهور العنصر النسوي وبروزه أكثر من الذكور (حالة التوارق)، ولكن بصفة عامة لا يزال المجتمع الجزائري في عمقه بصفة عامة والجماعات اللغوية المختلفة (الناطقية بالأمازيغية) بصفة خاصة، مجتمعات أبوية باستثناء الجماعة اللغوية للتوارق (أموسية).

جدول رقم (02) : يبين توزيع المبحوثين حسب السن.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		السن
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
14 %	7	66 %	33	52 %	26	68 %	34	40 - 20
64 %	32	28 %	14	40 %	20	30 %	15	60 - 41
22 %	11	6 %	3	8 %	04	2 %	01	أكثر من 60
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتبين لنا من خلال الجدول أن أكبر نسبة للجماعة اللغوية للشاوية هي 68%، وهم من الفئة العمرية [40-20] سنة، تليها النسبة 30% وهي للفئة العمرية [60-41] سنة، ثم تليها فئة أكثر من 60 سنة.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية للقبائل هي 52%، وهي للفئة العمرية [40-20]، ثم تليها النسبة 40% وهي للفئة العمرية [60-41] سنة، ثم تليها الفئة العمرية أكثر من 60 سنة.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية لبني مزاب هي 66% وتمثل الفئة العمرية [40-20] سنة، ثم تليها الفئة العمرية [60-41] سنة بنسبة 26%، وتأتي بعدها الفئة العمرية أكثر من 60 سنة وهذا بنسبة 6%.

أما بالنسبة للجماعة اللغوية للتوارق، فنجد أن النسبة المئوية الأكبر تقدير بـ 64% وهي للفئة العمرية [60-41] سنة، ثم تليها النسبة 22% وهي للفئة العمرية أكثر من 60 سنة، بينما تأتي نسبة 14% وهي للفئة العمرية [40-20] سنة.

ونستنتج من خلال هذه الأرقام، أن هناك تغلب لفئة الشباب [40-20] سنة عند الجماعات اللغوية لكل من الشاوية والقبائل وبني مزاب، ولعل هذا يعكس النسبة الأكبر في المجتمع، والتي يمثل فيها الشباب النسبة الأكبر، ولذلك برزت هذه الفئة لدى هذه الجماعات اللغوية، إلا أن ذلك لم يعكس

تغلب هذه الفئة لدى الجماعة اللغوية للتوارق، حيث تغلب فئة الكهول [41-60] سنة على العينة المدروسة، ويرجع ذلك ربما إلى تغلب هذه الفئة لدى هذه الجماعة اللغوية.

فعينتنا اشتملت على الفئات الثلاث، شباب، وكهول وشيوخ، كما نجد أن هناك تواجد لفئة الشباب أكثر، ثم تليها فئة الكهول (أي تغلب فئة الشباب على فئتي الكهول والشيوخ)، وهذا للجماعة اللغوية لـ(الشاوية، القبائل وبني مزاب)، بينما تتغلب فئة الكهول على الفئات العمرية الأخرى (الشباب والشيوخ).

وعموماً فإن عينتنا قد شملت معظم الفئات العمرية (شباب، كهول، شيوخ)، وهي عاكسة للفئات المختلفة داخل المجتمع.

جدول رقم (03) : يبين توزيع المبحوثين حسب عدد الأبناء

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		عدد الأبناء
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
8 %	4	74 %	37	72 %	36	76 %	38	1 - 3 أبناء
8 %	4	10 %	5	20 %	10	18 %	9	أكثر من 3 إلى 5 أبناء
84 %	42	16 %	8	8 %	4	6 %	3	أكثر من 5 أبناء
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول، أن أكبر نسبة للجماعة اللغوية للشاوية هي 76%، وهي للذين يتراوح عدد أبنائهم من 1 إلى 3 أبناء، ثم تليها النسبة 18% للذين يتراوح عدد أبنائهم بين 4 و 5 أبناء، ثم تليها نسبة 6% وهي التي يكون فيها الأبناء أكثر من 5 أبناء.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية للقبائل هي 72%، وتمثل الذين عدد أبنائهم من 01 إلى 3 أبناء، بينما نجد ما نسبته 20% هي للذين لديهم عدد أبنائهم من 4-5 أبناء، ثم تأتي النسبة 8% لتعكس الذين لديهم أكثر من 5 أبناء.

وأكبر نسبة عند الجماعة اللغوية لبني مزاب هي 74% وتمثل الذين لديهم من 1-3 أبناء، تليها النسبة 16% للذين لديهم أكثر من 5 أبناء، ثم تليها النسبة 10% للذين لديهم من 4 إلى 5 أبناء.

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية للتوارق، هي 84% وتمثل الذين لديهم أكثر من 5 أبناء، وتليها النسبة 8% لكل من الذين لديهم من 1 إلى 3 أبناء وللذين لديهم من 4 إلى 5 أبناء.

وما نلاحظه، أن كل الأسر لهذه الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) لها أبناء، وهذا ما يعكس إحدى الشروط التي يجب أن تتوفر في عينتنا (لدى الأسر أبناء).

كما تظهر هذه النتائج أن هناك حالة توافق في عدد الأبناء للجماعات اللغوية، لكل من (الشاوية، القبائل وبني مزاب)، والتي تعكس تغلب الأسر التي لا يزيد عدد أبنائها عن (03) أبناء، وهو الحالة التي ترتبط بأن هناك شباب يمثل الأغلبية لديها، لأنه في الغالب التوجهات الحالية للشباب، تميل نحو تخفيض عدد أبنائها داخل الأسرة، وهذا للظروف الاجتماعية الصعبة، وكذا في ظل عدم قدرتهم على تحمل المسؤولية الاجتماعية في تربيتهم وتعليمهم... إلخ، وقد تعكس (تتوافق) هذه الحالة (أقل من 3 أبناء) مع توجه الأزواج نحو بناء أسرة مستقلة (أسرة نووية)، وفي الغالب ما يكون المسكن صغير، وهو عامل إضافي للحفاظ على تواجد أقل عدد ممكن من الأبناء.

بينما تكون الجماعة اللغوية للتوارق عكس التوجه العام للمجموعات الأخرى، إذ تسيطر (تتغلب) على هذه الجماعات التي يزيد عدد أبنائها عن 5 أبناء، وإذا نظرنا إلى جدول (العمر)، فإننا نجد أن الفئة الغالبة، لدى هذه الجماعة هي فئة الكهول، ثم فئة الشيوخ، وهو ما يفسر أن مدة زواج هذه الأسر كبيرة، وهو ما يرجح فكرة تزايد الأبناء لديهم، وهناك عامل آخر أن الأفراد في هذه المجتمعات في الغالب يتزوجون في سن مبكرة (لا يوجد تأخر في سن الزواج مقارنة بالمجموعات الأخرى، وبخاصة "الشاوية والقبائل")، ويمكن القول أنه كلما انتقلنا من فئة الشباب إلى فئة الشيوخ، كلما زاد عدد الأبناء داخل الأسر، وكلما انتقلنا من الشيوخ نحو الشباب قلّ عدد الأبناء لدى هذه الأسر.

جدول رقم (04) : يبين المستوى التعليمي للمبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		المستوى التعليمي
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
24 %	12	/	/	2 %	1	/	/	أمي
34 %	17	8 %	4	16 %	8	4 %	2	يقرأ ويكتب
10 %	5	4 %	2	4 %	2	4 %	2	إبتدائي
12 %	6	8 %	4	8 %	4	2 %	1	متوسط
8 %	4	28 %	14	14 %	7	34 %	17	ثانوي
12 %	6	52 %	26	56 %	28	56 %	28	جامعي
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يظهر لنا من خلال ملاحظة خانات الجدول، أن أكبر نسبة لدى الجماعات اللغوية للشاوية هي 56%، وهي للذين مستواهم التعليمي جامعي، ثم الذين مستواهم ثانوي بنسبة 34%، و 4% لكل من المستوى الابتدائي، ويقرأ ويكتب، وبنسبة 2% للمتوسط.

وللجماعة اللغوية للقبائل نجد أن أكبر نسبة هي للذين مستواهم التعليمي جامعي 56%، ثم تليها 16% و 14% هي للذين مستواهم التعليمي يقرأ ويكتب وثنائي، على التوالي، وما نسبته 8% و 4% للذين مستواهم متوسط وابتدائي على التوالي.

وللجماعة اللغوية لبني مزاب، ما نسبته 52 % للذين مستواهم التعليمي جامعي، و28% للذين مستواهم التعليمي ثانوي، وما نسبته 8% و 4% لكل من (متوسط ويقرأ ويكتب)، وابتدائي على التوالي.

بينما نجد عند الجماعة اللغوية للتوارق، أن أكبر نسبة هي للذين مستواهم التعليمي يقرأ ويكتب بنسبة 34%، ثم تليها النسبة 24% للأميين، و12% لذوي المستوى التعليمي الجامعي والمتوسط، و 8% و 10% للمستوى الابتدائي والثانوي على التوالي لأفراد العينة.

نستنتج من هذا الجدول، أن هناك نوع من اشتغال أفراد العينة لكل المستويات التعليمية (عالي ومتوسط ومنخفض)*، إلا أن هناك تفاوت لدى الجماعات اللغوية في هذه المستويات التعليمية، إذ ترتفع نسبة المستوى التعليمي العالي (جامعي)، لدى أفراد العينة للجماعة اللغوية لكل من (الشاوية والقبائل)، ويكون المستوى التعليمي المتوسط (ثانوي ومتوسط) مرتفع نسبياً عند الجماعات اللغوية (الشاوية والقبائل وبني مزاب)، مع بروزه أكثر عند بني مزاب.

بينما نجد ارتفاع نسبة أفراد العينة الذين لديهم مستوى تعليمي منخفض عند الجماعة اللغوية للتوارق بدرجة عالية، وهو ما يعكس التفاوت في المستوى التعليمي بين هذه الجماعة والجماعات الأخرى (الشاوية، بني مزاب، القبائل)، مع ملاحظة غياب المستوى التعليمي الجامعي أيضاً للتوارق، وهو مؤشر سلبي يعكس الوضعية التعليمية لأفراد هذه الجماعة، كما أنه قد يرجع إلى سبب تحرك الأفراد، وعدم استقرارهم بمكان ما لمدة طويلة بسبب العمل أو غيره، وهو ما يجعل تعليمهم يتسم بالصعوبة، أو أن هناك أسباب أخرى (تحتاج إلى دراسة)، لمعرفة أسباب انخفاض هذه النسب، وبخاصة للمستوى التعليمي العالي، ولعلّ أيضاً النسبة الكبيرة من الكهول والشيوخ هي السبب وراء انخفاض نسبة ذوي المستوى التعليمي العالي، لأن الواقع في المنطقة أنه تتوفر جامعات (أو مراكز جامعية) في الولايات التي يتواجدون بها، وهو ما يعطي انطباع بأن هناك الكثير من الشباب ذوي المستوى التعليمي العالي بما فيه الجامعي.

كما تدل النتائج على أن أفراد العينة تشمل فئات ذوي مستوى عال (باستثناء التوارق)، متوسط، وذوي مستوى منخفض، وهي معطيات تعكس واقع اجتماعي لدى هذه الجماعات وفي المجتمع الجزائري.

* - عالي تمثل (جامعي)، ومتوسط (مستوى تعليمي متوسط وثانوي)، ومنخفض (ابتدائي، يقرأ ويكتب، أمي).

جدول رقم (05): يبين المستوى التعليمي للزوج (ة) المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		المستوى التعليمي لزوج (ة) المبحوثين
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
% 30	15	% 2	1	% 16	8	/	/	أمي
% 34	17	% 6	3	% 6	3	% 2	1	يقرأ ويكتب
% 12	6	% 12	6	% 10	5	% 4	2	إبتدائي
% 18	9	% 38	19	% 12	6	% 12	6	متوسط
% 6	3	% 34	17	% 26	13	% 32	16	ثانوي
/	/	% 8	4	% 30	15	% 50	25	جامعي
% 100	50	% 100	50	% 100	50	% 100	50	المجموع

يتبين لنا من الجدول أن أكبر نسبة للجماعة اللغوية الشاوية هي 50% من الذين (زوجاتهم أو أزواجهم) من أفراد العينة، ذوي مستوى تعليمي عالي، وما نسبته 44% ذوي مستوى متوسط، و6% ذوي مستوى منخفض.

وما نسبته 30% للجماعة اللغوية للقبائل من الذين (زوجاتهم أو أزواجهم) لهم مستوى تعليمي عالي، في مقابل 38% مستواهم التعليمي متوسط، وما نسبته 32% مستواهم التعليمي منخفض.

كما نجد عند الجماعة اللغوية لبني مزاب، أن أكبر نسبة هي للذين مستواهم التعليمي متوسط (زوجاتهم / أزواجهم)، بنسبة 72% في مقابل 20% منهم مستواهم التعليمي منخفض، وما نسبته 8% مستواهم التعليمي جامعي.

وما نسبته 78% من (أزواج/ زوجات) أفراد العينة للجماعة اللغوية للتوارق، مستواهم التعليمي منخفض، في مقابل 24% مستواهم التعليمي متوسط.

نستنتج من هذه الأرقام أن هناك تفاوت نسبي فيما يخص المستوى التعليمي لـ (زوجات/أزواج) أفراد العينة لهذه الجماعات المختلفة، إذ ترتفع نسبة المستوى التعليمي الجامعي لـ (زوجات/أزواج) أفراد العينة للجماعة اللغوية للشاوية، وترتفع نسبة ذوي المستوى التعليمي المتوسط لـ ((زوجات/أزواج) أفراد العينة للجماعة اللغوية لكل من بني مزاب والقبائل، بينما ترتفع النسبة لذوي المستوى التعليمي المنخفض لـ (أزواج/زوجات) أفراد العينة، للجماعة اللغوية للتوارق.

وإذا نظرنا إلى الجدول السابق (المستوى التعليمي لأفراد العينة)، فإننا نجد معطى سوسيولوجي مهم، وهو توافق نسبي بين المستويات التعليمية للأزواج وزوجاتهم، وهي إحدى المعطيات التي تؤخذ في اختيار الشريك، إلا أننا نجد أن هناك تفاوت في المستويات التعليمية لدى (زوجات/أزواج) أفراد العينة، ولعل ذلك يحتاج إلى ضرورة البحث عن أسباب تواجد نسب (محيرة)، خاصة في ارتفاع نسب المستويات المنخفضة بما فيها (الأميين خاصة)، وتدني المستويات العليا (الجامعية)، وهذا من شأنه أن ينعكس سلباً على الحياة الاجتماعية .

جدول رقم (06) : يوضح مكان الدراسة الجامعية للمبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		مكان الدراسة الجامعية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
14.28%	1	48.14%	13	42.85%	12	53.33%	16	داخل منطقة السكن
85.71%	6	51.85%	14	57.14%	16	43.33%	13	خارج منطقة السكن
/	/	/	/	/	/	3.33%	1	الإثنين معا
100%	*7	100%	*27	100%	*28	100%	¹ 30	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن ما نسبته 53.33% لدى الجماعة اللغوية للشاوية، كان مكان دراستهم داخل منطقة السكن، بينما 43.33% منهم كان خارج منطقة السكن، و 3.33% للإثنين معاً (خارج وداخل منطقة السكن).

*- تشمل المبحوثين الذين لديهم مستوى جامعي فقط ، وهذا ما قلل من حجم العينة .

ونجد عند الجماعة اللغوية للقبائل ما نسبته 57.14% هم من أفراد العينة الذين كانت دراستهم داخل منطقتهم، في مقابل 42.85% داخل المنطقة.

وما نسبته 51.55% للجماعة اللغوية لبني مزاب كان مكان دراستهم خارج المنطقة، مقارنة بـ 48.14% الذين كانت دراستهم داخل المنطقة.

وما نسبته، 85.71% لدى الجماعة اللغوية للتوارق، هم الذين كانت دراستهم خارج منطقة السكن، مقارنة بـ 14.28% داخل منطقة السكن.

نستنتج من هذا الجدول أن معظم المبحوثين للجماعة اللغوية لكل من القبائل والتوارق وبني مزاب، كانت دراستهم الجامعية خارج منطقة السكن، وتكون مرتفعة أكثر عند التوارق، ويرجع ذلك إلى التنقلات إلى المناطق المجاورة أو البعيدة لظروفهم الاجتماعية، كالاستقرار مؤقتاً بسبب الوظيفة، أو أن هناك تخصصات غير موجودة في مناطق سكنهم، ولذلك يضطرون للتقل إلى خارج المنطقة لمزاولة الدراسة الجامعية، وبخاصة في المرحلة التي كانت التخصصات متمركزة في مناطق معينة، والتي يجتمع ويتلاقى فيها العديد من الطلبة ومن جهات متعددة من الوطن، وهو يعطي للجامعة قيمة ليست علمية ومعرفية فقط، بل الاحتكاك والتواصل مع مجموعات مختلفة الثقافة واللغة والتفكير، وهو ما يساهم في فتح قنوات التواصل اللغوي والثقافي بين هذه المجموعات، وهذا من شأنه أن يساهم في تشكل وتبلور تصورات ومواقف جديدة إزاء العديد من القضايا، بما فيها المسألة الثقافية، وبخاصة اللغوية منها.

ولعل بروزها أكثر عند التوارق، يعكس طبيعة الترحال لهذه الجماعات اللغوية الساكنة في مناطق شاسعة، وهو ما يضطرون إلى تحويل مكان الإقامة -ولو مؤقتاً- لأجل العمل، حتى وإن كان عدد الذين درسوا بالجامعة قليل، وفقاً لتصريحات أفراد العينة.

بينما يكون لدى المجموعة اللغوية للشاوية، أن معظم أفرادها كانت دراستهم داخل منطقة السكن، وتساوي (تقارب) النسبتين للمجموعة اللغوية لبني مزاب، وهذا ما يعطي أن هؤلاء الأفراد للعينة نوع من الاستقرار داخل منطقة السكن، وهو ما يثبت مواقفهم واتجاهاتهم نحو العديد من المسائل، والتي تجعل هذه المواقف لا تتأثر بنظرائهم الذين احتكوا بمجموعات ثقافية ولغوية من المناطق

الأخرى، سواء من مجموعتهم (التي يتواجد فيها أيضاً عدد لا بأس به من الذين درسوا خارج المنطقة، أو من المجموعات الأخرى) والذي سوف ينعكس بصورة عامة على تلك المواقف.

وعموماً فإن عينتنا تشمل التنوع في احتوائها على الذين درسوا داخل المنطقة السكنية، وعلى الذين درسوا خارج المنطقة السكنية.

جدول رقم (07) : يوضح دخل المبحوثين الشهري.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		دخل المبحوثين
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
42 %	21	34 %	17	16 %	8	52 %	26	أقل من 30000 دج
30 %	15	58 %	29	34 %	17	36 %	18	من 30000 - 60000 دج
28 %	14	8 %	4	50 %	25	12 %	6	أكثر من 60000 دج
100%	50	100%	50	100%	50	100%	50	المجموع

يشكل ذوي الدخل الأقل من 30000 النسبة الأكبر لأفراد العينة للجماعات اللغوية للشاوية بنسبة 52 %، ويليهما الذين دخلهم الشهري يتراوح بين [30000 - 60000] دج بنسبة 36% والذين يزيد دخلهم عن 60000 دج بنسبة 12%.

فيما ذوي الدخل أكثر من 60000 دج هي النسبة الأكبر للجماعة اللغوية للقبائل، تليها النسبة 34% للذين دخلهم الشهري [30000 - 60000] دج، ثم النسبة 16% للذين دخلهم أقل من 30000 دج.

ونجد أن ذوي الدخل [30000 - 60000] دج للشهر، هم النسبة الأكبر للجماعة اللغوية لبني مزاب بنسبة 58%، تليها النسبة 34% للذين دخلهم أقل من 30000 دج، ثم النسبة 8% للذين دخلهم أكثر من 60000 دج.

بينما نجد ما نسبته 42% من أفراد العينة للجماعة اللغوية للتوارق، دخلهم أقل من 30000 دج، مقارنة بـ 30% و 28% للذين دخلهم الشهري يتراوح بين [30000 - 60000] دج، وأكثر من 60000 دج على التوالي.

نستنتج من خلال الجدول، أن هناك تفاوت في مستويات الدخل الشهرية لأفراد العينة للجماعات اللغوية المختلفة، إذ تكون الفئة ذوي الدخل المنخفض*، هي الغالبة لدى الجماعة اللغوية للشاوية والتوارق، بينما تتغلب فئة ذوي الدخل المرتفع* لدى الجماعة اللغوية للقبائل، وتتغلب فئة ذوي الدخل المتوسط* لدى بني مزاب، وهو ما يعكس واقع المستوى المعيشي لهذه الأسر، إذ الوضعية الاجتماعية تتباين عند أفراد العينة لهذه الجماعات، فكلما كان مستوى الدخل ضعيف كلما أثر ذلك بصورة فعلية على الوضع الاجتماعي، إذ يكون وضعاً صعباً للغاية، خاصة في ظل غلاء المعيشة، وارتفاع مستوى المواد الاستهلاكية، وهو ما يجعل الفرد غير مستقر نفسياً واجتماعياً، وهذا من شأنه أن يكون مؤثراً أيضاً على العديد من قراراته وبخاصة الثقافية منها واللغوية تحديداً، قد يتخذ فيها مواقف تعكس هذا الواقع الذي يعيشه، وكلما كان المستوى المادي متوسط، كلما أثر بصورة غير مستقرة على الحياة الاجتماعية لهذه الأسر، وبخاصة الذين لديهم نسبة أولاد عالية، وهو ما يجعل سعيهم يكون دائماً في البحث عن مصادر أكثر طمأنينة لحياة اجتماعية مستقرة في اتجاه جيد.

كما تظهر أيضاً فئة ذوي الدخل المرتفع، ولكن بصورة منخفضة، وبخاصة عند الجماعة اللغوية للشاوية وبني مزاب، وفئة ذوي الدخل المرتفع، تكون الحالة الاجتماعية مستقرة وجيدة، كما أنها تؤثر على مواقفهم بصورة إيجابية، وتكون هذه الفئة عاكسة للحالة الاقتصادية لهذه الأسر، والتي تكون في وظائف عليا أو أن لديها العديد من الأفراد، يساهمون بالدخل في هذه الأسرة.

وبصورة عامة، فإن حالة الدخل الشهرية لهذه الأسر لدى الجماعات اللغوية المختلفة، تعكس واقعاً اقتصادياً للمجتمع وواقع اجتماعي لها، ويؤثر هذا الواقع على مسارات الأفراد والجماعات في محيطهم، وعلى جميع المواقف والقرارات التي يتخذونها، بما فيه ذلك الجانب اللغوي منه، كما أن العينة شملت التنوع في مداخل هذه الفئات، لمعرفة واقع الممارسة اللغوية لديهم.

جدول رقم (08) : يوضح مكان إقامة المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		مكان الإقامة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
58 %	29	78 %	39	66 %	33	86 %	43	المدينة
42 %	21	22 %	11	34 %	17	14 %	7	الريف
100%	50	100%	50	100%	50	100%	50	المجموع

يشكل القاطنين بالمدينة 86% أكبر نسبة للجماعة اللغوية للشاوية، في مقابل 14% من المبحوثين الذين يسكنون بالريف.

ويشكل الساكنين بالمدينة 66% من أفراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل، في مقابل 22% منهم من القاطنين بالريف.

ويشكل القاطنين بالمدينة 78% كأكثر نسبة للجماعة اللغوية لبني مزاب، في مقابل 22% منهم من القاطنين بالريف.

ويسكن ما نسبته 58% من أفراد العينة للجماعة اللغوية للتوارق بالمدينة، في مقابل 42% منهم بالريف.

ونستنتج من خلال هذه القراءة، أنه كلما اتجهنا نحو المدينة، كلما زاد عدد المبحوثين فيها، وقلّ في الريف، وهذا للجماعة اللغوية لكل من (الشاوية، القبائل، بني مزاب، والتوارق)، لكنها بنسبة أقل عند التوارق، وهذا ما يعكس إلى حد ما، حقيقة الواقع للمجتمع الجزائري، إذ يتمركز السكان في المناطق الحضرية (المدينة) أكثر من المناطق الريفية، ويعكس هذا نمط الهجرات السائدة من الريف نحو المدينة، وبخاصة في ظل الظروف (الأوضاع) التي كانت سائدة في "العشرية السوداء" أين تمت هجرات نحو المدن، زيادة على الفرص المتاحة من حيث الحصول على وظيفة، والخدمات التي تتوفر

عليها(اداريا واقتصاديا خاصة)، فالتجمعات السكانية الكبرى تكون في المدينة، وهو ما يعكس أيضاً واقع الجماعات اللغوية للمبحوثين، والذين يتمركزون أكثر في المدينة، مع انخفاض النسبة قليلا لدى التوارق ، بسبب الطابع اللاتمرکز في مكان واحد، بسبب التنقلات.

جدول رقم (09) : يوضح نوعية سكن المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		نوعية السكن
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
10 %	5	14 %	7	30 %	15	58 %	29	شقة
54 %	27	74 %	37	44 %	22	30 %	15	بيت حضري
34 %	17	6 %	3	14 %	7	8 %	4	بيت ريفي
2 %	1	6 %	3	12 %	6	4 %	2	فيلا
100%	50	100%	50	100%	50	100%	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول، أن أكبر نسبة للجماعة اللغوية الشاوية هي 58%، وهي للذين يسكنون في شقة، في مقابل 30% يسكنون في بيت حضري، و 8% و 4% يسكنون في بيت ريفي، أو فيلا، على التوالي.

وأكثر نسبة لأفراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل هي 44%، وهي للذين صرحوا بأنهم يسكنون في بيت حضري، في مقابل 30% فهم يسكنون في شقة، وما نسبته 14% و 12% يسكنون في بيت ريفي أو فيلا على التوالي.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية لبني مزاب هي 74% لأفراد العينة الذين يسكنون في بيوت حضرية، في مقابل 14% في شقق، و 6% منهم يسكنون في فيلا.

نستنتج من هذا ، أن جُلّ المبحوثين للجماعة اللغوية لكل من (القبائل، بني مزاب، التوارق)، يسكنون في بيوت حضرية، وهو الطابع البنائي الأكثر انتشاراً، سواءً في المدن أو في الأرياف، بينما أفراد العينة للجماعة اللغوية الشاوية فإن جُلّهم يسكنون في شقق، والتي تكون مرتبطة أكثر بالمدينة، خاصة في العمارات، وهذا يتوافق نسبياً مع الجدول السابق (منطقة السكن).

كما نلاحظ أن هناك فئات قليلة لدى كل الجماعات اللغوية التي تسكن في فيلات، وهذا راجع إلى الوضعية المادية التي غالباً ما لا تسمح ببناء هذا النوع من السكنات، ليكون في متناول الأسر التي تكون وضعيتها المادية جيدة.

جدول رقم (10) : يوضح ممتلكات الأسرة (الوسائل والأجهزة *)

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		ممتلكات الأسرة (الوسائل والأجهزة)
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
26 %	13	48 %	24	70 %	35	28 %	14	كلها
74 %	37	52 %	26	30 %	15	72 %	36	بعضها
100%	50	100%	50	100%	50	100%	50	المجموع

نلاحظ في الجدول، أن ما نسبته 74% من أفراد العينة للجماعة اللغوية للشاوية، يملكون بعض الوسائل والأجهزة الضرورية، في مقابل 26% صرحوا بأنهم يملكون كل الوسائل.

وما نسبته 52% من المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، صرحوا بأنهم يملكون بعض الوسائل، مقارنة بـ 48% الذين يملكون كل الوسائل.

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية لبني مزاب هي 70% وهي اللذين صرحوا بأنهم يملكون كل الوسائل الضرورية في منازلهم، مقابل 30% الذين صرحوا بأنهم يملكون البعض منها.

*- تشمل هذه الوسائل والأجهزة (التلفاز، السيارة، الهاتف، كومبيوتر، غسالة، ثلاجة، آلة طبخ ، مكيفات.....).

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية للتوارق 72% وهي للذين صرحوا من أفراد العينة أنهم يملكون بعض الوسائل، مقارنة بـ 28% منهم صرحوا بأنهم يملكون كل الوسائل.

نستنتج من هذه النتائج أن هناك تباين، في امتلاك الأسر لأهم الوسائل والأجهزة الضرورية، إذ تتوافق الجماعة اللغوية لكل من الشاوية والتوارق، في امتلاك بعض الوسائل فقط، وليس كلها، بينما هناك تساوي (تقارب) لأفراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل للذين يملكون كل الوسائل والذين يملكون بعضها فقط، وهو ما يعكس الحالة المادية لأسر هذه الجماعات اللغوية، وهو ما يؤثر على قدراتهم في توفير الحاجيات الضرورية للأسرة، كما يعكس واقعاً اجتماعياً يتسم بالتباين النسبي في تركيبته.

جدول رقم (11) : يوضح طبيعة ملكية السكن لأفراد العينة.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		ملكية السكن
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
14 %	7	8 %	4	2 %	1	2 %	1	ملك الدولة
54 %	27	56 %	28	80 %	40	90 %	45	ملكية خاصة
2 %	1	20 %	10	4 %	2	4 %	2	سكن وظيفي
30 %	15	16 %	8	14 %	7	4 %	2	مستأجر
100%	50	100%	50	100%	50	100%	50	المجموع

تشير النتائج في الجدول، إلى أن أكبر نسبة لدى الجماعة اللغوية للشاوية هي 54%، وتمثل الذين يملكون سكناتهم (ملكية خاصة)، في مقابل 30% هم مستأجرين للسكنات، و 14% منهم سكناتهم ملك للدولة، و 2% منهم يشغلون سكنات وظيفية.

بينما تبين الأرقام، لدى الجماعة اللغوية للقبائل، أن أكبر نسبة هي 56% وهي لأفراد العينة الذين سكناتهم ملكية خاصة، في مقابل 20% و 16% تمثل سكنات وظيفية أو مستأجرة على التوالي، و 1% منهم هي ملك للدولة.

ونجد لدى الجماعة اللغوية لبني مزاب، أن ما نسبته 80% كأكبر نسبة، هي للذين تعتبر سكناتهم ملكية خاصة، في مقابل 14% منه مستأجرة، و 4% و 2% منها هي سكنات وظيفية أو ملك للدولة.

أما عند الجماعة اللغوية للتوارق، فإن أكبر نسبة 90% هي للذين يملكون السكنات التي يتواجدون فيها، في مقابل 4% و 2% لكل من السكنات الوظيفية والمستأجرة، والتي تعتبر ملك للدولة على التوالي.

نستنتج من هذه المعطيات، أن معظم أفراد العينة للجماعات اللغوية، يسكنون في سكنات هي ملكية خاصة لهم، سواء كانت حضرية في الريف أو المدينة، لأن هذه السكنات في الغالب يقوم ببنائها أصحابها، كما تعكس أيضاً جزء من الشق التي أصبحت الآن ملك لهم، سواء الاجتماعية أو بصيغ أخرى (عدل، ترقوي،...)، وتزداد النسبة أكثر عند الجماعات اللغوية لكل من التوارق وبني مزاب، والتي تكون فيها فرص الحصول على قطع أرضية متاحة نوعاً ما، بسبب توفرها على وعاءات عقارية، ولعل توجه المبحوثين العام إلى أن سكناتهم ملكية خاصة، يعود إلى الذهنية المجتمعية في حب التملك، واعتبارها جزء أساسي لتوفير الأمان للأسرة، بينما تتوزع النسب على بين ما هو مستأجر أو سكن وظيفي أو ملك للدولة، بسبب الوضعيات المهنية أو الاجتماعية لهؤلاء الأفراد.

الفصل الثامن

تأثير العوامل الاجتماعية على الممارسة
اللغوية للأسرة

* تحليل نتائج الفرضية الأولى وتفسيرها

* استنتاج الفرضية الأولى

سننتظر في هذا الفصل إلى، التأثير الذي تلعبه العوامل الاجتماعية، على الممارسة اللغوية للأسر الناطقة باللغة الامازيغية، لكل من الشاوية، والقبائل، وبني مزاب، والتوارق، وقد تناولنا في هذا الفصل، إلى مجمل العناصر التي لها علاقة، مع فرضيتنا الأولى " تؤثر العوامل الاجتماعية على الممارسة اللغوية للأسر الناطقة بالامازيغية، وتختلف هذه الممارسة حسب الفئة المنتمي إليها ، شاوية أو قبائل، أو بني مزاب، أو التوارق "، وقصد التحقق من مدى صحة هذه الافتراض ، قمنا بتحديد العناصر التي لها علاقة مع هذه الفرضية ، وتمثلت في :

- السمات الشخصية، والممارسة اللغوية (السكن ، نوع السرة وعلاقتها بتحدث الابناء الامازيغية، لغة الحديث في الأسرة ، لغة الأم وعلاقتها بلغة الأبناء ، لغة الأبناء قبل المدرسة ، لغة الزوجين ،علاقة الأصل الجغرافي بلغة حديث الزوجين ،السن وعلاقته بلغة الأبناء في المنزل،أهمية تدريس الامازيغية ، تحدث الأبناء الامازيغية.....الخ)
- مجالات الممارسة اللغوية (اللغة المفضلة للمبشرين في كل من مجالات ، العلم والتعليم ، الاقتصاد ، السياسة ، الدين)
- التفاعل الاجتماعي اليومي وممارسة اللغة (الأقارب ، الجيران ، الشارع ، السوق ، الإدارة ، سبب إدخال الأبناء المدارس القرآنية)

1. الخصائص الشخصية والتوجهات (التفضيلات) اللغوية:

سوف نتناول في هذا العنصر، معنى الخصائص المرتبطة بأفراد العينة، والتي تؤثر على الممارسة اللغوية لهذه المجموعات، مع التركيز على أهم التوجهات التي يبدونها المبشرين عند هذه الجماعات إزاء اللغة المفضل استعمالها، على مستويات متنوعة، ويكون ذلك من خلال:

(سكن المبشرين وعلاقته باللهجة المحلية، علاقة السكن تبرر القصص والحكايات، لغة الحديث داخل الأسرة واللغة الأم عند المبشرين، علاقة اللغة الأم بلغة الأبناء، اللغة المفضل تعليمها للأبناء قبل

المدرسة، علاقة الإقامة ولغة الأبناء قبل المدرسة، لغة الممارسة بين الزوجين، علاقة الأصل الجغرافي بلغة الزوجين، لغة الأبناء داخل المنزل، علاقة سن المبحوثين بلغة الأبناء في الأسرة، رأي المبحوثين إزاء هيمنة اللغة، أهمية تدريس الأمازيغية، والمرحلة المفضل التدريس فيها، الموقف من حروف كتابة الأمازيغية،...).

جدول رقم (13) : يوضح سكن المبحوثين

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		السكن
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
66 %	33	72 %	36	32 %	18	26 %	37	لوحدهم
34 %	17	28 %	14	48 %	32	58 %	13	مع الوالدين والإخوة
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

نلاحظ من الجدول أن:

عند الشاوية نجد ما نسبته 66% من المبحوثين، يسكنون لوحدهم (الزوج والزوجة والأبناء) وبنسبة 34% منهم يسكنون مع الوالدين والإخوة، وعند القبائل ما نسبته 72% يقطنون لوحدهم، و 28% مع الوالدين والإخوة، وعند بني مزاب نجد ما نسبته 64% عبروا عن أنهم يسكنون مع الوالدين والإخوة، وما نسبته 36% لوحدهم؛ أما عند التوارق نجد ما نسبته 74% يقطنون لوحدهم، بينما 26% منهم يقطنون مع الوالدين والإخوة.

من هذه القراءة الإحصائية للجدول، يتضح لنا الاتجاه العام أن المجموعات اللغوية، لكل من (الشاوية والقبائل والتوارق) يقطنون لوحدهم (الزوج والزوجة والأبناء)، أي ينتمون إلى أسر زواجية (نووية)، وتزداد النسبة أكثر بقليل عند كل من التوارق والقبائل، وهذا ما يُفسر التوجهات العامة للأسر الجزائرية، بتوجهها نحو الاستقلالية في المسكن، بسبب التغيرات والظروف (الاقتصادية والاجتماعية)، عكس ما كانت عليه في السابق، والتي كانت جُلّها تعيش في أسر ممتدة، فالتركيبة الأسرية اليوم، أصبحت تتمتع باستقلالية في تسيير شؤونها، داخل الأسرة أو خارجها، وهو ما يرافقه تغير في الأدوار داخل هذه الأسر، وبخاصة إذا كانت المرأة عاملة، وهي السمة الأكثر ظهوراً، لهذه

الأسر، لظروف متباينة (اقتصادية، اجتماعية، نفسية، تربية،...)، لتطلعهم إلى مستقبل أفضل، وتكون هذه الأسر النووية تشتمل في الغالب فئة الشباب خاصة (المتزوجون الجدد)، كما أن هذه الأسر النووية عند بعض الجماعات تكون قريبة في السكن من الأسرة الممتدة، وهذا ما يفسر أيضاً تلك الطموحات التي يرغب الأزواج تحقيقها بأنفسهم دون الاعتماد على أحد (تحمل المسؤولية الأسرية)، كما أن هذه الظروف لتواجد وتمركز هذه الأسر، يكون في المدن أكثر منه في الريف، نظراً لتوفر التجمعات السكانية الكبيرة (وبخاصة العمارات)، بفعل الصيغ السكنية المتاحة لحصول هذه الفئات عليها (مساعدات تقدم وتسهيلات للحصول عليه، وهو نوع من التشجيع نحو هذا النوع من الأسر)، وهذا ما يبرر ظهور هذا النوع من الأسر (أكثر)..

ولكن برغم هذا التوجه العام، إلا أن هناك من لا يزال تابعاً (خاضعاً)، للأسرة الممتدة، في شكلها التقليدي، والتي تتجمع فيه العائلة الكبيرة كلها (الأب، الأم، الجد، الجدة،...)، وفيه سيكون تقسيم الأدوار مختلف عن الأسر النووية، كما أن هذه الحالة هي الأكثر تجذراً في المجتمع الجزائري في سيرورته التاريخية.

بينما نجد هذه الصورة (الأسرة الممتدة)، لا تزال هي الأكثر بروزاً للعائلات في منطقة بني مزاب، وهو ما يفسر تلك اللحمة الدموية، التي تربط مكونات أفراد هذه الجماعات، والتي يكون فيها الزواج داخلياً بنسبة مرتفعة جداً، زيادةً على طبيعة التنظيم الاجتماعي الذي تتميز به هذه المجموعة، والذي يكون في الغالب الأكثر تأثيراً على الأفراد داخلها، كما أنه يعكس تلك العلاقات الاجتماعية التي يرتبط بها أفراد المجتمع داخل هذه الجماعة (بني مزاب)، ولكن هذا لم يمنع بعض الحالات التي برزت فيه عائلات نووية، حتى وإن كانت لأسباب قد تكون مرتبطة بعمل المبحوثين، سواء داخل المحيط القريب أو البعيد لمقر السكن لديهم، وهو ما يحتم أن تكون هناك أسر نووية.

ولعل طبيعة الأسرة، داخل هذه الجماعات له تأثير، على طبيعة اللغة الممارسة بداخلها. إذ للأسر الممتدة دورٌ في توجيه الخيارات اللغوية لأفرادها، سواء للأبناء، أو أبناء الأبناء (الحفيد)، خاصةً في ظل سيطرة الأساليب التقليدية في التربية والتوجيه، والتي تكون في الغالب خاضعة لمنطق القبيلة، أو القرية، وهو ما يوجه بصورة عامة الممارسات اللغوية نحو الحفاظ على اللغة الأولى الممارسة داخل هذه الأسرة الممتدة، عكس النمط الآخر للأسرة (الزواجية)، الذي يسعى فيها الزوجان بصورة واعية، أفضلية الابتعاد عن الرباط التقليدي للعائلة الممتدة، والذي يحجب عنهم فكرة عدم الخضوع للغوي-في أغلب الأحيان- للأسرة الممتدة، كما لا يخفى الطابع الحضري المنتشر- أو بعض ملامحه - بسبب

التغير الاجتماعي والاقتصادي، ودوره في نشوء وتكاثر الأسرة النووية، وبخاصة في المدن، وحتى وصول بعض مظاهره إلى القرى أو المناطق شبه حضرية.

جدول رقم(14) : يبين علاقة تكلم الأبناء اللهجة المحلية(الأمازيغية) فيما بينهم، بالمسكن الذي تتواجد فيه أسرة الأبناء

التوارق						بني مزاب						القبائل						الشاوية						تكلم الأبناء اللهجة المحلية نوعية الأسرة
المجموع		لا		نعم		المجموع		لا		نعم		المجموع		لا		نعم		المجموع		لا		نعم		
		%ن	ت	%ن	ت			%ن	ت	%ن	ت			%ن	ت	%ن	ت			%ن	ت	%ن	ت	
100	38	5.26	2	94.73	36	100	18	/	/	100	18	100	36	11.1	4	88.9	32	100	33	87.9	29	12.1	4	نووية
100	12	16.7	2	83.3	10	100	32	3.1	1	96.9	31	100	14	7.1	1	92.9	13	100	17	47.1	8	52.9	9	ممتدة
100	50	8	4	92	46	100	50	2	1	98	49	100	50	10	5	90	45	100	50	74	37	26	13	المجموع

يتضح لنا من القراءة للجدول السابق أن ما نسبته 9% من المبحوثين، للجماعة اللغوية للشاوية، صرحوا بأن أبنائهم لا يتعلمون اللهجة المحلية (الأمازيغية)، وهذا في الأسر النووية، في مقابل 52.9% صرحوا بأنهم يتعلمونها، ولكن في الأسر الممتدة.

وأن ما نسبته 92.9% لدى المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، يرون بأن أبنائهم يتعلمون اللهجة المحلية، وهذا بتواجدهم في الأسر الممتدة، في مقابل 88.9% من المتواجدين في الأسر النووية يتعلم أبنائهم أيضاً اللهجة المحلية (الأمازيغية).

وما نسبته 100% و 96.9% لأفراد العينة للجماعة اللغوية لبني مزاب، صرحوا بأن أبنائهم يتعلمون اللهجة المحلية (الأمازيغية)، وهذا بتواجدهم في الأسرة الممتدة والأسرة النووية توالياً.

وما نسبته 94.73% من أفراد العينة، للجماعة اللغوية للتوارق، والذين يتواجدون في أسر نووية، يتعلم أبنائهم اللهجة المحلية (الأمازيغية)، في مقابل 83.3% من المتواجدين في الأسر الممتدة يتعلمون أبنائهم أيضاً اللهجة المحلية (الأمازيغية).

يتجلى لنا وفقاً للنتائج في الجدول، أن هناك إجماع (اتفاق) لدى المبحوثين، في الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق)، على أن الأسرة الممتدة خزان حقيقي للهجات المحلية لديهم (الأمازيغية)، ولها إسهام في نقل هذه اللغة (الأمازيغية) إلى الأبناء، مع انخفاض النسبة قليلاً للجماعة اللغوية للشاوية.

وأن هناك تطابق لدى الجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق)، بأن الأسرة النووية لديهم أيضاً، تساهم في نقل اللهجات المحلية (اللغة الأمازيغية) إلى أبنائهم، وتظهر بصورة مرتفعة ببني مزاب، بينما يرى المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية، بأن الأسرة النووية، لا تساهم في نقل هذه اللغة (الأمازيغية) لأبنائهم.

لعل هذه النتائج تبرز الدور الذي تلعبه الأسرة لدى هذه المجتمعات، في الحفاظ على اللغة المحلية (الأمازيغية)، وهي النواة الحقيقية التي تدور في فلكها هذه اللغة، لتنتقل إلى الأبناء، إلا أن التغيرات المعاصرة (اجتماعياً، اقتصادياً، ثقافياً، تكنولوجياً...)، والتي طرأت على المجتمعات أثرت بصورة كبيرة على الأسر، سواء في طريقة العيش، أو في بنيتها وتركيبها... ولعل الأدوار التي تقوم بها الأسر

ليست ثابتة لدى كل هذه الجماعات اللغوية، وكلّ مرتبط بالمجتمع الصغير الذي يتواجد فيه، وقد برز بشكل لافت ظهور الأسر النووية (الزواجية) المستقلة سلطوياً عن الأسرة الممتدة، لدى هذه الجماعات (وبدرجة أقل لبني مزاب)، وهو ما ينعكس على تصورات وتفكير الآباء ونظرتهم للعديد من القضايا المحيطة بهم، ولعل طبيعة الأسرة (نووية أو ممتدة) لها علاقة، بنوع اللغة التي سوف يتكلمها (يتعلمها) الأبناء، فالشيء الملاحظ هو أن الأسر الممتدة عند جميع الجماعات، لها الفضل في أن تكون الفضاء المحافظ على اللهجات المحلية (الامازيغية)، التي كانت في السابق الرائد الأول في التمسك والتشبث بقيم المجتمع وبلغته وهويته وثقافته، نظراً لطبيعة هذه الأسرة في تسيير شؤونها، والذي كانت فيه السلطة متمركزة عند الأكبر سنّاً في معظم الحالات (الرجال)، سواء الجد أو الأب.

والكل خاضع لهذه السلطة داخل العائلة، والتي ترتبط (الأسرة) بنظام العشيرة أو القبيلة، والتي تكون فيها الأسرة خاضعة لنظامها وتقاليدها، وهو ما ساهم بصورة أكبر في الحفاظ على الثقافة والتراث الموجود عند هذه المجتمعات الناطقة بالأمازيغية، وبخاصة منه الشفهي، وبدرجة أقوى اللهجة المحلية التي لا تزال متداولة ومتحدث بها لديهم، فعراقة هذا النوع من الأسر -برغم تراجعها الملفت- ومكانتها لدى الأفراد داخلها، جعل منها حصناً منيعاً في الحفاظ على هذه اللغة (الأمازيغية).

وجدير بالذكر أن هذه الأسر الممتدة، برغم تراجعها، فإن تمركزها لا يزال مرتبط بصورة كبيرة في المناطق الريفية، كما نجد أنه برغم بروز الأسر النووية (الأكثر تمركزاً في المدن)، إلا أن هناك تقليد الحفاظ على اللهجة المحلية (الأمازيغية) لديهم، وهذا ما يفسر على أن الآباء الذين كانوا متواجدين في الأسر الممتدة، والتي استقلوا عنها، لا تزال تربطهم روابط ثقافية مرتحلة معهم، في عقولهم ووجدانهم، وهو ما ينعكس أيضاً على قراراتهم اللغوية مع الأبناء، وبخاصة الأسر التي تكون فيها الزوجة والزوج يتحدثون نفس اللغة، أو تكون لغة الزوجة، هي اللغة الأمازيغية، فإن حظوظها داخل هذه الأسر تكون أقوى، في الحفاظ ونقل اللهجات المحلية إلى الأبناء، وهو ما أفرزته النتائج في الجدول، إلا أن هناك حالة أخرى أظهرت العكس، وهي الحالة اللغوية للشاوية التي بينت أن المبحوثين المرتبطين بالأسر النووية، مساهمتهم في الحفاظ على اللهجة المحلية (الأمازيغية)، ضعيفة، ولعل هذا ما يفسر بدرجة كبيرة أن الزوجة من خارج المنطقة (بسبب الزواج المختلط)، أو أنها تنتمي إلى المنطقة (الشاوية)، ولكن لا تتكلم بهذه اللهجة، وهو ما يجعل اللغة السائدة لدى الأبناء، هي اللغة العربية، وبخاصة إن نقل اللغة يرتبط كثيراً بجنس الإناث عنه عن الذكور، أي أن النساء الأكثر حفاظاً ونقلًا للغة من الرجال، وهو ما يعطي

فرصة انتقال لغة الأم إلى الأبناء أكثر من لغة الآباء (وهذا ليس حُكماً، بل واقعاً)، وهو ما يجعل هذه الأسرة (النوعية) يقل دورها في نقل اللهجة المحلية (الأمازيغية) إلى الأبناء.

وبصورة أدق يمكننا القول، أن لنمط الأسرة (نوعية، ممتدة) دور كبير في الحفاظ على هذه اللغة الأمازيغية، فالأسرة في تركيبها البشرية، تساهم في الحفاظ على اللغة من خلال تداولها ونقلها للأبناء، فعندما تبقى هذه اللغة (الأمازيغية) متداولة في الأسرة بشكل يومي ومستمر، فإن حظوظها في البقاء ستكون طويلة (وهذا ما أثبتته خلال تاريخا السحيق)، ولعل الأسرة الممتدة أقرب في الحفاظ على اللغة ونقلها إلى الأجيال، ولكن هذا لا يقلل أيضاً من دور الأسرة النووية، إذا كان هناك وعي وإدراك بالأفراد، بقيمة وأهمية هذه اللغة (الأمازيغية)، المرتبطة بشخصيتهم وهويتهم الذاتية، ولكن لا يمكن استبعاد العوامل السوسيو-تاريخية، والتي ساهمت وأثرت في التركيبة السكانية لهذه المجتمعات، وهو ما أفرز معطيات يعتبرها الكثير، بأنها جزء لا يتجزأ أيضاً من تاريخها وهويتها وثقافتها، بسبب التمازج والاندماج فيما بينهم (فتاريخ الأسرة اللغوي نتاج للتاريخ الاجتماعي).

جدول رقم(15): يبين العلاقة بين سرد قصص وحكايات على الأبناء، بالمسكن الذي يتواجد فيه الأبناء.

المسكن		الشاوية				القبائل				بني مزاب				التوارق			
		نوعية		ممتدة		نوعية		ممتدة		نوعية		ممتدة		نوعية		ممتدة	
		ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن
سرد قصص وحكايات		3	50	3	50	3	100	3	100	3	60	2	40	2	100	2	100
الأب		4	80	1	20	7	77.8	2	22.2	9	25	15	75	20	100	6	75
الأم		4	36.4	7	63.6	3	75	1	25	4	50	3	50	6	100	4	57.1
الجد		10	66.7	5	33.3	19	65.51	10	34.48	29	40	9	60	15	100	23	74.19
الجدة		21	56.8	16	43.2	32	71.1	13	28.9	45	36.95	29	63.04	46	100	35	72.91
المجموع		37 ¹	100	32	71.1	13	28.9	45	100	17	36.95	29	63.04	46	100	35	72.91

¹ - تقلص حجم العينة بسبب أنه اشتملت على الذين يسردون قصص وحكايات فقط.

يتضح لنا من خلال الجدول أن:

نسبة 80% من أفراد العينة للجماعة اللغوية للشاوية، والذين يتواجدون في أسرة نووية (الزوجين والأبناء فقط)، تكون الأم هي التي تسرد القصص والحكايات على الأبناء، في مقابل 66.7% للجدّة، و 50% للأب، بينما نجد ما نسبته 63.6% من المبحوثين المنتمين إلى أسر ممتدة، يكون بروز دور الجد أكثر في سرد القصص والحكايات، في مقابل 50% للأب، و 33.3% للجدّة.

وما نسبته 100% من المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، والذين يتواجدون في أسر نووية، يكون الأب هو السارد للقصص والحكايات للأبناء، في مقابل 77.8% و 75% لكل من الأم والجد، ونجد ما نسبته 34.48% من المتواجدين في الأسر الممتدة، تكون الجدّة هي التي تسرد القصص والحكايات، في مقابل 25% و 22.2% لكل من الجد والأم تباعا.

وما نسبته 60% من أفراد العينة للجماعة اللغوية لبني مزاب ، والذين يتواجدون في أسر نووية، يكون الأب هو السارد للقصص والحكايات، في مقابل 50% للجد و 40% للجدّة، بينما ما نسبته 75% من الذين يتواجدون في الأسر الممتدة، تكون الأم هي التي تقوم بذلك في مقابل 60% و 50% لكل من الجدّة والجد.

وما نسبته 100% من المبحوثين، لدى الجماعة اللغوية للتوارق، والذين يتواجدون في الأسر النووية، يكون فيها الأب هو السارد للقصص، و 75% و 74.19% لكل من الأم والجدّة، بينما في الأسرة الممتدة، نجد بروز دور الجد بنسبة 42.9%، و 25.8% و 25% لكل من الجدّة والأم.

نستخلص من هذه القراءة للجدول، أن هناك تباين لدى هذه الجماعات اللغوية، في القائم بسرد قصص وحكايات على الأبناء، والذي يتوقف بدوره، على طبيعة الأسرة التي يتواجد فيها المبحوثين، إذ يبرز دور الأم والجدّة بصورة متكررة عند الجماعات اللغوية لكل من (الشاوية والقبائل والتوارق)، وبقل دورها عند بني مزاب، بينما يبرز دور الأب في سرد القصص والحكايات وبخاصة عند الجماعات اللغوية المتواجدة في الأسر النووية.

أما في الأسرة الممتدة، فهناك اختلافات واضحة لدى هذه الجماعات في القائم بسرد القصص والحكايات، إذ يبرز لدى الشاوية والتوارق دور الجد، وتبرز لدى بني مزاب دور الأم، ولدى القبائل دور الجدة، مع تدخل أدوار الجدة والأم في حالات أخرى.

فالأسرة النووية، بطبيعة تركيبتها (تشمل الزوجين والأبناء) فقط، فإنها تمنح الفرصة أكثر لظهور الأب والأم للقيام بهذه الخطوة، لأنهم الأكثر احتكاكا وتواجداً مع الأبناء، وهو ما يساهم في تعلّم اللغة التي يمارسها الآباء، من خلال هذه القصص، وبخاصة أن القصص والحكايات لها طابع التشويق والجمال، وهو ما يزيد من تتبع الأبناء لهذه القصص بشغف واستفسار، ويكون بذلك الأطفال أكثر تفاعلاً معها، بينما تتدخل أيضاً أدوار الجد والجدة في حالات تواجدهما المؤقت مع هذه الأسر، وهو ما يساهم أيضاً في عملة غرس القيم والأفكار واللغة، من خلال اللغة التي يتم بها السرد، والتي تؤثر بدورها على لغة هؤلاء الأبناء، وغالبا ما يكون الجد والجدة يحملون لغة تلك المنطقة (الأمازيغية).

فالأسرة النووية، أكثر فتحاً للمجال للغة الأم أو لغة الأب، أو كليهما في البروز لدى الأطفال، وتتوقف لغة الأبناء بصورة كبيرة على لغة الآباء -تحديداً- ويكون دورها حاسماً في الألفاظ والعبارات والكلمات التي سوف يتعلمها الطفل (لغة الأب أو لغة الأم، أو اللغتين معا) وبخاصة إذا كانت لغتهما واحدة.

بينما نجد في الأسرة الممتدة، التي يتشارك فيها الجميع، وتتداخل فيها الأدوار لتتعدى إلى الأجداد والإخوة والأعمام... وهو ما يبرز دور كل من الجد والجدة في حالات كثيرة، ولكن دون تغييب دور الأم، خاصة إذا كانت لا تمارس نشاط خارج البيت، وفي الغالب فإن اللغة التي يتعلمها الأبناء داخل الأسرة الممتدة، ليست هي لغة الآباء بالضرورة، وإنما تخضع للأداءات اللغوية المختلفة داخل هذه الأسر، والتي قد تكون متعددة، بين العربية والأمازيغية، وربما حتى الفرنسية بدرجة ضئيلة، ووفقا لتركيبية هذه الأسرة (الممتدة)، فإن لغة الطفل (في اعتقادي) ترتبط أكثر باللغة التي يتحدثها (الجد والجدة)، وبدرجة أقل للوالدين، لأنه في هذه الأسر احتكاك الطفل متعلق أكثر بالجد والجدة منه بالآباء.

فهناك ارتباط بين نوع الأسرة (نووية-ممتدة)، ونوع اللغة التي سوف يتعلمها ويمارسها الأبناء، داخلها أو خارجها، وفي الغالب ترتبط لغة الأبناء بلغة الآباء في الأسر النووية، وبلغة الأجداد في الأسر الممتدة.

جدول رقم (16) : يوضح اللغة المستعملة داخل الأسرة (لغة الحديث اليومي).

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المستعملة في الأسرة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
8 %	4	2 %	1	8 %	4	66 %	33	العربية
92 %	46	98 %	49	92 %	46	34 %	17	الأمازيغية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

من خلال ملاحظتنا للجدول نجد:

أن ما نسبته 66% من أفراد الجماعة اللغوية للشاوية، صراحوا بأن اللغة الممارسة (المستعملة)، كلغة حديث في الأسرة هي العربية، في مقابل 34% منهم صرحوا بأنها الأمازيغية.

وما نسبته 92% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للقبائل، قالوا بأن لغتهم داخل الأسرة (اللغة الممارسة)، هي الأمازيغية، مقابل 8% قالوا بأنها العربية.

وما نسبته 98% من الجماعة اللغوية لبني مزاب، أكدوا بأن لغتهم الممارسة داخل الأسرة، هي الأمازيغية، مقابل 2% منهم، قالوا بأنها العربية.

وما نسبته 92% من أفراد العينة لدى الجماعة اللغوية للتوارق صرحوا بأن اللغة الممارسة داخل الأسرة هي الأمازيغية، في مقابل 8% منهم صرحوا بأنها العربية.

يتضح لنا من خلال هذه القراءة، أن الاتجاه العام للمبحوثين يتجه نحو استعمال اللغة الأمازيغية، كلغة ممارسة في أسرهم، وهذا للجماعات اللغوية لكل من (القبائل، بني مزاب والتوارق)، وينسب عالية جداً، بينما نجد الجماعة اللغوية للشاوية عكس توجه هذه الجماعات، إذ تعتبر اللغة العربية، هي الأكثر استعمالاً وممارسةً داخل أسرهم، ولكن ليس بنفس الحدة، المتواجد عليها للجماعات الأخرى، للغة الأمازيغية.

وبما أن الأسرة، إحدى المؤسسات الهامة، لنقل وممارسة اللغة فيها، ومنها نرى بأن هناك تفاوت بين المجموعة الأولى (القبائل، بني مزاب والتوارق)، والجماعة الثانية (الشاوية) في اللغة الأكثر ممارسة في أسرها، ولعل هذا نابع من الخلفيات الاجتماعية والثقافية لكل من هذه المجموعات اللغوية، وتؤكد الممارسة اللغوية للأسر (القبائل، بني مزاب والتوارق) تطابق الإجابات لديها، بخصوص أن الأمازيغية هي الأكثر ممارسة لديهم، فهي طالما ترتبط لديهم بأشخاص حافظوا على لغتهم الأم (الأمازيغية)، فهي لغة عائلتهم وأجدادهم وأعمامهم وأقربائهم، فسوف تكون اللغة الأولى لديهم، من حيث المكانة لأنها تحافظ على تلك الروابط الأسرية، التي تربط أفرادهم بواسطتها (اللغة)، وهو الشعور الذي يعطي راحة وطمأنينة لدى هؤلاء الآباء في أن الأمازيغية جزء مهم من شخصيتهم، خاصةً وأنها تدرك أن لغة المحيط الخارجي لكل مؤسساته، سوف لن يستوعب القيمة والأهمية الحقيقية لهذه اللغة (الأمازيغية)، ولذلك فالحفاظ عليها وممارستها في الأسرة، هو دليل اهتمام واعتزاز لدى هذه الأسر، وبخاصةً أنها تصبّ في حماية لغة الأسرة الأولى، فهي كنز هذه الأسرة، وهي مستقبلها وتاريخها.

فتبقى ممارسة هذه اللغة داخل الأسرة، كمنتج لغوي، وبروز دورها كرائد في الحفاظ على هذا المنتج (اللغوي - الأمازيغي)، وهو ما يعطي الثقة والمصداقية لديهم (المبجوثين)، في توفير المرجعيات التي تسمح لأفرادها (أبنائها)، ببناء هوياتهم، وتوجه سلوكياتهم انطلاقاً من هذه المرجعية (اللغة الأمازيغية).

فهناك تمسك باللغة الأم، لدى هذه الجماعات داخل هذه الأسر، هو أيضاً تعبير عن خصوصية، تميزها على الذين لا يملكون هذه اللغة (الأمازيغية).

فبرغم التباعد الجغرافي وخصوصيات كل مجموعة لغوية، إلا أن هناك إجماع لدى هذه الجماعات (القبائل، بني مزاب، التوارق) بالحفاظ على هذه الخصوصية اللغوية داخل الأسرة.

ولعل الملفت للنظر، هو تلك الإشارة الدالة على استعمال (تغلب) اللغة العربية كلغة أولى لدى الأسر في منطقة الشاوية، (والذي لا يعبر عن إهمال اللهجة المحلية)، إذ يتدخل المعطى الخارجي (لغة المحيط)، بقوة في توحيد خيار اللغة داخل الأسرة، وغالباً ما نجد أن اللغة المستعملة بكثرة (في غالب الأوقات)، تكون بالعربية، حتى بين الإخوة في نفس العائلة، زيادة على تفتح المنطقة (الشاوية) على الآخرين من المناطق المجاورة، حتى حدثت انصهارات متبادلة، إذ تكون الغلبة دائماً للغة الفرد الغير

منتمي لهذه المنطقة (وهذا من باب الاحترام الذي يكنه للآخر)، حتى يتسنى لهم من التواصل بشكل جيد، ومفهوم لديهم، خاصة في الحالات التي لا يفهم فيها الآخر (من المنطقة أو خارجها) اللغة الأمازيغية، وتساهم الزوجة -التي لا تعرف هذه اللغة- في أن تحظى بالحديث إليها بالعربية حتى يحققوا التفاهم والتفاعل والتواصل، وهو ما يترك تأثيره على الأبناء، وحتى باقي أفراد الأسرة (غير الزوج)، ويكون بذلك الزواج الخارجي، أحد العوامل المثبطة للممارسة اللغوية بالعربية داخل هذه الأسر، وحتى خارجها، زيادةً على هذا، فهناك عنصر المدنية، الذي يلعب دور البؤرة في المنطقة بمساهمته في نشر العربية -كمركز تحضر- يفرض منطق الغلبة للغة الأكثر تواجداً أو استخداماً فيها.

ولعل هذه المعطيات التي تؤكد، الممارسة اللغوية للأسر في هذه المنطقة (الشاوية) بالعربية، لم تحجب تلك الاستعمالات باللغة الأمازيغية أيضاً لدى العديد من الأسر، وبالأخص في المناطق الريفية (الدوار)، الذي لا يزال يحافظ بصورة كبيرة على اللغة الأمازيغية مقارنة بالمدينة، كما أن اللغة الممارسة داخل الأسرة بصفة عامة، يغلب عليها طابع الازدواجية (عربية/أمازيغية)، وهذا كتعبير عن تلك التحولات اللغوية داخل هذه الأسر (الانتقال من لغة إلى أخرى، أحيانا يتكلم مع الزوجة بالأمازيغية، ومع الأولاد بالعربية، والعكس يحدث أيضاً)، طبعاً هذا يبقى مجرد تفسير لواقع -ملاحظ ومعايش-

جدول رقم (17) : يوضح اللغة الأم (الأولى) للمبحوثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		اللغة الأم
التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	
30	60 %	11	22 %	11	22 %	6	12 %	العربية
20	40 %	39	78 %	39	78 %	44	88 %	الأمازيغية
50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن:

أكبر نسبة من الذين يعتبرون أن لغتهم الأم هي العربية 60 % ، مقارنة بـ 40 % من الذين يعتبرون لغتهم الأم هي الأمازيغية، وهذا بالنسبة للجماعة اللغوية للشاوية.

أكبر نسبة 78 % من الذين يعتبرون أن لغتهم الأم هي الأمازيغية مقارنة بـ 22 % من الذين يعتبرون بأن لغتهم الأم هي العربية وهذا بالنسبة للمجموعة اللغوية للقبائل.

أكبر نسبة للذين يعتبرون أن لغتهم الأم هي الأمازيغية 78 %، بينما 22 % يعتبرون أن لغتهم الأم هي العربية وهذا للجماعة اللغوية لبني مزاب.

أكبر نسبة للذين يعتبرون أن لغتهم الأم هي الأمازيغية هي 88 %، بينما 12 % يعتبرون بأن لغتهم الأم هي العربية، وهذا بالنسبة للجماعة اللغوية للتوارق.

وما يمكن ملاحظته من خلال هذه القراءة للجدول أن هناك توافق (في وجهات النظر) من الذين يعتبرون بأن الأمازيغية هي لغتهم الأم، وهذا عند الجماعة اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق)، مع أفضلية نسبية للتوارق، بينما تختلف الرؤية بالنسبة للجماعة اللغوية للشاوية الذين يعتبرون بأن لغتهم الأم هي العربية، ولكن بدرجة أقل حدة من الذين يعتبرون الأمازيغية هي لغتهم الأم للجماعات السابقة.

أي أن هناك وجهات نظر متباينة بين الشاوية، والجماعات الأخرى (القبائل، بني مزاب، التوارق)، في أولوية اللغة الأم بالنسبة إليهم، وهي تعبير (تصريح) مباشر عن اللغة الأولى التي يتعلمها الفرد داخل أسرته، والتي كان يتعامل بها، أي أول ما وجده أمامه من كلمات وألفاظ تنتمي إلى تلك اللغة، فهذه اللغة التي تعبر عن هوية الفرد الأولى وعنوانه، وهي متوغلة في أعماق الفرد، نظراً للممارسات المحيطة بالفرد في أولى حياته، التي تبدأ فيها تلك الكلمات تدخل مسامعه أي اللغة التي ينشأ بها الطفل في أسرته، أي نماء تلك القدرات المعرفية والتواصلية له، فنجد أن هذه اللغة الأم التي ينظر إليها من أوجه متعددة، تجعل الأفراد يقرّون بمدى قيمة وأهمية ووظائف هذه اللغة أو تلك، كما أنها ترسم كمعالم محددة لهويته وثقافته، في إطار الجماعة التي يتواجد فيها، لأنها تعكس أيضاً ذلك الشعور الداخلي بانتمائه لتلك الجماعة، التي تكون اللغة إحدى ركائزها، كما أن هذه اللغة (الأم)، تبرز وتعبّر بصراحة عن إرادة الانتماء إلى هذه الجماعة، أي أنها تحدد وترسم تلك الحدود للجماعة الواجب التواصل معها، وهذا كله يجعل توجهات الأشخاص نحو الحنين إلى اللغة الأم، ونظراً لهذا، فالمنظار يختلف حول اعتبار اللغة الأم بالنسبة لكل جماعة لغوية، والزاوية التي يُنظر إليها، وبالتالي فإن توجهات الجماعات اللغوية (القبائل وبني مزاب والتوارق) كان في اتجاه اعتبار أن اللغة الأم بالنسبة إليهم، هي اللغة الأمازيغية على اعتبار أنها اللغة التي تحقق لهم الانتماء للجماعة، وللأسرة وللمنطقة الجغرافية... إلخ، فيها تمّ تحديد

هذه الجماعة الأصغر التي تتغذى من تلك القيم التقليدية (الأصل)، وهو محور اعتزاز وفخر لديهم، في مقابل ذلك، نجد الجماعة اللغوية للشاوية تعبر عن أن لغتها الأم هي العربية (لدى أغلب المبحوثين)، وهو ما يترجم تغلغل هذه اللغة (العربية) في بنية الأسرة الشاوية، بصورة واسعة، ولا شك أن هذا الاختيار نابع من ذلك الأثر الذي تركته هذه اللغة في نفوسهم، كما يعبر عن أنها لغة منشأهم منذ الصغر، وهو ما يعبر عن درجة التعايش التاريخي بين هذه اللغة (العربية) واللغة الأمازيغية، وهذا ما جعلها تحقق التوازن داخل هذا المجتمع في الممارسات والاستعمالات، إلى درجة أنها أصبحت اللغة الأولى في أن تكون "اللغة الأم" لأغلبية الجماعة اللغوية لهم (وفقاً لتصريحات أفراد العينة)، فهناك قبول لها على مستوى الخلية الفردية، وفي إطار الجماعة، كما أن هذا لا يعني، تخلي الفرد عن الأمازيغية ولكن هي أيضاً تعبر لدى العديد من الأفراد داخل هذه الجماعة اللغوية اللغة الأم، وتتأصل هذه النظرة أكثر لدى المتكلمين داخل الأسر، وبخاصة باللغة نفسها (الأمازيغية)، وتكون في الغالب موجودة في المناطق الريفية، أكثر منها في المناطق الحضرية (التي تغلب فيها العربية كلغة أم أكثر).

فهناك تقارب بين العربية والأمازيغية في اعتبار المبحوثين بأنها اللغة الأم لديهم، بعكس الجماعات الأخرى التي تكون أكثر ميلاً إلى اعتبار اللغة الأمازيغية هي اللغة الأم بالنسبة لديهم، ولعل هذه التوجهات، تعطي انطباعات في الكيفية التي يتصور فيها الفرد لغته الأم، أي أن هناك اعتبارات عديدة قد تجعل من مفهوم اللغة الأم، ليس ماهو مرتبط تحديداً بالواقع الحقيقية أي البيولوجية، فقد تكون اللغة الأم، بالنسبة للبعض هي لغة الوطن - كلغة أم -، وعليه لا نستطيع أن نحكم قبلياً، على هذه التصريحات، بدرجات التمسك باللغة الأم، وبمفاضلة جماعة لغوية على أخرى، في تشبثها بذلك، فلا يمكن أن نصنف مثلاً، أن كل القاطنين في المناطق الناطقة بالأمازيغية، بأن لغتهم الأم يجب أن تكون الأمازيغية، ولا لكل الساكنين بالمناطق الناطقة بالعربية أن لغتهم الأم يجب أن تكون العربية - حتى وإن افترضنا أن ذلك هو الأقرب لتحديد اللغة الأم -، لكن الواقع الفعلي للأفراد، قد يطغى على تفكيرهم، بأخذ اعتبارات أخرى (دينية، سياسية، اقتصادية، ثقافية،....)، على أساسها يحدد لغته الأم.

جدول رقم (18) يبين العلاقة بين اللغة الأم للمبحوثين ، واللغة المفضل تعليمها لأبنائهم .

التوارق								بني ميزاب								لقبائل								الشاوية								اللغة المفضلة للأبناء	
المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية		المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية		المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية											
																								اللغة الأم									
100	6	16,7	1	16,7	1	66,7	4	100	11	18,2	2	36,4	4	45,5	5	100	11	9,1	1	54,5	6	36,4	4	100	30	13	4	6,7	2	80	24	عربية	
100	44	6,8	3	70,5	31	22,7	10	100	39	5,1	2	56,4	22	38,5	15	100	39	20,5	8	71,8	28	7,7	3	100	20	5	1	15	3	80	16	أمازيغية	
100	50	8	4	64	32	28	14	100	50	8	4	52	26	40	20	100	50	18	9	68	34	14	7	100	50	10	5	10	5	80	40	المجموع	

نلاحظ من خلال الجدول أن:

ما نسبته 80% لدى أفراد العينة، والذين لغتهم الأم سواء كانت عربية أو أمازيغية ، صرحوا بأن اللغة المفضل تعليمها للأبناء هي العربية، مقارنة بالذين يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية ولغتهم الأم، هي الأمازيغية بنسبة 15%، والذين يعلمون أبنائهم الأمازيغية ولغتهم الأم هي العربية، ونجد ما نسبته أيضاً 13% هم من الذين لغتهم الأم هي العربية، ويفضلون تعليم أبنائهم اللغة الفرنسية، في مقابل 5% للذين يعلمون أبنائهم أيضاً الفرنسية ولغتهم الأم الأمازيغية، وهذا لدى الجماعة اللغوية للشاوية.

وما نسبته 71.8% من أفراد العينة، والذين لغتهم الأم هي الأمازيغية، يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية أيضاً، و 54% من الذين لغتهم الأم العربية ، يعلمون أبنائهم الأمازيغية كذلك ، كما نجد أن ما نسبته 20.5% من الذين لغتهم الأم أمازيغية ، يعلمون أبنائهم اللغة الفرنسية، في مقابل 9.1% من الذين لغتهم الأم العربية، يعلمون أبنائهم الفرنسية ، وما نسبته 36.4% من الذين لغتهم الأم هي العربية، يفضلون تعليم أبنائهم العربية أيضاً، وهذا لدى الجماعة اللغوية للقبائل.

وما نسبته 56.4% من أفراد العينة للجماعة اللغوية لبني مزاب، والذين لغتهم الأم الأمازيغية، يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية، مقارنة ب 38.5% يفضلون تعليم أبنائهم العربية، ولغتهم الأم الأمازيغية، في مقابل ذلك، نجد أن ما نسبته 45.5% من الذين لغتهم الأم هي العربية، يفضلون تعليم أبنائهم اللغة العربية أيضاً، مقارنة ب 36.4% الذين يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية، ولغتهم الأم العربية، كما نجد أن ما نسبته 18.2/ من الذين لغتهم الأم هي العربية ، يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الفرنسية ، مقارنة ب 5.1% من الذين لغتهم الأم الأمازيغية ، ويعلمون أبنائهم اللغة الفرنسية.

ونجد ما نسبته 70.5% من أفراد العينة ، للجماعة اللغوية للتوارق، والذين لغتهم الأم هي الأمازيغية، يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية ايضاً، مقارنة ب 22.7% الذين يفضلون تعليم أبنائهم اللغة العربية، ولغتهم الأم الأمازيغية، وفي المقابل نجد ما نسبته 66.7% من الذين لغتهم الأم هي العربية، يفضلون تعليم أبنائهم اللغة العربية أيضاً، في مقابل 16.7% يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، واللغة الفرنسية ، ولغتهم الأم هي العربية .

نستنتج من خلال هذه المعطيات الإحصائية، أن هناك بعض التباينات، لدى المجموعات المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) في مواقفها إزاء لغة الأبناء وعلاقتها باللغة الأم للأسرة، إذ نجد أنه كلما كانت اللغة الأم هي اللغة العربية -وفقاً لتصريحاتهم- فإن لغة الأبناء المفضلة للأبناء، هي اللغة العربية، وهذه للجماعة اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق)، أي أن الأسرة لدى هذه الجماعات تعيد إنتاج نفس اللغة الأم (العربية) لأبنائها، وتبرز النسبة أكثر لدى الجماعة اللغوية للشاوية وبني مزاب بدرجة مرتفعة نسبياً، بينما عندما تكون اللغة الأم لديهم هي الأمازيغية، فإن هناك إعادة إنتاج اللغة نفسها للأبناء (الأمازيغية)، وهذا للجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق)، وتكون بارزة أكثر عند كل من القبائل والتوارق.

وتبرز حالتان متناقضتان لدى الجماعة اللغوية للشاوية، والمجموعة اللغوية للقبائل، وذلك بإنتاج لغتين مختلفتين عن اللغة الأم عند نقلها للأبناء، فالشاوية عندما تكون لغتهم الأم هي الأمازيغية، فإنهم يفضلون تعليم الأبناء اللغة العربية بدل الأمازيغية، ونسبة مرتفعة، والقبائل كلما كانت اللغة الأم عربية فإن اللغة المفضلة لأبنائهم هي الأمازيغية، ولكن بصورة منخفضة نسبياً.

كما تظهر الأرقام أيضاً دور اللغة الفرنسية، كلغة مفضلة للأبناء تقريباً لدى جميع الجماعات اللغوية، سواء التي لغتها الأم هي العربية أو الشاوية، ولكن بنسب مرتفعة عند أفراد العينة لدى المجموعة اللغوية لكل من الشاوية والقبائل، للذين لغتهم الأم الأمازيغية عند القبائل، ولغتهم الأم العربية عند الشاوية، وبنسب منخفضة لدى الجماعات الأخرى سواء للذين لغتهم الأم الأمازيغية أو العربية.

إضافة إلى أنه كلما كانت اللغة الأم (عربية) عند الجماعات اللغوية (التوارق وبني مزاب)، كلما جاءت اللغة الأمازيغية في المرتبة الثانية من حيث التراتبية لديها، مع ظهور العربية ثانية عند القبائل، والفرنسية ثانية عند الشاوية، وكلما كانت اللغة الأم (الأمازيغية)، كلما كانت العربية هي الثانية من حيث موقعها في نقلها للأبناء، وهذا عند كل من (التوارق وبني مزاب)، وتكون الأمازيغية ثانية عند الشاوية والفرنسية ثانية عند القبائل.

إذا فهذه الحالة (الوضعية) اللغوية، أفرزت العديد من التناقضات في نقل اللغة الأم للأبناء، تتسم بالمفاجئة أحياناً، وبالمنطقية في أحيان أخرى، وهي حالة مستقرة أكثر عند (التوارق وبني مزاب)، حيث يتم نقل نفس اللغة الأم، من الآباء للأبناء (إذا كانت أمازيغية تكون اللغة المنقولة للأبناء أمازيغية، وإذا

كانت عربية تكون اللغة المنقولة للأبناء عربية)، إلا أن هناك ملاحظة أيضاً جديرة بالاهتمام، وهي بروز اللغة العربية كلغة أم عند العديد من أفراد العينة، بدل اللغة الأمازيغية، برغم معرفة الآباء للغة الأمازيغية (شرط من شروط أخذ العينة لدينا)، وهو ما يفسر حالة أن اللغة الأمازيغية لم تصبح تتمتع بالمكانة الأولى، عند بعض الجماعات اللغوية في عقولهم وقلوبهم، وهو تعبير عن حالة الشعور -بغربة اللغة بين أهلها- بفعل ربما التهميش الذي لاقته خلال فترات تاريخية متباعدة في استعمالها، فهناك نكران أو اللامبالاة للغة الأمازيغية من قبل الأمازيغ أنفسهم في مخيالهم الاجتماعي، مما يعطي الانطباع أن التهميش لهذه اللغة ممارس بصفة رسمية وبصفة غير رسمية، حتى عند الأمازيغ أنفسهم، (وهي حالات حقيقة تستدعي النظر والتعمق في الدراسة أكثر لمعرفة تشكل هذه التوجهات نحو هذه اللغة)، وهو ما قلّص من حركتها، فتراجع مكانتها لديهم (ولكن ليست حالة تخلي مطلق لديهم)، فزيادة منح فرص اجتماعية لهذه اللغة من شأنه أن يزيد من تطورها ونضجها وتعلمها، وبالتالي زيادة انتشارها لدى الفئات الاجتماعية، وعكس ذلك إقصاءها أو تهميشها، سوف يساهم في تقلصها (تراجعها) وتأثرها حتى عند الجماعات اللغوية الناطقة بها.

كما تبين هذه الوضعية أيضاً -زيادة- على تواجد العربية لدى المجموعات اللغوية المختلفة (سواءً مرتبة كلغة أولى للأبناء أو كلغة ثانية)، أن هناك تقبل للعربية، وهي ما جعلها تملك حيزاً واسعاً وهاماً داخل فضاء هذه الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية.

وإن إعادة إنتاج نفس اللغة (من الآباء) إلى الأبناء (فيما يخص اللغة الأم)، يبرز سلطة اللغة عند هذه الأسر، إذ لا تزال لدى المسؤولين الأولون (الأولياء) هذه السلطة التي تمنحهم التشبث باللغة الأم، كما يجسد تلك الأدوار الفاعلة عند هذه الأسر برغم وجود سلطات أخرى تمارس ضغطاً اجتماعياً عليها (المدرسة، الشارع، المسجد...)، لفرض أنماط أو نماذج لغوية تتماشى في التوجهات العامة لهذه المؤسسات، والتي تكون في الغالب في اتجاه واحد، كما يفسر أيضاً بالتشبث اللغوي لدى أفراد هذه المجموعات (من خلال المبحوثين)، بهذه اللغة الأم، وهذا ما يساهم في تلك القيم التقليدية المتجذرة، والتي كانت سائدة عند هذه المجتمعات، وبدرجة كبيرة الأسر التقليدية.

فهناك وعي لدى الأسر يعبر عن أن اللغة، سوف تربطه بذاته وبهويته وبانتمائه، كما أنها تنتعش وتنمو وتتقدم إلى الأمام، إذا كان هناك من يحملها وينكلمها بوعي، وينقلها إلى الأجيال (انطلاقاً من

الأبناء) أو الأسرة كوحدة لغوية صغرى، مما يسمح بإرجاعها إلى مكانتها (أو محاولة إرجاعها لذلك)، حتى وعندما تنبؤاً هذه اللغة مكانتها الاجتماعية، سوف يتحقق معها الاعتراف الاجتماعي لتلك الاسر، التي تتحدث تمارس لغتها الام ، وتنقلها إلى الآخرين.

فالتمسك بلغة الأصل (المنشأ) أو الأم، لا ينقص من قيمة اللغات الأخرى، التي تحظى هي الأخرى بمكانة فاعلة داخل المجتمع الأكبر، وهو ليس رفض لهذه اللغة، بقدر ما هو احترام لها، لأن هذه اللغة (العربية)، تنبؤاً هي الأخرى مكانة لثقفة، تعادل اللغة الأم- أو تفوقها - عند العديد من الأفراد الذين يعتبرونها كذلك.

ولعل ظهور اللغة العربية عند الجماعة اللغوية الشاوية، في حالة (اللغة الأم) ، كانت عربية أو أمازيغية، هو تعبير للحالة التي تجعل من الوالدين (الأب والأم)، أنهم يحملون لغتين أصليتين مختلفتين، وهو ما يولد حالة من اللاتفاهم في اللغة التي سوف يتم نقلها للأبناء، مما يرجح اللغة العربية، كلغة رسمية ومتفاهم عليها عند الزوجين معاً (لأن الذي يعرف الشاوية حتماً يعرف العربية، والذي يعرف العربية ليس بالضرورة أنه يعرف الشاوية)، ولكن هذه الحالة لا تفسرُ بمعزل عن بعض العوامل التي تتدخل في خيارات المبحوثين نحو اللغة الأفضل للأبناء، كما تعكس هذه النظرة برغم التوجّه العام لها، الصورة القائمة حول هذا المجتمع بأنه مجتمع هجر لغته(الأمازيغية) لصالح العربية، بل هناك مواقف متبناة تراعى فيها السياقات المختلفة التي تقضي إلى ذلك، ولكن الحقيقة الأخرى أيضاً، أنه لا يزال محافظاً على لغته الأمازيغية، ولا زال الأبناء يتكلمونها، ولكن بدرجة أقل في الأوساط الاجتماعية، ولعل حالة الازدواجية اللغوية أكثر تعبيراً عن الفسيفساء اللغوية لهذه الجماعة أو حتى الجماعات الأخرى.

ونجد أيضاً حالة أخرى، وربما تعبر عن -حالة العودة إلى اللغة الأم- وهي حالة الجماعة اللغوية للقبائل، والتي أفرزت إعادة تبني لغة الابناء، غير لغة الأم (العربية) للأباء، إذ هناك ميول لإعادة تعليم الأبناء داخل الأسرة اللغة الأمازيغية، التي تربطهم بالأجداد وبالثقافة المجتمعية، وإلى لغة المحيط الخارجي، والتي تعكس الممارسات اللغوية لأفراد هذه اللغة بصورة (طبيعية)، وقد تعبّر عن حالات عودة المبحوثين من مناطق كانوا متواجدين فيها، وكانت اللغة الأكثر استعمالاً هي العربية، مما فرض واقع لغوي أسري اختياري لهم، في التوجيه نحوه، وهي الحالة التي قد يتخلّى فيها الفرد -مؤقتاً- عن لغته أو ثقافته لصالح ثقافة ولغة أخرى، حتى يحقق رضا اجتماعي، وامتيازات من خلال ذلك، كما أن واقعها

يفرض أن يتفاعل الفرد مع هذه الوضعيات، ولعل العودة إلى الجغرافيا، يعيد النظر من جديد للعودة إلى الهوية والثقافة واللغة التي يتميز بها (إخفاء عناصر الهوية-مؤقتا- قصد تحقيق هوية تضمن وجوده وقيمتها، وتكون في الغالب لتحسين الوضعية الاجتماعية).

زيادة على ظهور اللغة الفرنسية، كلغة يفضل الآباء تعليمها للأبناء، برغم أنها بعيدة عن لغتهم الأم (عربية كانت أم أمازيغية)، ولعل هذا أيضا يعكس أن اللغة الفرنسية مكانة في الوسط الاجتماعي الجزائري عموماً، ولدى هذه الجماعات اللغوية خاصة، فبقدر ما ترمز عند الكثير للاضطهاد والتمييز والتحجير الاستعماري، بقدر ما تعبر أيضا بأنها بوابة لدخول عالم النجاح الاجتماعي، من خلالها وكامتياز يساهم في مساعدة الأبناء على الارتقاء الاجتماعي من خلالها، كما أن الحاجة اليوم إلى اللغات الأجنبية، ملحة أكثر من أي وقت، للانفتاح على العالم، ولتحقيق مكاسب اقتصادية واجتماعية من خلالها، وبرغم ذلك تبقى هذه اللغة (قليلة الاهتمام) لدى هذه الجماعات مقارنة باللغات الأخرى (العربية والأمازيغية)، إلا أن بورصتها ترتفع أكثر لدى الجماعات اللغوية التي عبرت عن لغتها الأم بالعربية (الشاوية، بني مزاب والتوارق)، وتقل عند الجماعة اللغوية للقبائل، التي عبرت عن أن لغتها الأم هي العربية، وتزداد (الفرنسية) عند هذه الجماعة اللغوية (القبائل) عندما ترتبط لغتهم الأم بالأمازيغية.

إن هذه الوضعيات اللغوية داخل الأسرة، لدى هذه المجموعات اللغوية، عكست تناقضات داخل الجماعات اللغوية المختلفة فيما بينها، في نظرتها وتصورها لنقل اللغة من الآباء إلى الأبناء، وعكست تناقضات (مفارقات) داخل بنيتها الداخلية، أي لكل جماعة لغوية، ونظرتها إلى لغة الأبناء التي يجب تعلمها، وقد أرسى تقاليد أيضاً، تعكس اهتمام هذه الأسر بلغتها الأم (الأمازيغية)، من خلال نقلها وتوريثها للأبناء، وفي مقابل ذلك أعطت نظرة أن لغة الأم لدى هؤلاء المبحوثين داخل هذه الجماعات، ليس بالضرورة أن تكون -اعتقاداً- لدى الكثيرين بأنه مرتبط باللغة الجغرافية (فقط) التي تميزهم عن الآخرين، من خلال هذه اللغة (الأمازيغية)، بل قد تكون هذه اللغة الام هي العربية (وفقاً لبعض تصريحاتهم). فالواقع اللغوي ليس كما نتصوره -في أحيان كثيرة- بقدر ما هو حقيقة يجب الوقوف عندها لمعرفة تفاصيلها.

جدول رقم (19) يبين تفضيل اللغة المستعملة في التحدث أكثر.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المفضلة في التحدث
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
14 %	7	14 %	7	6 %	3	62 %	31	العربية
86 %	43	76 %	38	90 %	45	36 %	18	الأمازيغية
/	/	10 %	5	4 %	2	2 %	1	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتبين من الجدول أعلاه، أنه:

نجد ما نسبته 62% من المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية يفضلون استعمال اللغة العربية في حديثهم اليومي، مقارنة بـ 36% الذين يفضلون حديثهم بالأمازيغية، و 2% للغة الفرنسية.

ونجد ما نسبته 90% للجماعة اللغوية للقبائل يفضلون الحديث باللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 6% الذين يفضلون الحديث باللغة العربية، و 4% الحديث باللغة الفرنسية.

كما نجد أن ما نسبته 76% من الجماعة اللغوية لبني مزاب يفضلون الحديث باللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 14% باللغة العربية، و 10% باللغة الفرنسية.

بينما نجد عند الجماعة اللغوية للتوارق، أن ما نسبته 86% يفضلون الحديث باللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 14% الذين يفضلون الحديث باللغة العربية.

من خلال هذه القراءة للجدول، يتضح أن هناك توافق للجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق) بتفضيل التحدث باللغة الأمازيغية في حديثهم اليومي، ومرتفعة أكثر النسبة عند كل من القبائل والتوارق، بينما نجد عند الشاوية أن اللغة المفضلة في الحديث اليومي هي اللغة العربية، ثم الأمازيغية، مع الملاحظة بظهور لغة أخرى (ثالثة) في خيارات المبحوثين في حديثهم اليومي (الفرنسية)، وهو عامل لم يظهر إلا في بعض المناسبات -حتى وإن كان محتشم- (في الجداول السابقة)، وهو مختفي لدى الجماعة اللغوية للتوارق.

إن اختيار المتحدث بلغة ما، واختيار شكل لغوي في ممارسات الأفراد، يعكس أن هذا الاختيار نابع عن وعي المتحدث بهذه اللغة، فهناك ميل ما لدى هؤلاء الأفراد في هذه التوجّهات، ولعلّ توجّه المبحوثين في تفضيلاتهم اللغوية (للتحدث بلغة ما) ، يحمل دلالات معينة، وهذه الدلالة تكون في الغالب ذاتية ، وهي كرسالة ما يريد توجيهها الى اشخاص ما، او هيئات ما ، بأن هناك اهتمام بالغ لديهم بمسألة اللغة، وهذا ما يرتسم على خيارات اللغة الأمازيغية بالنسبة للجماعات اللغوية لـ(القبائل، بني مزاب، والتوارق) حيث تعتبر هذه اللغة (الأمازيغية) لغة قادرة على فرض نفسها داخل النسيج الاجتماعي، وأنها تملك المقومات التواصلية التي تملكها اللغات الأخرى المستعملة في هذا النسيج، ولذلك وجب الالتفاف حولها، فنظرة القبائل مثلاً، تعكس التحدي التاريخي للنضالات حول هذه القضية التي تأخذ محطات، غالباً ما تتسم بالحدّة والعنف كتعبير عن انتماء لهوية وثقافة مختلفة ومتميزة، عن الثقافة الرسمية للدولة (الثقافة العربية والإسلامية)، وهي ردات فعل تظهر في مناسبات منقطعة أحيانا كثيرة، بينما نجد الجماعة اللغوية لبني مزاب، أنها تبرز أكثر الأمازيغية، كلما كانت هناك حالات توتر -أو اختلاف مع الجماعة الأخرى (المتساكنين معهم)، وهي أيضاً جماعات لغوية وثقافية (عربية اللغة)، كلما برزت الرغبة أكثر في الحفاظ على اللغة الأمازيغية، والحديث بها كأنها عامل (مقوّم) تميّز عن الآخرين.

وتظهر لدى الجماعة اللغوية للتوارق الرغبة في العودة للحديث باللغة الأمازيغية، التي تعتبر لغتهم الأم، ربما إلى الحنين إليها، لأن هناك احتكاكات واسعة لهم مع الجماعات الأخرى (العربية، والغير عربية) بفعل التنقّلات لأسباب العمل أو التجارة أو غيرها، وهو ما يجعل جُلّ معاملاتهم اليومية باللغة العربية، ولذلك نجد الطبيعة البشرية تميل في لحظات ما، للعودة إلى الثقافة الخاصة بهم من خلال هذه اللغة الخاصة بهم (الامازيغية).

ونجد عند الجماعة اللغوية للشاوية، هذا الميل إلى العربية وتفضيلها في الحديث اليومي، أنه يحمل أيضاً دلالة ذاتية، أو رسالة يريد من خلالها أن يبرز تلك التراتبية والقيمة التي تحملها هذه اللغة بالنسبة إليهم، وتعبير عن التنوّع الموجود في هذا المجتمع، وفي الحقيقة هذا يعبر أيضاً، عن حقيقة تفكك البنى التقليدية لهذه المجتمعات، وهو ما يعكس صورة "الأمازيغ المستعربين" الذين يؤمنون بأنهم أمازيغ ولكنهم عربهم الإسلام، ولذلك نجد سموّ العربية لديهم على اللغات الأخرى، كتمييز أيضاً عن الآخرين الذين -يرفضون تصنيف بأنهم -أمازيغ مستعربون- ويفضلون تصنيفهم كأمازيغ، كما يعبر عن أن هناك نموذج آخر موجود هو -النموذج العربي الإسلامي- كرافض للغة الاستعمار ولثقافته ولممارساته، وهو

جزء أساسي في النسيج الاجتماعي للجماعات اللغوية المختلفة، أي أن هناك قيم مشتركة تدعوا الجميع للحفاظ عليها والدفاع عنها، ولكن ضمن الجماعة الأوسع من الجماعة الصغيرة (اللغوية)، وهي الوطن بكل مقوماته وأركانه (النقاء الجميع في منظومة واحدة مشتركة).

كما تعكس تلك المفاضلة للغة الحديث، تلك التراتبية التي تتواجد عليها تلك اللغات على المستوى الشخصي لتلك الجماعات اللغوية المختلفة، والتي تعكس بدورها التراتبية الاجتماعية لتلك اللغات (على الأقل في هذا المستوى من الحديث، وعند عينة هذه المجموعات)، إذ هناك أفضلية للغة الأمازيغية على اللغات العربية والفرنسية للجماعات اللغوية (القبائل، بني مزاب والتوارق).

وهناك أفضلية للغة العربية على الأمازيغية (بدرجة ضئيلة نسبيا) ، وعلى الفرنسية للجماعة اللغوية للشاوية.

وبرغم هذه الخيارات في تفضيل لغة على أخرى، فهي لا تعكس حقيقة الواقع الذي تمارس فيه اللغات، بمنطق الوظيفة الاجتماعية لكل لغة من هذه اللغات داخل الوسط الاجتماعي ككل، لتبقى هذه التفضيلات مجرد أمنيات للمبجوثين، قد تتحقق على أرض الواقع وقد لا تتحقق (لأسباب وعوامل كثيرة).

إلا أنه برغم هذه الخيارات، فإن هذه المفاضلات تعكس لنا عناصر الانتماء لكل جماعة لغوية، من خلال اللغة المتحدث بها.

- فالقبائل وبني مزاب والتوارق، اللغة الأمازيغية بالنسبة إليها عنصر انتماء مهم.
- والشاوية، اللغة العربية بالنسبة إليها هي عنصر انتماء مهم أيضا.

جدول رقم(20): يبين اللغة المفضل تعليمها للأبناء من قبل المبحوثين قبل دخولهم المدرسة

اللغة المفضل تعليمها للأبناء	الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
العربية	80 %	40	14 %	7	42 %	21	28 %	14
الأمازيغية	10 %	5	68 %	34	50 %	25	64 %	32
الفرنسية	10 %	5	18 %	9	8 %	4	8 %	4
المجموع	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50

من خلال الجدول يتبين لنا أنه:

عند الشاوية تكون ما نسبته 80% من المبحوثين يفضلون تعليم أبنائهم اللغة العربية، مقارنة بـ 10% الذين يفضلون تعليمهم اللغة الأمازيغية واللغة الفرنسية معاً، (وهذا قبل دخولهم المدرسة).

عند القبائل نجد ما نسبته 68% من أفراد العينة يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 18% يفضلون تعليمهم اللغة الفرنسية، و 14% يفضلون تعليمهم العربية وهذا قبل دخولهم المدرسة.

عند بني مزاب، تكون ما نسبته 50% من المبحوثين يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 42% الذين يفضلون تعليمهم اللغة العربية، و 8% تعليمهم اللغة الفرنسية، وهذا قبل دخولهم المدرسة.

عند التوارق، تكون ما نسبته 64% من أفراد العينة يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 28% يفضلون تعليمهم اللغة العربية، و 8% يفضلون تعليمهم اللغة الفرنسية وهذا قبل دخولهم المدرسة.

من خلال هذه القراءة الإحصائية للجدول يمكننا القول ان:

هناك تباين في المواقف عن تعليم الأبناء اللغة الأنسب لهم قبل دخولهم المدرسة، وهذا التباين على عدة مستويات، على مستوى المجموعات اللغوية، أو على مستوى اللغات، إذ الاتجاه العام للمبحوثين بين أن الجماعة اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق) تفضل تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، وهي مرتفعة نسبياً عند كل من القبائل والتوارق، وترتفع العربية أكثر عند بني مزاب، بينما نجد عند الشاوية، أن هناك

اختلاف مع هذه الجماعات اللغوية بخصوص اللغة المفضل تعليمها للأبناء، إذ تتجه نحو خيار اللغة العربية.

كما تبرز النتائج التوافق حول بروز اللغة الفرنسية كلغة مفضل تعليمها للأبناء قبل المدرسة لدى كل الجماعات، ولكن بأفضلية نسبية لصالح القبائل، وأقل منها للشاوية.

وتبين هذه الأرقام، الرغبة الموجودة لدى الآباء، في اللغة التي يفضلون تعليمها للأبناء قبل دخولهم المدرسة، أي اللغة التي سوف ينشأ عليها أبنائهم، والتي تعكس القيمة التي يعطيها الآباء لهذه اللغة أو تلك، على المستوى الاجتماعي أو الأسري أو التربوي، أو حتى على مستوى المحيط اللغوي الذي تتواجد فيه هذه الأسر، وتتفاعل معه، فهي خيارات -في اعتقادنا- نابعة من قناعات لديهم، في أن ما يعلّمونه لأبنائهم سوف يكون الأفضل لمستقبلهم، كما أنها نابعة من وعيهم بأن الأمر لا يتعلق فقط بكلام اتصالي، بقدر ما هو خيار استراتيجي لهم.

واتجاه الجماعة (القبائل، بني مزاب والتوارق) نحو تفضيل اللغة الأمازيغية لأبنائهم قبل دخولهم المدرسة، يعبر لهم عن أنها هي اللغة التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة، لأنها مرتبطة بهويته وثقافته، وهي التي تتيح له الالتصاق بالجذور، وبالانتماء إلى الجماعة اللغوية لها، فهي رمز اعتزاز، كما أن الطفل إذا لم يتعلم هذه اللغة (الأمازيغية)، قبل دخوله المدرسة، فسوف تقل حظوظه في تعلّمها في المؤسسات الأخرى، وبخاصة التربوية (المدرسة تحديداً)، والتي تتيح له فرص تعلم لغات أخرى (العربية أو الفرنسية)، لأن حظوظ الأمازيغية (بشكلها الغير معير)، في تعلمها في هذه المؤسسة (المدرسة) تبقى محل شك وريبة.

كما تبين لهؤلاء الأولياء، محاولة إبراز عناصر الانتماء (للأبناء) الثقافي لهذه الجماعات اللغوية، مقارنة بالجماعات الأخرى، التي تتواجد في المدرسة، والتي اقرب ما تكون للهوية الرسمية (الهوية العربية الإسلامية)، إلا أن هذه الحالة تبرز بصورة أكثر -أو بصورة وحيدة- عند الجماعة اللغوية للقبائل، التي تسعى دائماً إلى التعبير عن استبعاد العناصر المرتبطة بالهوية الرسمية، لاسيما ما يرتبط منها باللغة العربية، وهي ردود أفعال ربما على آليات الضغط الممارسة -نفسياً واجتماعياً- على اعتبار أنها الجماعة أو المنطقة الأكثر إظهاراً لعناصر الانتماء إليها وبخاصة اللغة.

بينما لدى بني مزاب، ربما تفسير آخر، يعكس وجود مؤسسات اجتماعية ودينية (العزابة- المدارس الحرة)، زيادة على المدارس الرسمية، التي تتكفل بتعليم اللغة العربية لأبنائهم، أي الحظوظ لديها متوفرة، والفرص متاحة بشكل لا يستدعي القلق، عكس اللغة الأمازيغية (المحلية)، التي يجب أن يتعلمها الطفل في هذه المرحلة -كصمام أمان- لانتوائه إلى هذه الجماعة، التي تعكس أيضاً خصوصية هويته من خلال هذه اللغة (الأمازيغية).

بينما عند التوارق، فيما تراجع استعمال اللغة الأمازيغية (المحلية) في بعض المجالات، بسبب انتقال الكثير منهم إلى التجمعات الحضرية وتمركزهم فيها، مما اضطرهم للتعامل في غالب الأوقات باللغة العربية بسبب الاحتكاك مع المتكلمين بالعربية، جعل رأيهم في صواب الإبن أن يتعلم هذه اللغة قبل المدرسة -لأنها الفرصة الأفضل له في هذه المرحلة- وبخاصة أنها على تماس (تواجد) مستمر مع أسرته الصغيرة، التي لا تزال حافظة لهذه اللغة.

ولعل توجه الجماعة اللغوية للشاوية بمنحى مغاير لمنحى هذه الجماعات اللغوية، يعكس أيضاً توجه اللغة الممارسة في المحيط الخارجي لهم، والتي تكون متداولة بين العربية والأمازيغية (المحلية)، إلا أن الطفل في هذه المرحلة، يسعى فيها الآباء إلى تعليمه اللغة العربية، لتتيح له فرصة الاحتكاك والتفاعل مع الآخرين في سنه، لتسهيل التواصل معهم، كما أن هناك رؤية للآباء، تعطي للغة العربية، صفة القداسة والاحترام -الزائدة عن اللزوم- في بعض الحالات، لتشرعن حتى تعليمها للأبناء في هذه المرحلة من العمر، ولأن اللغة التي سوف تحقق لهم النجاح المدرسي، على اعتبار المدرسة هي مهد العربية، وتعطي للشاوية من منظورهم أن الطفل سوف يتعلمها بمرور الوقت في الشارع، أو حتى عند البعض أن تعلمها لا يفيد في شيء، حتى وإن كان آباءهم يعرفونها.*

والملفت أيضاً، هو بروز اللغة الفرنسية -كلغة- مرغوب في تعليمها للأبناء قبل المدرسة، رغم أنها لا تشكل خيارات مفضلة لهم، في العديد من المناسبات، ولكن هذا يترجم وعي المبحوثين (بعضهم)، بقيمة هذه اللغة (الفرنسية) في تحقيق النجاح الاجتماعي من خلالها كما أنها سوف تفتح له آفاق مستقبلية واعدة (العمل خاصة)، ولذلك نجد اتجاهات ترغب (تفضل) تعليم أبنائها اللغة الفرنسية على

* - سمعت هذا الكلام كثيراً لدى العديد من الأسر هناك، وتكررت حتى داخل الأسرة التي أتواجد فيها أثناء محاولاتي تعليم الأبناء (الأخ)، بعض الكلمات الشاوية، إلا أن ردات الفعل من الجدة، كانت اللوم على ذلك، وكأنها نوع من التعدي على الغير مرغوب على قيم الأسرة وتقاليدها.

حساب اللغة العربية أو الأمازيغية، اللتان تشكلان مقومان أساسيان وثابتان في علاقتهما بالهوية وبالانتماء، ولعل هذا المسعى نابع أيضاً في محاولة إعطاء قاعدة لغوية (أجنبية) للأبناء تمكنه من التحكم فيها، حتى قبل دخوله المدرسة، وقد يكون هذا الأمر محير لدى الكثيرين، بسبب أن هذه المرحلة لا زال الطفل في حاجة إلى لغته الأم (عربية كانت أم أمازيغية)، وأن الخيارات السابقة للآباء، في العينة لم تلمح إلى أن لغة الأسرة في أي مجموعة كانت، هي الفرنسية ؟

أشير إلى أن هذه الرغبة، ظهرت لدى جميع الجماعات اللغوية (القبائل، الشاوية، بني مزاب والتوارق)، ولكن بدرجة أكبر عند القبائل.

لكن هل هذه الخيارات في اختيار اللغة قبل المدرسة، هي نفسها اللغة الأم لهؤلاء المبحوثين، أم أنها لغة أخرى لا تعكس (نموذج اللغة الأم لهم) ؟ وهل هناك تواصل بين لغة الآباء ولغة الأبناء ؟ أم أن هناك مفارقة في ذلك ؟

جدول رقم (21): يبين العلاقة بين مكان الإقامة واللغة المفضل تعليمها للأطفال قبل الدراسة .

التوارق										بني مزاب								القبائل								الشاوية								اللغة قبل المدرسة الإقامة
المجموع		أجنبية		أمازيغية		عربية		المجموع		أجنبية		أمازيغية		عربية		المجموع		أجنبية		أمازيغية		عربية		المجموع		أجنبية		أمازيغية		عربية				
ن/	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ن	ت	%	ت	%	ن	ت	%	ت	%	ن	ت	%	ت	%			
100	29	13,8	4	51,7	15	34,5	10	100	39	7,7	3	51,28	20	41	16	100	33	15,2	5	66,7	22	18,2	6	100	43	11,6	5	4,7	2	83,7	36	مدينة		
100	21	/	/	81	17	19	4	100	11	9,09	1	54,54	6	36,36	4	100	17	23,5	4	70,6	12	5,9	1	100	7	/	/	42,9	3	57,1	4	ريف		
100	50	8	4	64	32	28	14	100	50	8	4	52	26	40	20	100	50	18	9	68	34	14	7	100	50	10	5	10	5	80	40	المجموع		

من خلال الجدول نلاحظ أن:

أكبر نسبة هي 83.7% لدى المجموعة اللغوية للشاوية، والتي تعبر عن اللغة التي يتعلمها الأبناء قبل المدرسة وهي العربية، وهذا للذين يقطنون بالمدينة، في مقابل 57.1% القاطنين بالريف والذين يفضلون تعليم أبنائهم العربية أيضاً، بينما ما نسبته 42.9% من القاطنين بالريف يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، في مقابل 4.7% الذين يقطنون بالمدينة ويعلمون أبنائهم الأمازيغية أيضاً، بينما يفضل 11.6% من القاطنين بالمدينة تعليم أبنائهم اللغة الأجنبية.

وأكبر نسبة لدى الجماعة اللغوية للقبائل هي 70.6% للذين يقطنون بالريف، ويفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية، مقارنة بـ 66.7% للذين يقطنون بالمدينة يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، بينما 23.5% من الذين يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأجنبية ويسكنون بالمدينة، في مقابل 15.2% من الذين يعلمونهم اللغة الأجنبية، ويسكنون بالمدينة، وما نسبته 18.2% من الساكنين بالمدينة يفضلون تعليم أبنائهم قبل المدرسة اللغة العربية، مقارنة بـ 5.9% يسكنون بالريف ويفضلون تعليم أبنائهم العربية.

وأكبر نسبة للمجموعة اللغوية لبني مزاب 54.54% من القاطنين بالريف ويفضلون تعليم أبنائهم قبل المدرسة اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 51.28% من القاطنين بالمدينة، ويفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية (مقاربة)، بينما ما نسبته 41% من الساكنين بالمدينة، يفضلون تعليم أبنائهم قبل المدرسة اللغة العربية، في مقابل 36.36% المتواجدين في الريف، يفضلون تعليم أبنائهم اللغة العربية، كما نجد ما نسبته 9.09% و 3.7% من الذين يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأجنبية من الساكنين بالريف والمدينة على التوالي.

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية للتوارق هي 81%، وهي للذين يسكنون بالريف، ويفضلون تعليم أبنائهم قبل المدرسة الأمازيغية، مقارنة بـ 51.7% من الساكنين بالمدينة، يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية، في مقابل 34.5% من الساكنين بالمدينة، والذين يفضلون تعليم أبنائهم قبل المدرسة اللغة العربية، مقارنة بـ 19% للذين يفضلون نفس اللغة لأبنائهم (العربية) ولكنهم يسكنون بالريف، كما نجد ما نسبته 13.8% هم من الذين يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الأجنبية، وهم من المدينة.

نستنتج من خلال هذه النتائج في الجدول، أن هناك بعض الاختلافات في تفضيل اللغة للأبناء قبل دخولهم للمدرسة، وهذا حسب الانتماء الجغرافي للمبجوثين، إذ نجد أن هناك توافق لدى الجماعات اللغوية (القبائل، بني مزاب والتوارق)، في تفضيل تعليم الأبناء اللغة الأمازيغية، سواءً أكان ذلك للقاطنين بالريف أو بالمدينة، ولكن بأفضلية للمنطقة الريفية، مع تساويها عند بني مزاب.

ونجد في المرتبة الثانية من حيث تعليم الأبناء هذه اللغة، هي اللغة العربية في المنطقة الحضرية (المدينة)، لدى هذه الجماعات، مع تقاربها مع اللغة الأجنبية لدى القبائل، واسبقية اللغة الأجنبية لهذه الجماعة على اللغة العربية في المنطقة الريفية، بينما تبقى العربية أيضاً هي اللغة الثانية (من حيث تعليم الأبناء) في المنطقة الريفية، وذلك للجماعات اللغوية (بني مزاب والتوارق).

بينما تكون عند الجماعة اللغوية للشاوية (وفقاً لتصريحات المبجوثين)، أن اللغة العربية هي اللغة المفضل تعليمها للأبناء قبل دخولهم المدرسة، سواءً أكان ذلك في الريف أو المدينة، مع أفضلية تفوقها في المدينة، وتكون اللغة الأمازيغية هي اللغة الثانية، داخل هذه الجماعة وذلك في الريف وبنسبة مقبولة، بينما في المدينة تسبق اللغة الأجنبية اللغة العربية من حيث تعليمها للأبناء قبل المدرسة عندهم.

فهناك تباينات، واختلافات، بين هذه الجماعات في بعض المعطيات حول استعمال اللغة (تعليم اللغة للأبناء قبل المدرسة)، فالأبناء قبل المدرسة محكومون بتعلم لغات تفرض عليهم في الغالب من قبل الأسرة أو المحيط العائلي (القرابة)، أو في المحيط الخارجي (خارج الأسرة)، والطفل في هذه المرحلة يكون قد تعلم لغة أو أكثر من لغة (حسب الحالة)، من خلال ما حمله وسمعه من بيئته أو أقرانه أو آبائه،... إلخ، ولكن للمكان الذي تتواجد فيه هذه الأسر، دور في تعلم تلك اللغة أو هذه، نظراً لنمط الحياة والمعيشة التي تكون في الغالب تميز الريف عن الحضر، ولعل ما نجده في المعطيات السابقة، يبين أن اللغة الأمازيغية، هي من بين الخيارات ذات الأولوية، لدى الجماعات اللغوية وبخاصة (القبائل وبني مزاب والتوارق) في تعليمها ونقلها للأبناء قبل دخولهم المدرسة، سواءً أكان للذين يتواجدون بالريف أو الذين يتواجدون بالمدينة، مع تمركزها أكثر في الريف لدى التوارق، وهذا يعكس حرص الآباء على تعليم أبنائهم هذه اللغة كتعبير عن لسان حالهم وانتمائهم إلى جماعة لغوية متميزة عن الآخرين (لسانياً وثقافياً)، كما تبين اهتمام هذه الأسر بهذه اللهجات المحلية (الأمازيغية)، التي تعتبر بالنسبة إليهم مكون أساسي من هويتهم، وسمة تدل على انتمائهم لجماعة لغوية ما، ويكون بذلك تأثير الأصل الجغرافي ضعيف على

ذهنية وتفكير وتصورات أفراد العينة، حول اللغة الواجب تعليمها للأبناء قبل مرحلة الدراسة، مع العلم أن لغة المدرسة قد تكون بعيدة عن لغة الأبناء، في هذه المرحلة (لا يوجد تنسيق وتواصل بين لغة البيت ولغة المدرسة)، إلا أن هناك بعض التوجهات التي تبرز فيها اللغة العربية كلغة مفضلة في تعليمها للأبناء قبل المدرسة لدى هذه الجماعات (القبائل، بني مزاب والتوارق)، إذ تبرز المعطيات أفضلية للغة العربية في المدينة، من حيث تعليمها للأبناء مقابل الذين يتعلمونها من الأبناء في الريف، وهو ما يرجح فكرة أن المدينة نظراً لخصوصيتها الحضرية، فإن اللغة الأكثر تأثيراً ورسمية، هي الأكثر بروزاً واستعمالاً في شتى المجالات، وسياقات الحديث، عكس الريف، الذي يتميز في الغالب بوجود جماعة تعرف بعضها بعضاً، وتحكمهم الكثير من القواسم المشتركة، إلا أن هناك تواجد للغة الفرنسية بصورة منخفضة، عمد هذه الجماعات،، ولكن بحظوظ أوفر لدى الجماعة اللغوية للقبائل، وتحديدًا عند القاطنين بالريف والذين يفضلون تعليمها للأبناء قبل العربية.

إلا أن الحالة (الوضعية) اللغوية لدى الشاوية، تختلف عن وضعية هذه الجماعات (القبائل، بني مزاب والتوارق) في أفضلية تعليم اللغة العربية لأبنائهم قبل المدرسة، سواءً أكان في الريف أو المدينة، مع تفوقها في المدينة أكثر، وهو ما يعني أيضاً أن الاصل الجغرافي أيضاً لا يؤثر على اللغة الأولى المفضل تعليمها للأبناء من قبل الآباء، بل تدخل عوامل أكثر ربما لتحديد هذه التوجهات، كالمحيط الخارجي، أو المؤسسات الاجتماعية الأخرى (المدرسة، المسجد، الشارع،...)، أو معطيات المصاهرة (القربة)، وهي عوامل من شأنها أن تتدخل في توجيه تصورات الأفراد نحو اللغة الواجب تعليمها للأبناء، بناءً على اعتبارات شخصية، أو إلى عوامل أكثر تأثيراً على تفكير الأفراد.

بينما تكون اللغة الأمازيغية هي اللغة الثانية، وبنسبة مقبولة، لدى هذه الجماعات اللغوية، والتي يفضلون تعليمها لأبنائهم قبل المدرسة، وهي مؤشر على تمركز هذه اللغة أكثر في الريف عن المدينة.

وعموماً فإن هناك تباينات، بين الجماعات المختلفة في اللغة المفضل تعليمها للأبناء بين العربية والأمازيغية، ولكن يبقى تأثير الاصل الجغرافي على ذلك ضعيف.

جدول رقم (22) : يبين اللغة المستعملة في الحديث بين الزوجين

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		لغة الحديث بين الزوجين
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
% 12	6	% 12	6	% 4	2	% 60	30	العربية
% 88	44	% 88	44	% 96	48	% 40	20	الأمازيغية
/	/	/	/	/	/	/	/	الفرنسية
% 100	50	% 100	50	% 100	50	% 100	50	المجموع

يتبين لنا من الجدول أنه:

عند الشاوية نجد ما نسبته 60% من الأزواج يتحدثون فيما بينهم اللغة العربية، مقارنة بـ 40% يتحدثون اللغة الأمازيغية.

عند القبائل نجد ما نسبته 96% من الأزواج يتحدثون فيما بينهم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 4% الذين يتحدثون فيما بينهم اللغة العربية.

عند بني مزاب نجد ما نسبته 88% من الأزواج يتحدثون فيما بينهم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 12% يتحدثون فيما بينهم اللغة العربية.

ونفس النسبة تكون عند التوارق، ما نسبته 88% من الأزواج يتحدثون اللغة الأمازيغية، و 12% منهم يتحدثون اللغة العربية.

من خلال هذه القراءة للجدول، يتبين أن الاتجاه العام للمجموعات اللغوية لكل من (القبائل، بني مزاب و التوارق) هو تحدّث الأزواج فيما بينهم يكون باللغة الأمازيغية بدرجات عالية، بينما نجد عند المجموعة اللغوية للشاوية تحدث الأزواج باللغة العربية، ولكن أقل درجة من حدتها لدى الجماعات الأخرى (الأمازيغية)، ثم تكون النسبة للغة الأمازيغية بدرجة مقبولة.

ولعل تباين هذه النسب بين المجموعة الأولى (القبائل، بني مزاب والتوارق) من جهة والشاوية من جهة أخرى، يعكس اللغة الأكثر تداولاً عند كل طرف من الزوجين، إذ نجد عند المجموعات الأولى، أن المرأة (الزوجة)، تكون في الغالب من نفس المنطقة لهذه المجموعات، أو أنها تنتمي إلى إحدى هذه المجموعات اللغوية (من نفس المجموعة)، حتى وإن كانت لا تسكن في نفس المنطقة، وفي الغالب تتشابه معهم في نفس اللغة (الأمازيغية)، أي أن المرأة (الزوجة) تحمل نفس اللغة التي يحملها الزوج، وليس اللغة فقط، بل في الكثير من المظاهر والممارسات الثقافية داخل هذه المجتمعات، لأن هذه المناطق أكثر حفاظاً على "الزواج الداخلي"، ويصبح بذلك مشكل اللغة داخل الأسرة عندها غير مطروح، حتى وإن كانت الزوجة، أو الزوج يعرف لغة أكثر من أخرى، ولكن وجودهم داخل الوسط المحيط بهم (عشيرة، قبيلة، قرية...) أو حتى داخل الأسرة التقليدية، يرسم تلك التعاملات اللغوية كمظهر -إيجابي- يوحي بالتفاهم والرضائية على ذلك، ولعل ظهور بعض الحالات القليلة، من التحدث للغة العربية بين الأزواج لدى هذه المجموعات (القبائل، بني مزاب والتوارق)، تعكس بعض حالات الزواج الخارجي، أو أن اللغة العربية اختاروها طواعية للحديث بها داخل المنزل لأسباب شخصية.

ولكن بروز اللغة الأمازيغية لدى هذه الجماعات، لا يدل على عدم معرفة هؤلاء الأفراد للغة العربية، وإنما لأسباب متباينة (أسرية، اجتماعية، نفسية...)، ونشير إلى أن الزواج الداخلي داخل هذه المجموعات اللغوية يكون أكثر انغلاقاً (داخلياً)، عند بني مزاب والتوارق، وربما أقل حدة منه في منطقة القبائل.

ولعل العكس هو الموجود عند المجموعة اللغوية للشاوية، إذ من القدم، بحدوث تلك الامتزاجات، والتداخلات بين القبائل، في هذه المنطقة، وبين المجموعات الأخرى (وبخاصة الناطقة بالعربية)، ولأسباب تاريخية معروفة، فقد حدثت مصاهرات بين القبائل، وأصبح الزواج الخارجي (المختلط)، السمة الغالبة لديهم، وحتى انتقال المرأة إلى الآخرين (خارج المنطقة)، ولا يطرح ذلك أي مشكل بين هذه المجموعات اللغوية، وهذا لا يعني بأن الزواج الداخلي غير موجود، وإنما سمة الزواج الخارجي لا تلقى الرفض أو التحفظ، بل تلقى الترحاب في أحيان كثيرة، وبخاصة في المناطق الحضرية، وبفعل هذا الزواج، إنتقلت اللغة لتلقي بضلالها على الأسرة، وعلى المجتمع الخارجي، ونظراً لأن اللغة يتم بها التفاهم والتواصل، فقد تفرض على الزواج بأن يخضع (طواعية) للغة الزوجية، وهوما يفسر صعود نسب لابس بها، تكون اللغة العربية، هي لغة الحديث بين الزوج، زيادة على تلقي العربية الترحاب والمحبة،

بفعل ارتباطها بالقرآن، لهذه النماذج (الحالات) اللغوية لنشره، بكثرة في منطقة الشاوية، وتقل حدتها عند الانتقال الى المناطق الريفية، إذا قورنت بالمدينة، كما أن هذا يكون بصورة عفوية، طوعية دون ممارسة أي إكراهات للأفراد، في التوجه الى هذه اللغة أو تلك.

وبما أن للمرأة، هي الأكثر نقلا وحفاظا على اللغة بصفة عامة، فهي عامل ساعد على انتشار العربية داخل هذه الأسر، مما رجح المعاملات بين الأزواج باللغة العربية، وهو ينعكس حتى على العديد من الأبناء في تعاملاتهم اللغوية، وزيادة على التعاملات (الحديث) باللغة العربية، فهناك أيضا حديث بين الأزواج باللغة الأمازيغية، وهو ما يفسر أيضا على حمل هذين الزوجين لتلك اللغة (الأمازيغية)، الحديث بها فيما بينهم، وأشير الى نقطة مهمة، وهي أن بروز العربية داخل هذه الأسر - ليس بفعل الزواج الخارجي فقط - وإنما هناك حالات كثيرة من الزواج الداخلي، بينما يعرف الزوجان اللغتين معا (العربية والأمازيغية)، ولكن تبرز عند الكثير من هذه العائلات اللغة العربية، كلغة حديث في معظم الأوقات، ويفسر ذلك ربما لاعتبار هذه اللغة هي التي تحقق - الرضى الديني لديهم - بما أنها مرتبطة بالقرآن تحديدا، إذ تحظى بمكانة لا تفتقر، زيادة على العوامل (المدرسة، المحيط الخارجي،...)، والحقيقة أن طابع الإزدواجية اللغوية داخل هذا المجتمع، يظهر أكثر قوة من خلال الممارسات اللغوية المتنوعة، بما فيها الأسرة.

جدول رقم(23) يبين العلاقة بين الأصل الجغرافي ولغة حديث الزوجين .

التوارق						بني مزاب						القبائل						الشاوية						الأصل الجغرافي لغة الحديث
المجموع		ريف		مدينة		المجموع		ريف		مدينة		المجموع		ريف		مدينة		المجموع		ريف		مدينة		
		ن %	ت	ن %	ت			ن %	ت	ن %	ت			ن %	ت	ن %	ت			ن %	ت	ن %	ت	
12	6	4.8	1	17.2	5	17.2	6	18.18	2	10.3	4	4	2	/	/	6	2	58	29	42.9	3	60.4	26	العربية
88	44	25.2	20	82.8	24	82.8	44	81.81	9	89.7	35	96	48	100	17	93.9	31	38	19	57.1	4	34.9	15	الأمازيغية
	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	//		/	/	4	2	/	/	4.7	2	الفرنسية
100	50	100	21	100	29	100	50	100	11	39	39	100 0	50	100	17	100	33	100	50	100	7	100	43	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن:

أكبر نسبة للجماعة اللغوية الشاوية هي 60.4% وهي للذين يقطنون بالمدينة ولغة حديث الزوجين هي العربية، في مقابل 34.9% من القاطنين بالمدينة، ولغة حديثهم العربية، وما نسبته 57.1% من الريف ولغة حديث الزوجين فيما بينهم هي الأمازيغية، مقابل 42.9% للعربية في حديث الزوجين في المنطقة الريفية.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية للقبائل ، هي للذين يقطنون بالريف ، ولغة حديث الزوجين الأمازيغية، بنسبة 100%، في مقابل 93.2% من القاطنين بالمدينة، ولغة حديثهم أيضا هي الأمازيغية، بينما 6% فقط من القاطنين بالمدينة أيضا ، لغة حديث الزوجين هي العربية.

وأكثر نسبة للجماعة عند الجماعة اللغوية لبني مزاب، هي 89.7% وهي للذين يتحدثون فيما بينهم (الزوجين)، اللغة الأمازيغية ويسكنون بالريف، في مقابل 10.3% منهم يتحدثون العربية وقاطنون بالريف أيضاً، في مقابل ذلك، نجد ما نسبته 81.81% من المتحدثين بالأمازيغية (بين الزوجين) هم من الريف، وما نسبته 18.18% هم من الريف أيضاً، ولغة الحديث بينهم (الزوجين) هي العربية.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية للتوارق، هي للذين يسكنون بالمدينة، ولغة حديث الزوجين هي الأمازيغية بنسبة 82.8% ، في مقابل 25.2% من المتحدثين بالأمازيغية يسكنون بالريف أيضاً، وما نسبته 17.2% يتحدثون العربية فيما بينهم، ويسكنون المدينة، مقابل 4.8% من المتحدثين العربية ويسكنون بالريف.

من خلال هذه النتائج الإحصائية، نستنتج أن هناك بعض التباين، في الممارسة اللغوية للزوجين وعلاقتها بالأصل الجغرافي للمبحوثين، وهذا لدى الجماعات اللغوية المختلفة.

فعند الجماعة اللغوية للشاوية، نجد أنه كلما توجهنا نحو المدينة كلما كان حديث الزوجين باللغة العربية، و يقل الحديث بها في الريف، وكلما اتجهنا نحو الريف يزداد الحديث باللغة الأمازيغية أكثر، ويقل في المدينة، مع الحفاظ على تواجد اللغتين الأمازيغية في المدينة والعربية في الريف، بنسب مقبولة في حديث الزوجين.

بينما تكون للجماعات اللغوية (القبائل وبني مزاب والتوارق)، أنه كلما اتجهنا نحو الريف أو المدينة، كلما كان حديث الزوجين باللغة الأمازيغية، مع مفارقة في توجهات النسب بين المدينة والريف، إذ تكون عند الجماعة اللغوية للقبائل الأمازيغية أكثر تواجداً في الريف عنها في المدينة، بينما تتغلب الأمازيغية عند الجماعتين (بني مزاب والتوارق) في المدينة عنها في الريف، وهذا في حديث الزوجين.

فتأثير الأصل الجغرافي عند هذه الجماعات ضعيف نسبياً، ويكون على مستوى انتشار اللغة ذاتها (الأمازيغية)، هذا للجماعات اللغوية (القبائل، بني مزاب، التوارق)، بينما تأثيره لدى الجماعة اللغوية للشاوية قوي نسبياً، ولكن هناك تمرکز واضح للغة الأمازيغية في الريف.

إن للتركيبة البشرية المتواجدة سواء في الريف أو في المدينة، أو حتى من حيث الفوارق الموجودة بين المدينة كمركز حضاري واقتصادي...، يبرر بعض التفسيرات اللغوية الممارسة، داخل هذه الجماعات المختلفة، ففي الريف نجد نوعاً من الانسجام بين التركيبة البشرية لهم، إذ تشمل في الغالب الناطقين باللغة الأمازيغية أكثر من الناطقين باللغة العربية، إلا أن تلك النعرات العرقية أو الإثنية أو الجغرافية في الغالب أيضاً ما لا تكون مؤثرة، وهناك تعايش غير ملفت للناظر والمتمتعن لهم (هناك نوع من الامتزاج الثقافي بين هذه التركيبات)، والتواصل محقق بين هذه الفئات المجتمعية، سواء للناطقين بالعربية أو الناطقين بالأمازيغية، فتمزج من تمزج، وتعرب من تعرب (لساناً)، فهناك تأقلم وتمزج وتلاحم ثقافي بين هذين المكونين في الريف، زيادة على تلك المصاهرات التي حدثت بينهم، إلا أنه برغم ذلك، فإن الأمازيغية لا تزال هي الأكثر تواجداً في المناطق الريفية، إذ تغلب تلك الأحاديث (الاستعمالات) للغة الأمازيغية، بين الزوجين في هذه المناطق، وتعكس ذلك أيضاً اللغة الأكثر تواجداً في الوسط الذي يتواجدون فيه، والذي يتميز بحالة من الازدواجية اللغوية (عربية/أمازيغية)، فبرغم عمليات التعريب للمؤسسات التربوية والتعليمية وكل القطاعات (بصورة رسمية)، وبرغم الدور الذي تلعبه المؤسسات الدينية (المدارس والمساجد)، وبرغم الثورة التكنولوجية التي غزت البيوت وأتت على الأخضر واليابس، وبرغم...، فلا تزال اللغة الأمازيغية حاضرة لدى هذه الأسر في هذه المناطق الريفية، ويكون بذلك الريف هو المركز المحافظ لهذه اللغة، بفعل كل الممارسات اللغوية اليومية للمتحدثين بها، ولكن هذا لا يغيب اللغة العربية التي تتواجد أيضاً إلى جنب هذه اللغة، والتي لا تشكل في اعتقادي مشكل إزعاج للناطقين بالأمازيغية، إلا أن هناك أيضاً تفاوتات

في ممارسة اللغة لدى الجماعات اللغوية المختلفة، فنجد تركزها في الريف أكثر، ولكن تركزها عند الجماعات اللغوية (القبائل وبنو مزاب والتوارق) أكثر بروزاً منه ، لدى الجماعات اللغوية للشاوية، إلا أن تركزها في المدينة أكثر من الريف، لدى الجماعتين اللغويتين (بنو مزاب والتوارق)، يشكل مفاجئة حقيقية، تحتاج إلى أكثر من إعادة قراءة -الواقع السوسيو-لساني لها، فبرغم أغلبية الممارسة اللغوية للأمازيغية (بين الزوجين)، سواء في الريف أو المدينة، إلا أن المدينة هي الأكثر احتواءً للناطقين بالأمازيغية (بين الزوجين)، وهذا يعزى ربما إلى أن المدن التي تتواجد فيها هذه الجماعات اللغوية هي مدن تركز هذه الجماعات بنسب عالية جداً، وبخاصة التجمعات السكانية الكبيرة، خارج المدينة (الولاية)، وهو ما يجعل ممارستها الخارجية (الوسط) أكثر تأثيراً على الوسط الداخلي (الأسرة)، أي هناك لغة مهيمنة على المحيط الخارجي والمحيط الداخلي (الأسرة)، ولذلك برزت الأمازيغية كمعطى واقعي لهؤلاء الأزواج، أو أن هذه الأسر بفعل الزواج الداخلي الأكثر تواجداً وحفاظاً لديهم، في ظل الأعراف الاجتماعية، يجعل معطى تواجد الأمازيغية وحديثهم بها في المدينة أكثر، مبرر لذلك.

وبرغم أفضلية تواجد اللغة الأمازيغية، في حديث الزوجين سواء في الريف أو المدينة، بالنسبة لهذه الجماعات اللغوية (القبائل، بنو مزاب والتوارق) ، إلا أن هامش تواجد اللغة العربية أيضاً موجود، ولكن درجة وجوده ضعيفة.

ويفسر في الجهة الأخرى، لدى الجماعة اللغوية للشاوية تركز اللغة العربية بالمدينة أكثر، في حديث الأزواج، وبالنظر إلى التشكيلة البشرية في المدينة، والتي تكون في الغالب متنوعة الأعراق والثقافات واللغات، وهو ما يجعل نظرهم إلى الآخر، تختلف عنها في الريف، إذ تظهر إلى السطح أكثر، الفوارق الموجودة بين المكونات الاجتماعية، وتكون في الغالب محكوم بخلفية ما، سواء كانت جغرافية (ريف-حضر)، أو لغوية (عربية/ أمازيغية/ أجنبية)، أو ثقافية، أو حتى دينية، في بعض المدن الكبيرة... إلخ

إذا جعل من هذه التناقضات الموجود في المدينة، محل نظر في الحديث بلغة ما، فالتواصل بهذه اللغة أو تلك، خاضع لهذه الاعتبارات (الخلفيات)، التي يحملها كل فرد عن الآخر، والتي تصنفه وفقاً لذلك، وبما أن المدينة مركز تجمع حضاري واقتصادي وإداري ونشاطي... إلخ، فإنه قبله لتوافد الأفراد من المناطق الأخرى لسد حاجياتهم المختلفة، وهذا ما يجعل التزامهم بالحديث باللغة الأكثر تواجداً في المدينة، ولعل معظم المدن بفعل تركيبها، تبرز فيها اللغة العربية كلغة أولى في

الاستعمالات والممارسات المختلفة، وبخاصة المدن الكبرى، وهو ما يجعل المتحدثين من (الأزواج)، في المدينة تتغلب فيها العربية على الأمازيغية، وبخاصة عند الجماعة اللغوية للشاوية، ولكن هذا لا يعني بأن اللغة العربية ليست هي اللغة الأكثر استعمالاً لدى الجماعات الأخرى (القبائل، التوارق وبني مزاب)، بل أن الممارسات اللغوية بين الأزواج هي الأكثر بروزاً سواءً عند القاطنين بالمدينة أو القاطنين بالريف، ولعلّه حتى من الناحية التاريخية، فإن المدن هي الأكثر احتواءً للعربية وبدأ انتشارها من هذه المراكز (التجمعات)، في فترة الفتوحات الإسلامية، عكس المناطق الريفية التي كانت أكثر عزلة وحصانة جغرافية، ربما يفسر من خلالها تركز الأمازيغية في هذه المناطق (ولا أجزم بأنه العامل الوحيد في ذلك).

إذاً للأصل الجغرافي ارتباط (علاقة) واضح في التأثير على الممارسة اللغوية للأزواج، لدى الجماعات اللغوية المختلفة، ولا شك أن حديث الزوجين بلغة ما، باعتبارهما الركيزة الأساسية في الأسرة، فإن ذلك أيضاً، سيكون له تأثير على لغة الأبناء، لأن الأسرة هي موضع لانتقال اللغة من الآباء إلى الأبناء.

جدول رقم (24) : يبين اللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		لغة الأبناء في المنزل
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
6 %	3	4 %	2	6 %	3	16 %	8	لغة الأب
24 %	12	12 %	6	8 %	4	12 %	6	لغة الأم
70 %	35	84 %	42	86 %	43	72 %	36	الإثنين معا
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

من خلال الجدول يتبين لنا أن:

عند الشاوية تبرز اللغتين معاً (لغة الأب ولغة الام)، كلغات يتعلمها الأبناء في المنزل، وذلك بنسبة 72%، بينما نجد أن اللغة التي يتعلمها الأبناء بالمنزل لغة الأب أو لغة الأم بنسبة 16% و 12% على التوالي.

عند القبائل نجد أن ما نسبته 86% من الأبناء يتعلم أيضاً اللغتين معاً (الأب/ الأم)، مقارنة بـ 8% و 6% على التوالي للغة الأب ولغة الأم.

عند بني مزاب نجد ما نسبته 84% يتعلمون في المنزل اللغتين معاً (الأب/ الأم)، مقارنة بـ 12% و 4%، لكل من لغة الأم ولغة الأب على التوالي.

عند التوارق نجد ما نسبته 70% أيضاً يتعلم أبنائهم اللغتين معاً، وتليها 24% للغة الأم فقط، و 6% للغة الأب.

نستنتج من هذا الجدول التطابق التام في وجهات نظر الآباء في اللغة التي يتعلمها أبنائهم في المنزل، وهي اللغة المشتركة بين الأب والأم، وتبرز أكثر بقليل عند المجموعات (القبائل وبني مزاب)، بينما تبرز اللغة الأم، كلغة تعليم الأبناء داخل المنزل عند التوارق أكثر مقارنة بتقاربها بين لغة الأب ولغة الأم عند المجموعات الأخرى (الشاوية، القبائل، بني مزاب).

ولعل إجماع هذه الجماعات اللغوية على اختلاف انتماءاتهم على أن اللغة التي يتعلمها الأبناء داخل المنزل هي (لغة الأب والأم معاً)، يعطي انطباعاً إيجابياً، فيما يخص التفاهات الحاصلة بين الزوجين في تحديد اللغة الواجب تعلمها للأبناء، ولكن هذه الوضعية اللغوية تفرز أيضاً العديد من الحالات في مسارات هذه اللغة المنزلية للأبناء، إذ الحالة الوحيدة ربما التي لا تطرح فيها الإشكال، هي إذا كانت لغة (الأب والأم) هي نفسها، سواء كانت عربية أو أمازيغية، وهذا يرجح أكثر فكرة الإجماع لديهم، وبخاصة أن الدور يكون متاحاً للثنتين في نقل اللغة للأبناء بصورة متوازنة ومتفق عليها (ظاهرياً أو ضمناً)، بل هذه الصورة (لغة الأب والأم نفسها) تسهل حتى على الأبناء عملية التواصل، وتساعدهم على معرفة اللغة وتنميتها لديهم، في أحسن الظروف.

أما إذا كانت لغة الأب مختلفة عن لغة الأم، كأن تكون لغة الأب عربية، ولغة الأم أمازيغية، فهنا يطرح أيضاً احتمالين، الاحتمال الأول، وهو تنازل أحد الطرفين لصالح الآخر، ويصبح بذلك تعلم اللغة لا يطرح إشكالاً لديهم، وتكون اللغة المتفق عليها هي الغالبة لدى الأبناء، أما الاحتمال الثاني هو تمسك كل طرف بلغته (أو لخياره) في أن يتعلم الأبناء لغته هو، سواء لغة الأم، أو لغة الأب، فهنا تميل الكفة لصالح اللغتين معاً، ولكن ليس كما الحالة الأولى (نفس اللغة لديهما)، أي الأبناء يجدون أنفسهم في مواجهة لغتين اثنتين مختلفتين، لغة الأم من جهة، ولغة الأب من جهة ثانية،

وتعكس هذه الصورة المصغرة حالات الصراع اللغوي الذي سوف تتغلب فيه لغة ما على الأخرى، وهذا بتأثيرات المحيط الخارجي أيضاً.

وتبرز هذه الحالة استناداً إلى الجدول، أن الأبناء يتعلمون اللغتين معاً في نفس الوقت -حتى وإن كانتا مختلفتين- وبخاصة لدى الجماعات اللغوية (الشاوية والقبائل)، ويزداد قليلاً بروز لغة الأم، عند بني مزاب، وترتفع أكثر بصورة ملحوظة عند التوارق، ولعل ظهورها أكثر عند التوارق، بسبب الدور الذي تلعبه المرأة التارقية داخل هذا المجتمع، والذي يكون لها الاسهام الكبير في بناء الأسرة، والتكفل بجميع شؤونها، بسبب سفر الرجل للتكسب، ولذا حظيت المرأة هناك، بمكانة مرموقة ومحترمة، حتى أنه ينتسب الرجل لأمه، وليس لأبيه (مجتمعات أميسية/ أموي)، وبذلك فإن معظم التفاعلات بين الأبناء والآباء، تكون الأم فيها هي الموجه والمتكلم في أغلب الأوقات، ولذلك فهي أقرب لأن تفسر خضوع الأبناء للغة الأم في المنزل.

لتبقى في الأخير الممارسات اللغوية للأبناء لدى هذه الجماعات اللغوية، مقسمة بالتساوي بين (لغة الأب ولغة الأم معاً)، أي أن هناك عدالة أسرية في الاختيارات اللغوية للأبناء، حتى وإن كانت هذه المعادلة سوف تتغير على الأرجح عندما يتواجد الأبناء للمحيط الخارجي بممارساته المتنوعة.

ويمكن إبراز تمظهر اللغات وفقاً لتصريحات المبحوثين في:

- 1- عربية/ عربية للوالدين نفس اللغة.
- 2- أمازيغية/ أمازيغية للوالدين نفس اللغة.
- 3- أمازيغية/ عربية لغة الأم/ لغة الأب
- 4- عربية/ أمازيغية لغة أم/ لغة الأب

جدول رقم (25) : يوضح العلاقة بين سن المبحوثين واللغة التي يتعلمها الأطفال في المنزل.

التوارق						بني ميزاب						القبائل						الشاوية						لغة الأبناء في المنزل السن
المجموع		أمازيغية		عربية		المجموع		أمازيغية		عربية		المجموع		أمازيغية		عربية		المجموع		أمازيغية		عربية		
ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	
100	7	85,7	6	14,3	1	100	33	57,57	19	42,42	14	100	26	61,53	16	38,64	10	100	34	23,5	8	76,5	26	{ 40 - 20 }
100	32	93,7	30	6,3	2	100	14	57,14	8	42,85	6	100	20	90	18	10	2	100	15	/	/	100	15	{ 60 - 41 }
100	11	90,9	10	9,1	1	100	3	66,66	2	33,33	1	100	4	50	4	/	/	100	1	/	/	100	1	أكثر من 60 سنة
100	50	92	46	8	4	100	50	58	29	42	21	100	50	76	38	24	12	100	50	16	8	84	42	المجموع

نلاحظ من الجدول أن:

أكبر نسبة للجماعة اللغوية للشاوية هي 100%، وهي للمبحوثين الشيوخ والكهول*، الذين يعلمون أبنائهم اللغة العربية في المنزل، مقابل 76.5% من الشباب الذين يعلمون أبنائهم العربية أيضاً، ونجد ما نسبته 23.5% من المبحوثين الشباب، الذين يعلمون أبنائهم اللغة الأمازيغية.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية القبائل هي 90%، وهي التي تعلّم أبنائها في المنزل اللغة الأمازيغية، في مقابل 61.53% من الشباب الذين يعلمون أبنائهم الأمازيغية، وما نسبته 50% هي من فئة الشيوخ، والذين يعلمون أبنائهم تلك اللغة (الأمازيغية)، بينما نجد ما نسبته 38.64% من فئة الشباب يعلمون أبنائهم اللغة العربية في المنزل.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية لبني مزاب، وهي 66.66%، وهي لفئة الشيوخ الذين يعلمون أبنائهم اللغة الأمازيغية في المنزل، مقارنة بـ 57.57% و 57.14% من الشباب والكهول الذين يعلمون أبنائهم اللغة الأمازيغية في المنزل، في مقابل ذلك، نجد ما نسبته 42.85% و 42.42% من الشباب والكهول أيضاً يعلمون أبنائهم العربية، فيما نجد 33.33% من الشيوخ يعلمون أبنائهم العربية.

وأكثر نسبة للجماعة اللغوية للتوارق هي 93.7% و 90.9% وتمثل فئة كل من الكهول والشيوخ في تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 87.7% من الشباب الذين يفعلون ذلك (تعليم الأمازيغية)، وما نسبته 14.3% هم من الشباب الذين يعلمون أبنائهم اللغة العربية لأبنائهم، وما نسبته 9.1% و 6.3% على التوالي، للكهول والشيوخ الذين يعلمون أبنائهم اللغة العربية.

ما نستخلصه من قراءة الجدول، أن هناك اختلافات لدى هذه الجماعات، في اللغة التي يعلمونها لأبنائهم في المنزل، ويرتبط ذلك أيضاً بالعمر الذي تحمله كل فئة داخل هذه الجماعة اللغوية، إذ تكون فئة الكهول والشيوخ لدى الجماعة اللغوية للشاوية الأكثر تعليمياً للأبناء اللغة العربية، بينما تبرز فئة الشباب بعدهما لكن الأكثر مساهمة في تعليم الأبناء اللغة الأمازيغية، بينما فئة الكهول لدى الجماعة اللغوية للقبائل، هي الأكثر تعليمياً للأبناء اللغة الأمازيغية، تليها الشباب في تعليم أبنائهم الأمازيغية، ونسبة أقل للعربية.

* - تقسم الفئات الثلاث إلى شباب، كهول وشيوخ.

بينما فئة الشيوخ لدى بني مزاب، هي الأكثر حرصاً على تعليم أبنائها اللغة الأمازيغية، وتأتي بعدها فئتي الكهول والشيوخ في تعليم أبنائها اللغة الأمازيغية، وبدرجة أقل اللغة العربية، بينما تكون فئة الشيوخ والكهول لدى الجماعة اللغوية للتوارق، الأكثر تعليمًا للأبناء اللغة الأمازيغية، وتليها فئة الشباب بنسبة أقل.

فهناك توافق للجماعات اللغوية للفئات الثلاث (شباب، شيوخ، كهول) في تعليم اللغة الأمازيغية للأبناء في المنزل، ولكن بنسب مرتفعة من الكهول لكل من القبائل والتوارق.

بينما هناك اختلاف لدى الجماعة اللغوية للشاوية مع هذه الجماعات (القبائل، بني مزاب، التوارق)، في اللغة المتعلمة للأبناء، حيث تكون عند الشاوية العربية، ولكن يتوافق هذا الرأي لدى الفئات المختلفة (شباب، شيوخ، كهول) في تعليم هذه اللغة (العربية)، مع الأفضلية لفئة الكهول والشيوخ.

إن فئة الشيوخ تبدو هي الأكثر اهتماماً بالحفاظ على اللغة الأمازيغية ونقلها للأبناء (وبخاصة عند بني مزاب والتوارق)، وهذا نظراً لأن هؤلاء الشيوخ ارتبطت معهم الذكريات والتقاليد الخاصة بالثقافة المحلية داخل مجتمعاتهم، وهي متوارثة من أجدادهم، وبالنظر إلى الحياة التي عاشوها، والتي تنسم في الغالب ببساطة العيش، فإن انتقال اللغة بينهم لا تحكمه خيارات التفكير والإقدام أو الإحجام، بقدر ما تحكمه التقاليد والأعراف السائدة لدى هذه المجتمعات، وتنتقل هذه اللهجات المحلية (الأمازيغية) بعفوية وتلقائية، وكأنها معطى لا بديل عنه، فهم يعبرون بلسان حالهم، عند كل شيء وفي شتى المجالات، ونقلها إلى الأبناء لا يحتاج إلى برهان أو دليل يستند إليهم، بل تدخل ضمن التنظيم الأسري الخاص بهم، إلا أن متغيرات العصر والتحولات الاجتماعية المذهلة، وبخاصة على مستوى التواصل (عبر التكنولوجيا والوسائل الجد متطورة) فإن تأثيرها أصبح ظاهراً على بعض الأشخاص من هذه الفئة (الشيوخ)، وغالباً ما نسمع علامات الحيرة والتعجب بادية عليهم أسفاً وحسرةً على "أيام زمان"، وهي ما تفسر تلك الصراعات بين الأجيال المختلفة، نظراً لإفرازات الواقع الجديدة عليهم.

ولعل ذلك يفسر أيضاً، تلك التوجهات الجديدة للمسارات الثقافية واللغوية لدى الشباب، بينما تبرز أيضاً اهتمامات الكهول واتجاهاتهم نحو الأمازيغية، وبخاصة عند القبائل والتوارق وبدرجة أقل عند بني مزاب، فهذه الشريحة من المجتمع، قد تكون جامعة لعقلية الشيوخ الأكثر تمسكاً بالتقاليد والثقافة واللغة، وبين متغيرات العصر الحالي، إلى أن قرارهم (وفقاً لتصريحاتهم)، استقر في مجمله في التوجه نحو نقل

اللغة إلى الأبناء لتعلّمها، ولعل الجماعة اللغوية للقبائل عاشت - أو مصدرها لها - تلك الأحداث والوقائع المنادية بالاعتراف بالأمازيغية كثقافة وهوية للأمازيغ، وهو ما يجعلهم أكثر ميلاً لتبني هذه اللغة (الأمازيغية)، كمحور جوهري يدخل في شخصيتهم وثقافتهم.

إلا أن الشيء الملفت للانتباه هو اهتمامات الشباب بالمسألة اللغوية، وتبني تعليمها للأبناء، حتى وإن كان بدرجات أقل، إلا أنه يعكس مدى وعي هؤلاء الشباب بالقضايا المحيطة بهم، والاهتمام بها، ويظهر ذلك خاصة عند الشاوية والقبائل وبني مزاب، وبدرجة منخفضة عند التوارق، كما أن ذلك يعني أن اللغة أصبحت محل اهتمام هذه الشريحة من المجتمع، التي تحاول التعبير عن ذاتها وشخصيتها من خلال تلك العناصر التي تميّزه عن الآخرين، بما فيها اللغة كمكوّن أساسي.

ولعل المفاجئ أيضاً (وفقاً لتصوري الخاص)، هو توجّه المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للشاوية (وبخاصة الشيوخ والكهول)، نحو تعليم أبنائهم اللغة العربية بالمنزل، بدل اللهجة المحلية (الأمازيغية)، على اعتبار أنها لهجتهم الخاصة، ولعل هذا نابع من انتشار هذه اللغة (الأمازيغية) ليست من أولوياته الراهنة، على اعتبار أن الكثير من الأبناء يمكنهم اكتساب هذه اللغة من المحيط الخارجي، أو من الأقران الذين يتعاملون بهذه اللغة، أو أن اللغة المتعلمة والمهيمنة على جميع محادثاتهم داخل المنزل (وبخاصة بين الزوجين هي العربية)، ولكن تصريح هؤلاء يعكس واقعاً لغوياً خاصاً لديهم، يبحثون فيه ربما عن مستقبل أفضل لأبنائهم من خلال اللغة الأكثر تواجداً في المؤسسات الرسمية، وذلك لتحقيق سبل نجاحهم التعليمي، والذي يقود إلى النجاح الاجتماعي (لتبقى التساؤلات دائماً مطروحة بخصوص التوجه العام للمبحوثين حول تبني هذه اللغة ؟ !).

وفي العموم، يمكننا القول أن هناك توجهات جديدة (غير تقليدية) إن صح القول عليها، في التواجد العام للفئات الاجتماعية داخل المجتمع، إذ أفرزت بعض المفاجئات فيما يخص توجهات الجيل الجديد من الشباب نحو اللغات المحلية (ولو بصورة ضئيلة ولكنها موجودة)، كما تفرز في المقابل توجهات الشيوخ والكهول نحو خيارات تناقض (على الأقل) تصورات الكثيرين، الذين يرون فيهم العنصر الأهم في المجتمع لنقل العادات والتقاليد والثقافة بصورة شبه مطلقة، ليعطي الواقع انطباعاً جديداً نحو التوجهات الجديدة لهذه الفئات في ظل التغيرات السوسيو-اقتصادية والثقافية، داخل المجتمعات، لكن تبقى هذه الفئة (الشيوخ) أكثر دلالة ورمزاً للانتماء للثقافة الأمازيغية، ليس من خلال اللغة فقط، ولكن من

خلال عناصر ثقافية (أكثر ظهوراً في الكثير من العادات والتقاليد المجتمعية، كاللباس والاحتفالات "الأعراس"،... إلخ).

لتبقى العلاقة موجودة، ولو بتناقض أحياناً، بين الجماعات اللغوية المختلفة، في نقل اللغة إلى الأبناء، سواءً كانت محلية (أمازيغية)، أو محلية (عربية)، لأن الكثير لا يفرق بين هذه وتلك، باعتبارهما جزء لا يتجزأ من كيانه.

جدول رقم (26) : يبين إن كان أبناء المبحوثين يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم .

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		تحدث الأبناء بالأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
92 %	46	98 %	49	90 %	45	26 %	13	نعم
8 %	4	2 %	1	10 %	5	74 %	37	لا
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول الآتي:

أن ما نسبته 74% من المبحوثين صرحوا بأن أبنائهم، لا يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم، مقارنة بـ 26% الذين صرحوا بتحدث الأبناء الأمازيغية فيما بينهم، وهذا عند الجماعة اللغوية للشاوية.

وأن ما نسبته 90% من المبحوثين صرحوا بأن أبنائهم يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم، مقارنة بـ 10% الذين صرحوا بأن أبنائهم يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم، مقارنة بـ 10% الذين صرحوا بعدم حديث الأمازيغية فيما بين الأبناء، وهذا للجماعة اللغوية للقبائل.

وان ما نسبته 98 % من أفراد العينة ، صرحوا بأن أبنائهم يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم، مقارنة بـ 2 % الذي صرحوا عكس ذلك، وهذا للجماعة اللغوية لبني مزاب.

وأن ما نسبته 92% من المبحوثين صرحوا بأن أبنائهم يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم، مقارنة بـ 8% الذين صرحوا عكس ذلك.

نستنتج من خلال هذه القراءة للجدول ، أن هناك توجّه عام يبرز تواصل (حديث) الأبناء باللغة الأمازيغية فيما بينهم ، وهذا لدى الجماعة اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق) وينسب مرتفعة، بينما نجد توجّه الجماعة اللغوية للشاوية بأن أبنائهم لا يتحدثون الأمازيغية فيما بينهم، ولكن بنسبة أقل ارتفاعاً.

ولعل حديث الأبناء فيما بينهم بالأمازيغية، يعكس النموذج الذي تلقوه داخل أسرهم، نتيجة تعلمهم اللغة الأمازيغية من آبائهم ، ويكون هذا لجميع الأبناء، ونتيجة التواصلات المختلفة بين الآباء والأبناء، والأبناء فيما بينهم، وهو ما يولد الرغبة في التحدث بهذه اللغة (الأمازيغية)، فالطفل يتعوّد على الحديث مع نده (الطفل)، بلغة يفهمونها معاً، فسياقات الحديث المتنوعة، داخل الأسرة، ونوعية اللغة الممارسة عند الصغر، هي التي تحدد الوجهة اللغوية الممارسة من قبل الأبناء، سواء مع أسرهم أو فيما بينهم، فهناك تطبّع لغوي على ذلك.

ونفس الصورة نجدها عند الشاوية، ولكن اللغة المتحدث بها بين الأبناء -عند أغليبيتهم- تكون بالعربية، إذ الأبناء تعودوا على الحديث مع آبائهم -أو أجدادهم- باللغة العربية في شتى المسائل والقضايا داخل هذه الأسر، وهو يعكس تعوّد الابناء الحديث باللغة العربية عندما يكون فيما بينهم، والحقيقة أن بعض الممارسات اللغوية داخل الأسرة في هذه الحالة، تتسم بنوع من المفارقات -التعجب- إذ نجد أن كلّ من الأبناء داخل الأسرة الواحدة يعرفون الأمازيغية، وعندما يلتقون مع بعضهم يكون الحديث بالعربية، وإذا كان حديثهم لشخص آخر يتكلم بالأمازيغية، فإن الآخرين يتكلمون بالأمازيغية مع ذلك الشخص، وعندما يتحدثون فيما بينهم يعودوا للحديث باللغة العربية (التحول اللغوي)، وهذه الحالات وقفت عليها في العديد من المناسبات، وهي منتشرة بصورة جاذبة للنظر (ربما تحتاج إلى دراسات)، وعليه فإن الحديث بين الأبناء عند هذه الجماعة اللغوية، يتغلب عليه الحديث باللغة العربية، إذ للأسرة دور فعال في توجيه الأبناء نحو ممارسة لغة ما، وهذه اللغة هي اللغة المحورية في جلّ المحادثات التي تجري بين الأبناء فيما بينهم.

إلا أنه أيضاً لا يمكن تجاهل النسبة الأخرى لدى هذه الجماعة، والتي أقرّوا فيه أيضاً بحديث الأبناء فيما بينهم باللغة الأمازيغية، إذ تعود هؤلاء الأبناء على ممارسة هذه اللغة داخل أسرهم، وهو ما انعكس على ممارساتهم اللغوية فيما بينهم، وأعتقد أن هذه الحالات تتطبق بدرجة كبيرة على الأسر التي

يغلب الحديث فيها للأمازيغية وبخاصة الآباء، وتتواجد أكثر في الريف، وتبرز أكثر عند الأسر الممتدة التي لا تزال الحافظة الأولى لهذه اللغة (الأمازيغية).

إذاً تعكس لنا هذه الاتجاهات، الانتقال في طريقة الحديث، ولغة الحديث، حتى إلى الأبناء، فالأبناء يعكسون بنسبة كبيرة النماذج التي ورثوها (أكتسبوها) من آبائهم، وهو ما يرسّم اللغة التي يتفاعلون بها فيما بينهم.

كما لا يجب إغفال الدور الذي يلعبه المحيط الخارجي التأثير على مسار اللغة عند الأبناء.

جدول رقم (27) : يوضح رأي المبحوثين أن كانت اللغة أداة للهيمنة.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		رأي المبحوثين
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
74 %	37	54 %	27	78 %	39	66 %	33	نعم
26 %	13	46 %	23	22 %	11	34 %	17	لا
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

نلاحظ من الجدول أنه:

ما نسبته 74% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للشاوية، رأوا أن اللغة أداة هيمنة، مقارنة بـ 26% الذين رأوا عكس ذلك.

ما نسبته 54% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للقبائل، رأوا بأن اللغة أداة هيمنة، مقارنة بـ 46% الذين رأوا بأنها تعكس ذلك.

ما نسبته 78% من أفراد العينة لدى بني مزاب، صرحوا بأن اللغة أداة هيمنة، مقارنة بـ 22% الذين صرحوا عكس ذلك.

ما نسبته 66% لدى الجماعة اللغوية للتوارق ، صرحوا بأن اللغة هي أداة هيمنة، مقارنة بـ 34% الذين لم يروا بأنها أداة هيمنة.

يتبين لنا من خلال هذه القراءة الإحصائية، أن هناك توافق لدى الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، بأن اللغة تعتبر من أدوات الهيمنة، وتكون أكثر ظهوراً عند الشاوية وبني مزاب وأقل عند التوارق.

فاللغة مهما كانت، تكون أداة هيمنة على المجالات والقطاعات المهمة لدى مستعمليها، إذ تمارس نوع من التهميش والإقصاء للأفراد الذين لا يتكلمون هذه اللغة (المهيمنة)، وفي الغالب ما تكون هذه الجماعات (المقصية أو المهمشة) من الفئات الشعبية الواسعة، وتكون الهيمنة ممارسة بفعل سيطرة هذه اللغة وامتلاكها السلطة الرمزية والنخبوية، التي تتيح لها المجال في التوسع والانتشار، كما فعلت اللغة الفرنسية في العديد من الدول المستعمرة، إذ أصبحت أداة في يد النخبة للاستفراد بالسلطة، في جميع المجالات والقطاعات، وبالأخص الحيوية منها، وحتى في مسار الحياة اليومية، كما أنها تحاول أن تكون هذه الطبقة متميزة عن الآخرين (الأفراد) الذين لا يتكلمونها، وليست من اهتماماتهم أو أولوياتهم، فهي أداة للتدريس وتحقيق فرص أوفر للعمل والنجاح... إلخ.

ولعل هيمنة اللغة، تعود إلى العديد من العوامل، إذ يكون استعمالها واسع، في قطاعات عديدة (الاقتصاد والتجارة)، وأنها ممارسة بصورة واسعة، وتمتلك تاريخ طويل، ومتطورة،... أي تملك الآليات والوسائل اللازمة لتفوقها وبسط سيطرتها وهيمنتها على الجميع.

لذلك أدرك الباحثين، قيمة هذه اللغة في أن تكون أداة هيمنة، تحقق انتصارات وإنجازات وتغلغل في كل القطاعات والمجالات، وشعورهم بذلك أيضاً دليل على رؤيتهم بأن اللغات التي يتحدثون بها، ويمارسونها في حياتهم اليومية، لا تزال بعيدة عن تحقيق هذا -الامتياز- الذي استفادت منه، خاصة اللغة الفرنسية، وبدرجة أقل اللغة العربية، لتبقى الأمازيغية بعيدة عن ذلك لعوامل (تعود للغة نفسها، ولعوامل تاريخية، سياسية، تعليمية...).

ولعله للنظام التعليمي، وللسلطة الثقافية، وللنظام السياسي في توجهاته الثقافية خاصة، فرضت نماذج ثقافية ولغوية موحدة على مستوى الفضاءات (المجالات) اللغوية الوطنية، وهو ما يؤثر على المجال الاجتماعي الرسمي والشعبي، إذ تتجه تصورات الأفراد والجماعات نحو التأثير في سلوكهم اللغوي والثقافي، وممارساتهم للدوار والتمايزات، التي تفرضها انتقاءات لغوية محددة، بفعل اكراهات اجتماعية ومؤسسية لصالح لغة دون أخرى، وهو ما يؤثر بدوره في نفسية الأفراد، وذلك بشعورهم بأن

لغتهم وثقافتهم ليست ذات قيمة، مما يويد لامبالاتهم وحتى نكرانهم، للغتهم وثقافتهم الخاصة، في مخيالهم الاجتماعي، ولعل توجهات الامازيغيين انفسهم نحو لغات اخرى غير الامازيغية، في العديد من الخيارات، يؤكد ذلك، ولكن بدرجات متفاوتة عندهم ، وهو ما يؤكد ايضا تصوراتهم بان اللغة اداة هيمنة حقيقية، ولذا جعلت اللغات الاخرى تحظى بالقبول الاجتماعي لديهم (كالعربية والفرنسية).

فالعربية برغم امتلاكها لمكانة وموقع متميز بفعل التعريب في الوسط المجتمعي الجزائري، إلا أنها لا تزال تعاني -فعليا- أمام اللغة الفرنسية التي لا تزال تكسب رهاناتها وامتيازاتها في اوساط بعض النخب النافذة.

جدول رقم (28) : يبين مدى أهمية تدريس الأمازيغية كلغة رسمية حسب رأي المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		أهمية تدريس الأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
44 %	22	36 %	18	66 %	33	26 %	13	مهم جدا
30 %	15	38 %	19	16 %	8	20 %	10	مهم نوعا ما
22 %	11	4 %	2	14 %	7	12 %	6	بدون رأي
4 %	2	14 %	7	4 %	2	12 %	6	غير مهم
/	/	8 %	4	/	/	30 %	15	غير مهم على الإطلاق
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

من الجدول نلاحظ أن:

ما نسبته 30% من أفراد العينة لدى الجماعة اللغوية للشاوية، يرون بأن تدريس الأمازيغية ليس له أهمية (غير مهم على الإطلاق)، مقارنة بـ 26% الذين يرون بأن تدريسها مهم، و 20% مهم نوعا ما، و 12% متساوية بين الذين يرون بأن تدريسها غير مهم، والذين ليس لهم رأي في ذلك.

وما نسبته 66% من المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، يرون بأن تدريس الأمازيغية مهم مقارنة بـ 4% يرون بأنه غير مهم و 14% بدون رأي.

وما نسبته 38% و 36% لدى الجماعة اللغوية لبني مزاب، رأوا بأن تدريسها (مهم نوعا ما- ومهم) على التوالي، مقارنة بـ 14% رأوا بأنه غير مهم، و 8% بغير مهم على الإطلاق.

وما نسبته 44% من أفراد العينة، صرحوا بأن تدريس الأمازيغية مهم، و 30% بأنه نوعا ما، وعبر 22% منهم بأن ليس له رأي في ذلك، وهذا للجماعة اللغوية للتوارق.

من خلال هذه القراءة الإحصائية، نستنتج أن تدريس اللغة الأمازيغية تكتسي قيمة كبيرة لدى بعض الجماعات اللغوية كالقبائل، وتكتسي أهمية أقل، عند الجماعات اللغوية للتوارق وبني مزاب، وتقل أهمية ذلك بدرجة ليست بعيدة عن بني مزاب، بالنسبة للشاوية.

كما تعطي تلك النتائج دلالة أخرى، عند أفراد العينة لدى بعض الجماعات، بأن تدريسها لا تكتسي أهمية على الإطلاق، وهو نوع من الرفض الصريح لتدريس هذه اللغة (الأمازيغية)، ويظهر ذلك خاصة عند الشاوية وبدرجة أقل عند بني مزاب.

ولعل تدريس الأمازيغية في المدارس، وجعلها لغة تدريس، يكتسي أهمية وقيمة ما، لهذه اللغة ولمتحدثيها؛ فاللغة الأمازيغية فتحت المدارس أبوابها لها، بداية من سنة 2006، كلغة تدرّس في المدارس، إلا أن الإقبال على هذه اللغة في بدايته كان مقبولا، ثم تراجع مع السنوات التي تلتها، وقد بدأ بصورة تدريجية في المدارس التابعة للمجموعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، على أن يُعمم تدريسها لاحقا في باقي الولايات.

وقد كان هذا القرار، والذي صدر مع قرار آخر، يقر بالاعتراف باللغة الامازيغية كلغة وطنية، ومنذ ذلك الحين، فالأمازيغية في الجزائر، بدأت تشهد طفرة في تطورها، ومسارها، فقد انتقلت بهذه الصفة، عن الشفهية إلى الكتابية، أي توسّع نطاق الاهتمام بها خارج المجموعات الناطقة بها وبخاصة - منطقة القبائل - إلى الاعتراف الرسمي والغير الرسمي، في مشهدها الثقافي واللغوي خاصة، وأصبحت هذه اللغة متواجدة في العديد من المجالات، ولكن بصورة متواضعة، وبرغم تلك القرارات وفسح المجال أمام الامازيغية، إلا أن تدريسها لم يكتب له النجاح، بالصورة التي كان منتظرا منها، وكان هناك عزوف

ولا اهتمام ولا إقبال على هذه اللغة من المجموعات اللغوية انفسهم، وخاصة في منطقة الشاوية وبني مزاب والتوارق، عكس القبائل التي كان فيها الإقبال أفضل حال من هذه المجموعات.

ولعل فشل ذلك، مردّه إلى أمور تنظيمية وتربوية وتقنية بخصوص تدريس هذه اللغة، وهو من العوامل التي لا يمكن تجاهلها، إلا أن هناك أسباب أخرى، أعتقد أنها لا تقل أهمية عن العوامل الأخرى، من بينها، هو عدم الإجماع حول الخط، والطريقة، والأبجدية، التي تكتب بها هذه الأمازيغية، فكل جماعة لغوية ترغب تدريس أبنائها باللهجة الخاصة بها، وعندما وجدوا بأن اللغة المرغوب في دراستها، غالبية عليها حروف وأبجدية أجنبية، وأن هذه الكلمات الموجودة فيها تنتمي لجهة ما، فقد تحفظ الأولياء على تدريس أبنائهم تلك اللهجة الخاصة بمنطقة أخرى، غير منطقتهم - هناك رفض لرفض منطق - يُرغب في تطبيقه، بخلفيات إيديولوجية وسياسية وجغرافية ما.

كما أن طريقة كتابة هذه اللغة وحروفها، وأبجديتها لا يزال محل نقاشات وجدالات في ظل تمسك كل منطقة بتصور للغة الأمازيغية المرغوب في دراستها، والحقيقة أن مسألة اللغة الأمازيغية، لا يمكن أن تُقرض بقرار سياسي أو جغرافي أو إيديولوجي، بقدر ما تحتاج إلى أهل الاختصاص، في فتح نقاشات علمية -موضوعية- حول اللغة الأمازيغية في الجزائر، حتى لا يكون هناك إقصاء لأي مكون من مكونات هذه المجموعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، وحتى غير الناطقة بالأمازيغية، إن كانت الضرورة تستدعي ذلك (ولا اعتقد-شخصيا- أن يكون الحل قريباً ولا سحرياً لهذه المسألة ؟).

واستنادا إلى هذا، فإن تلك الأهمية التي أعطاها المبحوثين للجماعات اللغوية، تتفاوت نسبها، لا تعكس حقيقة وواقع تدريس الأمازيغية، بقدر ما تعكس -ربما- تصوراتهم ونظرتهم إلى تدريسها.

فبالنسبة للجماعة اللغوية للقبائل، فإن تدريسها يندرج ضمن المطالب الثقافية للمسألة الأمازيغية في هذه المنطقة، التي بلغت فيها التعبئة الجماهيرية قدراً كبيراً، بخلفيات وإيديولوجيات ومرجعيات تحركها النخبة المثقفة.

والجماعة اللغوية الأخرى، ليس بالضرورة أن تكون أهمية تدريس الأمازيغية نابعة من نفس منطلقات الجماعة اللغوية للقبائل، بل خصوصية وجغرافية كل جماعة لغوية، هي الدافع لذلك، كالتنظيم الاجتماعي(العزابة)، في بني مزاب أو العلاقات الاجتماعية بينهم، وبخاصة في ظل القبيلة أو العشيرة،

لأن المجتمع المزابي من خصوصياته، المذهب الإباضي، والنظام التربوي، ومؤشرات المؤسسات الدينية والمذهبية، نعتقد بأنها تسير في اتجاه التدريس والتعامل باللغة العربية أكثر من اللغة الأمازيغية، لارتباط اللغة بالجانب الديني والتربوي لديهم-وهو ربما ما يكون محير- في إقرارهم بأهمية تدريس الأمازيغية، والتي قد تكون نابعة من الذين لهم احتكاكات خارج المنطقة، لأسباب العمل أو الدراسة (لأن هناك رفض أو تحفظ على فتح المجال للغات الأخرى -بما فيها الأمازيغية- على حساب اللغة العربية لغة القرآن والقداسة، لغة التعليم القرآني، والتعليمي لديهم - أو يكون ذلك نابعاً من معطيات وإفرازات، تأخذ منحى صراعات، خاصة مع الجماعات اللغوية الأخرى (الغير ناطقة بالأمازيغية) والتي يبرز فيها المعطى اللغوي-الأمازيغية- كمعطى مميز لها.

أما بالنسبة للجماعة اللغوية للتوارق، فلديها أيضاً الرغبة في الحفاظ على هذه اللغة الأمازيغية، خاصة في ظل تقلص استعمال التارقية في المحيط الخارجي بسبب الهجرات، وتعلم الأبناء العربية لنيل العيش الكريم، من خلال الوظائف التي قد يحصلون عليها، وفي ظل تواجد التعامل بها في قطاعات ممارسة التوارق للحرف، أو الجوانب الاقتصادية والأدبية والثقافية الخاصة بهم، وعلى أساس ذلك، كانت هناك ميولات (توجهات) جديدة، نحو العودة إلى اللغة الأمازيغية، من خلال إدراك أهمية تواجدها وتدريسها في المدرسة.

بينما تقارب وجهات نظر المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية، نابع ربما من الظروف التي أحاطت بتعليم الأمازيغية- سابقاً-، والتي كانت بعيدة عن اللهجة المتداولة لديهم في كلماتها ومضامينها، وكذا أبجدية اللغة وطريقة كتابتها، كما تعكس بعض التوجهات للأفراد الذين لا يرون أهمية تذكر لهذه اللغة، في ظل تمركز الأمازيغية في جهة (شكل احتكار، أو قيادة لها)، دون اعتبارها كمسألة تخص جميع الجماعات اللغوية الأمازيغية، وهو ما ولد النفور -عن هذه المسألة في ظل احتكارها وتوجهاتها- التي تتنافى ربما مع المعطى لدى هذه الجماعة التي تعتبر الأمازيغية بأنها ليست حكرًا على أحد، ولا حكرًا على جهة دون أخرى، ولا تتماشى أيضاً مع التوجهات التي تحاول تهميش الآخر (الجماعات العربية)، التي تعتبرها جزءاً منسجم ومتكامل معها بفعل العوامل التاريخية.

كما أن هذه النظرة حول الأمازيغية، تعطي انطباع، بأن هناك تصدع (تفكك) لتلك الروابط الاجتماعية، المتاحة للجماعات اللغوية المختلفة، وهو ناجم عن تلك المحاولات والمسااعي المبذولة، قصد

محاولة التفرد بالمسألة الأمازيغية، أو لاجل زعامتها (سياسيا وثقافيا وتربويا)، والذي اعتقد بأنه ساهم أكثر في الرفض الاجتماعي لهذه اللغة، سواء من قبل الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، أو الجماعات الغير ناطقة بها ، وزاد أيضا من انحسارها وتقويضها أكثر ، كما اثر على حركيتها ومسارها نحو الافضل .

ولذلك نجد أن توافق هذه الجماعات (القبائل، التوارق، بني مزاب) لا يعني اتفاقها على مسألة تدريس الأمازيغية (لغة، ومعجماً، خطأً وأبجديةً...)، وإنما لكل جماعة منطلقاتها، في إعطاء الأهمية في تدريسها.

ونظراً لأن الأمازيغية تكتسي أهمية بدرجات متفاوتة لدى الجماعات اللغوية المختلفة، فإننا نجد أن هذا ينعكس على إن كان الآباء يسمحون لأبنائهم بدراسة الأمازيغية في المدارس، وبرغم تلك الأسباب - الموضوعية- التي قدمها المبحوثين حول تحفظهم على المسائل العلمية والتقنية لمسألة الأمازيغية (عدم احتكارها في جهة دون أخرى، عدم فرض خط ما لهذه اللغة، مراعاة أبجدية كتابتها، الألفاظ والكلمات الواردة فيها...)، وبخاصة لدى الجماعات اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق) إلا أنهم يسمحون بدراستها (من حيث المبدأ) في حال مراعاة خصوصيات جميع الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية وحتى المهتمين بالموضوع (أنظر الجدول رقم 29)، وهذا يُعبر عن رغبة المبحوثين في عودة أبنائهم إلى لغتهم وثقافتهم، بسبب هجران الكثير منهم لها، لأسباب متداخلة، كما أن هذه اللغة (الأمازيغية) هو جزء مهم ومكوّن أساسي للنسيج الاجتماعي الوطني العام، الذي يجب أن تولى له اهتمامات، بعيدا عن المزايدات السياسية والإيديولوجية التي ساهمت في تعطيل تطورها وتقدمها - وهذا بتصريح المبحوثين، فالبعد الأمازيغي للهوية الوطنية، واقع لا يمكن تجاهله، كما للبعد العربي وللبعد الإسلامي.

وهذه النظرة لتدريس الأمازيغية سوف تساهم بفعالية في شعور هذه المجموعات بالرضى والقبول النفسي للغته، وهو ما يربطهم بالهوية الواسعة للوطن أكثر، مما يؤثر إيجاباً على مساهماتهم في التنمية بصورة عامة.

جدول رقم (29): يوضح إن كان المبحوثين يسمحون لأبنائهم دراسة الأمازيغية في المدارس

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		السماح دراسة الأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
42 %	21	94 %	47	80 %	40	90 %	45	نعم
58 %	29	6 %	3	18 %	9	8 %	4	لا
/	/	/	/	2 %	1	2 %	1	بدون إجابة
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

جدول رقم (30) يبين المرحلة الدراسية المفضل تدريس للأمازيغية فيها للأبناء .

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		المرحلة التعليمية المفضلة للتدريس
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
47.61 %	10	91.48 %	43	66.66 %	28	57.44 %	27	الابتدائي
19.04 %	4	6.38 %	3	26.19 %	11	25.53 %	12	المتوسط
4.76 %	1	2.12 %	1	2.38 %	1	2.12 %	1	الثانوي
28.57 %	6	/	/	4.76 %	2	14.89 %	7	الجامعي
100 %	21 ¹	100 %	47*	100 %	42*	100 %	47*	المجموع

يتضح من الجدول أن:

ما نسبته 47.61% من المبحوثين، صرحوا بأن المرحلة المفضل تدريس الأبناء فيها الأمازيغية، هي المرحلة الابتدائية، وتليها المرحلة الجامعية بنسبة 28.57%، ثم المرحلة المتوسطة بـ 19.04%، والثانوي بنسبة 4.76%، وهذا لدى المجموعة اللغوية للشاوية.

وما نسبته 91.48% من المبحوثين لدى المجموعة اللغوية للقبائل، صرحوا بأن المرحلة المناسبة (المفضلة)، لتدريسها هي المرحلة الابتدائية، وتتقارب النسبة عند كل من المرحلة المتوسطة والثانوية بنسبة 6.38% و 2.12% على التوالي.

¹ - تشمل الذين أجابوا ب نعم فقط، وهذا بسبب نقص العينة.

وما نسبته 66.66% من المبحوثين لدى بني مزاب، يفضلون مرحلة الابتدائي لتدريس أبنائهم الأمازيغية، تليها نسبة 26.19% يفضلون تدريسها في المرحلة الابتدائية، ونسبة 4.76% و 2.38% على التوالي للمرحلة الجامعية والثانوية.

وما نسبته 57.44% من المبحوثين لدى التوارق، يفضلون تدريس أبنائهم الأمازيغية، في المرحلة الابتدائية، وما نسبته 25.35% في مرحلة المتوسط، ثم ما نسبته 14.89% في مرحلة الجامعة وما نسبته 2.12% في المرحلة الثانوية.

من خلال الجدول يتبين أن توجه المبحوثين لدى الجماعات اللغوية، هو تفضيل دراسة الأمازيغية في المرحلة الأولى من المراحل التعليمية في المدرسة، وهي المرحلة الابتدائية، وتزداد هذه النسبة أكثر عند القبائل وبني مزاب، بينما تقل عند الشاوية والتوارق، وتتباين المرحلة الأخرى التي يفضل المبحوثين تدريس الأمازيغية فيها، بين هذه الجماعات، فالشاوية يتجهون نحو المرحلة الجامعية في تدريسها، وبني مزاب والتوارق في مرحلة المتوسط، بينما عند القبائل النسبة منخفضة جدا.

ولعل اختيار هذه الجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب، القبائل التوارق)، المرحلة الابتدائية كمرحلة أولى لتعليم الأمازيغية، نابع من حساسية هذه المرحلة التعليمية، التي يدخل التلاميذ فيها لأول مرة للمدرسة، وهو ما يفترض أن يحمل انطباع جديد حول هذه المنظومة، وبما أن الطفل في المرحلة قبل المدرسة، قد تعلم اللغة أو لغات، حسب توجيهات العائلة، فإن الطفل سوف يدخل فضاء لغوي قد يكون جديدا بالنسبة إليه، وقد يكون حاملا لنفس اللغة التي تعلمها قبل المدرسة، فالجماعات اللغوية التي كانت اختياراتها السابقة للغة الأبناء قبل المدرسة، هي الأمازيغية وبخاصة عند (القبائل وبني مزاب والتوارق)، كان اختيارهم للمرحلة الابتدائية، حتى تكون هناك إستمرارية وتواصل، بين لغة البيت ولغة المدرسة، وهنا الطفل لا يلاقي صعوبة، في التعامل مع هذه اللغة، بما يساعده أكثر على التحكم فيها، وممارستها مع أقرانه، برغم تواجد العربية أيضا داخل المدرسة، ولكن هذا يفرض عليه تعلم أيضا اللغة الثانية، التي سوف تؤثر على تفكيره، وهي الأكثر تداولاً خلال المراحل التعليمية المختلفة وهذا ما يفسر -في غالب الأحيان- تخلي التلاميذ عن اللغة الأولى (الأم)، التي تعلمها في البيت، لصالح لغة المدرسة، ويصبح نافراً من هذه اللغة، التي أصبحت بالنسبة إليه من الماضي، ولذلك نجد توجه هذه الجماعات، نحو تمهيد الطريق للإستمرارية في تعلم اللغة، من خلال اختيار المرحلة الابتدائية كمرحلة مفضلة ومناسبة لتدريس

الأمازيغية فيها للأبناء، وتمرکز النسبة الأكبر للقبائل، يعكس تداول الأمازيغية ليس كلغة فقط، ولكن كفضاء مطلبی تاریخی، ضمن حركة الاعتراف بها كجزء من الهوية المميزة لديه.

بينما عند الجماعات التي كانت لغتها المختارة (الممارسة) للأبناء قبل المدرسة، هي العربية، وبخاصة لدى الشاوية، فإن ذلك يفسر على أساس رغبة الآباء في تعلّم أبنائهم اللغة الثانية لهم (الأمازيغية)، وتتيح لهم فرصة العودة إلى هذه اللغة من بوابة المدرسة، لأن العربية التي تعلمها قبل المدرسة سوف تحقق لهم الاستمرارية، والتواصل بصورة طبيعية مع الزملاء ومع المعلمين داخل هذه المدرسة.

كما نشير في هذا السياق بروز -المرحلة الجامعية- كمرحلة مفضلة لهذه الجماعة (الشاوية)، بعد المرحلة الابتدائية، وبدرجة أقل عند التوارق، وهو ما يعكس أن هذه المرحلة قد أصبح الأبناء واعين أكثر بأهمية الممارسات اللغوية، وتعتبر الجامعة المرحلة التي ينضج فيها الأبناء، وتكون المسؤولية في توجّهاتهم اللغوية، بعيداً عن ضغوط الأسرة.

وعلى العموم، فإن المبحوثين لدى الجماعات اللغوية المختلفة، لديهم نفس النظرة إزاء المرحلة الأفضل (الأنسب)، لتعلّم أبنائهم اللغة الأمازيغية، ولكل مبرراته ومواقفه، في هذا الاختيار، سواء لاعتبارات تربوية أو ثقافية أو هوياتية أو اقتصادية...

جدول رقم (31) : يوضح الحروف المفضل تدريس الأمازيغية بها حسب رأي أفراد العينة.

الحروف المفضلة	الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
التيفناغ	44	22	78 %	39	52 %	26	90 %	45
العربية	30 %	15	6 %	3	34 %	17	6 %	3
اللاتينية	/	/	16 %	8	8 %	4	/	/
بدون إجابة	26 %	13	/	/	6 %	3	4 %	2
المجموع	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50

يتبين من الجدول أعلاه ما يلي:

عند الشاوية، نجد أن ما نسبته 44% يفضلون تدريس اللغة الأمازيغية بحروف "التيفناغ" مقارنة بـ 30% الذين يفضلون كتابتها وتدريسها بالحروف العربية، بينما امتنع 26% من المبحوثين بالإدلاء برأيهم.

عند القبائل نجد ما نسبته 78% يفضلون كتابة الأمازيغية وتدريسها بـ "التيفناغ"، مقارنة بـ 16% يفضلون كتابتها باللاتينية، و 6% بالعربية.

عند بني مزاب، نجد ما نسبته 52% يفضلون كتابة الأمازيغية بالتيفناغ، مقارنة بـ 34% منهم يفضلون كتابتها وتدريسها بالحروف العربية، بينما النسبة 8% و 6% موزعة بين المفضلين للحروف اللاتينية، والممتنعين عن الإدلاء بذلك، على التوالي.

عند التوارق، نجد ما نسبته 90% يفضلون كتابة الأمازيغية وتدريسها بالتيفناغ، مقارنة بـ 6% يفضلون العربية، و 4% منهم امتنعوا عن الإدلاء بذلك.

نستنتج من خلال هذه القراءة الإحصائية للجدول، أن هناك توافق لدى الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) على اختيار وتفضيل التيفناغ في كتابة وتدريس الأمازيغية بها، وتكون النسبة أكثر حدة عند التوارق، وبدرجة أقل عند القبائل.

كما نلاحظ أن هناك توجه آخر للمبوضين في تفضيل الحرف العربي في كتابة وتدريس الأمازيغية، لدى كل من الشاوية وبنى مزاب، وبدرجة منخفضة عند التوارق والقبائل، مع بروز الحرف اللاتيني عند القبائل.

فهناك تقاطعات في الإجماع حول حرف التيفناغ، وهناك تباين حول الحروف الأخرى (عربية أو لاتينية)، مع أفضلية للحرف العربي على اللاتيني.

قبل تحليلي لهذه التوجهات، أشير إلى خوض معركة الحرف أو الأبجدية التي تكتب بها الأمازيغية، في ظل غياب -أو ندرة الأبحاث العلمية الحقيقية حول الأمازيغية، وخضوعها -في أغلب الحالات- لتجاذبات تاريخية (فترة الاستعمار خاصة)، قاعدتها الاعتبارات الإيديولوجية والسياسية، سوف يكون أمراً صعباً للغاية، الحسم في إيجاد مخرج يرضي ويقنع الجميع، كما أن محاربة -توحيد- الأمازيغية كلغة معيارية (كاللغة العربية أو الفرنسية،...)، وإعطائها طابعاً قداسياً (كحل سحري) سيجعل الأمر أكثر تعقيداً، لأنه سوف يعيد إنتاج خطابات سابقة، كانت محل انتقاد (القومية العربية)، وذلك بتغيب العقل العلمي البعيد عن التجليات الإيديولوجية الضامرة لديهم.

ولذلك فإن هذه الآراء والتوجهات للمبوضين في اختياراتهم تبقى حرة، ولكن أيضاً تحكمها مواقف وممارسات سابقة، لدى النخب باختلاف جغرافيتها، وباختلاف جماعتها وأيديولوجيتها (عربية- أمازيغية- أجنبية)، وذلك بطريقة واعية أو غير واعية، كما أن التأثيرات السوسيو-تاريخية، لهذه المجتمعات تنعكس بطريقة ما على تلك الخيارات والتوجهات في انتقاء الحرف والأبجدية واللغة المناسبة للأمازيغية، ولعل توافق (إجماع نسبي) هذه الجماعات على خط التيفناغ، يرتبط بظهور الكتابة لهذه اللغة بهذا الحرف، المنبثق من الخط الليبي يسمى -تيفناغ التوارق-^{*} الذي ظل محفوظاً في المناطق الصحراوية، وهذا ما يفسر تبني التوارق لهذا الخط بنسبة مرتفعة جداً، وهذا الخط "التيفناغ" يعتبر من الشواهد المادية على تميز الأمازيغ، حتى قبل الفترة الإسلامية، باعتباره من أقدم الأبجديات في تاريخ الإنسانية، وهو ما أصبح مركز إشعاع ثقافي ونقطة تميز لهذه الثقافة الأمازيغية.

^{*} - يمكن الرجوع إلى كتاب، العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصول والهوية.

وبالنظر إلى عراقة وأصالة هذا الحرف "التيفناغ" وانتمائه إلى الثقافة الأمازيغية، فقد حصل على ذلك التوافق لدى هذه الجماعات اللغوية، كنقطة التقاء (مشتركة)، في التمهيد لكتابة اللغة الأمازيغية به، حتى وأن ظهرت هذه العلامة أكثر عند التوارق (لارتباط هذا الحرف بالمنطقة التي يقطنون بها).

ولكن هناك توجهات أخرى من قبل المبحوثين، تحتكم إلى اختيار الحروف العربية لكتابة الأمازيغية، وبخاصة عند الشاوية وبنو مزاب، وهذا يعكس تشجيع هذه الجماعات للثقافة العربية الإسلامية، عبر التاريخ، وتعلقهم أكثر بلغة القرآن، فهو جانب يسهل التعامل مع هذه اللغة بوجود الحروف العربية فيها، إضافة إلى احتواء اللغة الأمازيغية على العديد من الكلمات العربية، الممتزجة بفعل التفاعل والاحتكاك، وعدم خلو العربية الحالية أيضاً من الكلمات باللغة الأمازيغية.

وهناك توجه آخر، الذي ينادي بكتابة الأمازيغية بالأبجدية اللاتينية، وبخاصة عند القبائل، حيث انتشرها لدى هذه المجموعة، خاصة في خضم بعض الكتابات (أو المحاولات) لكتابة هذه اللغة بالحروف اللاتينية، فهناك «ترسيخ مبدأ كتابة القبائلية بالحروف اللاتينية، هذا ما نتج عنه إنتاج كبير، في إصدار نصوص تقليدية ومؤلفات جديدة، منذ السبعينات بهذا الخط»^{*}، أي أنه برغم الخيارات للخط "تيفناغ" من قبل توجهات الجماعات اللغوية، فهناك ممارسات على المستوى النخبوي والواقعي تعكس خيارات أخرى، تتماشى مع تطلعات هذه النخب في ترسيم الخط أو الحرف للغة الأمازيغية.

وأشير إلى نقطة في غاية الأهمية، والتي تعطي انطباعات مغلوبة للرأي العام، عبر الكتابات أو وسائل الإعلام، أو الفن... إلخ، وهي تسويق -غير منطقي وغير حقيقي- في اعتبار أن الأمازيغية هي القبائلية، أي اختزال الأمازيغية في صورة أو نموذج القبائلية، وفي الحقيقة أن الأمازيغية في الجزائر، هي أعمق وأوسع من أن تختزل في منطقة معينة أو جهة محددة، مهما كانت المبررات والدوافع، فالأمازيغية تشمل التركيبة الكلية وجميع المناطق الجغرافية التي تتواجد فيها هذه الجماعات (شاوية، بنو مزاب، توارق، قبائل، شنوية، زناتية...) فهي عامل يجمع كل هذه المكونات -إذا اعتبرنا معيار اللغة أو اللهجة هو المميز لهم- لأن تاريخيا، فإن سكان (شمال إفريقيا كلهم أمازيغ)، ولذلك فالترجيح والتسويق لهذا الاتجاه -سواءً أكان (عن قصد- أو عن غير قصد)، أو (عن وعي أو غير وعي)، فهو لا يعكس حقيقة وتاريخ الأمازيغ، والأمازيغية أعمق وأكبر من أن تختزل في جماعة أو رقعة أو طبقة أو فئة... إلخ.

* - أنظر كتاب/ الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، لسالم شاكرو.

لتنقى في النهاية مسألة اختيار اللغة الأمازيغية في -شفها الكتابي- مطروحة أكثر، وأعتقد بأن لها التأثير الكبير على المواقف المختلفة للبناء المجتمعي، وما يترتب عن ذلك من مواقف سياسية، تتماشى مع رسم سياسة وتخطيط لغوي، يؤرخ من جديد لهذه اللغة ، وبخاصة في ظل تفتح القرار السياسي على المسألة الأمازيغية بصورة عامة، وعلى اللغة الأمازيغية بصورة خاصة.

جدول رقم (32): يبين العلاقة بين اللغة المفضلة في الكتابة للمبحوثين والحروف المفضلة كتابة الأمازيغية بها .

التوارق								بني مزاب								القبائل								الشاوية								الحرف المفضل لكتابة الأمازيغية
المجموع		أجنبية		عربية		تفيناغ		المجموع		أجنبية		عربية		تفيناغ		المجموع		أجنبية		عربية		تفيناغ										
ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%									
ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%	ت	ن%									
100	29	/	/	10.3	3	89.7	26	100	40	7.50	3	35	14	57.5	23	100	16	6.3	1	18,8	3	75	12	100	36	/	/	41.7	15	58,3	21	عربية
100	15	/	/	/	/	100	15	100	3	33.33	1	33.33	1	33.33	1	100	8	/	/	/	/	100	8	100	1	/	/	/	/	100	1	أمازيغية
	4	/	/	/	/	100	4	100	4	/	/	50	2	50	2	100	26	26.9	7	/	/	73.1	19	/	/	/	/	/	/	/	/	فرنسية
100	*48	/	/	6.25	3	93.75	45	100	*47	8.51	4	36.17	17	55.31	26	100	50	16	8	6	3	78	39	100	*37	/	/	40.5	15	59.5	22	المجموع

* - تشمل الذين أجابوا عن لغة الكتابة.

يتبين لنا من خلال الجدول:

أن ما نسبته 58.3% من المبحوثين لدى الجماعات اللغوية للشاوية، والذين لغة كتابتهم هي العربية، يفضلون كتابة اللغة الأمازيغية بحرف التيفناغ، في مقابل 41.7% من الذين كتابتهم المفضلة (العربية) يفضلون كتابة الأمازيغية بحروف عربية، بينما الذين يفضلون الكتابة بالأمازيغية يفضلون حروف التيفناغ لكتابة الأمازيغية (100%).

وأن ما نسبته 75% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للقبائل، والذين يفضلون كتابتهم بالعربية، يفضلون كتابة اللغة الأمازيغية بحروف التيفناغ، في مقابل 18.8% يفضلونها (الأمازيغية) بحروف عربية، بينما نجد ما نسبته 73.1% من الذين يفضلون كتابتهم باللغة الفرنسية، يفضلون كتابة اللغة الأمازيغية بحروف التيفناغ، في مقابل 26.9% يفضلون كتابتها باللغة الأجنبية، كما نجد كل الذين يفضلون كتابتهم باللغة الأمازيغية، يفضلون كتابة الأمازيغية بحروف التيفناغ بنسبة 100%.

وأن ما نسبته 57.5% من أفراد العينة للجماعة اللغوية لبني مزاب، الذين يفضلون الكتابة باللغة العربية، يفضلون كتابة اللغة الأمازيغية بحروف التيفناغ، في مقابل 35% يفضلون كتابتها بالعربية، و 7.5% بالأجنبية، ونجد ما نسبته 50% من الذين يفضلون الكتابة باللغة الفرنسية، يفضلون كتابة حروف اللغة الأمازيغية بحروف التيفناغ والحروف العربية بنسبة 50% لكل منهما، بينما الذين لغة كتابتهم هي الأمازيغية، فإنهم يفضلون كتابة اللغة الأمازيغية بجميع الحروف (التيفناغ، العربية، الأجنبية)، بالتساوي ونسبة 33.33% لكل منهما.

وأن ما نسبته 89.7% من أفراد العينة للجماعة اللغوية للتوارق، والذين يفضلون في كتابتهم اللغة العربية، يفضلون كتابة الأمازيغية بحروف التيفناغ، في مقابل 10.3% منهم يفضلون كتابتها بالعربية، بينما نجد الذين يفضلون كتابتهم باللغة الفرنسية أو اللغة الأمازيغية، يفضلون كتابة حروف الأمازيغية بالتيفناغ بنسبة 100%.

نستنتج من خلال هذه المعطيات، ولدى كل الجماعات اللغوية المختلفة أن هناك توجه عام للمبحوثين، نحو كتابة اللغة الأمازيغية بالحرف الذي يعتقد أنه خاص بها، وهو التيفناغ، سواءً تعلق الأمر بالذين يفضلون الكتابة بالعربية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الأمازيغية، مع وجود حالة تفضيل

كتابة اللغة الأمازيغية بالحروف جميعاً لدى الجماعة اللغوية للتوارق، والتي كانت الكتابة لديها هي الأمازيغية.

وتبرز أيضاً عند الذين يكتبون باللغة العربية، تفضيل كتابة اللغة الأمازيغية بالحرف العربي (ثانياً بعد خط التيفناغ)، ولدى جميع الجماعات اللغوية أيضاً، كما تظهر لدى الجماعة اللغوية للقبائل، والتي تفضل في كتابتها اللغة الفرنسية، تفضيل كتابة اللغة الأمازيغية باللغة الأجنبية (ثانياً بعد خط التيفناغ).

فهناك أفضلية واضحة، لدى هذه الجماعات اللغوية المختلفة، بتقديم خط التيفناغ كخيار موحد لكتابة اللغة الأمازيغية، لارتباطه بهذه اللغة منذ التاريخ، وهو ما يؤكد توحيد الآراء نحو هذا الخط، لتكون اللغة الأمازيغية بعيدة عن المزايدات السياسية والإيديولوجية التي يحتمي وراءها العديد من الأفراد، لجعل الأمازيغية واجهة لتحقيق مكاسب ومصالح ضيقة، إلا أنه برغم هذا الإجماع لدى المبحوثين، إلا أنه لا بد من فتح المجال للغويين والباحثين المختصين، للنظر في مدى قدرة وإمكانية تجسيد هذا الخط (البنية الداخلية لهذه اللغة)، في بناء هذا الخط الذي يعكس الثقافة الأمازيغية بشكل عام، بصرف النظر عن الجماعة اللغوية-جغرافياً، وبصرف النظر عن ميولات الكتابة لديهم بلغات مختلفة، فإن التيفناغ هو المفضل لديهم، فهذا لاشك أنه أيضاً يعكس «الانتماء التاريخي للغة الأمازيغية إلى عالم الكتابة، كما يبرز تميزها بالنسبة للثقافات الأخرى المحيطة بها، لأن هذا الخط خاص بالأمازيغ وحدهم»^{*}.

ولعل توجهات المبحوثين أيضاً، ليس محل توافق، في تبني الخط المناسب للغة الأمازيغية، كخيار بديل (ثاني) لخط التيفناغ، إذ تظهر اختلافات لدى هذه الجماعات، مرتبطة باللغة المفضلة في كتاباتهم، إذ كلما كانت اللغة التي يكتب (أو يفضل) بها المبحوثين هي العربية، كلما برزت الحروف العربية كخيار بديل (ثاني) لكتابة اللغة الأمازيغية، وكلما كانت اللغة المفضلة للمبحوثين هي اللغة الأمازيغية (وإن كانت أعدادهم ضئيلة)، كلما كان خيارهم لكتابة الأمازيغية بحروف التيفناغ (الحرف الأصلي لها)، مع تساوي ذلك مع كل من الحروف العربية والحروف الأجنبية للجماعة اللغوية للتوارق، وكلما كانت اللغة المفضلة في الكتابة للمبحوثين بالفرنسية، كلما كان خيارهم لكتابة الأمازيغية بالحرف الأجنبي، وهذا للجماعة اللغوية للقبائل، مع تفضيل الجماعة اللغوية لبني مزاب الحرف العربي.

^{*} - أنظر، سالم شاكر، مرجع سابق، ص 88.

فهناك ارتباط -شبه مطلق- بين اللغة الكتابية للمبوحثين والحرف المفضل لكتابة اللغة الأمازيغية (لغة هذه الجماعات)، ويبقى الخط الأفضل والأوفر حظاً، لجميع أفراد العينة، لدى الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) هو "التيفناغ".

2. فضاءات (مجالات) الممارسة اللغوية:

إذ نحاول إبراز مواقف المبوحثين المختلفة عن المجالات الكبرى، والتي لها تأثير على الممارسة اللغوية المجتمعية، إذ ترتبط اللغة بمجالات كثيرة و بمدى قدرة هذه المجالات على إعطاء الفرصة للغة، لكي تحظى بالانتشار والتوسع، قيمة هذه اللغة داخل هذه المجالات الحيوية، وهي تعكس المجال الأكثر ملائمة للغة دون أخرى، وهذا وفقاً للتصورات التي يحملها الأفراد (المبوحثين) عن ذلك، ويكون هذا من خلال التطرق إلى آراء المبوحثين حول: (مجال العلم والتعلم، المجال الاقتصادي، المجال السياسي، المجال الديني).

جدول رقم (33) : يوضح رأي المبوحثين للغة المناسبة لمجال العلم والتعليم.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المناسبة لمجال العلم والتعلم
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
78 %	39	62 %	31	34 %	17	72 %	36	العربية
8 %	4	4 %	2	12 %	6	/	/	الأمازيغية
14 %	7	34 %	17	54 %	27	28 %	14	الأجنبية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يبين الجدول أن:

ما نسبته 72% من أفراد العينة، يقرون بأن اللغة العربية هي اللغة الأنسب للعلم والتعلم، مقارنة بـ 28% لصالح اللغة الأجنبية وهذا للجماعة اللغوية الشاوية.

و ما نسبته 54% من أفراد العينة، يقرون بأن اللغة الأجنبية (الفرنسية)، هي اللغة الأنسب للعلم والتعلم، مقارنة بـ 34% للغة العربية و 12% للغة الأمازيغية، وهذا للجماعة اللغوية للقبائل.

ما نسبته 62% من أفراد العينة، يقرون بأن اللغة الأنسب للعلم والتعلم هي العربية، مقارنة بـ 34% للغة الأجنبية و 4% للغة الأمازيغية، وهذا للجماعة اللغوية لبني مزاب.

ما نسبته 78% من المبحوثين، يرون بأن اللغة الأنسب للعلم والتعلم، هي اللغة العربية، مقارنة بـ 14% للغة الأجنبية و 8% للغة الأمازيغية، وهذا للجماعة اللغوية للتوارق.

ما يمكن استنتاجه، من خلال هذه الأرقام، أن هناك توافق في الآراء للمبحوثين، لدى الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، بني مزاب، التوارق)، في اعتبار اللغة العربية اللغة الأنسب والأصح للعلم والتعلم، ثم تليها اللغة الأجنبية، على عكس الجماعة اللغوية للقبائل التي تعتبر بأن اللغة الأجنبية (أفضلية للفرنسية على الانجليزية)، بأنها اللغة الأنسب لمجال العلم والتعلم، ثم العربية (ثانياً).

كما نلاحظ أيضاً أن هناك تراجع ظهور للغة الأمازيغية عند الجماعات اللغوية المختلفة، في استعمالها لهذا المجال (العلم)، مع انعدامها لدى الجماعة اللغوية للشاوية.

لاشك أن للغة دور المجال العلمي والتعليمي، فهي التي بواسطتها تنتج المعرفة، وعن طريقها يفكر الإنسان، فهي السبيل إلى التطور المعرفي والعلمي، فالإنسان الذي يمتلك اللغة يمتلك السيطرة على المجالات الثقافية والعلمية، وذلك لأن اللغة ستسافر مع تلك الانتاجات العلمية في المجالات المختلفة، اقتصادية أو تكنولوجية، فهي ترتبط بكل شيء له علاقة بالعلم، فارتباط اللغة بالعلوم تمكنها من مجالات أوسع بكثرة في التعريف بها، والنشر لها، فهي أصوات يعبر بها الناس عن حاجاتهم، وتعبير عن تفكير الأسرار وفي نشر ثقافتهم، وحضارتهم.

ولعل اللغة العربية لعبت دوراً مهماً في نشر وتوصيل المعرفة، فهي مصدر للمعرفة، فقد ساهمت في ظهور العلم، وساهمت في ترجمة النصوص العلمية إليها من مختلف اللغات... الخ، ولذلك تربعت على مكانة هامة لدى الجماعات اللغوية، باعتبارها اللغة العلمية والتعليمية بالنسبة لهم، فلها دور كبير في نشر العلم والمعرفة والتقنية، فهي لغة المستقبل والعكس أيضاً....، فهو اعتراف صريح وحقيقي بأهمية هذه اللغة (العربية) بأن تكون لغة العلم والتعلم لديهم، كما لا يمكن تجاهل دور اللغات الأجنبية في نشر العلم والمعرفة وفي تطورها عبر الزمن، كما أن لهذه اللغات إسهام في هذا المجال فاق التوقعات، وخاصة في الجانب العلمي والتكنولوجي الإتصالي التي برزت هذه اللغات

أكثر وخاصة اللغة الانجليزية التي أصبحت رائدة في جل القطاعات ومنشره عبر كامل المعمورة، فتطوير العلم بهذه اللغة (الانجليزية)، ساهم في انتشارها والاقبال عليها وتعلمها لدى الفئات الاجتماعية المختلفة، ولذلك نجد -اعتراف- أيضا لدى المبحوثين بفعالية هذه اللغة ودورها فالإسهام العلمي والتكنولوجي...، ويظهر دور هذه اللغات الأجنبية أكثر لدى الجماعة اللغوية للقبائل، وبدرجة أقل للجماعات اللغوية الأخرى.

إلا أن اللغة الأمازيغية، لدى الجماعات اللغوية المختلفة برأيهم لا تزال بعيدة عن مواكبة العلم والمعرفة، فهي لم ترقى إلى لغة يمكن الاعتماد عليها في مجال العلم والمعرفة، خاصة وأنها لا تزال (لغة الاستعمالات اليومية في مجالات محدودة).

فاللغة مهما كانت فضعفها يرجع بالضرورة لضعف التيارات المختلفة لهذه اللغة وإلى ضعف النخبة السياسية والعلمية، والثقافية لها، مما يسمح المجال للغات الأخرى إلى البروز والاستيلاء على المجال العلمي وغيره، فغياب المشروع الثقافي والحضاري في مستوى هذه اللغات والمجتمعات سيفقدوها مكانتها ودورها وقيمتها، فاللغة العربية هي خيار أول ضمن التراتبية-العلمية-للغة ثم اللغة الأجنبية والأمازيغية كخيار منخفض جدا.

ولا ضامن، لبقاء لغة ما، في اعتلاء المكانة في هذا المجال العلمي، والمجالات الأخرى، فكل شئ يبقى مفتوح ، لتغير ادوار اللغات في هذه المنظومة الكونية، لبقى أهل اللغة هم من يرفعوها، أو هم من يضعفوها.

جدول رقم (34) : يوضح رأي المبحوثين للغة المناسبة في مجال الإقتصاد.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	مجال الإقتصاد
54 %	27	44 %	22	16 %	8	50 %	25	العربية
2 %	1	6 %	3	10 %	5	2 %	1	الأمازيغية
44 %	22	50 %	25	74 %	37	48 %	24	الأجنبية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أن :

ما نسبته 50% و 48% (كنسبتين متقاربتين) من أفراد العينة لدى الجماعات اللغوية الشاوية يرون بأن اللغة العربية واللغة الأجنبية، هما اللغتان المناسبتان للمجال الاقتصادي، وما نسبته 2% للغة الأمازيغية.

وما نسبته 74% من المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، يرون بأن اللغة الأجنبية هي اللغة المناسبة للمجال الاقتصادي مقارنة بـ 16% و 10% للغة العربية والأمازيغية على التوالي.

و ما نسبته 50% و 44% (نسبة متقاربة) من أفراد العينة للجماعة اللغوية لبني مزاب، يرون بأن اللغتين الأجنبية والعربية، هي الأكثر مناسبة للمجال الاقتصادي، وما نسبته 6% للغة الأمازيغية.

وما نسبته 54% من المبحوثين للجماعة اللغوية للتوارق، يرون بأن اللغة العربية هي اللغة الأنسب للمجال الاقتصادي ، مقارنة بـ 44% للغة الأجنبية و 2% للغة الأمازيغية.

يتبين لنا من خلال هذه النتائج في الجدول، أن الاتجاه العام للمبحوثين عند الجماعة اللغوية لكل من (الشاوية، بني مزاب والتوارق) هو اعتبار اللغتين معا (العربية والأجنبية) كلغتين مناسبتين للمجال الاقتصادي، مع تفوق للغة العربية عند التوارق على اللغة الأجنبية، وأن الجماعة اللغوية

للقبائل أكثر اعتبارا اللغة الأجنبية كلغة مناسبة لهذا المجال (الاقتصادي) وانخفاض معتبر للغة العربية والأمازيغية.

إن التفوق الاقتصادي لأي دولة في العالم، سيرافقه تفوق لغوي، لأن العلاقة وطيدة بين الجانب الاقتصادي والممارسات اللغوية، فالتعامل مع هذه القوى الاقتصادية يفرض عليك اللغة التي سوف تتعامل معه بها، وتساعد القوة الاقتصادية على القوة اللغوية، نفوذاً وممارسةً.

وبما أن القوة الاقتصادية، هي للدول الأجنبية بصورة خاصة، وهي تمتلك لغات خاصة بها (الانجليزية، الفرنسية، الصينية....)، ولذلك كانت توجهات المبحوثين نحو اختيار اللغة الأجنبية ، ولكن بروز اللغة العربية إلى جانبها يفسر على رغبة المبحوثين على أن تحظى هذه اللغة بالمكانة اللائقة إلى عالم الاقتصاد، وبخاصة في ظل انفتاح السوق، لتصبح فضاء لغوي تتنافس فيه لغات العالم، والعربية جزء من هذا الفضاء العالمي.

فالنشاط الاقتصادي صورة معبرة عن الحلول التي تعتمدها الممارسة الاجتماعية لانتشار اللغة في أوضاع التعدد اللغوي المختلفة، ولعل الصورة التي خلفها المستعمر تدل على رغبة المستعمر في أن تبقى هذه الدول تابعة لغويا لها، وهو ما يجعل اقتصادها تابعا لها، فهي تسعى دائما إلى توطين لغتها (الأجنبية) ، لتعود بالربح المادي وتحقيق مكاسب تتجاوز الجانب الاقتصادي إلى الجانب الثقافي والسياسي، لتبقى الممارسات اللغوية كانعكاس لمجمل الممارسات الاقتصادية المختلفة، لأن القوة الاقتصادية تساهم في القوة اللغوية، وتصبح تلك اللغة مفروضة على الدول الضعيفة اقتصاديا.

كما أن التوازنات الاقتصادية هي توازنات لغوية أيضا، وهذا ما يطمع إليه (أفراد العينة) عندما اختاروا اللغة العربية كقوة اقتصادية قادمة، لأنها تملك المقومات البشرية والثقافية لذلك.

وتبقى اللغة الأمازيغية برأي المبحوثين لجميع الجماعات اللغوية، بعيدة عن تحقيق الممارسات في الحقل الاقتصادي بسبب المنافسة اللغوية العالمية.

لتبقى اللغة العربية الى جانب اللغة الأجنبية الأكثر قدرة على توظيفها وممارستها في المجال الاقتصادي وكخيار مناسب لذلك

جدول رقم (35) : يوضح رأي المبحوثين للغة المناسبة للمجال السياسي

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	مجال السياسة
68 %	34	72 %	36	22 %	11	64 %	32	العربية
4 %	2	6 %	3	20 %	10	10 %	5	الأمازيغية
28 %	14	22 %	11	58 %	29	26 %	13	الأجنبية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح من الجدول:

أن ما نسبته 64% من المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية، يرون بأن اللغة العربية، هي اللغة الأنسب للمجال السياسي، مقارنة بـ 26% يرون بأن اللغة الفرنسية، هي اللغة الأنسب لهذا المجال، بينما 10% منهم يرون بأن الأمازيغية هي الأنسب لذلك.

ونجد ما نسبته 58% لدى الجماعة اللغوية للقبائل، يرون بأن اللغة الأجنبية هي اللغة المناسبة للمجال السياسي، مقارنة بـ 22% و 20% يرون بأن اللغة العربية والأمازيغية هي الأنسب لذلك.

وما نسبته 72% من المبحوثين يرون بأن اللغة العربية هي المناسبة للمجال السياسي، مقارنة بـ 22% للغة الأجنبية، و 6% للغة الأمازيغية وهذا للجماعة اللغوية لبني مزاب.

وما نسبته 68% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للتوارق، يرون بأن اللغة العربية هي اللغة المناسبة للمجال السياسي، مقارنة بـ 28% للغة الأجنبية و 4% للغة الأمازيغية.

نستنتج من هذه القراءة الإحصائية للجدول أن هناك توافق لدى الجماعات اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق) ، على مناسبة اللغة العربية للممارسة في المجال السياسي، ثم تأتي اللغة الفرنسية ثانيا في مناسبتها لهذا المجال، بينما تقل حظوظ الأمازيغية لديهم في ذلك.

بينما تختلف الجماعة اللغوية للقبائل عن ذلك، إذ تعتبر أن اللغة الأجنبية (الفرنسية) هي اللغة الأنسب للممارسة السياسية، لتتقارب بعدها كل من اللغة العربية والأمازيغية، كلغة ثانية في الممارسة السياسية.

إن الممارسة السياسية، هي سلوك سياسي يشمل الأحزاب السياسية بصورة خاصة، وغالبا ما تكون الخطابات السياسية تعبر عن سلوكيات المنتمين إليها، وتعبر عن التوجهات والأيديولوجيات التي يحملها هؤلاء الأفراد، بما فيها المجالات الثقافية، ورؤية كل تيار سياسي في طريقة التعبير عن مواقفه إزاء ذلك، ومن بينها اللغة، والنخبة السياسية الجزائرية في عمومها منقسمة في نظرتها للمسألة الثقافية في الجزائر، وفي نظرتها للغة الأمازيغية كجزء منها، وغالبا ما يطغى على هذه الموافقات بين مؤيد ومعارض ومتحفظ، وبين من هو مسير للخطاب السياسي -الرسمي- ومنه متحفظ على ذلك، حتى الأحزاب السياسية التقليدية في بعض المناطق*، لم تحتوى المسألة سياسيا برغم احتواء هذين الحزبين الوعاء الاجتماعي للمنطقة**، وفي مقابل ذلك، عززه عن اكتساب قاعدة شعبية له في باقي المناطق بما فيها الناطقة بالأمازيغية.

كما أن خطابات هذه الأحزاب سواء مع الجمهور، أو مع وسائل الإعلام، تكون في الغالب باللغة الفرنسية للبعض، وللـبعض الآخر باللغة العربية، وهو ما يعكس التناقضات بين المطالب الثقافية-اللغوية خاصة، والممارسة اللغوية، وربما هذا يعكس توجهات المبحوثين نحو تفضيل اللغة الفرنسية للحقل السياسي من الجماعة اللغوية للقبائل، وتفضيل اللغة العربية للحقل السياسي من الجماعات اللغوية الأخرى (الشاوية، بني مزاب، التوارق)، كما أن بروز اللغة الفرنسية لدى هذه المجموعات يعكس رغبة هؤلاء في أن الممارسة بصورة عامة، لها علاقة بالانفتاح على العالم، ولذلك بالاستعمالات اللغوية تدخل ضمن استراتيجية هذه الأحزاب في ممارساتهم السياسية على الملاحظة لإبعاد اللغة الأمازيغية، عن الحقل (المجال) السياسي للمبحوثين لدى كل الجماعات اللغوية، وهذا ربما ما يفسر عجز الممارسة اللغوية بالأمازيغية عن تحقيق التواصل والتفاعل مع كل الفئات الاجتماعية في المجتمع الجزائري، وخاصة أن الأحزاب لها بعد وطني وليس جهوي.

* - كجبهة القوى الاشتراكية، وحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (الأرسيدي)

** - خاصة في منطقة القبائل.

إذاً فممارسة اللغة في المجال السياسي تكتسي فيه اللغة العربية أولوية، وخاصة لدى الجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والتوارق)، وتبرز اللغة الأجنبية (الفرنسية) كأولوية لدى المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل في الممارسة السياسية.

جدول رقم (36) : يبين رأي المبحوثين للغة المناسبة لمجال الدين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		مجال الدين
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
100 %	50	88 %	44	84 %	42	100 %	50	العربية
/	/	12 %	6	14 %	7	/	/	الأمازيغية
/	/	/	/	2 %	1	/	/	الأجنبية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتبين من الجدول أن:

أن ما نسبته 100% من المبحوثين لدى الجماعات اللغوية الشاوية، يقرون بأن اللغة المناسبة لمجال الدين (الاسلام) هي اللغة العربية.

وما نسبته 88% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للقبائل ، يرون بأن اللغة المناسبة للدين هي اللغة العربية، وما نسبته 12% يرون بأن اللغة الأمازيغية هي المناسبة لها.

وما نسبته 84% من المبحوثين للجماعة اللغوية لبني مزاب، يعتقدون بأن اللغة العربية هي اللغة الأنسب للمجال الديني، مقارنة بـ 14% الذين يرون بأن الأمازيغية هي الأنسب لذلك، وما نسبته 2% يعتقدون أن اللغة الأجنبية هي الأنسب.

وما نسبته 100% من المبحوثين لدى الجماعات اللغوية للتوارق ، يرون بأن اللغة العربية هي الأنسب للمجال الديني.

وما نستنتجه من هذه القراءة أن هناك توافق على أن اللغة العربية، هي اللغة الأنسب للمجال الديني (الاسلام)، وتكون مرتفعة جدا عند الشاوية والتوارق، بينما تظهر اللغة الأمازيغية بدرجة منخفضة وفي اعتبار اللغة الأمازيغية اللغة المناسبة للمجال الديني وهذا عند القبائل وبني مزاب.

إن الحديث عن الدين (الاسلام)، هو حديث متلازم عن اللغة العربية، فهناك صلة غير قابلة للانفصال بين القرآن خاصة واللغة العربية، لأنه نزل بهذه اللغة (العربية)، فبحكم عناية (اهتمام) الناس بالقرآن وبالأحكام الشرعية الخاصة به، جعلهم يُقبلون على تعلم اللغة العربية، والتي تكتسي طابع القداسة عندهم، فهي مصدر مهم لهم لمعرفة الاسلام، فهو الذي (الدين) جعلهم يختارون اللغة العربية، وهي دلالة لانتمائه لهذا الدين (الاسلام)، وهو العنصر المهم أو الوحيد القادر على تقديم التبرير (التفسير) للانتشار الواسع للغة العربية، والحفاظ عليها داخل الجماعات اللغوية المختلفة، فهي لغة الوحدة والرابطة التي تجمع الجميع تحت مظلة الإسلام، كما أن فهم القرآن ومعانيه وأحكامه يتم بهذه اللغة (العربية).

ولذلك كانت توجهات المبحوثين اعتبار اللغة العربية بأنها اللغة الأنسب للمجال الديني في كل تجلياته، وهذا ما يجسد فكرة أساسية لدى هذه الجماعات اللغوية (المبحوثين خاصة)، وهي مركزية الدين (الإسلام) لديهم، أي أن جلّ المواقف والقضايا والاهتمام.... الخ، تخضع لذلك المركز الذي يحدد ويوجد من خلاله الفرد خياراته وتوجيهاته، بما فيها اللغة التي تخضع أيضا لهذا المعطى الديني.

لكن الملفت أيضا أنه برغم نزول النص القرآني باللغة العربية الفصيحة، فلا نجد استعمال أو ممارسة حقيقة لهذا القرآن من خلال هذا النص كما نزل (العربية الفصيحة)، إلا في بعض المواضع (المجالات) الضيقة جدًا، ولكن هناك ممارسات لغوية في جميع المجالات بلغة عربية عامية*، وبرغم اعتبارها عربية فهذا لا يكسبها صفة الفصاحة (وهو موضوع أعتقد أنه يحتاج إلى تناول مستقل لمعرفة، حتى تراجع المجال الديني بصورة عامة في استعمال اللغة العربية الفصحى)**.

كما أن ارتباط اللغة العربية بالمجال الديني، لا يضيّق استعمالها وممارستها في المجالات الأخرى غير الدينية، خاصة في ظل الألسن المنادية لحصر العربية في هذا المجال فقط.

* - خاصة في ظل بعض الاتجاهات التي تنادي -بضرورة- اعتبار هذه العاميات كلغات وطنية ورسمية.

** - لقي استعمال بصورة فعلية في قراءة القرآن، وفي الخطب (الجمعة والعيد).

ونجد أيضاً بعض الاتجاهات التي ترغب في التعامل باللغة الأمازيغية وفي المجال الديني، وذلك لفهم الأمور الدينية أكثر بهذه اللغة (الأمازيغية)، وهذا لا يتنافى مع الدين، لأن القرآن أقرّ بالتنوع اللساني والمجتمعي والقبلي.

فهناك توجه عام لدى المبحوثين في تفضيل اللغة العربية كممارسة في المجال الديني، وبرغم الاختلاف بين المبحوثين في تفضيلاتهم وممارساتهم للغة المرغوب فيها في المجالات السابقة، يبقى الفضاء الديني هو فضاء للغة العربية، ولدى جميع أفراد العينة لتلك الجماعات، فارتباط اللغة العربية بالدين، أكسبها إخلاص في التمسك والتشبث بها، وأعطاه سمعة ومكانة تبقىها لمدة أطول، " فإي لغة ذات قيمة أعلى من مجرد الارتباط بشئ من النجاح التاريخي، يكون الدين الأساس الوحيد لضمان ذلك " ¹

¹ - نيقولاس أوستلر، مرجع سبق ذكره، ص752.

3- التفاعل الاجتماعي اليومي والممارسة اللغوية:

حيث سنحاول إبراز دور التفاعل الاجتماعي اليومي، من خلال مجموعة مؤسسات تساهم بصورة مستمرة في تحديد طبيعة الممارسات اللغوية المختلفة، والتي لا شك أن لها التأثير في نوعية اللغة التي سوف يمارسها الأفراد (آباء ، أبناء ، أقران...)، انطلاقاً من المحددات الأسرية (الوالدية) للغة المرغوب في استعمالها، أو المفروض عليه استعمالها لدواعي متباينة وعليه سوف تبين هذه الموافق في النقاط:

(لغة الاستعمال عند الأقارب، لغة الاستعمال مع الجيران، لغة الحديث في السوق، اللغة المستعملة في الشارع، لغة الحديث في الإدارة، إدخال الأبناء للمدارس القرآنية والغرض من ذلك، اللغة المفضلة للقراءة والكتابة، علاقة لغة القراءة والكتابة بمدى هيمنة اللغة).

جدول رقم (37) : يبين اللغة المستعملة للمبحوثين مع الأقارب.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المستعملة مع الأقارب
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
4 %	2	94 %	47	6 %	3	44 %	22	العربية
84 %	42	6 %	3	84 %	42	32 %	16	الأمازيغية
10 %	5	/	/	10 %	5	24 %	12	عربية وأمازيغية
2 %	1	/	/	/	/	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

من خلال الجدول، يتبين لنا:

أن الجماعة اللغوية الشاوية صرحت، بأن اللغة المستعملة (الممارسة) لديهم مع الأقارب، هي اللغة العربية، وذلك بنسبة 44% مقارنة بـ 32% من الذين يعتبرون بأن الأمازيغية، هي اللغة الممارسة مع الأقارب، و 24% صرحوا بأن الممارسة اللغوية مع الأقارب تكون باللغتين معا (عربية وأمازيغية).

بينما نجد عند الجماعة اللغوية للقبائل، ان ما نسبته 84% يصرحون بأن ممارستهم اللغوية مع الأقارب تكون باللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 10% يستعملون اللغتين معا (العربية والأمازيغية)، و 6% يستعملون اللغة العربية فقط.

ونجد عند الجماعة اللغوية لبني مزاب، أن ما نسبته 94% من المبحوثين يقرون بأن ممارستهم اللغوية مع الأقارب تكون باللغة العربية، مقارنة بـ 6% باللغة الأمازيغية.

كما نجد أن ما نسبته 84% من أفراد العينة للتوارق، يصرحون بأن ممارستهم اللغوية مع الأقارب تكون باللغة الأمازيغية، بينما 10% و 4% باللغتين معا (العربية والأمازيغية)، أو بالعربية فقط على التوالي.

نستنتج من خلال هذه القراءة للجدول، أن هناك تباين للجماعات اللغوية في ممارستهم اللغوية اليومية مع الأقارب، بحيث تبرز اللغة العربية كلغة أولى ممارسة للجماعة اللغوية لبني مزاب وأقل درجة منها عند الشاوية، بينما تبرز اللغة الأمازيغية كلغة أولى ممارسة بين الأقارب لدى الجماعة اللغوية لكل من القبائل والتوارق، وتظهر الإزدواجية في الممارسة أكثر لدى الجماعة اللغوية للشاوية، وبدرجة أقل عند القبائل والتوارق وغيابها عند بني مزاب.

إن هذه الممارسات اللغوية مع الأقارب تعكس تلك الروابط والأواصر الدموية بين أفراد مختلف هذه الجماعات اللغوية، كما تبين تلك العلاقة الموجودة بين الأسرة كمؤسسة لغوية من خلال الآباء خاصة، وعلاقتهم الثقافية ضمن منظومة روابط دموية تكون اللغة فيها المعطى البارز والمحدد لدرجة الترابط بين مكوناتهم المختلفة، ولهذه الروابط علاقة أيضا بالعشيرة أو القبيلة أو القرية، التي تتواجد فيها كل جماعة لغوية، وتبرز نسيج هذه العلاقات داخل المجال الجغرافي أو خارجه.

ولعل النتائج الظاهرة في الجدول، وضحت أكثر المنحى اللغوي ضمن اطار القرابة (خال، عم، ابن عم، جدة، صهر....)، فهناك ارتباط بين ممارسة اللغة وبين طبيعة الأشخاص ذوي القرابة، إذ نجد اللغة العربية أكثر ممارسة لدى الجماعة اللغوية لبني مزاب -وهو معطى مفاجئ- بالنظر الى تلك الروابط والعلاقات القوية (الدموية) التي تربط هذه المجموعة اللغوية، والتي يفترض أن تكون فيها اللغة الأمازيغية، هي الحبل الذي يربط ممارساتهم اللغوية، الا أن ذلك قد يرجع الى تغلب الجانب الديني على تلك الممارسات حتى مع أقرب الناس اليهم، ضمن اعتبار العربية كلغة تحظى بالاحترام

والتقدير، لأنها ترتبط بالقرآن، وبأنها يجب أن تلقى هذه القيمة الرمزية داخل هذا المجتمع، ولذلك ارتبطت حتى في ممارساتها مع الأقارب، أي تبجيل هذه اللغة (العربية) على اللغات الأخرى، بما فيها اللغة الأمازيغية، زيادة على التميز في المذهب الذي يبرز من خلاله تميزه باللغة العربية، وهذا المعيار الديني لهذه المجموعة يحظى بمكانة عالية، ويعتبر لديهم المعيار الرائد في توزيع الأدوار، وظهور المكانة الاجتماعية لديهم، ولذلك ارتسم هذا الدور -الديني- حتى في طبيعة العلاقات الاجتماعية من خلال اللغة ويشمل حتى الأقارب.

ونجد أيضاً هذه الممارسة اللغوية بالعربية مع الأقارب، لدى الجماعة اللغوية للشاوية وذلك بسبب تلك العلاقات المتولدة بفعل الاحتكاك بين الناطقين بالعربية والناطقين بالأمازيغية وعلاقات الزواج (الخارجي)، فرض أن تكون اللغة العربية هي اللغة الممارسة حتى بين الأقارب، إلا أنها لم تكن بصورة مرتفعة، بل برزت أيضاً اللغة الأمازيغية كلغة تواصل بين هؤلاء الأقارب، خاصة وأن العديد منهم يرتبط بهذه اللغة ارتباط وثيق، وبدرجة أكبر لدى الشيوخ والعجائز وفي المناطق الريفية، مما يفسر أيضاً أن هنالك روابط دموية تجمع هؤلاء الأفراد في علاقاتهم المختلفة، من خلال تلك الممارسة اللغوية بالأمازيغية، كما تظهر حالة الازدواجية مع الأقارب لدى هذه الجماعة، وهو ما يعكس صورة هذه الازدواجية (عربية، أمازيغية) لدى الأسر في هذه المنطقة، وبترجم التحولات اللغوية (من أمازيغية إلى عربية، ومن عربية إلى أمازيغية) حتى في الدائرة الضيقة للأسرة (الأقارب).

كما أنها انعكاس حقيقي للمحيط الخارجي لهذه الجماعات، ولعل الممارسة اللغوية مع الأقارب لدى الجماعات اللغوية لكل من القبائل والتوارق، تعكس حجم درجة القرابة برغم اختلاف الخصوصيات لكل جماعة لغوية، فالجماعة اللغوية للتوارق تنتم بالنظام القبلي في أكثر تجلياته، حيث تكون الولاءات الفردية لصالح القبيلة، ومعظم حالات الارتباطات الزوجية أيضاً تكون داخلية، وهو ما يعزز ظهور الأمازيغية كمحور أساسي في معاملاتهم اليومية مع الأقارب، ولطبيعة نمط البداوة - السائد في أماكن كثيرة- كخصوصية تميز هذا المجتمع، تعتبر عامل تقوية ومحافظة على اندماجهم وتعايشهم، ويكون ذلك من خلال اللغة الخاصة بهم (التارقية)، بينما عند الجماعة اللغوية للقبائل نجد أن هناك سياقات أخرى قد تعكس تلك الممارسات اللغوية، كالزواج الداخلي وارتباط النسيج الاجتماعي على اعتبار اللغة مكون أساسي يجب الحفاظ عليه، وهذا ضمن هوية متميزة، اللغة أساسها، وهو ما ساهم

في أن تكون الأمازيغية هي اللغة الأولى في ممارستها لها مع الأقارب، ويمكن فهم ذلك ضمن السياق السياسي الثقافي السائد داخل هذه الجماعات.

إذاً تعكس العلاقات الاجتماعية المختلفة للأسرة ، ضمن علاقاتها مع الأقارب -خاصة- ممارسات لغوية تشكل رابط أساسي في تضمين انتماءاتهم وروابطهم المختلفة، وتُظهر الممارسة اللغوية مع الأقارب بعض الاختلافات لدى الجماعات اللغوية، إذ تبرز اللغة العربية لدى كل من الشاوية وبني مزاب، ولكن بدرجة أقل عند الشاوية، وتبرز اللغة الأمازيغية لدى القبائل والتوارق بدرجة كبيرة.

جدول رقم (38) : يوضح اللغة المستعملة للمبحوثين مع الجيران .

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		اللغة المستعملة مع الجيران
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
54 %	27	16 %	8	10 %	5	28 %	14	العربية
8 %	4	56 %	28	66 %	33	28 %	14	الأمازيغية
38 %	19	28 %	14	24 %	12	44 %	22	عربية وأمازيغية
/	/	/	/	/	/	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح من الجدول أنه:

بالنسبة للجماعة اللغوية الشاوية، نجد أن أكبر نسبة 54% ، وهي للذين صرحوا بأن اللغة الممارسة (المستعملة) مع الجيران هي اللغة العربية ، مقارنة بـ 38% للذين يستعملون اللغتين معا (عربية وأمازيغية) مع جيرانهم، و 8% للأمازيغية كلغة ممارسة مع الجيران.

أما بالنسبة للقبائل، فإننا نجد ما نسبته 56% من المبحوثين يستعملون اللغة الأمازيغية مع جيرانهم، بينما 28% منهم يستعملون اللغتين معا (عربية وأمازيغية)، و 16% يستعملون اللغة العربية في ممارساتهم اللغوية مع الجيران.

بينما نجد عند بني مزاب أن ما نسبته 66% يستعملون اللغة الأمازيغية في معاملاتهم مع الجيران مقارنة بـ 24% من الذين يستعملون اللغتين معا (عربية وأمازيغية)، و 10% منهم يستعملون اللغة العربية.

ونجد عند التوارق، أن ما نسبته 44% من المبحوثين يستعملون اللغتين معا (عربية وأمازيغية) في حديثهم مع الجيران، مقارنة بـ 28% لكل من اللغة العربية واللغة الأمازيغية.

نستنتج من خلال هذه القراءة الإحصائية للجدول، أن هناك بعض التباينات في الممارسة اللغوية (الاستعمال) مع الجيران، إذ تكون اللغة العربية هي اللغة الأكثر ممارسة لدى الجماعة اللغوية الشاوية، بينما تبرز اللغة الأمازيغية كلغة حديث مع الجيران، عند كل من القبائل وبني مزاب، وبتفوق عند بني مزاب، على عكس هذه الجماعات، نجد أن الاستعمال اللغوي (للعربية والأمازيغية معا) هو الأكثر بروزاً عند التوارق، كما نلاحظ أيضا بروز هذه الازدواجية (عربية وأمازيغية معا) عند الجماعات اللغوية الأخرى (الشاوية، بني مزاب، القبائل)، ولكن بدرجة أقل مما عليه عند التوارق.

تبين هذه النتائج، أن اللغة الممارسة (استعمالا) مع الجيران، يطغى عليها طابع اللغة الأكثر تواجدا داخل هذا المحيط الذي يتواجد فيه الأفراد (عينة البحث)، بحيث منطق الممارسة اللغوية يراعي منطق تواجد الجماعات اللغوية، سواء من نفس اللغة (الأمازيغية)، أو من اللغة الأخرى (العربية)، وهو ما يفرض خضوع المتحدث لمنطق اللغة المتداولة لدى هؤلاء الجيران وليس اللغة التي يحملها هو ويرغب في الحديث بها، والانتماءات الجغرافية واللغوية لهؤلاء الجيران قد تكون مغايرة لإنتماءات أفراد العينة، وهو ما يفرض سياق لغوي يفهمه الطرفين، لغرض التواصل، إذ برزت حالة الازدواجية اللغوية (عربية وأمازيغية) كحالة واقعية داخل الفضاء اللغوي للمجتمع الجزائري، ولهذه الجماعات اللغوية، أصبح معطى ثقافي لا يمكن تجاوزه، وهو ما يفسر تلك الممارسات اللغوية لدى هذه الجماعات باستعمال اللغتين معا، وتكون هذه الازدواجية اللغوية عند المبحوثين أكثر ظهورا عند الجماعة اللغوية للتوارق، بسبب احتكاكات هذه المجموعة مع الناطقين بالعربية، سواء عن طريق التجارة أو عن حالات تواجد هذه المجموعة في المناطق الحضرية التي تلقي فيها العديد من اللغات، زيادة على أن السكنات في المدينة لا تخضع لمنطق القبيلة أو العشيرة في الحوار، وبذلك تفسح المجال لأن يكون المتحاورين من السكان، ليس من نفس المنطقة، أو من نفس الجماعة أو من نفس القبيلة... الخ، ولذلك يجد هؤلاء الأفراد أنفسهم ضمن جوار يملك لغة وثقافة وعادات وتقاليد، ليست من نفس ثقافة وعادات وتقاليد هذه

المجموعة، وطبيعة الحوار تفرض طابع-الاحترام- للجار والتعامل معه، ولذلك تستعمل اللغة التي يفهمها الطرفان (الجيران) أثناء تواصلهم وحديثهم، ويكون في الغالب المتحاورين معهم من الناطقين بالعربية، سواء من نفس المنطقة أو من مناطق أخرى، وهذا ما يعكس حالة التعامل باللغتين معا (عربية وأمازيغية).

ونفس المنطق ينطبق على الجماعات اللغوية الأخرى، في حالات الازدواجية اللغوية كتوجه-مقبول ومرضي- للتعامل والتواصل مع الجيران، كما يفسر أيضا أن تكون هناك جوارات من جماعات مختلفة، بسبب العمل أو تغير منطقة السكن....الخ، الا أن هذه الحالة من الازدواجية لدى هذه الجماعات اللغوية مع الجيران لا يحجب بروز الأمازيغية كلغة أولى لدى الجماعات اللغوية في تعاملهم مع الجيران (كالقبائل وبني مزاب)، وهذا يبين أن معظم المتساكنين في الجوار هم من نفس الجماعة اللغوية التي ينتمون إليها، وبالأخص في المناطق الريفية، كما تعكس أيضا حالة تميز هذه الجماعات عن الآخرين (غير الناطقين للأمازيغية)، والذي يظهر هذه الخصوصية كاعتزاز وانتماء.

وتبرز العربية في التعامل مع الجيران، لدى الجماعة اللغوية للشاوية، وهذا بسبب معرفة هؤلاء الجيران للغة العربية (كلغة وحيدة)، وهي نقطة يشترك فيها الأفراد من هذه المجموعة معهم، ولذلك تكون اللغة العربية هي اللغة الأكثر ممارسة مع الجيران.

فللممارسة اللغوية للأسرة علاقة بممارستها داخل المحيط القريب من هذه الأسر (الجيران)، وتصبح لغة المتساكن (الجار) مع هذه الجماعة، هي اللغة الأبرز في الظهور وفي المعاملة، أي أن الأفراد لدى هذه الجماعات اللغوية يتخلون عن لغتهم مؤقتا- لصالح لغة الآخر، وهو مؤشر إيجابي يدل على قيم هذه الجماعات اللغوية، والمتسمة بالاحترام المتبادل.

جدول رقم (39) : يوضح اللغة المستعملة للحديث في السوق.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المستعملة في السوق
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
40 %	20	18 %	9	26 %	13	72 %	36	العربية
28 %	14	12 %	6	50 %	25	4 %	2	الأمازيغية
32 %	16	70 %	35	24 %	12	24 %	12	عربية وأمازيغية
/	/	/	/	/	/	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتبين لنا من خلال هذا الجدول أن :

ما نسبته 72 % من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للشاوية، يعتبرون بأن اللغة العربية، هي اللغة الأكثر استعمالا في السوق، مقارنة بـ 24 % للذين يتعاملون باللغتين معا (عربية وأمازيغية)، بينما كانت نسبة 4 % هي للذين أقروا بتعاملهم باللغة الأمازيغية في السوق.

وما نسبته 50% من الأفراد العينة، لدى القبائل، تكون اللغة الأمازيغية، هي الأكثر إستعمالا، مقارنة بـ 26% و 24 % للغة العربية وللغتين معا (عربية وأمازيغية) على التوالي، وهذا في السوق.

بينما نجد ما نسبته 70 % من أفراد العينة لبني مزاب، يستعملون اللغتين معا (عربية وأمازيغية) في السوق، مقارنة بـ 18 % و 12 % للعربية والأمازيغية تواليا.

كما نجد ما نسبته 40 % لدى التوارق، تكون اللغة المستعملة لديهم هي العربية، مقارنة بـ 32 % و 28% للغتين معا (عربية وأمازيغية)، والأمازيغية على التوالي .

نستنتج من هذه القراءة، أن هناك تباين (اختلاف) لدى هذه الجماعات اللغوية، في اللغة المستعملة (الممارسة) في السوق، إذ للغة العربية المكانة الأولى في الممارسة، وهذا للجماعة اللغوية لكل من (الشاوية والتوارق)، مع التفوق الملحوظ للشاوية.

بينما تكون اللغة الأمازيغية المكانة الأولى في الممارسة داخل السوق، لدى الجماعة اللغوية للقبائل، وتبرز حالة الإزدواجية اللغوية (عربية وأمازيغية معاً) عند الجماعة اللغوية لبني مزاب بدرجة مرتفعة، وتكون هذه الحالة (عربية وأمازيغية معاً)، بارزة لدى الجماعات الأخرى بدرجة مقبولة.

وبما أن السوق¹، هو المكان الذي يلتقي فيه الناس، من مختلف الجماعات، ومن مختلف المهن والوظائف والفئات والجغرافيات، من المنتمين للريف والمدينة، وهذا لغرض اقتناء أو بيع السلع والبضائع بتنوعها، فبرغم التغيرات والتبدلات التي حصلت لا يزال السق قائماً بدوره، وحافظاً على مكانته وتواجده " ...ان التغيرات التي حدثت منذ قرون، في البنيات الريفية، لم تستطع ان تاتي بالجديد في جانبين يعتبران مهمين في السوق، هما الدور الاجتماعي (مكان الالتقاء)، والدور الاقتصادي (البيع، الشراء...) "²، وهذا المنطق يفرض عليهم تواصلًا فيما بينهم، فهو فضاء لانتقال المعلومات والاختبار والكلمات والرموز، ويكون بصورة مباشرة، وعليه فإن هناك لغات تفرض نفسها على لغات أخرى، وهناك هيمنة للغة على أخرى، أو حالة إزدواجية (لغتين معاً)، وهو موضع لغوي، يفرض تعاملًا باللغة، فبرغم وجود صورة تنظيمية - عرفية - بين الناس (المتعاملين) فيه فيما بينهم (البائع/ المشتري)، سواء في الشراء أو البيع، وهو ما يعكس «نظام دلالي مفهوم لديهم وهو لضمان فهم التواصل»^{*}، أي أنها لغة مفهومة يتواصل بها المتعاملون، ونظرًا لأن الأسواق في عمومها تكون جامعة لهذه الجماعات المتنوعة، فإننا نجد في الغالب أن هناك لغتان داخل محيط السوق، العربية والأمازيغية، ولكن باعتبار السوق الأكثر تمركزًا في المدينة، فهو يفرض لغة سائدة، هي لغة المشتري (لأن البائع يحاول أن يستقطب ويغري هذا المشتري)، وليكسب هذا الزبون (الذي قد لا يتكلم تلك اللغة)، وهو ما يفرض لغته كلغة ممارسة في التعامل، ولعل ظهور العربية لدى كل من الشاوية والتوارق، يعكس حجم التفاعلات السوقية بهذه اللغة، بسبب تواجد الناطقين بالعربية داخل السوق أكثر، كما يعكس ان الممارسين للأنشطة داخل السوق، يكونون من المناطق الأخرى (الغير ناطقة بالأمازيغية)، فالسوق جوهرة ثمينة بالنسبة إليهم للترويج لسلعهم، وبيعها، وفي الغالب نجد أن هناك أساليب يستعملها البائعون لجذب المشتري، "كالنبراح" ويكون باللغة، ويستعمل كلمات لغير الناطقين

¹ - ركزت في تحليلي على مكان السوق باعتباره فضاء رجالي، وبخاصة الأسواق الأسبوعية المعروفة، إلا ان الإبقاء على عنصر النساء لأن هناك فضاءات تسوقية شبه يومية، وبخاصة في المدن يكثر فيها أيضا العنصر النسوي، ولذلك حافظت على كامل افراد العينة ذكورا واناثا.

² -Cote Marc ; *mutation rurales en Algérie , le Cas des houtes plaines de l est*, OPU.Alger,Algérie 2éme édition,1981,p38.

^{*} - أنظر: كتاب، اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ترجمة أحمد عوض.

بلغته، للترويج لذلك، وتتداخل العديد من الاصوات اللغوية فيما بينها، ولكسب ثقة الجماعات الأخرى، كأن تكون لغته العربية ويستعمل كلمات بالأمازيغية، ولذلك نجد بروز اللغة العربية في السوق أكثر عند هذه الجماعات، بينما تعكس الأمازيغية حالة الجماعة اللغوية للقبائل، وهذا يفسر ربما على أساس، أن تلك السوق تحتوي على الأفراد الأكثر تداولاً للأمازيغية، سواء من حيث الباعة أو المشترين، أو انهم من نفس المكان (المدينة أو الريف)، إلا أن ذلك يكون بصورة نسبية، حيث تظهر الإزدواجية اللغوية أيضا كمعطى واقعي داخل فضاء السوق، لدى كل الجماعات اللغوية، اذ تفرض هذه الوضعيات، من خلال الوظائف الممارسة (تجاريا)، لغات، كإعكاس للجماعات اللغوية، ولذلك تكون الممارسات اللغوية -في معظم حالاتها- بلغتين اثنتين (عربية/أمازيغية)، وتكون متفاوتة الممارسة سواء لصالح العربية أحيانا، أو لصالح الأمازيغية أحيانا، وتتجُم عن هذه الممارسات (الحالات) (عربية/عربية، أمازيغية/أمازيغية، عربية/أمازيغية).

ويفتح هذا السوق باعتباره أيضا مكانا لالتقاء العشائر والقبائل من مختلف الأماكن، ومكان تزداد فيه ارتباط علاقات جديدة، إمكانات جديدة لممارسة اللغة، تمكّن هؤلاء الأفراد من فتح آفاق للمشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية، لأن هناك توجيه وتأثير ممارس من قبل أفراد يحملون اللغة، على أفراد آخرين يخضعون لـلغتهم، قصد تحقيق التفاهم والتواصل بينهم، إلا أن ذلك لا يعني بأن السوق هو منتج اللغة، بقدر ما أنها عامل مساعد ومحفز لاكتساب تلك اللغة وبروزها إلى الواقع؛ فالسوق (هو سوق لغوي)، تتداخل فيها اللغات، ويكون فضاءا للممارسة اللغوية.

جدول رقم (40) : يوضح اللغة المستعملة للحديث في الشارع من قبل افراد العينة.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المستعملة في الشارع
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
26 %	13	12 %	6	16 %	8	64 %	32	العربية
30 %	15	34 %	17	52 %	26	4 %	2	الأمازيغية
42 %	21	54 %	27	32 %	16	32 %	16	عربية وأمازيغية
2 %	1	/	/	/	/	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أن:

ما نسبته 64% من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للشاوية، صرحوا بأن لغتهم المستعملة في الشارع ، هي العربية، مقارنة بـ 32 % من الريف يستعملون اللغتين معا (عربية و أمازيغية) كلغة حديث في الشارع، و 2 % يستعملون الأمازيغية.

وما نسبته 52 % من المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، يستعملون اللغة الأمازيغية في الشارع، مقارنة بـ 32 % يستعملون اللغتين معا (عربية و أمازيغية)، و 16% يستعملون اللغة العربية.

وما نسبته 54 % من أفراد العينة لبني مزاب يستعملون اللغتين معا (عربية و أمازيغية) في حديثهم في الشارع ، بينما ما نسبته 34 % يستعملون اللغة الأمازيغية، و 12% يستعملون اللغة العربية.

وما نسبته 42 % من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للتوارق، يستعملون اللغتين معا(عربية وأمازيغية) في محادثتهم في الشارع مقارنة بـ 30 % و 26 % يستعملون اللغة الأمازيغية واللغة العربية على التوالي.

نستنتج من خلال هذه المعطيات، أن هناك تباين في المواقف المختلفة المصرح بها من قبل المبحوثين، بخصوص اللغة الأكثر استعمالا في الشارع أثناء محادثتهم اليومية، إذ تتفوق اللغة العربية عند الشاوية، واللغة الأمازيغية عند القبائل، و حالة الإزدواجية اللغوية (عربية وأمازيغية معا) عند بني

مزاب والتوارق، والتي تستعمل أيضا (حالة الإزدواجية) لدى الجماعتين الشاوية والقبائل ولكن بدرجة أقل منها عن التوارق وبني مزاب، كما تبرز استخدامات اللغة العربية، واللغة الأمازيغية بصورة مقبولة عند التوارق، وتبرز اللغة الأمازيغية بصورة مقبولة أيضا لدى بني مزاب.

فالشارع هو المكان الذي تحدث فيه التفاعلات الاجتماعية المختلفة، بين مكونات ذلك المجتمع، حيث يلتقي الأفراد في أماكن متعددة كل حسب حاجته، وهي بمثابة مؤسسة تنشئية تساهم في تزويد الأفراد باللغات، وهذا من خلال التنوع والتعدد اللغوي الذي يطبع الشارع ويظهر ذلك أكثر في المناطق الحضرية.

إذ يتبادل الناس وجهات النظر ويستعملون لغات يتواصلون من خلالها، فاللغة الممارسة في الشارع، تخضع للغة التي يتحكم بها الأفراد بصورة ظاهرة، فالتعدد اللغوي وخاصة في إزدواجيته (عربية وأمازيغية)، برز أكثر لدى المبحوثين في هذا الموقف اللغوي (الشارع)، ويترجم هذا التنوع اللغوي لدى الأفراد سلوكهم اللغوي في مجمل ممارستهم الثقافية اليومية، كما يعكس تلك الرغبة في التعايش اللغوي في مكوناته، بدل الإقصاء لأي مكون من مكونات المجتمع، ويعبر عن حالة التوازن (التكافؤ) اللغوي لدى هذه المجموعات اللغوية في تعايشاتها المختلفة، ويتسم بالعفويات في التعامل (الممارسة) اللغوي بين مختلف الشرائح الاجتماعية، فهناك موقف (مؤشر) إيجابي يوحي بذلك التداخل والانصهار في قوالب ثقافية واجتماعية، عاكسة لصورة المجتمع الكلي، وخاصة في الجانب الثقافي وخاصة اللغوي منه، حيث يتحدث الأفراد بهاتين اللغتين معا، وهي حالة تعايش لغوي طبيعي بين اللغتين اللتين ترافقتا لعقود من الزمن في التركيبة الاجتماعية لهذه الجماعات اللغوية، ولعل بروز هذه الإزدواجية أكثر لدى الجماعتين اللغويتين (التوارق وبني مزاب) يعكس حالات لغة الوسط الخارجي، والإحتكاكات اليومية التي تحدث داخل هذه الجماعات، وبخاصة أن هناك هجرات داخلية في اتجاه المناطق الصحراوية معقل هاتين الجماعتين اللغويتين، وهذه الهجرات التي تكون من مختلف الجماعات اللغوية، سواء الناطقة بالأمازيغية، والتي يصعب في أحيان كثيرة التفاهم فيما بينهم بسبب، اللكنات أو اختلاف الألفاظ (الكلمات) لدى كل مجموعة، (حسب رأيي)، أو الجماعات الناطقة بالعربية، والتي هاجرت لسبب العمل أو السياحة، وتغيير مقر السكن لسبب وظيفي أو تجاري، ولعل هذه المناطق، أصبحت آهلة بهذه المجموعات اللغوية في ظل التغيرات الاجتماعية والإقتصادية الحاصلة فيها، كما أن هذه المناطق تتيح فرص عمل أكثر، بسبب هذه التغيرات الحاصلة وبوتيرة سريعة، ولعل المناطق

الحضرية في الصحراء، هي الأكثر إستقطاباً لهذه المجموعات اللغوية وهو ما يجعل هؤلاء المهاجرين، من هذه الجماعات اللغوية، تساهم في نقل روافد ثقافية ولغوية تدفع نحو التعاملات اللغوية المتعددة، ولكن هذه الصورة، لا تلغي تلك الممارسات اللغوية للغات الأخرى سواء الأمازيغية أو العربية، إذ تبرز الأمازيغية لدى القبائل كلغة مستعملة في الشارع، وهو ما يفسر أن معظم المتواجدين في هذا الوسط السوسيو-لساني تغلب عليه اللغة الأمازيغية في حالات ومواقف عديدة، ونفس الملاحظة بالنسبة للجماعة اللغوية للشاوية، التي تكون أغلب تعاملات المبحوثين باللغة العربية في الشارع، وهو ما يعكس الوضع اللغوي في المحيط، الذي يتفاعل فيه الأفراد حاملين معهم الرافد اللغوي- العربية- الذي يسيطر على جل مواقفهم اللغوية في الشارع، وتحديدًا في المدنية التي تعتبر مركز تجمعات إدارية ومراكز إقتصادية ، والانتقال إليها يساهم في الترويج لهاته اللغة أكثر، فهي عامل أيضا (المدينة) يساهم في نشر هذه اللغة (مركز إستقطاب للممارسة اللغوية).

إذاً فهناك فسيفساء لغوية يحملها الشارع، والتي يتفاعل ويتواصل من خلالها الأفراد، بتنوع إنتماؤاتهم وفئاتهم الإجتماعية، لتبقى الممارسة اللغوية كل جماعة، تتغلب عليها اللغة العربية لدى الشاوية، واللغة الأمازيغية للقبائل، وحالة الإزدواجية لدى جميع هذه الجماعات اللغوية، مع أفضلية لكل من التوارق وبني مزاب.

جدول رقم (41) يوضح اللغة المستعملة للحديث في الإدارة من قبل المبحوثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		اللغة المستعملة في الإدارة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
88 %	44	46 %	23	60 %	30	84 %	42	العربية
10 %	5	26 %	13	2 %	1	4 %	2	الأمازيغية
2 %	1	20 %	10	34 %	17	8 %	4	عربية وأمازيغية
/	/	8 %	4	4 %	2	4 %	2	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال ملاحظة الجدول:

أن أكبر نسبة هي 88 % من المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية، يستعملون في حديثهم داخل الإدارة اللغة العربية، بينما 10 % منهم يستعملون اللغة الأمازيغية، و 2 % منهم يستعملون اللغتين معا (عربية و أمازيغية).

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية للقبائل هي 46%، وتمثل نسبة المبحوثين الذين يستعملون اللغة العربية في الإدارة، في مقابل 26% و 20 % منهم يستعملون في حديثهم داخل الإدارة اللغة الأمازيغية واللغتين معا (العربية والأمازيغية)، في حين نجد ما نسبته 8 % يستعملون في حديثهم اللغة الأجنبية.

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية بني مزاب، هي للذين يستعملون اللغة العربية في حديثهم داخل الإدارة، بنسبة 60 % ، في مقابل 34 % منهم يستعملون اللغتين معا (عربية وأمازيغية)، وما نسبته 4 % و 2 % يستعملون اللغة الأمازيغية و الفرنسية على التوالي.

وأكبر نسبة عند الجماعة اللغوية للتوارق هي 84 % و تمثل نسبة الذين يستعملون اللغة العربية في حديثهم داخل الإدارة ، في مقابل 8 % للغتين معا (عربية و أمازيغية)، و 4% لكل من الأمازيغية والفرنسية .

وعموما نلاحظ في الإتجاه العام، أن هناك توافق (تطابق) لدى كل المجموعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق)، بأن اللغة العربية هي اللغة الأولى في الإستعمال والممارسة داخل الإدارة، مع تفوقها أكثر لدى الجماعتين اللغويتين الشاوية و التوارق.

وتكون اللغة الأمازيغية أكثر استعمالا بعد اللغة العربية عند القبائل، وبنسبة مقاربة مع إستعمال اللغتين معا (الإزدواجية) ، في حين يقل استعمالها (الأمازيغية) لدى الجماعات الأخرى وتبرز وضعية استعمال اللغتين معا (عربية وامازيغية معا) أكثر عند الجماعة اللغوية بني مزاب.

ويعكس هذا الواقع اللغوي، تلك الممارسات اللغوية في الإدارة حيث يتواجد، عدد مقبول (الأكثرية)، من المتحدثين باللغة العربية، إذ يخضع الزائر للإدارة للتكلم باللغة التي يفهمها الموظف، وخاصة إذا كان الموظف لا يتقن اللغة المحلية (الأمازيغية)، وهو ما يجبر الأشخاص، على التقيد بلغة الموظفين (الإداريين)، الذين يتعاملون بلغتهم، (أو لغة الإدارة)، كما تعكس هذه الصورة ربما التقسيم الوظيفي للغة، حيث ساهمت هذه اللغة في حصول هؤلاء الموظفين، وبخاصة في الرتب المتوسطة والعليا على مكانة إجتماعية داخل المجتمع، و هو ما يساهم في إرتقائهم الإجتماعي، من خلال هذه اللغة التي يمارسونها (العربية)، كما تبين الصورة أيضا، أن المشتغلين داخل هذه الإدارات، إما أنهم من نفس المنطقة ،ولا يعرفون اللغة الأمازيغية، أو الزوار هم الذين لا يعرفون الأمازيغية، فيستعملون اللغة التي تسهل تفاهمهم ، وإما أن هؤلاء الموظفين لا يقطنون في هذه المناطق، (خارج الجماعات اللغوية)، وهو ما ينقل معه تلك اللغة إلى الإدارة، لتكون اللغة الأكثر إستعمالا في معاملاتهم سواء بين الموظفين (داخل الإدارة)، أو علاقة الموظفين المهنية مع الأفراد خارج الإدارة، وهذا ما يفسر تفوق اللغة العربية في الممارسة داخل الإدارة.

بينما تظهر صور أخرى، تتباين فيها الجماعات اللغوية في ممارستها للغة داخل الإدارة، ولو بصورة أقل، إذ تستعمل الجماعات اللغوية للقبائل، في حديثها داخل الإدارة اللغة الأمازيغية، وهو ما يعكس أيضا حالة وجود موظفين من المنطقة داخل الإدارة يتحدثون بهذه اللغة (الأمازيغية) و التي تتم بواسطتها التواصلات والتفاهمات، فهي تعكس (اللغة) الإلتناء الجغرافي للموظف أيضا، وتقل هذه اللغة عند الشاوية والجماعات الأخرى، وهو ما يدل أيضا على تواجد الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، مما يفرض المعاملة مع الأشخاص (داخل الإدارة)، الرد بنفس اللغة التي يتكلمها الأشخاص مع الموظفين، وهنا تجعل الموظف أكثر إبرازا للغته (الأمازيغية) مع الأفراد الذين ينتمون

أيضا لنفس الجماعة اللغوية، ونجد في الغالب أن الأفراد داخل الإدارة غالبا ما يتلفظون بكلمات أمازيغية، وينتظرون ردة الفعل من الموظف، فإن تجاوز معه بهذه اللغة (الأمازيغية)، كان الاتصال اللغوي يتم أمازيغيا، وإذا كان عربيا، فسوف يتحول إلى اللغة العربية، لتحقيق التفاهم بينهم، فاللغة معيار تحديد انتماء الفرد لجماعته اللغوية.

كما تبرز حالة الإزدواجية اللغوية (عربية وأمازيغية)، وبخاصة عند بني مزاب، وهذا الواقع اللساني داخل الإدارة، يعكس أن المتكلمين سواء من الإداريين أو الأفراد الآخرين، يتحكمون في اللغتين معا، وتظهر براعة التخاطب بهذين اللونين من اللغة، وهي حالة تمازج لغوي مشترك، يحقق نجاحا إجتماعيا لدى الأفراد من خلال هذه الممارسة (الإزدواجية)، ونجد أن الأفراد المنتمين لهذه الجماعة اللغوية (بني مزاب)، هم أكثر ميلا لبعض المهن على حساب أخرى (التجارة والصناعة)، وهو ما يجعل توجهاتهم نحو الإدارة (بصفة عامة وليس جزما) ضئيل، وهذا ما يفرض على الأفراد التعامل معهم باللغة التي يتوافقون في فهمها وإستعمالها، كما لا تخلو الجماعات الأخرى من هذه الإزدواجية ولكن إستخدامها داخل الإدارة ضعيف.

وقد برزت اللغة الأجنبية في هذا النوع من الأماكن (الإدارة) كمعطى ضعيف في الإستعمال، ولكنه موجود لدى الجماعات اللغوية ولكن بتفوق ضئيل لصالح الجماعة اللغوية للقبائل، ويكون ذلك مرتبط بربط برغبة كل من الموظف والفرد في التعامل بهذه اللغة ، كمظهر لعكس من الناحية النفسية، التفوق على الآخرين، وامتياز يتمتعون به في الوسط الاجتماعي الذين يتواجدون فيه، وكتواجد هذه الحالات الخاصة لدى النخب بصورة عامة، ولكن تجلّى بصورة واقعية مصغرة لممارسة هذه اللغة داخل الإدارات، وبخاصة بعض الإدارات التي تكون معاملاتها الرسمية باللغة الفرنسية، وهو ما يعكس تغلب هذه اللغة (الفرنسية) في قطاعات عديدة، ولكن بصورة محصورة في مجالات دون أخرى(وهي حالات حساسة وهامة).

ويمكن توضيح درجة الممارسات اللغوية لأفراد العينة ، في الأماكن السابقة في الجدول الآتي:

جدول رقم(42): يبين درجة الممارسة اللغوية (عربية/امازيغية) للمبحوثين في المواقف المختلفة

اللغة الممارسة الأماكن	الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
	عربية	امازيغية	عربية	امازيغية	عربية	امازيغية	عربية	امازيغية
مع الأقارب	+			+			+	
مع الجيران	+			+				+
الشارع	+			+			+	
السوق	+			+			+	
الإدارة	+		+		+			+

يبدو من خلال هذا الجدول التوضيحي، للغة المستعملة في الحديث للمبحوثين ، خلال المواقف اللغوية، وفي الأماكن المتعددة، أن هناك لكل لغة من اللغات ، سلسلة من الوظائف تقوم بها، وهناك نسبية لمختلف اللغات (عربية / امازيغية) ، في الأوضاع المختلفة.

فاللغة العربية منتشرة عند الأفراد، كلغة مستعملة في جميع الأماكن، كلغة منتشرة ، وواسعة الاستعمال في مجمل التواصلات ، وهناك غياب تام للامازيغية ، في نفس الأماكن ، مما يدل ويوحى ، بان لهذه اللغة (العربية) ، وظائف عدة ، تقوم بها ، داخل هذه الجماعة اللغوية للشاوية ، في مقابل ذلك نجدها (العربية) ، لغة محصورة جدا عند القبائل، والتوارق، فلا يتحدث بها الأفراد إلا في الإدارة، نجدها أيضا محصورة للغاية – ضيقة الاستعمال – عند الجماعة اللغوية لبني مزاب ، فلا يتحدث بها الأفراد إلا مع الأقارب ، والذين تربطهم معهم صلات دموية (عم، خال ، لبن العم ،...)، كما نجدها أيضا مستعملة في الإدارة، ولعل المكان الوحيد الذي تستعمل فيه اللغة العربية ، وعند كل الجماعات اللغوية ، هو الإدارة ، والتي لها طابع الرسمية إلى حد كبير، ولكن قد تكون هناك أسباب أخرى تجعل هذه اللغة ، أكثر انتشارا لدى الموظفين ، وحتى الأفراد القاصدين لهذه الإدارات .

اما بالنسبة للغة الامازيغية ، فإننا نجدها أكثر انتشارا على نطاق واسع، وفي جل المواضع اللغوية (الأقارب، الجيران، الشارع، السوق)، مما يدل على تلك الوظائف التي تؤديها هذه اللغة ، عند الجماعة اللغوية للقبائل ، فهي تهيمن على مجمل الاستعمالات .

في حين نجدها - الامازيغية- محصورة جدا، حيث تتواجد في الاستعمال مع الجيران (القريبيين في السكن) عمد الجماعة اللغوية لبني مزاب، ولعل ذلك يبرز، أنهم يتحدثون الامازيغية فيما بينهم ، لدلالة على روح الجماعة ، والانتماء إليها.

وتكون أيضا (الامازيغية) باللغة الحصر في الاستعمال، إذ لا يتحدث بها إلا مع الأقارب، ذوي الصلة الدموية، لدى التوارق.

وتبرز حالة الديجلوسيا (عربية وامازيغية معا)، كوضعية لغوية منتشرة، وذلك عند الجماعتين اللغويتين لكل من التوارق ، وبني مزاب، حيث يكون استعمالها واسع النطاق في المواقف الأكثر تواجدا للأفراد (الشارع و السوق) ، بصفة خاصة عند التوارق .

فهناك توزيع شديد التميز للوظائف اللغوية الممارسة، لدى هذه الجماعات، فاللغة العربية، باعتبارها لغة وطنية ورسمية، اللغة الأفضل توزعا وانتشارا للجماعة اللغوية للشاوية ، وهي مهيمنة على جميع المواقف والأماكن (لغة متفوقة)، وهي لغة محصورة (محدودة) الاستعمال، عند التوارق (في الإدارة)، وبدرجة اقل عند بني مزاب (الأقارب والإدارة) .

ولعل الملفت للنظر، أنها (العربية) تكتسي طابع الانتشار، لدى كل الجماعات اللغوية المختلفة، عندما يتعلق الأمر بالإدارة، مما يعطي إحياء، بأنها اللغة الأكثر استعمالا داخل هذه الإدارات ، لأسباب تتعلق ، بذات المبحوثين ، وبعلاقتهم بلغة المحيط ، ولغة الدولة ، ولغة الاستعمال في مثل هذه المواقف الرسمية ، وهي الأكثر فهما لدى كل الأفراد في علاقاتهم الوظيفية والاجتماعية.

بينما تعتبر اللغة الامازيغية ، والتي لا تكتسي طابع اللغة الوطنية - فعليا- ، هي الأكثر انتشارا والأفضل توزعا، للجماعة اللغوية للقبائل ، وهي مهيمنة على جميع المواقف اللغوية ، والأماكن (باستثناء الإدارة)، إلا أنها لغة مستعملة على نطاق ضيق (محصورة)، عند التوارق (مع الأقارب)، وعند بني مزاب (مع الجيران) .

بينما تكون حالة الازدواجية اللغوية -عربية وامازيغية معا- الأكثر انتشارا، والأفضل توسعا، وتواجدا عند الجماعة اللغوية للتوارق (باستثناء الأقارب) ، والجماعة اللغوية لبني مزاب - بدرجة اقل - ، ماعدا الجيران والإدارة ، وهذا ما يعطي الانطباع بان حالة الازدواجية ، الوضع الأكثر استعمالا لدى هاتين الجماعتين .

ولعل هذا التوزيع اللغوي - المتداخل أحيانا ، والمتناقض أحيانا كثيرة - لهذه الجماعات في ممارستهم اللغوية ، يعكس إن كانت ، تلك اللغة ، أو هذه ، هي الأنسب لهذا الموقف (المقام) اللغوي أو أن الطرفان - المتحدث والمستمع- يتكلمان نفس اللغة (لغة وحيدة) ، أو أن إحدى اللغتين عربية أو امازيغية ، مفهومة عند طرف ، وغير مفهومة عند الطرف الآخر ، وهو ما يفرض صيغة لغوية متفاهم بها (لغة مشتركة) ، سواء أكانت العربية أو الامازيغية .

وهذا ما يترجم الأهمية اللغوية ، في مجمل هذه الوضعيات ، لأفراد العينة المبحوثة للجماعات اللغوية السابقة ، وهل أن هذا الاستعمال لهذه اللغة أو تلك ، هو مجرد استعمال لأداة من أدوات التواصل؟ أم هو متجاوز ذلك ، لاعتبارات أكثر دلالة ؟

جدول رقم (43) : يوضح غرض إدخال المبحوثين أبنائهم للمدارس القرآنية.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		إدخالهم للمدارس القرآنية والغرض من ذلك	
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	نعم	لا
4 %	2	18 %	9	2 %	1	10 %	5	تعلم اللغة العربية	
94 %	47	80 %	40	58 %	29	76 %	38	حفظ القرآن	
2 %	1	2 %	1	40 %	20	14 %	7		
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع	

نلاحظ من خلال الجدول * أن:

أكبر نسبة لدى الجماعات اللغوية الشاوية هي 76 %، من الذين عبروا عن ان دخول أبنائهم للمدارس القرآنية ، هو لأجل حفظ القرآن الكريم، في مقابل 14 % لأجل تعلم اللغة العربية.

وأكبر نسبة لدى المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل هي 58 % وهي التي صرح فيها المبحوثين، ان أبنائهم دخلوا المدارس القرآنية لأجل حفظ القرآن الكريم، في مقابل 1 % لأجل تعلم اللغة العربية ، مع تسجيل ما نسبته 40 % هم من الذين لم يدخلوا أبنائهم المدارس القرآنية.

أكبر نسبة لدى المبحوثين للجماعة اللغوية لبني مزاب هي 80 % ،وهي للذين أقرروا بأن غرض إرسال أبنائهم للمدارس القرآنية هو لحفظ القرآن ، في مقابل 18 % لأجل تعلم اللغة العربية.

وأكبر نسبة للمبحوثين لدى الجماعة اللغوية للتوارق هي 94 % و كان غرض إرسال الأبناء إلى المدارس القرآنية، هو حفظ القرآن الكريم ، في مقابل 4 % لأجل تعلم اللغة العربية.

ما نستخلصه من الاتجاه العام، لهذا الجدول، أن إدخال الآباء الأبناء إلى المدارس القرآنية هو لغرض حفظ القرآن الكريم، وهذا لدى الجماعات اللغوية المختلفة، وتبرز هذه الحالة أكثر عند

* - قمت في التعليق على هذا الجدول بالتركيز على الذين أدخلوا أبنائهم للمدارس القرآنية فقط.

الجماعات اللغوية الواقعة في المناطق الصحراوية (التوارق وبنو مزاب) وبنسبة أقل عند الشاوية، وتقل أكثر عند القبائل.

لقد كان إسهام المدارس القرآنية كثيرا في الحفاظ على اللغة العربية، وعلى التعاليم الدينية السمحة، وهذا خلال الفترات التاريخية المختلفة، فهناك إقبال على هذه المدارس من قبل الأولياء، نظرا للمكانة والثقة الممنوحة لهذه المؤسسات الدينية، التي برز دورها كصمام أمان للشخصية الوطنية، نظرا للدور التربوي والتعليمي الذي تقوم به هذه المدارس للنشئ، إلا أنه برغم تعدد أدوار هذه المدارس، فإن المبعوثين ركزوا في تصريحاتهم المختلفة، ولدى كل الجماعات اللغوية أن الغرض من إرسال الأبناء إلى هذه المدارس هو لحفظ القرآن الكريم، وهذا يعطي عدة تفسيرات، يكمن في أن الأبناء لدى هذه الجماعات يعرفون اللغة العربية في المنزل قبل ذهابهم إلى هذه المدارس، أي أنهم يملكون بعض الألفاظ والكلمات التي تمكنهم من فهم سماع ما يتم قوله بهذه اللغة وبخاصة إذا كان الأبناء قد دخلوا إلى هذه المدارس مع الدخول إلى المدارس الرسمية (الإبتدائية)، وبالتالي فهم بحاجة إلى توجيههم لحفظ القرآن الكريم بدل تعلم اللغة، ويمكن تفسير تركيزهم على هذا (حفظ القرآن)، في أن القرآن نزل باللغة العربية، وعليه فإن الأبناء آليا يستعملون هذه اللغة من خلال القرآن الكريم، وقد رأينا فيما سبق أنا هناك علاقة قوية بين القرآن واللغة العربية، فالقرآن يساهم في نشر العربية واتساع رقعة استعمالها وممارستها داخل كل أواسط المجتمعية، ولدى كل الفئات الاجتماعية، فهذه اللغة المقدسة سوف تكون لغة متكلم ومتحدث بها، إذ يساهم حفظ الأبناء للقرآن السهولة في التكلم بهذه اللغة دون عقدة، وهو ما يعكس حتى نفوذ العربية إلى الأسر (الناطقة بالأمازيغية)، وتصبح لغة متداولة ومتكلم بها على نطاق واسع، فقد مكن القرآن لهذه اللغة من التوسع والإنتشار، وقد بين الإسلام -تاريخيا- في العديد من بقاع العالم، باختلاف أعراقهم وأعرافهم ولغاتهم، على قدرته الاستيعابية لكل اللغات والأعراف والثقافات المتنوعة، وقد عرف هذا الإحتضان للمجتمعات (الناطقة بالأمازيغية)، ومكّن هذا القرآن من إقبال الأفراد عليه، وتعلمه وحفظه وتعليمه، ولذلك نجد أن جل المبعوثين بينوا أن الغرض هو حفظ القرآن الكريم، لأن حفظ القرآن يضمن لهم التحكم في اللغة العربية، والقدرة على إستعمالها - وخاصة - داخل المحيط التربوي (المدرسة)، مما يساعدهم على التفوق والنجاح الدراسي .

فللمدارس القرآنية دور في تنشئة الأبناء لغويا وتربويا وتعليميا، من خلال القرآن ولغة القرآن، وهو ما يساهم في التشجيع على ممارسة اللغة العربية داخل هذه البيئات الجغرافية المختلفة، سواء

داخل الأسرة أو خارجها، فهي مؤسسة لغوية قادرة على النفوذ إلى عمق المجتمع والأسرة بصورة خاصة، ولعل بروز هذه المدارس القرآنية لدى الجماعات اللغوية في المناطق الجغرافية الصحراوية (التوارق وبني مزاب)، لدليل على الأهمية التي تكتسبها هذه المدارس، داخل هذه الجماعات، وهي الأكثر حرصا على تعلم القرآن وحفظه، ونجد أيضا الانتشار الواسع للزوايا في هذه المناطق، والتي كان لها الدور التاريخي في نشر الإسلام، وتعاليم الإسلام السمحة، لذلك نجد أن معظم ساكني هذه المناطق حافظين القرآن الكريم، وهو ما يجعل اللغة العربية مكتسبة ومتحكم فيها، ولذلك فإن لهذه المدارس القرآنية مكانة خاصة في نشر اللغة العربية وتعلمها وتعليمها للأجيال، وهو ما يبرز ظهور هذه المدارس بقوة عكس المناطق الأخرى.

جدول رقم (44) : يوضح اللغة المفضلة للمبحوثين أثناء القراءة والكتابة.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		اللغة المفضلة في القراءة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
70 %	35	88 %	44	32 %	16	94 %	47	العربية
24 %	12	6 %	3	20 %	10	/	/	الأمازيغية
6 %	3	6 %	3	48 %	24	6 %	3	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يبين لنا من خلال الجدول أن:

أكبر نسبة هي 94 % لدى المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية، وهي التي عبر عنها المبحوثين بأن اللغة المفضلة لديهم في القراءة والكتابة، هي اللغة العربية، في مقابل 6 % للذين يفضلون ذلك باللغة الفرنسية.

وأكبر نسبة للمبحوثين لدى الجماعة اللغوية للقبائل، هي 48 % وهي للذين يعتبرون بأن اللغة الفرنسية، هي اللغة المفضلة سواء للقراءة أو الكتابة، مقارنة بـ 32 % للذين يفضلون اللغة العربية، و 20 % للذين يفضلون بها اللغة الأمازيغية.

وأكبر نسبة للمبحوثين لدى الجماعة اللغوية لبني مزاب، هي 88 % وهي للذين يفضلون اللغة العربية، في الكتابة والقراءة ، في مقابل 6 % لكل من اللغة الفرنسية والأمازيغية.

وأكبر نسبة للجماعة اللغوية للتوارق وهي 70% و هي للذين يفضلون أيضا، القراءة والكتابة باللغة العربية، في مقابل 24 % للذين يفضلون بها الكتابة والقراءة باللغة الأمازيغية، و 5 % للذين يفضلون اللغة الفرنسية في ذلك.

يتبين لنا من خلال القراءة الإحصائية للجدول، أن الإتجاه العام للمبحوثين، هو تفضيلهم (أسبقية) للغة العربية كلغة للقراءة و الكتابة، وهذا بتوافق الجماعات اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب والتوارق، مع أفضلية لهذه اللغة عند الشاوية وبني مزاب ، بينما تتجه آراء الجماعة اللغوية للقبائل، نحو اللغة الفرنسية، كلغة مفضلة للقراءة والكتابة، وبدرجة أقل للغة العربية، وأقل أكثر للغة الأمازيغية.

وللقراءة ودور مهم في إكتساب المعارف والعلوم، وتساعد على تكوين الأفراد تكويننا معرفيا وتتقنيا يمكنهم من توعيتهم وتبصرتهم بالقضايا المحيطة بهم، والتي تحتاج إلى مواقف مصيرية، كما تلعب هذه القراءة دور في إدراك الأفراد ووعيهم الفردي والجماعي، وهو ما يكسبهم المهارة في التفاعل والمواقف المختلفة، إلا أن القراءة تكون بلغات معينة يتحكم فيها القارئ، وله القدرة على فهم المحتوى، وإدراك المعاني والألفاظ والعبارات الواردة فيه، سواء أكان كتابا أو مجلة أو جريدة... إلخ، لأن فعل القراءة يحتاج إلى سلوك لغوي محدد، يفهمه القارئ، ولذلك نجد أن الممارسات القرائية للمبحوثين للجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب والتوارق) تكون بالعربية ذات الأفضلية (الأسبقية) في القراءة بواسطتها، ولعل ذلك نابع من تحكمهم في هذه اللغة التي تكونوا بها، وسمعوا بها، وتكلموا بها في مجالات ومواقف عديدة، زيادة على الطابع المؤسساتي الرسمي (المدرسة والجامعة)* خاصة، والتي مكنتهم من الإطلاع بهذه اللغة، وبخاصة في ظل توفر المادة العلمية المكتوبة والمسموعة بهذه اللغة (العربية)، وهذا ما شجع وحفز المبحوثين على أن تكون قراءتهم وكتاباتهم بهذه اللغة، وقد تشمل الكتابة مجمل الكتابات سواء كانت علمية أو أدبية أو ترفيهية أو عادية... إلخ ، وهو ما يعبر أيضا عن قدرة هؤلاء المبحوثين على عطائهم بهذه اللغة، وتحكمهم فيها، كتابة وقراءة، وممارسة إجتماعية داخل المحيط السوسيو ثقافي.

* - متعلق بذوي المستوى التعليمي الجامعي.

ولكن نجد أيضا من المبحوثين من يلجأ إلى اللغة الأجنبية، كلغة تمكن لهم من خلالها الإطلاع على العالم الخارجي ومعرفة خفاياه، زيادة على تنمية معارفهم بهذه اللغة، وخاصة أن هذه اللغة (الأجنبية- والفرنسية تحديدا)، تعتبر لغة مرجعية في الثقافة وهي ورقة ناجحة لتحقيق النجاح الاجتماعي من خلالها، على حساب اللغة الوطنية (العربية والأمازيغية)، والحقيقة أن هذه اللغة لا تزال تحظى بمكانة رفيعة لدى النخب المثقفة، وبخاصة ذات التكوين بها، فلا تزال تملك السلطة داخل المجتمع، وسيادتها على قطاعات هامة، ويقدر ما نجد ضالة المبحوثين لهذه الجماعات اللغوية (الشاوية، التوارق وبني مزاب)، في اعتمادهم على هذه اللغة في القراءة والكتابة، بقدر ما يزداد الاهتمام بها، والاعتماد عليها لدى أفراد المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، كلغة مفضلة للقراءة والكتابة، ولعل التكوين الذي تلقوه خلال مسارهم الدراسي، أو في مدارس خاصة، جعل إهتمامهم يزداد أكثر بهذه اللغة، كما أن للعوامل التاريخية في تشكل النخبة* التي في الغالب ما كانت مرتبطة أكثر بالمدرسة الفرنسية، في قراءتها وكتابتها والتي كانت الخزان لتكوّن هذه النخب المثقفة، ولذلك نجد أن النخب المثقفة، هي الأكثر توجهها نحو القراءة والكتابة بهذه اللغة، والتي تعتبر عند البعض أنها الممهد في الدفاع والإهتمام بالمسألة الأمازيغية في الجزائر «..تحتل منطقة القبائل مكانة خاصة ورائدة بالنسبة للمسألة الأمازيغية، وهذا راجع إلى تقاليد قديمة، تتمثل في إستقلالية تجاه السلطة المركزية التي قاومتها دائما وإلى تثاقف غربي عميق وقديم- من خلال المدرسة الفرنسية والهجرة...»¹

كما أن هناك توجهات نحو اللغة الأمازيغية، ولكن بصورة منخفضة، ويعود إلى قلة الكتابات بهذه اللغة، وانعدامها في مجالات عديدة، وهو ما يترجم قلة القراءة بها أيضا، لأسباب متعلقة بإزدواجية الخطاب لدى النخب المهتمة بهذه المسألة (على إختلاف مرجعيتها وإيديولوجيتها) التي تكتب وتقرأ بلغة غير اللغة التي تدافع عنها (الأمازيغية)، بلسان غير لسانها، وإلى عوامل إجتماعية وتقنية وسياسية، ولذلك نجد أن هناك إنسجام لدى المجموعات اللغوية، بصفة عامة في الإقبال على الكتابة والقراءة بهذه اللغة.

*- النخبة الناطقة بالفرنسية.

¹- أنظر كتاب: سالم شاكر، الأمازيغ وقضيتهم في بلاد المغرب المعاصر، مرجع سابق، ص9.

ولا شك أن كل من القراءة والكتابة بلغة ما، يعكس ممارستهم لهذه اللغة أو تلك، فهناك توجهات نحو اللغة العربية بصفة عامة، لدى الجماعات اللغوية (الشاوية، التوارق وبني مزاب)، وهو ما يعكس جزء من الانقسام في النظر إلى المسألة اللغوية فكراً وثقافةً.

ولعل هذا السلوك اللغوي القرائي والكتابي له ارتباط بالسلوك اللغوي الكلامي للمبحوثين.

جدول رقم (45) : يوضح اللغة كأداة للهيمنة وعلاقتها باستعمال هذه اللغة في القراءة والكتابة .

التوارق								بني مزاب								القبائل								الشاوية								لغة القراءة والكتابة				
عربية				أمازيغية				فرنسية				المجموع				عربية				أمازيغية				فرنسية				المجموع					عربية			
ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن							
اللغة كأداة هيمنة																																نعم				
27	81,8	5	15,2	1	3	33	100	39	100	3	7,7	3	7,7	33	84,6	10	37	5	18,5	12	44,4	27	100	36	97,3	/	/	1	2,7	37	100					
8	47,1	7	41,2	2	11,8	17	100	11	100	/	/	/	/	11	100	6	26.1	5	21,7	12	52,2	23	100	11	84,6	/	/	2	15.4	13	100					
35	70	12	24	3	6	50	100	44	88	3	6	3	6	44	88	16	32	10	20	24	48	50	100	47	94	/	/	3	6	50	100					
المجموع																																				

نلاحظ من خلال الجدول أن:

ما نسبته 97,3 % من المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للشاوية، والذين لغة القراءة والكتابة لديهم هي العربية يقرّون بأن اللغة أداة هيمنة، في المقابل 84,6 % من الذين يقرّون ويكتبون بالعربية، لا يرونها أداة هيمنة، و نجد ما نسبته 15,4 % من الذين يقرّون ويكتبون بالأمازيغية لا يرون بأن اللغة أداة هيمنة، مقابل 2,7 % منهم يرون بأنها أداة هيمنة.

وما نسبته 52,4 % من الجماعة اللغوية للقبائل، والذين يقرّون ويكتبون بالفرنسية، يعتبرون بأن اللغة لديهم ليست أداة هيمنة مقارنة بـ 44,4 % الذين يرون بأنها أداة هيمنة، بينما نجد ما نسبته 37 % من الذين يقرّون ويكتبون بالعربية، يرونها بأنها أداة هيمنة، مقارنة بـ 26,1 % الذين يرون عكس ذلك، وبدرجة أقل نجد أن ما نسبته 21,7 % من الذين يقرّون ويكتبون بالأمازيغية يعتقدون بأن اللغة ليست أداة هيمنة ، في مقابل 18,5 % يرون ذلك.

وما نسبته 100 % من أفراد العينة للجماعة اللغوية لبني مزاب ،والذين يقرّون ويكتبون باللغة العربية يرون بأن اللغة أداة هيمنة، وفي مقابل، 84,6 % منهم يرون عكس ذلك (ليست أداة هيمنة)، ونجد ما نسبته 7,7 % للذين يقرّون ويكتبون باللغة الفرنسية والأمازيغية، يرون بأنها أداة هيمنة.

وما نسبته 81,8 % من المبحوثين للجماعة اللغوية للتوارق والذين يقرّون ويكتبون باللغة العربية، يرون بأن اللغة أداة هيمنة، في مقابل 47,1 % منهم لا يرون بأنها كذلك كما نجد أن ما نسبته 41,2 % من الذين يقرّون ويكتبون باللغة الأمازيغية لا يرون بأن اللغة أداة هيمنة، في مقابل 15,2 % يرون ذلك (أداة هيمنة)، وما نسبته 11,8 % من الذين لغة قراءتهم وكتابتهم، باللغة الفرنسية، يرون بأن اللغة ليست أداة هيمنة، في مقابل 3 % منهم يرون بأنها أداة هيمنة.

يتجلى لنا من خلال هذه القراءة للجدول، أن هناك تباين أيضا في الآراء إزاء اعتبار اللغة كأداة هيمنة في علاقتها باللغة المقروءة والمكتوبة*، وهذا بين الجماعات اللغوية المختلفة، إذ تظهر النتائج أنه كلما إرتبط فعل القراءة والكتابة باللغة العربية للمجموعة اللغوية لكل من الشاوية والتوارق، كلما كانت هذه اللغة بالنسبة إليهم أداة هيمنة وبدرجة أقل للجماعة اللغوية للقبائل، والتي

* - قد لا تنطبق هذه النظرة على القارئ والكاتب، في نفس الوقت، فقد تكون على القارئ فقط أو الكاتب.

تعتبر (القبائل) أنه كلما إرتبط فعل القراءة والكتابة لديهم باللغة الفرنسية، كلما كان اعتبارهم بأن هذه اللغة لا تمثل أداة هيمنة، وبدرجات أقل للجماعات اللغوية، لكل من الشاوية والتوارق.

بينما تظهر رؤية الجماعات اللغوية لبني مزاب بأنه، كلما كان هناك فعل للقراءة والكتابة باللغة العربية، كلما اعتبر بأن اللغة لا تشكل أداة هيمنة، وتبقى أداة هيمنة اللغة مرتبطة بالذين يقرأون ويكتبون باللغة الفرنسية أو الأمازيغية، ولكن بتأثير ضعيف .

ولعل انتشار اللغة العربية في قطاعات واسعة من المجتمع، وعلى المحيط الاجتماعي، ووسائل الإعلام والاتصال المختلفة، جعل هؤلاء المبحوثين، يقرون بأن اللغة أداة هيمنة، إذ يستطيع الفرد من خلالها تحقيق نوع من الامتيازات والتفاهات، بين مكونات المجتمع، كما أنها تمنح لهم فرصة أكثر للوظيفة، وللمكانة الاجتماعية، التي تتقلهم من وضع مزري إلى وضع أفضل؛ فاللغة المستعملة على نطاق واسع، ولها الطابع الرسمي، الذي يسهل لها التغلغل في أعماق المجتمع، وتصبح اللغة الأولى من حيث الاستعمال والرسمية، يجعل هؤلاء المبحوثين، يقرون باعتبارها أداة يمكن أن تهيمن بصورة على كل شيء، ولعل قراءتهم وكتابتهم بهذه اللغة منحهم الشعور بصورة أوسع، حول قيمة هذه اللغة في النسيج الاجتماعي ككل، بينما تظهر الصورة العكسية لدى الجماعة اللغوية لبني مزاب، والتي ترى بأن هذه اللغة لا يمكن أن تكون أداة هيمنة، وهي مرتبطة أساسا، بالذين يقرأون ويكتبون بهذه اللغة (العربية)، أن هناك انطباع آخر، لدى هذه الجماعة اللغوية، في نفي أن تكون هذه اللغة أداة هيمنة، برغم تعلمهم بها واستعمالها على نطاق واسع، وبرغم المكانة الرفيعة التي تحظى بها في ظل التوجه الديني (المذهب الإباضي) لها، إلا أنهم لا يعتبرونها كذلك، وقد يعود ذلك في تقديرنا إلى طبيعة الاحتكاكات مع المتساكنين معهم، والتي ما تكون في الغالب محل نزاعات - ظرفية- تملّي بأن لا تكون هذه اللغة (العربية)، أداة للهيمنة، بقدر ما سمح المجال للغتين الأمازيغية بأن تكون كذلك (أداة هيمنة)، ولكن بنسبة ضعيفة، كما لا نهمل النسبة الأخرى، للذين يرون بأنها أداة هيمنة (العربية)، وهذا ما يبرز الانقسامات داخل هذه المجموعات اللغوية، في رؤيتهم لهيمنة اللغة، وللزاوية التي يفسرون من خلالها آرائهم ومواقفهم ، كما يرجع هذا التباين (الانقسام) إلى المستويات التعليمية لأفراد العينة، وإلى الأصول الجغرافية لكل منهم، وبدرجة أكبر ربما إلى المكانة الاجتماعية لكل فرد داخل هذه الجماعات.

كما تبين الأرقام، بأن الجماعة اللغوية للقبائل، والتي تكون فيها النسبة مرتفعة للذين يطالعون ويكتبون باللغة الفرنسية، كان توجهها باعتبار أن هذه اللغة ليست أداة هيمنة ، ومرد ذلك ربما، يعود إلى أن هذه اللغة (الأجنبية) ليست هي اللغة الرسمية ولا الوطنية التي يمكن أن تكون لها (الهيمنة)، ولا حتى اللغة الأمازيغية (لمدة طويلة)، ولكن من الناحية الرسمية والقانونية، يمكن اعتبار ذلك سليماً بشكل كبير، ولكن من الناحية الفعلية والواقعية، فإن اللغة الفرنسية لا تزال اللغة الأكثر تواجداً داخل قطاعات حساسة وهامة، وخاصة أنها لغة الإستعمال في كل المناسبات ذات الطابع الرسمي، وفي الكثير من المراسلات والاتصالات الرسمية، فهي تؤمن إعادة إنتاج سيطرتها الاقتصادية والسياسية، فلا تزال إذاً لغة للسلطة السياسية والاقتصادية وحتى الثقافية، ولعل العربية برغم إنتشارها أيضاً وتغلغلها ونفوذها إلى قطاعات وهيئات عديدة، ولكن لا تزال تصارع اللغة الفرنسية في تحقيق تلك السلطة.

فهيمنة اللغة ليست بالضرورة في تواجدها، ولكن في فاعليتها، وقيمتها، وامتيازاتها التي يحقق من خلالها الأفراد احتياجاتهم ورغباتهم، وإلى تلك القيمة والنجاح، الذي تحققه بأن تصبح اللغة الأكثر طلباً وإقبالاً عليها، ليس لمظهرها، ولكن لمكانتها وسيطرتها ونفوذها.

فهناك إرتباط - على ما يبدو - بين اللغة المقروءة والمكتوبة لدى الجماعات اللغوية (أو بعضها)، وبين اعتبار تلك اللغات كأدوات هيمنة على العديد من المجالات والقطاعات، والمراكز... إلخ، إلا أن ذلك أفرز تناقضاً، في نظرة المبحوثين داخل هذه الجماعات المختلفة في نوعية اللغة (عربية/فرنسية/أمازيغية) ، والتي تستطيع من خلالها تحقيق ذلك، ولعل ذلك مرده إلى المرجعيات الفكرية والتاريخية والمجتمعية لكل لغة من هذه اللغات، ولكل شخص منتمي إلى هذه الجماعة أو تلك.

استنتاج الفرضية الأولى :

بعد تحليلنا للفرضية الأولى، والتي مفادها «أن هناك تأثير للعوامل الاجتماعية على الممارسة اللغوية الأسرية، ويختلف هذا التأثير باختلاف الأسر الناطقة بالأمازيغية في الجزائر (شاوية، قبائل، بني مزاب ، توارق)».

وبما أن اللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما هو اجتماعي، فلا شك أن هناك العديد من الروابط التي تولدها (تنشئها) اللغة، وتسعى للحفاظ عليها، فهي جزء يعكس هوية الشخص، وترتبط هذه اللغة بشبكة من المجالات (الفضاءات) التي تمارس فيها أو من خلالها (كالمكان أو المنطقة أو السوق... إلخ)، ولعل للغة أيضاً استعمال وظيفي، حيث تبرز هذه الوظيفة في المواقف أو المواضع اللغوية المتباينة، وعليه فإن حالة اللغة في إطارها الاجتماعي (بيئتها الاجتماعية)، سوف تبرز لنا الواقع اللغوي كما يعيشه الفاعلون الاجتماعيون ، وهو الذي يصنع الواقع الذي يتفاعل ويعيش فيه المجتمع – أو الجماعة- اللغوية بكل أبعادها وتجلياتها، ولذلك عند تحليلنا للفرضية السابقة أظهرت النتائج التالية:

* ففيما يخص العلاقة الموجودة بين نوعية الأسرة وتكلم الأبناء اللهجة المحلية (الأمازيغية)، هناك توافق، على أن الأسرة الممتدة هي المساهمة الفعالة في نقل اللغة إلى الأبناء والمحافظة عليها، وهذا للجماعات اللغوية كلها، كما للأسرة النووية أيضاً دور في الحفاظ على اللهجة المحلية (الأمازيغية)، لكن الجماعة اللغوية للشاوية أفرزت نتائج عكس الجماعات الأخرى، إذ تعتبر الأسرة النووية بأنها لا تساعد في حفاظ الأبناء على اللهجة المحلية والتحدث بها ، فلنوعية الأسرة علاقة بالممارسة اللغوية للأبناء فيما بينهم باللغة المحلية.

وفيما يخص علاقة نوع الأسرة بسرد قصص وحكايات على الأبناء ، واللغة المستعملة في ذلك، فقد أفرزت النتائج تباينات واضحة، كما أبرزت قواسم مشتركة، ففي الأسرة الممتدة تظهر التباينات أكثر، إذ يبرز دور الجد لكل من الشاوية والتوارق، وتبرز الأم عند بني مزاب، وعند القبائل الجدة، وتكون اللغة المستعملة في الغالب هي الأمازيغية، مع تواجد العربية أكثر عند الشاوية.

أما في الأسرة النووية، فإننا نجد الأدوار تختلف أيضاً، فيكون دور الأم والجدة بارزاً عند (القبائل وبني مزاب والتوارق)، ويبرز دور الأب أكثر عند (القبائل وبني مزاب والتوارق)، واللغة المستعملة

مرتبطة أكثر بالسارد للقصة والحكاية، فعند الأسرة النووية تساهم كل من الجدة والأم وبدرجة أقل الأب، في نقل اللغة (المحلية) إلى الأبناء.

فهناك علاقة ارتباطية موجودة بين نوع الأسرة ونوع اللغة التي يسرد بها أعضاء (أفراد) الأسرة القصص والحكايات، وهي ذات تأثير على مستقبل اللغة للأبناء.

*أما عن اللغة الأم لهذه الجماعات، فقد تبين أن هناك أيضاً اختلافات، في تصوّر المبحوثين للغة الأم عند هذه الجماعات، ولكن لديهم رؤية مشتركة في أن اللغة الأمازيغية هي اللغة الأم بالنسبة لديهم، عكس الشاوية الذين تباينت مواقفهم بين اعتبار اللغة العربية هي اللغة الأم، وهي أغلبية، وبين اعتبار الأمازيغية هي اللغة الأم، ولكن هنالك حالات ولو قليلة تُقرّ بها الجماعات الأخرى (القبائل، بني مزاب والتوارق) بأن العربية هي لغتها الأم.

إذاً فهناك قبول عام لهذه الجماعات باعتبار الأمازيغية لغة أم، ولكن دون إبعاد اللغة العربية من اعتبارها لغة أم أيضاً، وهو ما يعكس حالة (اللاستقرار - عدم الثبات) المطلق للغة الأم بالنسبة لهذه الجماعات اللغوية، فليس بالضرورة أن تكون اللغة الأم هي الأمازيغية لديهم.

*بينما فيما يخص، علاقة اللغة الأم باللغة المفضل تعليمها للأبناء، فإننا نجد أن هناك مواقف مشتركة وأخرى مختلفة، وهذا حسب اللغة الأم للأباء، فكلما كانت اللغة الأم هي العربية فإن لغة الأبناء تكون هي العربية أيضاً، للجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب والتوارق)، ولكن تظهر الأمازيغية كلغة للأبناء بدل العربية لدى القبائل.

وكلما كانت اللغة الأم هي الأمازيغية، فإن لغة الأبناء هي الأمازيغية، وهذا للجماعات اللغوية (القبائل، بني مزاب، التوارق)، ولكن تظهر العربية كلغة للأبناء بدل الأمازيغية عند الشاوية.

فهناك إعادة إنتاج للغة الآباء (الأم)، إلى الأبناء، لدى الجماعات اللغوية (بني مزاب والتوارق) سواءً تعلق الأمر باللغة الأم (العربية أو الأمازيغية)، مع اشتراك إعادة إنتاج الأمازيغية للأبناء لدى القبائل، وإعادة إنتاج العربية لدى الشاوية.

ولكن هناك حالة تتناقض عند الشاوية والقبائل، إذ لا يعاد إنتاج نفس اللغة في موقفين، الموقف الأول هو ظهور اللغة العربية عند الأبناء بدل الأمازيغية للجماعة اللغوية الشاوية، والموقف الثاني

هو ظهور اللغة الأمازيغية عند الأبناء بدل اللغة العربية للجماعة اللغوية للشاوية (وقد تكون حالة الصراع الداخلي الموجود لدى هاتين المجموعتين في موقفهما غير الثابت -إزاء هاتين اللغتين-) نفسياً واجتماعياً.

كما تظهر حالة إنتاج لغة جديدة للأبناء (ولو بفرص ضئيلة) عند الجماعات اللغوية المختلفة، سواء تعلّق الأمر بالذين بلغتهم الأم الأمازيغية أو العربية، ولكن تبرز هذه اللغة أكثر عند القبائل الذين يعتبرون لغتهم الأم هي الأمازيغية.

*وعن اللغة المفضلة في التحدث بها، لدى هذه الجماعات، فإن هناك توافق لكل من (القبائل، بني مزاب والتوارق)، حول تفضيل اللغة الأمازيغية في الحديث اليومي، واختلاف الموقف مع الجماعة اللغوية للشاوية، التي يفضل أعضائها الحديث باللغة العربية في الحياة اليومية.

*وعن اللغة المفضل تعليمها للأبناء -قبل دخولهم المدرسة- فإن هناك توافق نسبي، لدى بعض المجموعات (كالقبائل وبني مزاب والتوارق) في تعليم أبنائهم اللغة الأمازيغية، بينما تبرز العربية كلغة مفضلة للجماعة اللغوية للشاوية وبدرجة عالية، ولكن نجد عند بني مزاب أيضا ، بروز اللغة العربية بنسبة معتبرة وبدرجة أقل عند التوارق، وهو ما يفضي إلى التباين حتى على مستوى الجماعة اللغوية الواحدة، في تفضيل لغة على أخرى، وهذا ما يعكس حالات الازدواجية اللغوية في صورة تظهر ربما في مواقف لغوية أكثر، كما أن هناك توجّهات نحو تعليم اللغة الفرنسية للأبناء قبل المدرسة، لدى كل الجماعات اللغوية، مع تفوّقها النسبي عند القبائل.

*وعن العلاقة الموجودة بين الأصل الجغرافي (مكان الإقامة) واللغة المفضل تعليمها للأبناء، فإن هذه العلاقة تتأكد أكثر لدى كل جماعة لغوية، بينما في علاقتها مع الجماعات اللغوية فيما بينها، فإننا نجد تأثيرها ضعيفاً، إذ يكون هناك تعليم (تفضيل) اللغة الأمازيغية لدى المبحوثين للجماعات اللغوية لكل من (القبائل، بني مزاب والتوارق)، سواءً تعلّق الأمر بالقاطنين بالريف أو للقاطنين بالمدينة، إلا أن تمركزها في الريف أكثر منه في المدينة، وبخاصة عند (التوارق والقبائل والشاوية) ، بينما يكون متوافقاً(متوازناً) بين الريف والمدينة عند بني مزاب.

ونجد أن هناك تغلّب اتجاه المبحوثين للجماعة اللغوية للشاوية، نحو تعليم أبنائهم اللغة العربية -قبل المدرسة- وترتفع أكثر في المدينة عنها في الريف، والذي (الريف) يكون فيه تعليم الأمازيغية مقبولاً.

فهناك توافقات بين الجماعات اللغوية ، وهناك اختلافات سواء في طبيعة اللغة المفضل نقلها للأبناء قبل المدرسة، أو في علاقتها بالمنطقة الجغرافية التي يتواجدون فيها، وهناك أيضاً اختلافات داخل الجماعات اللغوية نفسها في تعليم أبنائها اللغة، سواء في الريف أو في المدينة.

*وعن اللغة المستعملة في حديث الزوجين فيما بينهم، فقد دلت النتائج أيضاً ،على بعض التباينات وبعض التطابقات، إذ تهيمن اللغة الأمازيغية على حديث الزوجين لدى الجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق)، وتتطابق النسب-بصورة منخفضة- للمتحدثين بالعربية لدى كل من (التوارق وبني مزاب).

بينما تتفوق اللغة العربية، على حديث الزوجين فيما بينهم، وهذا لدى الجماعة اللغوية للشاوية، وبصورة أقل لصالح الأمازيغية، وهو ما يُرجح تأثير عوامل المحيط ،وعوامل انتماء الزوجة (لنفس المنطقة أو خارج المنطقة) ، والتي تؤثر على لغة الحديث بينهم، إذ تطغى دائماً لغة الزوجة على لغة الزوج في الحديث العائلي، وبخاصة إذا كانت اللغتين مختلفتين، بينما يكون التوافق في اللغة، إذا كان الزوجين حاملين لنفس اللغة، أو لهما لغتين، ويتنازلان لصالح لغة على الأخرى.

*وعن علاقة الأصل الجغرافي بلغة حديث الزوجين فيما بينهم، فإننا نجد اختلافات لدى المبحوثين، عند المجموعات اللغوية المختلفة، فهناك توافق للجماعتين اللغويتين (القبائل وبني مزاب) في هيمنة اللغة الأمازيغية بشكل كبير على حديث الزوجين ،سواءً تعلق الأمر بالقاطنين بالريف أو بالمدينة، أي أن تأثير الأصل الجغرافي لديهم ضعيف جداً، بينما تختلف الجماعة اللغوية للتوارق عنهم، في تمركز الحديث بين الزوجين باللغة الأمازيغية في المدينة، وتختلف عنهم أيضاً الجماعة اللغوية للشاوية في تمركز الحديث بين الزوجين باللغة العربية في المناطق الحضرية أكثر(المدينة)، بينما يتمركز حديثهما (الزوجين) باللغة الأمازيغية في الريف، و يقل حديث الزوجين باللغة العربية- بصورة لافتة- للجماعات اللغوية (القبائل، بني مزاب والتوارق) في المدينة.

فهناك تناقضات وتداخلات لدى الجماعات اللغوية المختلفة، في ممارسة الزوجين (المسؤولين الأولين) للغة، حيث تبرز الأمازيغية أكثر في الريف، ولدى كل الجماعات اللغوية (للقبائل وبني مزاب والشاوية)، وتقل عند التوارق، ليرتفع استعمالها في المدينة، والتي يرتفع(المدينة) استعمال العربية فيها للشاوية.

*وفيما يخص اللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل، فإن النتائج أظهرت بأن هناك تطابق في المواقف لدى الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، إذ تكون اللغتين معاً (الأم والأب) هي اللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل، وتكون أكثر بروزاً عند بني مزاب والقبائل، وهو ما يعكس التشاركية الزوجية في اللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل، ولكن هذه الحالة تظهر فقط في حالة أن (اللغة مشتركة بينهما -نفسها-) سواء كانت العربية أو الأمازيغية، أو أن الأبناء تعلموا لغتين اثنتين إحداهما لغة الأب والأخرى لغة الأم (حالة الازدواجية).

كما أظهرت النتائج -حتى وإن كانت منخفضة- أن هناك توافق في تعلّم إحدى اللغتين، سواء كانت لغة الأب أو لغة الأم عند الجماعات اللغوية لـ (الشاوية والقبائل)، أي حالة التوازن داخل الجماعة، بينما أفرزت أيضاً حالة سيطرة لغة الأم على لغة الأب عند الجماعتين (التوارق وبني مزاب)، وهو ما يؤكد التفوق للغة الأم في أغلب الحالات على لغة الأب (إن كان هناك اختلاف في اللغتين لديهم).

*أما عن علاقة سن المبحوثين (الفئات العمرية)، باللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل، تظهر النتائج اختلافات بين المجموعات المختلفة في ارتباط لغة ما بفئة عمرية ما، واختلافات داخل الجماعات اللغوية نفسها في ذلك، إذ تتمركز اللغة العربية المتعلّمة للأبناء عند فئة الشيوخ والكهول، لدى الجماعة اللغوية للشاوية، وتكون فئة الكهول لدى القبائل أكثر نقلاً للغة للأبناء وباللغة الأمازيغية.

كما يرتبط تعلّم الأبناء اللغة الأمازيغية لدى الشاوية بفئة الشباب، وارتباط اللغة العربية المتعلمة للأبناء بفئة الشباب والكهول للجماعة اللغوية لبني مزاب، وارتباط اللغة العربية التي يتعلمها الأبناء، لدى الجماعة اللغوية للقبائل بفئة الشباب، إذ هناك تأثيرات متباينة تصل أحياناً إلى حد التناقض، سواء في اللغة التي ترتبط بالفئات العمرية للمبحوثين لدى هذه الجماعات اللغوية، أو داخل الجماعات اللغوية نفسها، في نقل اللغة للأبناء، وأعطت النتائج بعض المفاجئات -الجديرة بالنظر والتمعّن- (كارتباط نقل اللغة الأمازيغية إلى الأبناء بفئة الشباب، وارتباط نقل اللغة العربية إلى الأبناء في القبائل بفئة الشباب أيضاً...).

*بينما تظهر النتائج، فيما يتعلق إن كان الأبناء يتحدثون اللغة الأمازيغية فيما بينهم (بين الأبناء)، فهناك مجموعتين، المجموعة الأولى أظهرت أن الأبناء أثناء حديثهم اليومي الروتيني،

يستخدمون اللغة الأمازيغية فيما بينهم، وهذا لدى الجماعة اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق)، بينما تقرّ المجموعة الأخرى، وهي المجموعة اللغوية للشاوية، بأن أبناءها في حديثهم اليومي لا يستعملون الأمازيغية فيما بينهم، ولكن بدرجة أقل حدة من الذين يستعملون اللغة الأمازيغية فيما بينهم للجماعات الأخرى، ويُعزى هذا إلى اللغة المتعلّمة داخل البيت، والتي يتأثر بها الأبناء، والحالة التي تسيطر فيها لغة الأم في الغالب ما تكون هي لغة الحديث حتى بين الأبناء فيما بينهم.

فالممارسة اللغوية بين الأبناء، تعكس جزء من الممارسة اللغوية لدى الآباء، وقد تفرز أيضاً لغة الأبناء فيما بينهم لغة المحيط الخارجي، أو حالات الازدواجية اللغوية، ولكن قد تتغلب لغة على أخرى لاعتبارات كثيرة.

*أما بخصوص رأي المبحوثين، إن كانت اللغة تعتبر أداة هيمنة، فإن هناك تطابق نسبي للمجموعات اللغوية في اعتبار اللغة كأداة هيمنة، إذ يمكنها أن تسيطر على قطاعات ومجالات عديدة وحيوية، وتكون لها السلطة الأولى، في تحقيق مكاسب وامتيازات، فمن خلال اللغة يمكن بسط السيطرة على المضامين الاجتماعية لهذه اللغة، في قطاعات كثيرة (اقتصادية، تعليمية، سياسية،...)، وتحقق هذه اللغة انتشاراً وتغلغلاً منقطع النظير في الأوساط الاجتماعية بتنوعها وبتوجهاتها وأيديولوجياتها وجغرافيتها...إلخ، ولذلك اعتبر المبحوثين أن هذه اللغة هي وسيلة أو أداة في يد أفراد ضد أفراد آخرين، وفي يد جماعات ضد جماعات أخرى، ولكن هذا لا يمنح لأي لغة، بل هناك لغات تملك المقومات الداخلية والخارجية وتملك القوة اللازمة لتحقيق ذلك.

*وعن أهمية تدريس اللغة الأمازيغية كلغة رسمية، فإن هناك توافق بين الجماعات اللغوية المختلفة، حول أهمية تدريس الأمازيغية، حيث يكتسي طابعها الرسمي، دلالة رمزية هامة لهذه الجماعات اللغوية، من حيث الانتماء للهوية الأمازيغية، ومن حيث تعميم استعمال هذه اللغة (الأمازيغية) للناطقين بها، أو لغير الناطقين بها، ولدى جميع المجموعات اللغوية في المجتمع الكبير.

وتبرز هذه الأهمية بأكثر حدة، عند كل من القبائل والتوارق وبني مزاب، وتقل حدتها عند الشاوية، وهذا ربما لعدم جدواها في ظل الظروف المشحونة التي تحوم على المسألة اللغوية (الأمازيغية)، خاصة

في ظل اللاتوافقات حول لغة الكتابة وأحقية كل لهجة منها في التواجد ضمن الإطار الرسمي -زيادة على التجاذبات السياسية- المتناقضة.

*وعن المرحلة المفضلّ تعليم الأبناء فيها اللغة الأمازيغية، فإن هناك توافق على المرحلة الابتدائية كمرحلة هامة في تعليم الطفل اللغة الأمازيغية، لأنها مرحلة تربط بين الأسرة والمدرسة، أي أن الطفل يصطدم باللغة الرسمية لأول مرة في المدرسة، التي قد تكون لغتها مختلفة عن لغة البيت، والذي يؤثر على لغته وأداءه المعرفي واللغوي، كما أن الذين تعلموا اللغة الأمازيغية قبل المدرسة تسهلّ عليهم عملية التعامل مع هذه اللغة، ببساطة، وبفائدة أكثر.

بينما تظهر النتائج بخصوص الحرف المفضلّ تدريس الأمازيغية به، بأن هناك توافق نسبي، على أن يكون التيفناغ هو الخط الأنسب لكتابة اللغة الأمازيغية، التي سوف تُدرس بها، وتبرز هذه الرؤية أكثر عند الجماعة اللغوية للتوارق والقبائل، لتراجع نسبياً عند الشاوية وبنو مزاب، وهذا يعكس بأن مشكلة الخط الذي تكتب بها لا يزال محل شك وريبة لدى المبحوثين المنتمين لهذه الجماعات، وبخاصة في ظل التوجهات الإيديولوجية المتباينة بين النخب، والتي تؤثر على اختيار الخط (بعيداً عن النظرة العلمية للمختصين في المجال).

فكل مرجعية تسعى من منطلقات إيديولوجية فكرية، لفرض خط يتماشى معها، وهذا سوف يلقي بضلاله على النظرة المجتمعية لهذه الجماعات اللغوية في رفض -أو- قبول هذا الخط أو ذاك، زيادة على اللغة التي سوف يكتب بها، واللهجة التي سوف تهيم على كلمات وألفاظ هذه اللغة (الأمازيغية)، وهي كلها عوامل قد تجعل من الأمازيغية مشكلة، وليست حلّ لمشكلة.

*وعن علاقة اللغة المفضلة للمبحوثين في كتاباتهم، وعلاقتها بالحرف المفضلّ لكتابة الأمازيغية، فقد أظهرت النتائج في عمومها، أنه مهما كانت اللغة التي يفضل المبحوثين الكتابة بها، سواء كانت عربية أو فرنسية، أو أمازيغية، فإن الخط المفضلّ لديهم في كتابة الأمازيغية هو حرف "التيفناغ"، وهذا يعكس الاعتقاد الراسخ لديهم، بأنه الحرف الأصيل لهذه اللغة (الأمازيغية)، كما أنه سوف يتجاوز باختياره كل الخلافات والتجاذبات الإيديولوجية والسياسية والمجتمعية، وحتى الرسمية منها، ليرسخ بذلك مجد الكتابة للغة الأمازيغية، لكن أعتقد أن هذا الرأي قد يلقي هو الآخر الرفض، لدى بعض النخب المؤدلجة، في جميع الاتجاهات (المعرية، المفرنسة، الممزغنة)، لمحاولة كل طرف

تقديم التبريرات لاختيار الحروف الأنسب -وفقاً- لرأيهم لهذه اللغة، وكلّ سوف يحاول تقديم الأدلة والبراهين، والمرجعيات التاريخية لهذا الاختيار أو ذاك، وهو ما يساهم أكثر في انقسام هذه النخب، أكثر مما هي منقسمة، وهو ما يطيل عمر حصول هذه اللغة على عباءة الخط الذي يحفظ وجودها.

زيادة على إشكالية تعدد اللهجات داخل الجزائر، وأيهما أحق أو لها الفضل، في أن تأخذ حظها من الوجود داخل هذه المنظومة اللغوية (الأمازيغية)، وبخاصة أن هناك رفض لدراسة الأمازيغية في المدارس في أول تجربة في المناطق الناطقة بهذه اللغة في (2006)، ومن أسباب ذلك، أن اللغة المدرّسة بعيدة عن الفهم لديهم، لعدم ارتباطها بالألفاظ والكلمات الأكثر تداولاً في المحيط الجغرافي لمنطقتهم، زيادةً على طريقة كتابة هذه اللغة والأحرف التي قد تتداخل فيه أسباب (بيداغوجية، علمية، لغوية، فنية،...).

*أما فيما يخص اللغة المفضلة أو الصالحة للمجالات المختلفة، سياسياً وتعليمياً واقتصادياً ودينيّاً، فقد تباينت الآراء بين الجماعات اللغوية المختلفة، ولعل ذلك راجع إلى قيمة كل مجال بالنسبة لكل مبحث، ولأهمية القطاع بالنسبة إليه، وبالنسبة للغة الواجب تواجدها فيه، ويمكن إجماع هذه المواقف في:

- ففي المجال العلمي والتعليمي، يفضل كل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق) استعمال اللغة العربية، كلغة قادرة على تحقيق انجازات، تعود بالأهمية على المجتمع، كما أن هذه اللغة لها من الإمكانيات الحضارية والثقافية واللغوية ما يجعلها رائدة في هذا القطاع، ورغم التراجع الذي عرفته في هذا المجال مقارنة بالحقب التاريخية اللاحقة فيه.

بينما تفضل الجماعة اللغوية للقبائل، اللغة الفرنسية، كلغة مناسبة لمجال العلم والتعليم، وهو ما يعكس أهمية هذه اللغة للمبشرين لدى هذه الجماعة اللغوية، ولعل ذلك نابع من منطلق تكوينهم بهذه اللغة وارتباطهم بتحقيق امتيازات اجتماعية وثقافية، من خلال هذه اللغة التي تحظى هي الأخرى بمكانة لا ترقى إلى المستوى الفعلي وليس الرسمي، فهي لا تزال تستعمل على نطاق واسع، كما أن هذه اللغة (الفرنسية) لم تعد حكرًا على حلقة في المجتمع، كما كانت عليه في السابق، بل أصبحت الأكثر انتشاراً لدى الأوساط الاجتماعية المختلفة،

وبخاصة المتقفة منها، وهو ما يعطي انطباع بدورها في تحقيق الصعود في السلم الاجتماعي، والامتيازات التي يمكن تحقيقها من خلال هذه اللغة، عن طريق أخذ مكانها علمياً وتعليمياً.

- أما في المجال الاقتصادي، فإن هناك تقارب في وجهات النظر في أهمية كل من (اللغة العربية واللغة الفرنسية) في أن تكون الأنسب لهذا المجال، وهذا للجماعة اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب)، بينما نجد التوارق يفضلون أن تكون العربية هي الأنسب لهذا المجال، ولكن بدرجة مقاربة مع اللغة الفرنسية أيضاً، بينما يرى المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل، مناسبة اللغة الفرنسية أيضاً لذلك.

ولعل المعطيات الاقتصادية، العالمية، برغم تمركزها في مناطق من العالم الغربي، فإن المبحوثين يفضلون اللجوء إلى اللغة الأجنبية، في المعاملات الاقتصادية، لأن هناك علاقة قوية بين الاقتصاد واللغة، فالقوة الاقتصادية تحقق القوة اللغوية، من حيث التوسع والانتشار، فكلما كان اقتصادك قوي، كلما زاد ذلك من قوة لغتك، لأنه سوف يفرض اللغة التي تتفاوض بها معه، واللغة التي تدون بها السلع، واللغة التي تكتب بها،... إلخ، مما يجعل التفوق لهذه اللغة، فاستعمال اللغة هنا مرتبط بتحقيق المصلحة الاقتصادية، أي أنك مطالب للدخول في هذه السوق، باللغة التي تهيمن على الاقتصاد كلغة مفروضة، وليست كلغة مختارة، وهو ما يبرز قيمة اللغة بقيمة الاقتصاد، ولكن هذا قد لا يكون صالحاً في جميع الوضعيات، فهناك دول اقتصادها قوي، ولكن لغتها لا تزال محصورة في بلدها، مما يؤكد تداخل العوامل فيما بينها في انتشار اللغة، ولكن دون التقليل من قيمة القوة الاقتصادية ودورها في تحقيق القوة للغة.

- أما المجال السياسي، فتبين اتجاهات المبحوثين، في نفس اتجاه المجال العلمي والتعليمي، حيث يفضلون استعمال اللغة العربية في ذلك، وهذا للجماعات اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق)، ولعل هناك علاقة بين الممارسة السياسية للأحزاب والممارسة اللغوية لهم، إذ تبرز مضامين البرامج -وبخاصة- ذات التوجهات الثقافية، بما فيها اللغة، ولعل التيارات السياسية المنقسمة في توجهاتها وإيديولوجيتها، وبرامجها تعكس الفئات التي تتماشى مع رؤيتها وتوجهها إزاء القضايا، وهو ما جعل المبحوثين لتلك الجماعات، يرون بأن اللغة العربية هي الأنسب للمجال السياسي، لأن الفئات المجتمعية في عمومها، تعرف هذه اللغة، ولغة مفهومة

لديهم، وبذلك تكون مندمجة معها في التوجهات العامة، بما فيها المسألة الثقافية (واللغوية تحديداً).

بينما يظهر تفضيل الجماعة اللغوية للقبائل استعمال اللغة الأجنبية في المجال السياسي، والذي يعكس ربما رغبة المبحوثين في أن تتناول القضية (المسألة الأمازيغية)، على أوسع نطاق، ولارتباط النخبة المدافعة عن هذه القضية، فكرياً ولغوياً بدرجة كبيرة بالمدرسة الفرنسية، كما أن الأحزاب المتبنية لهذه القضية اللغوية والثقافية، كانت مرتبطة بحزبين سياسيين*، لم يتجاوزا الحدود الجغرافية للمناطق الناطقة بالأمازيغية -أو لبعضها- نظراً للصورة التي كان يحملها الرأي العام حول توجه هذه الأحزاب نحو تبني قضية -مرتبطة بمنطقة جغرافية-، وهو ما جعل الأفراد المبحوثين، يفضلون هذه اللغة في المجال السياسي.

- أما المجال الديني، فهناك توافق كلي بين الجماعات اللغوية المختلفة، في تفضيل اللغة العربية كلغة مناسبة للمجال الديني، ولعل ارتباط الدين أي الإسلام من خلال القرآن الكريم الذي أنزل باللغة العربية، فإن اللغة العربية -وفقاً لتصريحاتهم- هي اللغة النسب لشرح مفاهيم وآيات القرآن، ولكن هذه الرؤية قد تحجب الدور الذي تلعبه العربية، في القطاعات الأخرى، وتركيز اللغة العربية في توجهاتها، أنها لغة الشعر، والأدب، والدين وهي بعيدة عن المجالات الأخرى -كما يطرحها البعض- لتصغير وتضييق مجال استعمالها. فهناك توافق على مناسبة اللغة العربية للمجال الديني.

*أما فيما يخص أماكن استعمال اللغة، وممارستها داخل هذه الأماكن (أقارب، جيران، السوق، الشارع، الإدارة، المدارس القرآنية...)، فإن تلك الممارسات تتوقف على طبيعة العلاقات التي تحكم الأفراد، وعلى السياقات التي يُجرى فيها الحديث، زيادة على تلك المواقف المألوفة في الممارسة، وعلى المهارة التواصلية في الحياة بهذه اللغة أو تلك، وقد جاءت هذه الممارسات على النحو الآتي:

- مع الأقارب: أفرزت تباين المواقف في الممارسة اللغوية بين الجماعات اللغوية، فهناك توافق في استعمال اللغة العربية لكل من الجماعة اللغوية للشاوية وبني مزاب، وهناك توافق في استعمال اللغة الأمازيغية بين الجماعة اللغوية لكل من القبائل والتوارق، أي اختلاف بين

* - حزب جبهة القوى الاشتراكية -الأكثر تجذراً في الأوساط الشعبية- والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الخاصة بالناخب.

المجموعتين (مجموعة تستعمل اللغة الأمازيغية ومجموعة تستعمل اللغة العربية)، والتي تكون محكومة في الغالب بدرجة القرابة الدموية واللغة التي يتحدثها كل طرف مع الطرف الآخر.

- مع الجيران: هناك تباين أيضاً بين الجماعات اللغوية المختلفة، وهناك توافقات، بينما نجد التوافق في اللغة الممارسة مع الجيران لدى الجماعة اللغوية لكل من بني مزاب والقبائل (بدرجة أقل)، فيما يتباين الموقف اللغوي عند الشاوية التي يستعمل أفرادها اللغة العربية، واستعمال (ممارسة) أفراد العينة للتوارق اللغتين معاً (عربية وأمازيغية)، وتظهر حالة الازدواجية هذه كمعطى واقعي لافت (ولو بدرجة أقل) لدى كل الجماعات اللغوية، وهو ما يجعل التعامل مع الجيران لغوياً، يخضع بدرجة كبيرة للغة التي يتكلمها الجيران، لتكون اللغة المشتركة بينهم هي البارزة.

- أما في السوق: فتظهر النتائج أيضاً، تباين واضح بين جميع أفراد العينة للجماعات اللغوية، فتظهر الممارسة باللغة العربية عند كل من الشاوية والتوارق (بدرجة أقل)، وتظهر الممارسة اللغوية لبني مزاب باللغتين معاً (عربية وأمازيغية)، بينما تكون اللغة الأمازيغية هي اللغة الممارسة لدى القبائل، مع ظهور حالة الازدواجية لتلك الجماعات بصورة لافتة (بعد اللغة الأولى لهم في الاستعمال)، فالسوق هو ملتقى اللغات، على مستوى المجتمع الذي تتواجد فيه هذه اللغات، وتبرز المعاملة في السوق فسيفساء لغوية، تكون فيها الغلبة في الغالب لصالح لغة الزبون، بسبب جذب البائع للزبون، كما يخضع السوق لقانون (العرض والطلب)، فإن اللغة تخضع هي الأخرى لهذا القانون (عرض/ طلب) في الممارسة.

- أما في الشارع: نجد أن الممارسة اللغوية تكون باللغة العربية عند الجماعة اللغوية للشاوية، وباللغة الأمازيغية للجماعة اللغوية للقبائل، وللغتين معاً (عربية وأمازيغية) للجماعة اللغوية لكل من بني مزاب والتوارق، ولكن بنسب ليست بأغلبية كبيرة، إذ تظهر اللغات الأخرى بكل جماعة في هذا الموقف اللغوي، وهو ما يعكس تحول الاستعمالات اللغوية بحسب الأفراد الملتقى بهم في هذا المكان، وخاصة أنه يتسم بحركية لا يكون فيها الأشخاص ثابتين في تواجدهم، وهو ما يُظهر أيضاً حركة لغوية تتماشى مع حركة الأشخاص فيها.

- أما في الإدارة : فان الممارسة اللغوية ، لدى الجماعات المختلفة، ثابتة ، إذ هناك توافق حول استعمال اللغة العربية ، داخل الإدارة (أماكن العمل) ، عند التوارق والشاوية وبني مزاب ، وبصورة مرتفعة ، إلا أنها تقل نسبيا عند القبائل، وهو ما يعكس الطابع الرسمي للغة العربية في أماكن العمل ، ولدى لموظفين ، مع تواجد ممارسات لغوية - بدرجة منخفضة - لحالة الازدواجية ، وللامازيغية للجماعة اللغوية للقبائل.

*أما عن غرض إدخال الأبناء للمدارس القرآنية ، فقد بينت النتائج أن الغرض من إدخالهم ، كان لأجل حفظ القرآن الكريم ، وليس لأجل تعلم اللغة العربية ، وذلك لدى جميع أفراد العينة للجماعات اللغوية (الشاوية،القبائل،بني مزاب ، التوارق)، ولعل ارتباط العربية بالقران ، سيمكن الأبناء من تعلم العربية ، بصورة آلية.

فهناك توافق لدى هذه الجماعات ، في الغرض المرجو من إرسال الأبناء للمدارس القرآنية.

*وفيما يخص اللغة المفضل القراءة والكتابة بها ، فهناك توافق لدى المبحوثين، لكل من الجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والتوارق) باستعمال اللغة العربية ، وتفضيلها لذلك، بينما تختلف الجماعة اللغوية للقبائل عنهم، إذ تفضل اللغة الفرنسية ، في قرائتها وكتابتها، ولكن بصورة نسبية ، مع تفضيل العربية والامازيغية أيضا ، ولكن بدرجة منخفضة.

*أما عن علاقة اللغة كأداة هيمنة ، بتفضيل لغة القراءة والكتابة، فهناك إقرار لهذه العلاقة بصورة عامة ، لدى كل الجماعات ، وهناك اختلاف في طبيعة اللغة المهيمنة على ذلك، فنجد توافق لكل من الشاوية والتوارق ، في اعتبار اللغة أداة هيمنة ، وهذا للذين يفضلون القراءة والكتابة بالعربية ، مع رفض اللغة كأداة هيمنة ، لبني مزاب ، والتي تفضل القراءة والكتابة كذلك بالعربية، وتختلف نظرة القبائل أيضا ، في اعتبار اللغة أداة هيمنة ، وذلك للذين يفضلون القراءة والكتابة بالفرنسية.

ويمكن القول ، ان هذه المواقف اللغوية المختلفة، والتي يستعملها الأفراد ، لدى الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية ، القبائل ، بني مزاب ، التوارق)، تتسم بأنها مواقف لغوية متباينة في كثير من الحالات ، ومتداخلة في حالات عديدة، إذ تمارس فيها اللغة العربية ، واللغة الامازيغية ، وأحيانا تتفوق حالات الازدواجية ، في العديد من المواقف والمجالات ، ليأخذ التواصل إشكالا مختلفة ، لغة أو

لغتين ، وهذا خاضع بدرجة كبيرة للموقف ذاته ، وللموضوع ، وللأطراف المتفاعلة ، وللمكان أو المجال الذي تكون فيه المحادثة .

وبما أن هناك تغير للممارسات اللغوية ، وللمواقف اللغوية لدى هذه الجماعات ، فإن ذلك يعكس حالة الازدواجية اللغوية ، داخل المجتمع ، وأحيانا يبرز التعددية اللغوية فيه ، ويمثل هذا الصورة الطبيعية للغات المنتشرة على مستوى الفضاء (المجال) المجتمعي العام .

فهناك حالات تفاهم الامازيغية ، في مجمل الممارسات اللغوية ، بين تلك الجماعات اللغوية ، الناطقة بالامازيغية ، وهناك أيضا حالات - وضعيات - لا تفاهم ، في الممارسات اللغوية أيضا في بعض المواقف والسياقات ، وهو حالة طبيعية صحية ، تعيشها الجماعات اللغوية ، فهذه الاستعمالات والممارسات اللغوية ، للجماعات المختلفة ، تبدو أكثر جلاء ووضوحا ، كما أنها تظهر موازين القوى لتلك الممارسات اللغوية في الوضعيات المختلفة ، ويكون للعوامل الاجتماعية دور فاعل في ذلك.

الفصل التاسع

مساهمة العوامل الثقافية في الممارسة اللغوية لدى الأسر الناطقة بالامازيغية

* تحليل وتفسير معطيات الفرضية الثانية

* استنتاج الفرضية الثانية

* الاستنتاج العام

* خاتمة

يعتبر العامل الثقافي من العوامل ذات التأثير الممارسة اللغوية لدى الأسر الجزائرية بصورة عامة، ولدى الأسر الجزائرية الناطقة بالامازيغية بصورة خاصة، لما يحمله الأفراد من مواقف وتصورات حول العديد من المسائل الثقافية، فهو ذو مكانة في لعب دور هام، في التوجهات، والاختيارات اللغوية لدى هذه الأسر، وللوقوف عند هذه التأثيرات، التي يمارسها هذا العامل، على الممارسات اللغوية لهذه الأسر، سوف نتطرق إلى مجموعة من العناصر ، والتي لها علاقة مع فرضيتنا الثانية " الممارسة اللغوية في الأسر الناطقة بالامازيغية ، تتأثر بالعامل الثقافي لهذه الأسر، ويختلف هذا التأثير باختلاف فئة هذه الأسر (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق)".، وهذا بغرض الوقوف على مدى صحة هذا الافتراض، وقد كانت العناصر التي لها علاقة مع فرضيتنا هذه، متمثلة في :

- المحددات الثقافية للهوية (عناصر هوية الفرد ، الهوية الذاتية ،علاقة الهوية باللغة ، الانتماء الثقافي للجزائر ، علاقة الانتماء الثقافي بلغة الهوية الذاتية ، علاقة الانتماء بلغة الابناء ،.....).
- اليات التنشئة الثقافية (لغة المتابعة للبرامج التلفزيونية، علاقة لغة المشاهدة بلغة الابناء قبل المدرسة ، القنوات الاذاعية المفضلة واساس اختيارها، لغة التحدث هاتفيا، لغة المطالعة، وسائل الاعلام الموحدة للغة ، استعمالات الانترنت والتوجه اللغوي ،...).
- الوسائط الثقافية واللغة (الجمعيات ، اهتمام الجمعيات بالامازيغية ، لغة المناقشة فيها ، اللغة المفضل سماع الخطب والدروس بها، لغة سماع الاشرطة ...)
- الحفاظ على اللغة (طرق المحافظة على الامازيغية، افاق الامازيغية ، مدى تقلص الامازيغية، عوامل انتشار اللغة، وعلاقتها بالهيمنة، المؤسسات المفضل تواجد الامازيغية فيها، تعلم لغة المحيط ...).

1. المحددات الثقافية للهوية:

سوف نتطرق في هذا العنصر إلى مجموعة من المحددات الثقافية، التي لها انعكاس على الهوية الفردية (الذاتية) أو الجماعية، والتي تكون اللغة عنصر أساسي ومقوم لا يمكن إغفاله، وكيف تؤثر تلك المحددات على تصور المبحوثين لتحديد مواقفهم إزاء مسألة الهوية واللغة.

ولا شك أن هذا سوف يكون له تأثير على السلوكيات اللغوية لهم، بناءً على هذه المواقف والتصورات التي يحملونها حول ممارساتهم اللغوية، وذلك من خلال:

العوامل المساهمة في تشكيل هوية الفرد، اللغة الأكثر اعتقاداً في تشكيل الهوية، منظور المبحوثين للغة وعلاقتها في صياغة الهوية الذاتية، الانتماء الثقافي للجزائر، الانتماء الثقافي للجزائر وعلاقته بالمجال (الفضاء) نطاق اللغة العربية، اقة الانتماء الثقافي للجزائر وأسس اختيار لغة الأبناء...

جدول رقم (46) : يبين الخيارات التي تساهم في تشكيل هوية الفرد (الذاتية) للمبحوثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		الخيارات
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
88 %	44	22 %	11	78 %	39	72 %	36	العقيدة الدينية
6 %	3	56 %	28	10 %	5	20 %	10	اللغة
2 %	1	10 %	5	2 %	1	4 %	2	الثقافة
4 %	2	10 %	5	2 %	1	4 %	2	الحضارة
/	/	2 %	1	8 %	4	/	/	التاريخ
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

إن ملاحظتنا وقراءتنا للجدول إحصائيا تبين أن:

عند الشاوية نجد أن اعتقاد المبحوثين في تشكيل هوية الفرد(الذاتية)، تحكمها العقيدة الدينية وذلك بنسبة 88%، مقارنة بخيارات اللغة بنسبة 6%، والثقافة 2%.

وعند القبائل يتجلى لنا أن ما نسبته 56% يعتبرون بأن خيار اللغة، هو المساهم في تشكيل الهوية الفردية، بينما نجد ما نسبته 22% يرجعها إلى العقيدة الدينية، وما نسبته 10% يرجعونها لخيار الثقافة والحضارة.

أما عند بني مزاب فإننا نجد ما نسبته 78% من المبحوثين صرحوا بأن خيار العقيدة الدينية هو المساهم في تشكيل الهوية الفردية لديهم، مقارنة بـ 10% يرجعونها للغة.

بينما نجد عند التوارق، أن ما نسبته 72% يرجعون تشكيل الهوية الفردية لخيار العقيدة الدينية، وما نسبته 20% يرجعونها للغة، و4% منهم يرجع تشكلها(الهوية الفردية) إلى الثقافة والحضارة.

فالملاحظة السوسولوجية لهذه القراءة، تبين لنا بأن هناك توافق للمجموعات اللغوية(الشاوية، بني مزاب والتوارق)، بخصوص مساهمة العقيدة الدينية في تشكيل هوية الفرد الذاتية، ثم اللغة كمساهم ثاني،

بينما نجد عند المجموعة اللغوية للقبائل، أن هناك مساهمة للغة أكثر في تشكيل الهوية الذاتية لهم، ثم بدرجة أقل العقيدة الدينية.

وتفسير هذا يرجع إلى أن للإسلام دور مهم، في اعتقادات الأفراد، في تشكيل هويتهم الذاتية، لأن طبيعة الإسلام النابذة لكل أشكال التفرقة، وحمله لرسالة العدل والمساواة والحرية، واعترافه بالتنوع القبلي واللغوي، واختلاف الألسن، جعله يحظى بالقبول، كما أن الإسلام كمرجعية في تحديد هوية الأفراد، تعكس قيمة هذا الدين في نفوسهم، وأنه المحرك والضامن لمقوماتهم وهوياتهم، وعليه فإن العقيدة الدينية، هي الموجه الأول والأساسي لهوية الأفراد عند الجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب، التوارق)، أما الجماعة اللغوية للقبائل، فإن المحرك الأساسي لتحديد هويتهم الذاتية هي اللغة، على اعتبار أنه في هذه المنطقة، هناك مرجعيات تاريخية ساهمت في محاولة الاهتمام وإبراز المسألة الأمازيغية في مراحل متقطعة من تاريخ الجزائر، وهذا ما شكل إرادة فردية وجماعية، في أن تكون اللغة جوهر اهتمامهم ومواقفهم، وهو ما يفسر اختيار العامل اللغوي في بلورة الهوية الذاتية لهم، كاستمرار لهذه التراكمات التاريخية، إلا أن ذلك لم يغيب لدى البعض منهم، دور الدين (الإسلام) في توجيه هوياتهم الفردية، نظرا لما يمثله هذا الدين من مكانة، في ممارساتهم وتوجهاتهم.

فهناك توافقات واختلافات - ليست بالجوهرية- بين الجماعات اللغوية المختلفة في نظرتهم للعناصر المكونة لهويتهم الذاتية، إذ يلعب كل من الدين (الإسلام)، واللغة أدوارا مهمة في ترسيخ الهوية الذاتية لديهم، والتي سوف تبلور الهوية الجماعية لدى كل جماعة لغوية.

جدول رقم (47) : يبين قيمة اللغة الأكثر تشكيلا للهوية الذاتية للمبحوثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		اللغة المشكلة للهوية الذاتية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
62 %	31	8 %	4	16 %	8	18 %	9	العربية
38 %	19	92 %	46	78 %	39	76 %	38	الأمازيغية
/	/	/	/	6 %	3	6 %	3	الأجنبية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أنه:

عند الشاوية ما نسبته 62% يرون بأن اللغة العربية ،هي الأكثر قيمة في تشكيل هويتهم الذاتية، ثم ما نسبته 38% يرون بأن اللغة الأمازيغية، هي الأكثر تشكيلا لهويتهم الذاتية.

و عند القبائل ما نسبته 92% ، يصرحون بأن اللغة الأمازيغية هي اللغة ذات القيمة الأكثر في تشكيل هويتهم الذاتية، مقارنة بـ 8% الذين يرون بأن العربية هي التي تشكل هويتهم الذاتية.

أما عند بني مزاب فإننا نجد ما نسبته 78% صرحوا بأن اللغة الأمازيغية هي الأكثر قيمة في تشكيل هويتهم الذاتية، مقارنة بـ 16% الذين أجابوا بأن العربية هي الأكثر قيمة في تشكيل هويتهم الذاتية.

بينما نجد عند التوارق، أن ما نسبته 79% أجابوا بأن الأمازيغية هي المشكل الأساسي وذات قيمة أكبر في بلورة هويتهم، مقارنة بـ 18% عن الذين رأوا بأن العربية هي الأكثر قيمة.

وبالرجوع إلى هذه الأرقام الإحصائية، فإن الاتجاه العام للمبحوثين يبرز، بأن الجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبين مزاب والتوارق)، تشكل لديهم اللغة الأمازيغية الأكثر قيمة وأهمية في تشكيل هويتهم الذاتية، بينما نجد عند الجماعة اللغوية الشاوية، بأن اللغة العربية هي اللغة الأكثر قيمة وأهمية في تشكيل هويتهم الذاتية.

لعل الفرد بصورة عامة، يحاول دائماً تثبيت هويته، داخل اللغة، كما أن اللغة تترجم هذه الهوية الذاتية له، كانعكاس لمجموعة من الممارسات، وبما أن اللغة ليست للتواصل فقط، بل ترتبط بتاريخه وجذوره، فإننا نجد أن هناك علاقة وطيدة وعميقة بين اللغة التي يمارسها الفرد، وبين تلك الهوية الذاتية - كخاصية تميزه عن غيره من الأفراد- لذلك نجد الجماعات اللغوية التي اختارت اللغة الأمازيغية بأنها تحمل قيمة أكثر في تشكيل هويته، هو نابع من ادراك هذا الفرد لخصوصيته، فهؤلاء الأمازيغ الذين لا يزالون محافظين على لغتهم الأمازيغية، يستعملونها في حياتهم اليومية، وفي ممارساتهم، تميزاً لهم عن الآخرين(المستعربين)، خاصة الذين تخلوا عن لغتهم الأمازيغية لظروف تاريخية أو جغرافية، ولذلك نجد هذا الاعتزاز بهذه اللغة التي تميزهم عن الآخرين، لهذا كانت توجهاتهم نحو اللغة الأمازيغية، كلغة تترجم هويتهم الذاتية أكثر من اللغة العربية.

لكن توجه الجماعة اللغوية عند الشاوية نحو اعتبار اللغة العربية، كلغة ذات أهمية وعمق، في تشكيل هويته الذاتية، هي تعبير عن أن هناك بعض الفئات داخل نفس الجماعة اللغوية يستعملون ويمارسون العربية -الدارجة خاصة- ولا يفرقون بينها وبين اللغة الأمازيغية، إضافة إلى تدخل الاعتبارات الجغرافية - انفتاح هذه الجماعات على الجماعات الناطقة بالعربية أكثر (عكس الجماعات الأخرى ربما التي تكون أكثر عزلة عن هذه الجماعة)، وهو ما يفسر قيمة هذه اللغة(العربية) المكتسبة في نفوسهم وذواتهم، وهذا التأثير العميق لها، ولكن هذا لم يمنع اعتبار نسبة لا بأس بها (38%) بأن اللغة الأمازيغية هي المكون الأساسي لهويتهم الذاتية.

كما تُعبر هذه النظرة للغة العربية، عن انفتاح هذه الجماعة على المكونات المجتمعية الأخرى، وتعبّر عن التقبّل لهذه الجماعة اللغوية دون خلفيات إيديولوجية أو جغرافية(تعایش لغوي لا يتسم بالتنافرية)، وهذا على الأقل عند هذه المجموعات اللغوية التي صرحت بذلك، إضافة إلى انعكاس لحالة الازدواجية اللغوية لديهم.

جدول رقم (48): يوضح العلاقة بين رؤية المبحوثين للغة وشعورهم بالأقرب لتشكيل هويتهم الذاتية .

التوارق								بني مزاب								القبائل								الشاوية								تشكيل الهوية الذاتية رؤية المبحوثين للغة
المجموع		الأجنبية		الأمازيغية		العربية		المجموع		الأجنبية		الأمازيغية		العربية		المجموع		الأجنبية		الأمازيغية		العربية		المجموع		الأجنبية		الأمازيغية		العربية		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
100	12	8.3	1	83.3	10	8.3	1	100	32	3.1	1	81.3	26	15.6	5	100	20	/	/	85	17	15	3	100	32	/	/	43.8	14	56.3	18	جزء من هويتي
100	25	/	/	76	19	24	6	100	7	14.3	1	57.1	4	28.6	2	100	23	/	/	95.7	22	4.3	1	100	13	/	/	38.5	5	61.5	8	جزء من شخصيتي
100	13	15.4	2	69.2	9	15.4	2	100	11	9.1	1	81.8	9	9.1	1	100	7	/	/	100	7	/	/	100	5	/	/	/	/	100	5	جزء من ثقافتي
100	50	6	3	76	38	18	9	100	50	6	3	78	39	16	8	100	50	/	/	92	46	8	4	100	50	/	/	38	19	62	31	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أن النسبة الأكبر عند الشاوية، هي للذين يعتبرون أن اللغة العربية هي الجزء المهم في اعتبارها كجزء من ثقافته وذلك بنسبة 100%، مقارنة بالذين يعتبرون هذه اللغة (العربية) كجزء من شخصيتهم وهويتهم بنسبة 61.5 % و 56.3 % على التوالي، بينما اللذين يعتبرون الأمازيغية كجزء من هويتهم وشخصيتهم بنسبة 43.6 % و 38.5 % على التوالي وهي نسب متقاربة.

أما عند القبائل فإننا نجد ما نسبته 100 % و 95.7 % من يعتبرون أن الأمازيغية هي التي تمثل جزء من ثقافتهم وشخصيتهم (تقارب)، ثم بعد ذلك تأتي كجزء من هويتهم بنسبة 85%، أما اللذين يعتبرون العربية كجزء من هويتهم ما نسبته 15 % و 4.3 % على التوالي.

بينما نجد عند بني مزاب أن ما نسبته 81.8 % و 81.3 %، وهي نسبة متقاربة جدا، والتي تعتبر الأمازيغية كجزء مهم، في تشكيل ثقافتهم وهويتهم ، وما نسبته 57.1 % تعتبر الأمازيغية أيضا جزء من تشكيل شخصيتهم، أما اللذين يعتبرون أن اللغة العربية كجزء من شخصيتهم هو ما نسبته 28.6 %، وما نسبته 9.1 % يعتبرها كجزء من ثقافته، وهناك أيضا من وضّح بأن اللغة الأجنبية أيضا هي من اللغات التي تشكل جزء من شخصيته وثقافته بنسبة 14.3 % و 9.1 % على التوالي.

أما عند التوارق فنجد أن اللذين يعتبرون الأمازيغية ،هي جزء من هويتهم، وجزء من شخصيتهم، وجزء من ثقافتهم هو 83.3 % و 76 % و 69.3 % على التوالي، والذين يعتبرون العربية كجزء من شخصيتهم ما تمثله النسبة 24 % ، وما نسبته 15.4 % إعتبر أن اللغة الأجنبية كجزء من ثقافتهم.

وبالنظر إلى هذه التوجهات المتقاربة أحيانا، والمتباينة أحيانا أخرى، والتي نجد فيها بأن هناك تقارب في وجهات النظر عند كل من القبائل وبني مزاب والتوارق، في اعتبارهم بأن اللغة الأمازيغية هي المركب والمشكل الأساسي عندهم في تشكيل ثقافتهم وشخصيتهم وهويتهم، ثم تأتي العربية بعد ذلك عند البعض، بأنها هي أيضا جزء من شخصيتهم وهويتهم وثقافتهم، إلا أنه عند كل من التوارق وبني مزاب نلمس ظهور اللغة الأجنبية، وإن كانت بنسبة أقل عن من يعتبرها جزء خاصة من شخصيتهم.

أما عند الشاوية فإننا نجد العربية هي الجزء المهم في اعتقادهم، في تشكيل ثقافتهم وهويتهم وشخصيتهم، ثم بعد ذلك تأتي الأمازيغية عند البعض، والتي يعتبرونها بأنها جزء من هويتهم وشخصيتهم.

كما يبرز أيضا برغم هذه المفارقات الموجودة بين الجماعات اللغوية، أنهم يعتبرون بأن اللغة سواء كانت أمازيغية أو عربية، هي الجزء الذي يعكس ثقافتهم أكثر، ثم شخصيتهم، ثم هويتهم.

إن الأمازيغية ومستقبلها خاصة، يرتبط أساسا بالعلاقة الموجودة بين الناطقين بهذه اللغة، والعناصر المكونة لهويتهم وشخصيتهم وثقافتهم، لذلك نجد أن هناك تشبث لهذه الجماعات بهذه اللغة، فهي تمثل لديهم خصوصية تشكل وتعكس تاريخهم وقيمهم ومبادئهم، وبذلك تكون جزء أساسي لإبراز الشخصية الفردية والجماعية لديهم، أي أن هناك رغبة في وجود "تميز" لديهم بفضل هذه اللغة الأمازيغية، ونجد أيضا أنه برغم اللاتجانس في هذه المناطق (التي تقسم جغرافيا وديمغرافيا) على أنها ناطقة بالأمازيغية، إلا أن هناك إجماع على اعتبار الأمازيغية بأنها العامل الأساسي للثقافة والهوية والشخصية، وهي الباعث لها، فهناك وعي وإدراك من قبل الجماعات اللغوية بصورة عامة، بالانتماء إلى هذه الهوية (الأمازيغية)، وهي تمس شرائح لأبأس بها، برغم أن هذه الوضعية ليست بنفس الدرجة عندهم (الجماعات اللغوية)، فاعتبار الأمازيغية كجزء مهم في تشكيل ثقافتهم وشخصيتهم وهويتهم، يعكس مدى اهتمام هذه الجماعات، باعتبار الأمازيغية مكون لا يمكن التفریط فيه، ويعكس الشعور بالانتماء لهذه الجماعات، وبما أن هناك تأثيرات موجودة وممارسة من قبل بعض اللغات على اللغات الأخرى، فإننا نجد أن العربية قد أثرت في ثقافة بعض الأمازيغيين، ولكن ليس في اتجاه واحد، وفي تكوين هويتهم (التي تعبر عن واقع يولد لدى الأفراد)، ولكن ليس في اتجاه واحد، فإننا نجد عند الشاوية (وفقا لآراء المبحوثين)، أن العربية، هي الجزء المهم والأساسي في تشكيل ثقافتهم وشخصيتهم وهويتهم، وهو ما يعكس بأن الأمازيغي قد احتضن العربية أيضا وقدسها، باعتبارها ملكا للشعوب الداخلة في "الدين الإسلامي"، أي أنها تحصّلت على إمتياز "التقديس" لديهم لارتباطها بالقرآن، ولذلك نجد أنهم يعتبرونها كجزء أساسي من شخصيتهم وثقافتهم وهويتهم، ولكن هذا لا يعني ذوبانهم التام فيها (فهي لغة اختيارية على مستواهم الشخصي، وليست مفروضة).

وهذا الواقع يعكس بأن الهوية الأمازيغية (على اعتبار أنها مرتبطة بمفاهيم كالثقافة، الشخصية، اللغة ...) تتسم بالفتحة والمرونة والتعايش، مع الثقافات والحضارات الأخرى، وليست منغلقة على ذاتها، لكن تمتنع في المقابل عن الانصهار التام في بوتقة الآخرين.

إلا أننا نجد أن هذه التوجهات (كما ورد في الجدول)، تختلف من جماعة لغوية إلى أخرى، وهو ما يترجم أن كل منطقة جغرافية (التي تتواجد فيها الجماعة اللغوية)، تتعامل وتتطور بصفة خاصة في علاقتها مع اللغة والهوية بصفة عامة.

جدول رقم (49) : يبين قيمة اللغة بالنسبة للمبحوثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
القيمة اللغة	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
جزء من هويتي	32	64 %	20	40 %	32	64 %	12
جزء من شخصيتي	13	26 %	23	46 %	7	14 %	25
جزء من ثقافتي	5	10 %	7	14 %	11	22 %	13
المجموع	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50

يبدو لنا من خلال ملاحظة الجدول أن إجابات المبحوثين كانت على النحو التالي:

عند الشاوية، أكبر نسبة 64%، نجدها عند الذين أصروا بأن اللغة بالنسبة إليهم تمثل جزء من هويتهم، ثم ما نسبته 26% يعتبرونها جزء من شخصيتهم، تليها النسبة 10% باعتبارها جزء من ثقافتهم.

وعند القبائل، نجد أن النسبة الأكبر 46% هي للذين يعترفون اللغة بأنها جزء من شخصيتهم، وتليها النسبة 40% بأنها جزء من هويتهم، و 14% فهم رضوا بأنها جزء من ثقافتهم.

وعند بني مزاب، أن ما نسبته 64% إعتبروا بأن اللغة جزء من هويتهم، وتليها النسبة 22% كجزء من ثقافتهم، ثم نسبة 14% يعتبرونها جزء من شخصيتهم.

وعند التوارق نجد ما نسبته 50% عبروا عن تصريحاتهم، بأن اللغة جزء من شخصيتهم، ونسبة متقاربة (26%، 24%) على التوالي إعتبرها جزء من ثقافتهم وهويتهم.

ويتضح لنا من خلال هذه القراءة الإحصائية، أن قيمة اللغة بالنسبة للجماعات اللغوية متباينة، حيث نجد بأن هناك توافق بين كل من الشاوية وبني مزاب، على أن اللغة بالنسبة إليهم هي جزء من الهوية، بينما تختلف الرؤية عندهم، بخصوص الثقافة والشخصية، أما الجماعتين اللغويتين القبائل والتوارق، فإننا نجد بينهما توافق في اعتبار اللغة كجزء من شخصيتهم كاختيار أول.

إذا تأملنا في هذه القراءة للجدول، نجد أن اللغة دور كبير في تشكيلها كمقوم أساسي لبناء الشخصية والهوية الإنسانية، وهي أهم الوسائل في الحفاظ على الهوية، وهي التي تحرر الإنسان من الاستلاب أو الاغتراب، ونظرا لقيمة الهوية، فإن الخيارات كانت عند اعتبار اللغة كجزء من هوية الجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب)، وخاصة أن هذه الجماعات اللغوية (الأمازيغية) تتم بالانفتاح - كسلوك - ممارس في نسيجهم الاجتماعي، وهذا ما رسخ في أذهانهم، فكرة اعتبار اللغة كجزء من هويتهم الأمازيغية، التي لا تعبر عن حالة إنغلاقية على ذاتها، وإنما مفتوحة على غيرها من اللغات الأخرى، التي تعايشت معها، وانفتحتها لا يدل على تنازلها عن هويتها التقليدية لغة وثقافة، فهذا الحفاظ يعبر عن وعي هذه الجماعات بقيمة هويتها المشكلة عبر الزمان، وهي متعددة المضامين، ولذلك نجد أن اللغة كمقوم أساسي، ولكنه ليس الوحيد، الذي يعكس هوية هؤلاء الأفراد، لأن اللغة مخزون آمن لمقومات الانتماء والذاكرة، والحاضر والماضي والمستقبل لهذه المجتمعات، فهي معيار أساسي في حفظ الهوية والذات.

أما ما نجده عند الجماعتين اللغويتين (القبائل والتوارق) تحديداً، فهم يعتبرون أن اللغة تعكس شخصيتهم (جزء من شخصيتهم)، وإذا سلمنا بأن الشخصية تعكس تلك السمات المكونة لها، والتي تميز كل شخص عن الآخر، فإن اللغة عندهم تعكس هذه الصورة، التي تتميز بها هذه الفئات في المجتمع عن الآخرين، حيث الأمازيغية كلغة، تميزهم عن الآخرين، الغير ناطقين بها، وهي السمة المكتسبة من البيئة (الوسط)، الذي يعيشون فيه، وبالتالي ساهمت هذه اللغة، في بناء شخصيتهم في أبعادها النفسية والاجتماعية، ولعل من خلال هؤلاء الأفراد تتشكل شخصية ذلك المجتمع المتواجدين فيه، وهي تعبر عن خصوصيتهم، وتشكل أهم عنصر لديهم، في تشكيل هويتهم أيضاً، إذا فاللغة المكتسبة والممارسة عندهم، هي في اعتقادهم المحددة للشخصية لهذه الجماعة الاجتماعية، فهي مقوم أساسي في نسج شخصيتهم الوطنية وانتمائهم.

فبواسطة اللغة نستطيع أن نشير إلى الآخر، أي إلى الاختلاف، فالمماثلة في الشخصية تكون من بداية اللغة.

وإذا رجعنا إلى الوقائع السوسيو-تاريخية، فإننا نشير إلى تواجد التفاعلات والاحتكاكات لسكان الأمازيغ بصورة عامة، بما فيها هذه الجماعات اللغوية (القبائل، الشاوية، بني مزاب، والتوارق)، وتعاونهم وتضامنهم مع مستجدات الحياة، ومع الثقافات المتنوعة الوافدة عليهم على مرّ العصور والتاريخ، وبفعل

هذا الاحتكاك يحدث تتأقّف، ينتج عنه أيضاً إسهام الأمازيغ على هذه الثقافات الوافدة إليها، كما لهذه الثقافات من تأثير على الأمازيغ، ويكون التفاعل، بفعل اللغة (سواء كانت أمازيغية أو غيرها)، والتي نتج عنها امتزاج بين الدخيل (الوافد)، وبين المحلي (الأمازيغ)، وهو ما يبلور ويشكل الهوية لديهم، ويُعبّر عنها داخل أنساق رمزية وثقافية مشتركة، (وهي هوية تراكمية مفتوحة في كثير من الحالات على غيرها).

جدول رقم (50) : يبين رأي المبحوثين حول الانتماء الثقافي للجزائر.

الانتفاء الثقافي		الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
الانتفاء الثقافي	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
بلد إسلامي	31	62 %	16	32 %	17	34 %	30	60 %	
بلد عربي	8	16 %	2	4 %	9	18 %	6	12 %	
بلد أمازيغي	9	18 %	24	48 %	18	36 %	10	20 %	
بلد مغاري	2	4 %	6	12 %	2	4 %	1	2 %	
بلد إفريقي	/	/	2	4 %	1	2 %	2	4 %	
من بلدان البحر الأبيض المتوسط	/	/	/	/	3	6 %	1	2 %	
المجموع	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	

من الجدول يتبين لنا:

أن النسبة الأكبر عند الشاوية هي 62% أقرّوا بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي، ثم يرونه بأنه أمازيغي وعربي بنسبة 18% و 16% على التوالي، بينما نجد 4% قالوا بأنه مغاري.

أما عند القبائل فإننا نجد ما نسبته 48% ترى بأن الانتماء الثقافي للجزائر بأنه أمازيغي، و ما نسبته 32 % قالوا بأنه بلد إسلامي، ثم 12 % بأنه مغاري، و 4% بأنه إفريقي وعربي.

ونجد عند بني مزاب أن ما نسبته 36% ، رأوا بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو أمازيغي، وما نسبته 34% رأوا بأنه إسلامي، بينما نجد ما نسبته 18% قالوا بأنه عربي، وأيضا ما نسبته 6% و 4% قالوا بأنه من بلدان البحر الأبيض المتوسط ومغاري على التوالي.

بينما نجد عند التوارق، أن أكبر نسبة كانت في اتجاه الذين اعتبروا أن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي بنسبة 60%، و 20% رأوا بأنه أمازيغي، وما نسبته 12% بأنه بلد عربي، و 4% بأنه إفريقي.

يتضح لنا من خلال هذه القراءة الإحصائية للجدول أن الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، بني مزاب والتوارق) ترى بأن الانتماء الثقافي للجزائر يسبح في محيط العالم الإسلامي بدرجة أولى، مع اشتراك الانتماء الأمازيغي مع الإسلامي عند بني مزاب، بينما نجد المجموعة اللغوية للقبائل، ترى انتمائه بأنه بلد أمازيغي، ثم بدرجة أقل بلد إسلامي، كما نجد أنه الانتماء الأمازيغي للجزائر، يأتي ثانياً عند المجموعات اللغوية لكل من الشاوية والتوارق، بينما يظهر انتماء الجزائر للعالم العربي ثالثاً، عند كل من بني مزاب والتوارق، ويغيب عند المجموعة اللغوية للقبائل إلى الأسفل في التصنيف.

تعكس هذه المعطيات ذلك الشعور الداخلي، ومدى الوعي الموجود لدى المجموعات اللغوية في انتماءاتها الثقافية، فنجد التوافق النسبي في الانتماء الإسلامي والأمازيغي للجزائر لديهم كأوساط لغوية وثقافية تتقارب مع اعتقاداتهم، لأن الانتماء الثقافي يعكس الانتماء اللغوي كبعد قوي فيه، كما تبين أيضاً هذه المعطيات (الأرقام) تدخل مكونات أخرى، في تشكيل الهوية لدى المبحوثين كالإسلام والأمازيغية والعروبة، زيادة على التفاعلات مع العناصر الإقليمية والكونية، فهناك نوع من الانفتاح على الثقافات المختلفة، مما يترجم بعض الوعي الفردي والجماعي لهذه المجموعات اللغوية.

ولعل بروز المعطى الإسلامي لدى المجموعات الثلاث (الشاوية، بني مزاب والتوارق) يرسم مكانة الإسلام العميقة في نفوسهم، وتمكن هذا الدين عن التغلغل لدى هذه الجماعات الأمازيغية، وبيّن تلك الأهمية له في حياتهم، حتى أصبح بمنزلة البوصلة (المركز) الموجه لسائر ممارساتهم اليومية، فالإسلام لعب دوراً مهماً في المجتمع الجزائري، وله دور في تلاحمه وتكوين كيانه الحضاري ووحدته على مرّ التاريخ، وكذلك فهذا الاختيار طبعي- في اعتقادي، على اعتبار أن الجزائر جزء لا يتجزأ من هذا العالم الإسلامي، لأنه مشترك معه عقيدة، فهناك جاذبيته للمقدس (القرآن)، واعتباره الضامن لتحقيق اللحمة بين المجموعات اللغوية المتنوعة في الجزائر، كما أن اعتبار الجزائر كبلد من بلدان العالم الإسلامي، يعكس انفتاح هذه المجموعات على العالم الأوسع المحيط بهم، كما أن الدين (الإسلام)، برغم حملة للغة العربية، إلا أنه يُقرّ بالتعدد (التنوع) القبلي والشعبي واللغوي، فهو دين عالمي، وليس خاص

بمجتمع دون آخر، أو بدولة دون أخرى، ولذلك نجده هو المحرك المركزي لبناء تصورات واعتقادات الأفراد إزاء القضايا المحيطة بهم، وأصبح مركب أساسي في الهوية لديهم.

ونجد بروز اعتبار الجزائر كبلد أمازيغي -بدرجة أكبر- عند المجموعة اللغوية للقبائل، لأنه واقع معطى لديهم، بأن الأمازيغية في أبعادها اللغوية والثقافية والحضارية متواجدة في الجزائر منذ القدم، ولاشك أن تاريخياً فإن الجزائر أمازيغية، والشعور -بالتهميش- أو التجاهل الذي كان ممارساً على الأمازيغية بصورة عامة، هو الذي ولد هذه المواقف والتوجهات لهؤلاء الأفراد، لأن التجاهل سوف يبرز نزعات اتجاه القضية، تكون في الغالب مناقضة للمواقف الرسمية، كتعبير عن الرفض الممارس على هذه اللغة.

أما الشيء -المفاجئ- على الأقل بالنسبة إليّ، هو تذييل البعد العربي ثقافياً-للجزائر- من قبل جُل هذه المجموعات اللغوية(شاوية، قبائل، بني مزاب وتوارق)، برغم تلك الميلّة التي تربط دائماً بين ما هو إسلامي وعربي، كما أنه لا يمكن تجاوز الواقع السوسيوي- لساني، الذي يتواجد عليه المجتمع الجزائري، بما فيهم الناطقون بالأمازيغية، وحتى الذين ينتمون إلى تلك المصاهرات الحادثة -تاريخياً- بين العرب والأمازيغ، فهناك نوع من الإسقاطات الثقافية لأحد المكونات الأساسية للمجتمع الجزائري -أو على الأقل- إبعاد مؤقت لها، برغم أيضاً أن هناك الكثير من الأفراد داخل هذه المجموعات اللغوية قد تعرّب، أو بعض أفراد أسرته قد تعرّب بالكامل، وربما يعكس هنا ردات الفعل المعاكسة لبعض الجماعات اللغوية الأخرى، بما فيه النخبة الناطقة بالعربية، والتي ترفض الأمازيغية بالكامل، وتعمل على إبعادها عن التواجد في الحقل الثقافي والهوياتي للجزائر.

كما أن هذا الإحساس بالتراجع للانتماء للعالم العربي(القومي)، يرجع إلى انتعاش الخطاب الرسمي وانفتاحه أكثر على اللغة والثقافة الأمازيغية، في الواقع المعاش، وإلى تلك القرارات الحاسمة للقضية الأمازيغية على المستوى الرسمي والمؤسساتي، ولعل من بين الأمور المرجحة لتراجع اختيار-العالم العربي- كإنتماء ثقافي للوطن، يعود إلى أن هذه الجماعات اللغوية قد اختارت الانتماء(الإسلامي)، فذلك يعني أن عند الكثيرين منهم، وبخاصة الفئات الشعبية البسيطة، من لا يميّز، بين ما هو إسلامي ولا عربي، ولذلك كان توجهه إلى الإسلامي على اعتباره عربي أيضاً- وهذا يبقى مجرد افتراض- وبخاصة في المناطق(الشاوية وبني مزاب والتوارق)، مع الإشارة إلى إبعاد البعد الإفريقي

، وبخاصة لدى التوارق - باعتبارهم اقرب جغرافيا إلى العمق الإفريقي - بحكم الجوار ، وهو برأبي أيضا مفاجئ ، إذ الاحتكاكات بين المكون الإفريقي، والتارقي ضاربة في التاريخ، ولا تزال إلى اليوم ، (تجاريا وحتى ثقافيا وعلميا)، كما أن هناك المكون الأمازيغي لبعض الدول المجاورة - كمالي - ، وهو ما يعكس عدم تأثير الجانب الجغرافي ، على المعطيات الثقافية لدى هذه الجماعة، إذ يبرز أكثر تأثير العوامل الدينية والوطنية واللغوية ، على مواقفهم واعتقاداتهم إزاء المسائل الثقافية والحضارية ، وهذا ما ترجم في خياراتهم للانتماء الثقافي للجزائر (إسلامي ، ثم أمازيغي).

وعموماً يمكن القول، بناءً على ما سبق، أن هناك نظرة ما يحملها الإنسان، إزاء انتمائه لهذا الوطن، ولعل تاريخ الأمازيغ الإسلامي، يجعل من القضية الأمازيغية مرتبطة في بعدها الثقافي- لدى أفراد العينة- بالدين(الإسلام)، لأن الإسلام لديها مقوم ثابت وأساسي في نفوس الأمازيغ، وهو من مقومات الأمازيغية، والتي لم تعتبرها هذه المجموعات اللغوية(الأمازيغية) -مع القلة من النخب التي أحجبت أو تحاول حجب الإسلام عنها- بأنها أجنبية وافدة، وبذلك أصبحت الأمازيغية تخدم الإسلام، كما العروبة، فلإسلام إذاً مكانة وحضور بشكل دائم في بنية المجتمع الأمازيغي.

كما أشير إلى أنه في الجزائر، الكل ينتمي إلى هذه الأمة -أو الدولة- التي نمتلك فيها خصائص مشتركة فيما بينها، ومع غيرنا (أمازيغ،عرب، مسلمين،...) لأن هذه المكونات في شخصيتنا تكونت عبر القرون، وضاربة في التاريخ، فهذه الهوية التي نحملها، تجمع تكتلات سكانية وتاريخية واقتصادية وسياسية، وتتشرك في الدين واللغة والمصير.

ولعل هذه التراتبية في اختيارات المجموعات اللغوية الأمازيغية، للعوامل المختلفة للجزائر -من النظرة الثقافية- تعكس تلك القواسم المشتركة وتلك الاختلافات، في التفرد، للنظرة إلى تلك الخصوصيات التي تتمتع بها كل ثقافة، إلا أنها لا تلغي بعضها بعضاً، وإنما تتداخل وتتكامل فيما بينها، وبين جميع مكوناتها لإدراك وعيها بهويتها وثقافتها، وملامح شخصيتها، في فضاء تلك العوالم المحيطة بها، والمفتحة عليها، ويعكس أيضا ان الهوية الجزائرية لدى افراد العينة للجماعات اللغوية المختلفة، وبمكوناتها ومرجعياتها (الاسلام ، العروبة ، الأمازيغية) ، وكذا تفاعلاتها واحتكاكاتها مع العناصر الاقليمية والكونية ، هي هوية ثقافية ولغوية ودينية ، وليست دينية فقط ، برغم التاثيرات المتفاوتة ، عند كل جماعة لغوية .

جدول رقم (51) : يوضح العلاقة بين رؤية المبحوثين للانتماء الثقافي للجزائر واللغة الأقرب لتشكيل الهوية الذاتية .

التوارق						بني مزاب						القبائل						الشاوية							
مج	ط	ف	مغ	زغ	ع	إس	مج	ط	ف	مع	زغ	ع	إس	مج	ف	مع	زغ	ع	إس	مج	مغ	زغ	ع	إس	الانتماء الثقافي
ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	
% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	% ن	
9	/	1	/	1	/	7	8	1	/	1	/	2	4	4	/	3	/	/	1	31	/	2	8	21	لغة تشكل الهوية
100	/	11,1	/	11,1	/	77,8	100	12,5	/	12,5	/	25	50	100	/	75	/	/	25	100	/	6,5	25,8	67,7	
38	1	/	/	9	5	23	39	1	1	1	17	6	13	46	2	3	24	2	15	19	2	7	/	10	عربية
100	2,6	/	/	23,7	13,2	60,5	100	2,6	2,6	2,6	43,6	15,4	33,33	100	4,3	6,5	52,2	4,3	32,6	100	10,5	36,8	/	52,6	
3	/	1	1	/	1	/	3	1	/	/	1	1	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	أمازيغية
100	/	33,33	33,33	/	33,33	/	100	33,33	/	/	33,33	33,33	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	
50	1	2	1	10	6	30	50	3	1	2	18	9	17	50	2	6	24	2	16	50	2	9	8	31	أجنبية
100	2	4	2	20	12	60	100	6	2	4	36	18	34	100	4	12	48	4	32	100	4	18	16	62	
المجموع																									

نلاحظ من الجدول أن نسبة 67.7 % من الأسر الشاوية يرون أن الجزائر تنتمي إلى الفضاء الإسلامي، يعتقدون أن اللغة العربية هي الأقرب لتشكيل هويتهم الذاتية، مقابل 52.6 % يعتقدون بأنها أمازيغية.

بينما نجد عند القبائل ما نسبته 52.2 % من الذين يرون بأن الجزائر تنتمي للفضاء الأمازيغي، يعتقدون بأن اللغة الأقرب لتشكيل هويتهم الذاتية هي اللغة الأمازيغية، وما نسبته 32.6 % من الذين يرون أن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي، يعتقدون أن اللغة الأقرب لتشكيل هويتهم هي الأمازيغية

في حين نجد عند بني مزاب أن ما نسبته 43.6 % من الذين يتصورون أن الانتماء الثقافي للجزائر أمازيغي، يعتقدون أن اللغة الأقرب لتشكيل هويتهم هي اللغة الأمازيغية، مقابل 50 % من الذين يتصورون أن الانتماء الثقافي للجزائر إسلامي، يعتقدون أن اللغة الأقرب لتشكيل هويتهم هي اللغة العربية.

أما عند التوارق فنجد ما نسبته 77.8 % من الأسر التارقية المدروسة التي ترى أن الجزائر تنتمي للفضاء الثقافي الإسلامي، يعتقدون أن اللغة العربية هي الأقرب لتشكيل هويتهم، مقابل 60 % من الذين يرون أن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي، يعتقدون أن اللغة الأمازيغية هي الأقرب لتشكيل هويتهم.

وبالنظر إلى هذه التوجهات نرى بأن هناك تطابق لدى كل من الشاوية والتوارق وبني مزاب في تشكل الهوية الذاتية لغويا، اعتمادا على تصورهم للانتماء الثقافي للجزائر، إذ كلما كان تصورهم الثقافي للجزائر إسلامي كان اختيار اللغة العربية كأساس لتشكيل هويتهم الذاتية، وكلما كان تصورهم الثقافي للجزائر أمازيغي كلما كانت اللغة الأمازيغية كأساس لتشكيل هويتهم الذاتية، وهناك اختلاف في هذه العلاقة عن القبائل إذ نجد القبائل أنه مهما كان التصور الثقافي للجزائر، فإن اللغة الأمازيغية تبقى هي المحور الأساسي في تشكيل هويتهم الذاتية، ويظهر ذلك بشكل واضح.

وإن ما يمكن أن نعلق به حول نتائج هذا الجدول، هو ذلك الحضور القوي للبعد اللغوي عند القبائل، كأهم محددات هوية الفرد القبائلي، الذي لا يتصور اكتمال هويته دون إتقانه للغة

الآمازيغية (القبائلية)، ويقوم بعد ذلك بتعليمها لأبنائه بشكل صارم وأساسى، وذلك ما نلاحظه من وجود عديد الجمعيات الثقافية الهادفة إلى تعليم اللغة الآمازيغية وتطويرها، واستجابة لهذه المطالب تم إنشاء المحافظة السامية للآمازيغية، التي كانت بداية لتغيير موقف النظام نحو المسألة البربرية عموما، كما أننا نسجل أن أغلب المطالبين بدسترة اللغة الآمازيغية وترسيمها هم من منطقة القبائل.

وبالنسبة للجماعات اللغوية لكل من الشاوية وبنى مزاب ، والتوارق ، فإنها تولي اهتمام ، بمكانة أعلى (مرموقة) للغة العربية ، بدرجة اقل - ولكنها متفاوتة - فيما بينهم ، للغة الآمازيغية ، فهناك شعور قوى بالاعتزاز باللغة العربية وثقافتها - دون إهمال للمكون الآمازيغي-، وهم مايعبر عن المساهمة الفعالة للمؤسسات الاجتماعية ، وبخاصة الدينية، والتربوية، في بث هذه المواقف لديهم ، ولعل ذلك له انعكاس ايجابى على لحمة وتماسك مكونات المجتمع المختلفة .

فهذه المواقف المختلفة لأفراد الجماعات اللغوية، في تباين هذين الموقفين ، هو دلالة على عدم التجانس في المواقف، إزاء المسألة الآمازيغية عموما ، والمسألة اللغوية خصوصا، وهو ترجمة أيضا لانقسام النخب المختلفة ، وبخاصة المنتمية للجماعات اللغوية الآمازيغية، اتجاه القضية.

جدول رقم (52) : يبين العلاقة بين رؤية المبحوثين للانتماء الثقافي للجزائر وأساس اختيار لغة الأبناء .

التوارق								بني مزاب								القبائل								الشاوية								أساس اختيار لغة الأبناء الانتماء الثقافي
المجموع		لغة الانتماء القومي		لغة الوطن		لغة الدين		المجموع		لغة الانتماء القومي		لغة الوطن		لغة الدين		المجموع		لغة الانتماء القومي		لغة الوطن		لغة الدين		المجموع		لغة الانتماء القومي		لغة الوطن		لغة الدين		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
100	30	20	6	/	/	80	24	100	17	/	/	11,8	2	88,2	15	100	16	18,8	3	25	4	56,3	9	100	31	/	/	/	/	100	31	إسلامي
100	6	33.3	2	50	3	16,7	1	100	9	11,1	1	55,6	5	33,3	3	100	2	/	/	50	1	50	1	100	8	/	/	25	2	75	6	عربي
100	10	10	1	30	3	60	6	100	18	5,6	1	16,7	3	77,8	14	100	24	4,2	1	75	18	20,8	5	100	9	11.1	1	22.2	2	66.7	6	أمازيغي
100	1	/	/	/	/	100	1	100	2	/	/	/	/	100	2	100	6	/	/	100	6	/	/	100	2	/	/	/	/	100	2	مغاربي
100	2	/	/	/	/	100	2	100	1	/	/	/	/	100	1	100	2	100	6	/	/	100	2	100	/	/	/	/	/	/	/	إفريقي
100	1	100	1	/	/	/	/	100	3	/	/	/	/	100	3	100	/	/	/	/	/	/	/	100	/	/	/	/	/	/	/	متوسطي
100	50	20	10	12	6	68	34	100	50	4	2	20	10	76	38	100	50	8	4	58	29	34	17	100	50	2	1	8	4	90	45	المجموع

يتضح لنا من الجدول أن نسبة 100% من الذين قالوا بأن الجزائر تنتمي إلى الفضاء الإسلامي وكذا الذين يرون بأنها تنتمي للفضاء المغاربي، قالوا بأن اختيار اللغة لأبنائهم يرجع إلى العامل الديني، بينما الذين يتصورون أن الجزائر تنتمي إلى الفضاء العربي ويختارون عامل الدين، كانت نسبتهم 75%، وكانت النسبة عند الذين قالوا بأن الانتماء للفضاء الأمازيغي 66.7%.

أما عند القبائل فنجد أن ما نسبة 100% من الذين يرون الانتماء الثقافي للجزائر الافريقي قد اختاروا لغة الدين لأبنائهم، وبنفس النسبة، الذين لهم نفس الرؤية قد اختاروا لغة الانتماء القومي، والنسبة نفسها من الذين يرون الانتماء مغاربي يختارون عامل لغة الوطن، ونجد ما نسبة 75% من الذين يتصورون الانتماء الثقافي للجزائر أمازيغي، يختارون لغة أبنائهم على أساس أنها لغة الوطن.

أما عند بني مزاب فإننا نلاحظ أن ما نسبته 88.2% من الذين يرون أن الانتماء إسلامي قد اختاروا الدين كعامل مهم في لغة الأبناء، وما نسبته 77.8% من الذين يتصورون الانتماء الأمازيغي للجزائر، يختارون لغة أبنائهم على الأساس الديني كذلك.

أما عند التوارق فإننا نلاحظ ما نسبته 80% من الذين يرون أن الانتماء الثقافي للجزائر إسلامي، قد اختاروا عامل الدين كأساس لتعليم أبنائهم اللغة، مقابل 50% من الذين يتصورون أن الانتماء عربي، فهم يختارون عامل لغة الوطن كمحدد لمسألة اختيارهم لغة أبنائهم.

وإن ما نلاحظه من قراءة هذه النسب، وجود ارتباط بين عامل التصور " الانتماء الثقافي " وأسس اختيار لغة الأبناء، حيث اتجه معظم الذين يتصورون أن الجزائر تنتمي إلى الفضاء الإسلامي، قد اختار عامل الدين كمحدد أساسي للغة أبنائهم، وهذا ما يظهر جليا عند جماعات الشاوية وبني مزاب والتوارق على التوالي، مقابل تراجعهم عند القبائل، إذ نلاحظ عندهم بروز ارتباط آخر متمثل في البعد الأمازيغي والمغاربي والافريقي، وكانت هذه التصورات قد أنتجت ممارسات أخرى في مسألة أساس اختيار اللغة، وذلك يبرز معيار لغة الوطن، ولغة الانتماء القومي بنسب عالية.

وما يمكن أن نفسر به هذه التوجهات (الاختبارات)، هي مسألة ظهور الدين (الإسلام) في الحياة اليومية عند هذه الجماعات، وبروز عوامل أخرى عند جماعة القبائل ناتج عن عوامل

سوسيو-تاريخية، كانتشار استعمال اللغة الفرنسية في منطقة القبائل، ووجود فئات كبيرة تتقنها، وهو ما يسمح لها بتلقي أفكار أثرت على تصورهم للانتماء الثقافي للجزائر، فأغلب الكتابات باللغة الفرنسية المتعلقة بأصل سكان الجزائر وانتماءاتهم الثقافية، تشير إلى التشابه الموجود بين السكان الأمازيغ عموماً، مع الجماعات الأوروبية تارة، والجماعات الأفريقية تارة أخرى.

ورغم هذه الخصوصية، فإن هناك ظهور العامل الديني، كمحرك أساسي للمسألة اللغوية في المجتمع الجزائري عموماً، وخاصة للجماعات اللغوية (الشاوية وبنو مزاب والتوارق).

جدول رقم (53): يوضح العلاقة بين الانتماء الثقافي للجزائر والاعتقاد بفضاء اللغة العربية للمبحوثين.

الانتماء الثقافي	التوارق							بني مزاب							القبائل							الشاوية				
	مج	ط	ف	مع	زغ	ع	إس	مج	ط	ف	مغ	زغ	ع	إس	مج	ف	مغ	زغ	ع	إس	مج	مغ	زغ	ع	إس	
	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	
	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	ن %	
فضاء العربية	3	/	/	/	/	/	3	3	/	/	/	2	1	/	9	/	2	5	/	2	3	/	3	/	/	
	100	/	/	/	/	/	100	100	/	/	/	66,6	33,3	/	100	/	22,2	55,6	/	22,2	100	/	100	/	/	
لغة خاصة بالعرب	14	/	/	/	4	/	10	39	3	1	2	11	6	16	4	/	3	/	/	1	12	/	/	3	9	
	100	/	/	/	28,6	/	71,4	100	7,7	2,6	5,1	28,2	15,4	41	100	/	75	/	/	25	100	/	/	25	75	
لغة الشعوب المسلمة	30	1	1	1	6	6	15	/	/	/	/	/	/	/	35	1	1	18	2	13	19	2	4	/	13	
	100	3,3	3,3	3,3	20,0	20	50	/	/	/	/	/	/	/	100	2,9	2,9	51,4	5,7	37,1	100	10,5	21,1	/	68,4	
لغة القرآن والاسلام	3	/	1	/	/	/	2	8	/	/	/	5	2	1	2	1	/	1	/	/	16	/	2	5	9	
	100	/	33,3	/	/	/	66,7	100	/	/	/	62,5	25	12,5	100	50	/	50	/	/	100	/	12,5	31,3	56,3	
لغة للعالم كله	50	1	2	1	10	6	30	50	3	1	2	18	9	17	50	2	6	24	2	16	50	2	9	8	31	
	100	2	4	2	20	12	60	100	6	2	4	36	18	34	100	4	12	48	4	32	100	4	18	16	62	
المجموع																										

يتضح لنا من خلال الجدول أن أكبر نسبة عند الشاوية، هي من الذين أقرروا بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو أمازيغي، رأوا بأن فضاء استعمال اللغة العربية بأنه خاص بالعرب (لغة العرب) بنسبة 100%، والذين رأوا بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي، فإن فضاء اللغة العربية أنها لغة العالم الإسلامي بنسبة 75%، مقارنة بما نسبته 68.4% رأوا بأنها لغة القرآن الكريم والإسلام، وما نسبته 56.3% بأنها لغة العالم كله، ونجد أيضا ما نسبته 10.5% والذين رأوا بأن انتماء الجزائر بأنه مغاربي، والعربية هي لغة القرآن والإسلام ما يمثل 21.1%.

أما عند القبائل فإننا نجد أن الذين يرون بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو أمازيغي، يقررون بأن فضاء استعمال العربية، بأنها لغة خاصة بالعرب ولغة القرآن والإسلام ولغة العالم كله بنسبة 55.6% و 51.4% و 50% على التوالي، كما نجد أن الذين رأوا بأن انتماء الجزائر هو إفريقي فإنه في هذا الفضاء الثقافي تكون العربية لديهم هي للعالم كله، بنسبة 50% مقارنة بالذين يرون بأنها لغة القرآن والإسلام بنسبة 2.9% والذين يرون بأن الجزائر تنتمي للمغرب العربي، يعتقدون بأن اللغة العربية هي خاصة بالعرب.

ونجد بني مزاب أيضا بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو أمازيغي وتعتبر اللغة العربية لغة خاصة بالعرب، ولغة للعالم كله بنسبة 66.6% و 62.5% على التوالي، ثم أنها لغة الشعوب المسلمة بنسبة 28.2%، أما الذين يرون انتماء الجزائر بأنه مغاربي وإفريقي، يرون بأن العربية هي لغة الشعوب المسلمة بنسبة 5.1% و 2.6% على التوالي.

أما التوارق فنجد أنهم من الذين رأوا بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي فإن العربية لغة خاصة بالعرب بنسبة 100%، وأنها لغة الشعوب المسلمة بنسبة 71.4%، وبنسبة 66.7% بأنها لغة للعالم كله، والذين يعتبرون بأن العربية هي لغة الشعوب المسلمة وانتماء الجزائر الثقافي هو أمازيغي بنسبة 28.6%، وما نسبته 20% يرون بأنها لغة القرآن والإسلام، والذين يرون بأن انتماء الجزائر هو إفريقي، والعربية هي لغة للعالم كله ما نسبته 33.3%.

يتجلى لنا من خلال هذه القراءة للجدول، أن هناك توافق نسبي لدى كل من الشاوية والقبائل وبني مزاب، من الذين يرون بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو أمازيغي يعتقدون بأن اللغة العربية هي لغة خاصة بالعرب ولغة القرآن والإسلام ولغة الشعوب المسلمة وللعالم، فكلما كان الانتماء الثقافي للجزائر

أمازيغي -حسب اعتقاد المبحوثين- كلما برزت اللغة العربية لديهم بأنها خاصة بالعرب، إلا أنها تغيب هذه الرؤية عند الجماعة اللغوية للتوارق.

وكلما كان الاعتقاد بأن الانتماء الثقافي للجزائر هو إسلامي، كلما برز عامل بأن اللغة العربية هي لغة الشعوب المسلمة والعالم كله، أي اتساع رقعتها الجغرافية، ويكون هذا الاعتقاد عند الشاوية وبني مزاب والتوارق أكثر.

إن هذه الرؤية للغة العربية في إطار ربطها بالفضاء الثقافي الذي تنتمي إليه الجزائر، يعكس الصورة التي تحملها هذه المجموعات اللغوية في مجملها بأن اللغة العربية أخذت مكانتها كلغة رسمية ووطنية في الجزائر، منذ عقود من الزمن، وفي مقابل ذلك فإن الأمازيغية لم تأخذ مكانتها وحقها الطبيعي كلغة متواجدة وواقع ممارس لا يمكن إخفاءه، وبخاصة على المستوى الرسمي (المؤسساتي)، أين كان ينظر إليها (الأمازيغية)، كلغة تهدد كيان الدولة ووحدتها، وبخاصة أن السياسة اللغوية والثقافية التي كانت منتهجة من قبل الدولة، هي انتهاج سياسة التعريب، على اعتبار أن هذه الوحدة اللغوية تطعم عملية البناء الوطني، الذي كان مبنيا ربما على معطيات تاريخية وجيوسياسية، وهو ما جعل الأمازيغية بعيدة عن الخطابات والمؤسسات الرسمية، وهذا ما ولد الشعور المتسم ذهنيا، بمحاولة إبعاد العربية عن الانتماء الأمازيغي للجزائر، كنوع من ردة الفعل - المفاجئة - أحيانا، خاصة أن اللغة العربية في الجزائر ولدى الكثير من الجماعات اللغوية تحظى بالاحترام والتقدير، وتبجل في أحيان كثيرة حتى على الأمازيغية نفسها في العديد من المواقف، بل أصبح اللسان العربي عن الكثيرين منهم مرتبط بالشعائر الإسلامية، كما أن الواقع يرجح الكفة بأن العربية كلغة، هي ليست خاصة بالعرب لوحدهم - نظرا لارتباطها العضوي بالإسلام وبالقرآن الكريم، وهو ما يجعلها تحظى بالقبول لديهم وهذه المكانة للعربية عند الأمازيغ تبرز أكثر بأنها كانت بسبب القرآن الكريم الحامل لهذه اللغة وليس بسبب آخر.

كما توضح المعطيات السابقة بأن الأمازيغ لا يهتمون كثيرا بانتمائهم الأمازيغي، وهو وضع لم يتم تجاوزه عبر المراحل التاريخية المختلفة، برغم اختفائه في فترات ما.

إلا أننا نجد عند التوارق، أن النظرة مخالفة للجماعات اللغوية الأخرى في هذه النقطة بالذات (لغة العرب)، حيث تبين الانتماء الأمازيغي للجزائر لديهم كمعطى موجود، لا يجعل من العربية بأنها لغة

خاصة بالعرب، بل يرون بأن العربية تتجاوز هذه الحدود الضيقة إلى اعتبارها كلغة للشعوب المسلمة كفضاء تتواجد فيه هذه اللغة، وهو ما يعكس ربما التفوق الحضاري لهذه اللغة (الإسلام، الكتابة، الإنجازات العلمية المختلفة، ...) على الأمازيغية، إضافة إلى التقلص في استخدام اللهجة المحلية التارقية في العديد من الأماكن، زيادة على التوافدات اللغوية إلى هذه المناطق، وإلى عوامل أخرى (وظيفية، نفسية، ...) رجح فكرة أخذ هذه اللغة (العربية) مكانة أساسية عندهم، وهو ما رجح الاعتقاد لدى المبحوثين بأنها لغة للشعوب المسلمة التي يشتركون معها في العديد من القضايا.

كما أن الانتماءات الثقافية للجزائر (أمازيغيا، عربيا، مغاريا، إفريقيًا، إسلاميا) لم تلغي نظرة هذه الجماعات اللغوية إلى عالمية اللغة العربية ومكانتها في هذا الفضاء الواسع، كقاسم مشترك لديهم برغم التفاوتات النسبية الموجودة عندهم.

2- آليات التنشئة الثقافية (وسائل الاعلام والاتصال):

- سنحاول في هذا العنصر إبراز الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام والاتصال المختلفة، والتي عرفت تطورا في الوسائل والآليات، في الممارسة اللغوية لأفراد العينة، وذلك من خلال ما تفرضه هذه الوسائل من - سياسات - توجيهية لتوجيه الرأي العام نحو المسائل المتعلقة باللغة والثقافة، والتأثير عليهم ، قصد فرض نماذج ثقافية ولغوية ، ويكون من خلال (التلفزيون، الإذاعة، الهاتف، الانترنت).

- جدول رقم (54) : يوضح القنوات التلفزيونية المشاهدة من قبل المبحوثين.

القنوات		الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
الوطنية	9	% 18	13	% 26	16	% 32	13	% 26	13
العربية	36	% 72	17	% 34	24	% 48	29	% 58	29
الأجنبية	2	% 4	16	% 32	4	% 8	4	% 8	4
لا	3	% 6	4	% 8	6	% 12	4	% 8	4
المجموع	50	% 100	50	% 100	50	% 100	50	100	50

يتضح من خلال هذا الجدول أنه:

عند الشاوية ما نسبة 72% من الذين يشاهدون القنوات التلفزيونية العربية، مقارنة بـ 18% من الذين يشاهدون القنوات التلفزيونية الوطنية، وما نسبة 4% للقنوات الأجنبية.

وعند القبائل، نجد ما نسبته 34% و 32% على التوالي هم من المشاهدين للقنوات التلفزيونية العربية والأجنبية على التوالي (تقارب)، وما نسبته 26% يشاهد القنوات التلفزيونية الوطنية.

بينما عند بني مزاب، نجد ما نسبته 48% هم من متابعي القنوات العربية، وما نسبته 32% للقنوات الوطنية، ثم ما نسبته 8% للقنوات التلفزيونية الأجنبية.

أما عند التوارق فهناك ما نسبته 58% هم من متابعي القنوات التلفزيونية العربية أيضا، مقارنة بـ 26% للقنوات الوطنية، وما نسبته 8% للقنوات الأجنبية.

من خلال هذه القراءة، يتبين لنا أن التوجه العام للمبحوثين حول القنوات التلفزيونية المشاهدة، هو لصالح القنوات التلفزيونية العربية لدى الجماعات اللغوية المختلفة، مع تقارب القنوات الأجنبية المشاهدة من قبل المبحوثين للجماعة اللغوية - القبائل - ثم التوجه نحو القنوات التلفزيونية الوطنية، فالأجنبية.

ففي ظل توفر وسائل الإعلام المتنوعة، وفي ظل انتشار الهوائيات المقعرة في كل المعمورة، أصبحت القنوات التلفزيونية متاحة للجميع، سواء منها الوطنية أو العربية أو الأجنبية، وفي شتى الميادين، إلا أن الاختيارات في المشاهدة، هي فعل وسلوك إرادي يقوم به الفرد لأغراض محددة، يعرفها هو نفسه، ولذلك فإننا نجد أن جل المبحوثين لهذه الجماعات اللغوية، قد كان توجهه نحو القنوات العربية، التي تبت برامجها بهذه اللغة، وهي في الغالب تابعة للدول العربية، أو لبعض الدولة الأجنبية التي رسمت قنوات ناطقة بالعربية لفتح جسور التواصل باللغة التي يفهمها المشاهدين من العالم العربي تحديداً، ولعل تلك التوجهات نحو القنوات الناطقة بالعربية ناتج عن طبيعة البرامج المقدمة، التي ترقى إلى طموحاتهم، وإلى القضايا المحلية والإقليمية التي تتطرق إليها، كما أن الدوافع مرتبطة بتوجهات المبحوثين أيضاً نحو الشعور الداخلي في انتمائهم الثقافي والحضاري للعالم العربي، حيث التشابه في الثقافة والتاريخ، وهو ما يجعلهم يميلون إلى هذه القنوات (العربية)، وكذا اهتمامهم بقضايا وهموم هذا العالم الذي يعتبرونه جزء لا يتجزأ من نسيجه، فهناك هوية تاريخية وثقافية تجمعهم، وتكون اللغة العربية الحامل لهذه الهوية والباعث والناقل لها.

وهو ما يعكس أيضاً عالمية هذه اللغة (العربية)، وتجاوزها للحدود الجغرافية لكل دولة عربية، ولذلك بينت الأرقام هذا التوجه العام نحوها، كما أن لهذه القنوات التلفزيونية تأثير على المشاهد، في محاولة صقل وتعديل أفكاره وتوجيهها توجيهاً يتماشى مع مضامين (الرسائل) الكامنة والظاهرة، من وراء الظاهرة الإعلامية (والتلفزيون) تحديداً.

كما يفسر ذلك، أيضاً أن المبحوثين المنتمين لهذه الجماعات اللغوية، تشكل اللغة العربية لديهم، الفضاء المتاح الذي يجدونه أقرب لثقافتهم وحضارتهم وهويتهم، ضمن الإطار الوطني العام، كما يترجم تعلقهم بهذه اللغة، برغم التباينات التي قد تظهر من حين لآخر.

ولعل تفضيل القنوات العربية، على القنوات التلفزيونية الوطنية يرسم الصورة السلبية لدى المبحوثين، حول طبيعة البرامج المقدمة فيها، والتي لا ترقى لأذواقهم، برغم أنها تلقى باللغة العربية في هذه القنوات، ولكن في المقابل فهي مشاهدة من قبل المبحوثين ولكن بدرجة أقل.

كما نجد أن هناك ميل وتوجه للمبحوثين لدى الجماعة اللغوية للقبائل في اختيارهم وتوجههم بنفس النسبة تقريبا، نحو القنوات التلفزيونية التي تبث برامجها باللغة الأجنبية (الفرنسية) تحديداً، وهذا يرجح ممارسة هذه اللغة لدى بعض أفراد هذه الجماعة، وخاصة تأثيرها من الناحية الفكرية، إذ أصبحت هذه اللغة منذ القدم قائمة عند العديد من الأسر، وهي مستعملة في الحديث وخاصة لدى النخبة، أو الفئات المثقفة، حيث تكوينها ومرجعيتها الفكرية بهذه اللغة، خاصة وأن هذه اللغة (الفرنسية) غالباً ما تكون مهيمنة على الحياة الفكرية والاجتماعية، ولها جذور تاريخية ممتدة، وهي لا تزال قائمة إلى اليوم، كما أنها ليست ميزة خاصة فقط بالنخب القبائلية، بل للعديد من النخب الوطنية، فاللغة الأجنبية يتم تعلمها لأجل الفائدة المرجوة تحقيقها منها، زيادة على الميزة الثقافي التي تمنحها هذه اللغة للأفراد، ولذلك نجد أن هذه الفئات غالباً ما يكون لجوئها إلى الفضاءات التي تستعمل فيها هذه اللغة، ومن بينها التلفزيون، وبخاصة في ظل الإعلام المفتوح على الجميع.

وعليه أصبحت اللغة تحيط بحياة الناس، وتؤثر في وعيهم وفي عقولهم وعواطفهم، وهو ما يؤثر على مواقفهم اللغوية المختلفة.

جدول رقم (55) : يبين اللغة التي يتم بها مشاهدة البرامج التلفزيونية لأبناء المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية			
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	البرامج ولغة المشاهدة	
76 %	38	50 %	25	48 %	24	78 %	39	العربية	برامج الأطفال
2 %	1	4 %	2	26 %	13	/	/	الأمازيغية	
2 %	1	2 %	1	4 %	2	/	/	الأجنبية	
/	/	/	/	/	/	/	/	العربية	الأفلام والمسلسلات
6 %	3	/	/	2 %	1	/	/	الأمازيغية	
/	/	/	/	/	/	/	/	الأجنبية	
8 %	4	20 %	10	10 %	5	10 %	5	العربية	الأشرطة العلمية
2 %	1	/	/	6 %	3	/	/	الأمازيغية	
2 %	1	2 %	1	4 %	2	/	/	الأجنبية	
/	/	18 %	9	6 %	3	8 %	4	العربية	الحصص الترفيهية
/	/	2 %	1	2 %	1	/	/	الأمازيغية	
2 %	1	2 %	1	2 %	1	4 %	2	الأجنبية	
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع	

يوضح لنا الجدول أعلاه ، أن :

عند الشاوية نجد ما نسبته 78% من الأبناء يشاهدون برامج الأطفال باللغة العربية ، و 10% منهم يشاهدون الأشرطة العلمية بنفس اللغة (العربية) ، و 8% للحصص الترفيهية باللغة العربية كذلك.

أما عند القبائل، فإننا نجد ما نسبته 48% من برامج الأطفال، تتم مشاهدتها من قبل الأبناء باللغة العربية ، مقارنة ب 26% من الذين يشاهدون نفس البرامج ، ولكن باللغة الامازيغية ، وما نسبته 4% باللغة الفرنسية ، ونفس اللغة التي يشاهد بها الأبناء الأشرطة العلمية بنسبة 10% ، وهي متقاربة بين نسب المشاهدة للغة الامازيغية ، واللغة الفرنسية بنسبة 6% و 4% على التوالي.

أما عند بني مزاب، فإننا نجد ما نسبته 50% هم من الأبناء الذين يشاهدون برامج الأطفال باللغة العربية ، و 4% و 2% من مشاهدي هذه البرامج ، يكون باللغة الامازيغية والفرنسية تواليا .

بينما نجد عند التوارق ، أن ما نسبته 76% من الأبناء المشاهدين ببرامج الأطفال يكون باللغة العربية وبنسبة 2% لكل من اللغة الامازيغية واللغة الفرنسية لنفس البرامج (الأطفال) .

تبين لنا هذه الأرقام الإحصائية في الجدول، أن اللغة العربية، هي اللغة الأولى التي يشاهد بها الأبناء البرامج الخاصة بالأطفال ، وهذا لجميع المجموعات اللغوية (الشاوية ، القبائل ، بني مزاب التوارق

(، وحتى البرامج الأخرى الأقل مشاهدة ، تكون متابعة باللغة العربية ، ثم الامازيغية ، ثم الفرنسية ، أي أن هناك توافق لديها، حول اللغة التي يسمحون فيها للأبناء بمشاهدة البرامج التلفزيونية، وهذا يعطي تفسير مهم ، هو أن اللغة الممارسة عند الآباء ، في اغلب الأحوال ، هي ليست نفس اللغة التي يسمح بها للأبناء بمشاهدة البرامج ، فهناك توجه وخيارات لغوية ، ليست متطابقة مع الخيارات الوالدية ، وهو ما يسقط التوجه القائل ، بأن لغة الأبناء ، هي نفسها لغة الآباء (داخل الأسرة) - على الأقل وفقا لهذا التوجه الإعلامي ، التلفزيون -، ولكن هذا أيضا له ما يبرره ، إذ أن اللغة الامازيغية لا يزال مجال استعمالها في وسائل الإعلام جد ومحدود ، وحتى المقدم بهذه اللغة ، يكون في الغالب عبارة عن أخبار، أو حصص ثقافية ، أو أفلام ومسلسلات مدبلجة بهذه اللغة (الامازيغية)، وهذا ليس له علاقة بالبرامج الموجهة للأطفال (الأبناء)، وهو ما يرجح كفة ميولهم إلى البرامج الخاصة بالأطفال التي تكون باللغة العربية ، لكنه ليس الجانب الوحيد لتفسير ذلك ، إذ هناك عوامل أخرى ، تربوية وتعليمية ، يقصد من خلالها الآباء ، أن يتعلم الأبناء هذه اللغة ، ويستفيدوا من محتوى برامجها ، كما يعكس بأن توجيه الآباء لأبنائهم لهذه اللغة " العربية "، نابع من أن الأبناء قد تعلموا هذه اللغة ، وأصبحت لديهم لغة ممارسة داخل الأسرة وحتى خارجها .

كما تبين الأرقام أيضا، أن هناك توجيه للأطفال لبعض البرامج الترفيهية والعلمية ، وحتى برامج الأطفال باللغة الامازيغية ، وهو ما يعكس أيضا ممارستهم لهذه اللغة ، إضافة إلى توجيههم للبرامج باللغة الفرنسية لتعلمها.

جدول رقم (56) : يوضح العلاقة بين البرامج المشاهدة من قبل الأطفال واللغة المفضلّ تعليمها للأطفال قبل المدرسة.

التوارق								بني ميزاب								القبائل								الشاوية								لغة الأطفال قبل المدرسة البرامج
المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية		المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية		المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية		المجموع		فرنسية		أمازيغية		عربية		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
100	40	7,5	3	62,5	25	30	12	100	28	3,57	1	53,57	15	42,85	12	100	37	16,2	6	67,6	25	16,2	6	100	39	7,7	3	5,1	2	87,2	34	أطفال
100	3	/	/	100	3	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	100	1	/	/	100	1	/	/	/	/	/	/	/	/	/	/	أفلام ومسلسلات
100	4	16,7	1	50	3	33,3	2	100	11	27,3	3	72,7	8	/	/	100	10	20	2	70	7	10	1	100	5	/	/	60	3	40	2	أشرطة علمية
100	1	/	/	100	1	/	/	100	11	9,09	1	18,18	2	72,72	8	100	2	50	1	50	1	/	/	100	6	33.3	2	/	/	66,7	4	حصص ترفيهية
100	50	8	4	64	32	28	14	100	50	10	5	50	25	40	20	100	50	18	9	68	34	14	7	100	50	10	5	10	5	80	40	المجموع

نلاحظ من الجدول أنه عند الجماعة اللغوية في منطقة الشاوية، أن ما نسبته 87.2% من البرامج المختارة لأبنائهم، صرحوا بأنهم يفضلون تعليم أبنائهم قبل الدخول إلى المدرسة " اللغة العربية " مقارنة ب 66.7% من الذين يتبعون برامج ترفيهية ويعلمون أولادهم العربية، أما الذين يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية (الشاوية) قبل المدرسة، هم من الذين يسمحون لأبنائهم متابعة الأنشطة العلمية، و 5.1% فهم يسمحون لهم لمتابعة برامج الأطفال، بينما هناك من يسمح لأبنائه بمتابعة الأنشطة العلمية، ولكن يفضل تعليم أبنائه قبل المدرسة اللغة الفرنسية.

ونجد عند القبائل أن الذين يفضلون تعليم أبنائهم قبل المدرسة اللغة الأمازيغية ويشاهدون برامج المسلسلات والأفلام بنسبة 100%، ثم نجد النسبتين المتقاربتين 70% و 67.6% الذين يتابع أبنائهم الأنشطة العلمية وحصص الأطفال على التوالي، يفضلون أيضا تعليمهم اللغة الأمازيغية قبل المدرسة، كما نجد أن ما نسبته 50% والذين يتابعون الحصص الترفيهية، يفضلون تعليمهم اللغة الفرنسية، ونسبة 20% و 16.2% ممن يشاهد أبنائهم الأنشطة العلمية وحصص الأطفال، يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الفرنسية، و 16.2% عن الذين يفضلون تعليم أبنائهم العربية قبل المدرسة يتبعون برامج الأطفال.

أما عند بني مزاب، فنجد ما نسبته 72.72% من المتابعين للحصص الترفيهية والأنشطة العلمية، يفضلون تعليم أبنائهم العربية والأمازيغية على التوالي، وما نسبته 53.57% من المشاهدين لبرامج الأطفال، يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية، وما نسبته 42.85% يفضلون تعليم أبنائهم اللغة العربية، كما نجد ما نسبته 27.3% من الذين يشاهدون الأنشطة العلمية يفضلون تعليم أبنائهم اللغة الفرنسية، وبنسبة 9.09% من المشاهدين للحصص الترفيهية يفضلون أيضا الفرنسية لأبنائهم.

بينما عند الجماعة اللغوية عند " التوارق"، فإننا نجد ما نسبته 100% من الذين صرحوا بأن أبنائهم يفضلون تعليمهم الأمازيغية، هم من المشاهدين للحصص الترفيهية والمسلسلات، وما نسبته 62.5% من الذين يفضلون أيضا تعليم أبنائهم الأمازيغية، كانت البرامج المتبعة هي برامج أطفال، بينما نجد الذين يفضلون تعليم أبنائهم العربية قبل المدرسة، هم من المشاهدين لبرامج الأطفال والأنشطة العلمية، بنسبة 33.3% و 30%، كما نجد أن الذين يفضلون تعليم

أبنائهم اللغة الفرنسية، هم من المشاهدين لبرامج الأشرطة العلمية بنسبة 16.7%، وبرامج الأطفال بنسبة 7.5%.

ما نستنتج من هذه القراءة للجدول، أن هناك تراتبية في محاولة اختيار اللغة للأبناء، بالمفاضلة بين اللغات الثلاث ولكن هذه التراتبية في تفضيل اللغة للأبناء قبل دخولهم المدرسة ليست ثابتة وواحدة عند الجماعات اللغوية الأمازيغية، أي لا وجود لقاعدة متفق عليها، حول البرامج التي تساهم في التأثير على الأبناء، لاختيار اللغة المفضلة للأبناء، بمعنى آخر، أنه لا توجد برامج معينة، هي المرتبطة عضويا بلغة ما، برغم بروز تأثير البرامج الموجهة للأطفال تحديدا في السابق، في توجيه اللغة الممارسة لديهم، ثم الحصص الترفيهية ذات التأثير النسبي، حيث كلما كانت المشاهدة لبرامج الأطفال والحصص الترفيهية كلما كان تفضيل اللغة العربية للأبناء، أما الأمازيغية يفضل تعليمها خاصة من قبل المتابعين لبرامج الأفلام والأشرطة العلمية، وبدرجة أقل الحصص الترفيهية، بينما الذين يفضلون اللغة الفرنسية لأبنائهم، فهي مرتبطة نسبيا بالأشرطة العلمية وبرامج الأطفال والحصص الترفيهية.

ويمكن القول في هذا السياق أن طبيعة البرامج المشاهدة من قبل الأطفال وبتوجيه مقصود من الآباء، تعبر عن رغبة الآباء في أن يتعلم الطفل في هذه المرحلة اللغة الأنسب لأبنائهم، ولغة بث البرامج توجه الأطفال نحو هذه اللغة بصورة دقيقة.

وقد بينت الأرقام الإحصائية أيضا، أن الجماعات اللغوية المتنوعة تفضل تعليم أبنائهم اللغة على النحو الآتي:

- الشاوية يفضلون تعليم أبنائهم العربية بدرجة أولى، ثم الأمازيغية، ثم الفرنسية.
- القبائل يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية أولا، ثم الفرنسية، ولا وجود للعربية عند عينة الدراسة.
- بني ميزاب يفضلون تعليم أبنائهم كل من العربية والأمازيغية معا أولا، ثم اللغة الفرنسية.
- التوارق يفضلون تعليم أبنائهم الأمازيغية أولا ثم العربية، ثم الفرنسية.

وما يمكن قوله في هذا المقام، أن هناك رغبة من قبل الأسرة، في توجيه أبنائهم تعلم جميع اللغات مع الاستثناء عند القبائل (عدم تعليم العربية للأبناء قبل المدرسة)، وتكون الأمازيغية أولوية

بالنسبة إليهم (باستثناء الشاوية للعربية كأولوية)، وهذا يدل على أنهم يعتبرون بأن الأمازيغية مكون أساسي في ثقافتهم، ويعكس مدى تشبثهم بها، وهو ما يجعلهم يشجعون أبنائهم على تعليمها، كما أنه يعبر على أن هذه الفترة - قبل المدرسة - ذات أهمية بالغة في صقل وبلورة اللغة الأنسب للأبناء، خاصة وأن الأمازيغية لا تزال محتشمة الإقبال في المدارس المتواجدة فيها هذه اللغة، وهذا ما يعبر سوسيولوجيا عن أن هناك قطيعة موجودة بين المؤسسات الاجتماعية المختلفة في تنشئة الأطفال لغويا، فلغة الأسرة مختلفة عن لغة المدرسة، ولا يوجد تكامل بين هاتين المؤسستين في هذا الجانب.

أما تفضيل القبائل للغة الأمازيغية والفرنسية لأبنائهم، فهو نابع من تلك القنوات المرسخة تاريخيا، في أن الأمازيغية لا تزال في صراع مع العربية، وهناك نظرة بأن العربية (ليس من باب التعميم) أخذت مكان الأمازيغية التي يفترض أن تكون اللغة الرسمية والوطنية للجزائر، كما أن الأمازيغية من الناحية التاريخية والأنثروبولوجية، هي لغة المغاربة بما فيها الجزائر، لذلك كانت المفاضلة لهاتين اللغتين في نقلهما لأبنائهم.

أما تفضيل العربية كأولوية على الأمازيغية في منطقة الشاوية - لدى المبحوثين - يوضح الارتباط الوثيق لهذه الجماعة اللغوية بالعربية، وبانفتاحها على هذه اللغة منذ تاريخ طويل، حتى أنه أصبح عند البعض - أن الأمازيغ والعرب - وجهي دinar - ويعكسان صورة واحدة للإنسان الأوراسي، وهذا دون إهمال اللغة الأمازيغية (ممثلة خاصة في اللهجة المحلية)، ولعل أسبقية تفضيل هذه اللغة (العربية) لأبنائهم نابع أيضا من حرصهم على التواصلية اللغوية بين الأسرة والمدرسة، وأن الأمازيغية سوف يعرفها الأبناء بالبداية نتيجة المحيط اللساني المتواجدين فيه.

أما عند بني مزاب فإننا نجد تفضيلهم اللغتين معا للأبناء (عربية وأمازيغية)، فهناك تشبث باللغة الخاصة لجماعتهم اللغوية (المزابية)، ولكن بعدم إبعاد اللغة الدينية الخاصة، خاصة وأن للمزابيين خصوصية دينية متمثلة في المذهب الإباضي، هذا ما يجعل تعلمها، واجبا دينيا لارتباطها وصلتها الوثيقة بالإسلام وبالقرآن تحديدا، وهو ما اظهر وضعية الازدواجية في الاختيار.

بينما نجد عند التوارق أيضا مفاضلة للغة الأمازيغية، وهذا نظرا للخصوصيات الثقافية التي تتميز بها هذه المجموعة اللغوية، وإلى طريقة العيش الخاصة بهم، وهي ربما عوامل ساعدت على بعث

الوعي لديهم بإنتمائهم لهوية خاصة، أثرت في أن تساهم في الحفاظ على اللغة الأمازيغية (التارقية)، وهذا ما شجعهم على تفضيلهم تعليم الأمازيغية لأبنائهم قبل المدرسة.

كما نشير إلى أن كل الجماعات اللغوية المختلفة (شاوية، قبائل، بني مزاب، التوارق)، لديها الرغبة في تعليم أبنائهم اللغة الفرنسية، وإن كان ذلك منحصرا في فئات إجتماعية قليلة نسبيا - ما عدا حالة الجماعة اللغوية في منطقة القبائل - وهذا يبين انفتاح تلك الجماعات اللغوية على فتح المجال لأبنائهم تعلم اللغة الفرنسية، كإطلالة على العالم الخارجي، ولتحقيق مكاسب من خلال تعلم هذه اللغة، ولكنها لا تكون على حساب اللغة الأم (سواء كانت أمازيغية أو عربية حسب الحالة).

إذا فلوسائل الإعلام، دور مهم في انتشار ونقل اللغة للأبناء أو إلى تراجع هذه اللغة عندهم، وهذا من خلال توجيه الآباء أبنائهم نحو برامج ولغة تثبت بها، لتوجيه الأبناء قبل المدرسة نحو هذه اللغة أو تلك، ونشير أيضا إلى أنه برغم نقص البرامج التي تثبت باللغة الأمازيغية وبخاصة برامج الأطفال، إلا أنه نجد أن هناك حرص على توجيه الأبناء نحو المحادثة وتعلم الأمازيغية، ولعل هيمنة البرامج باللغة الأخرى، وبخاصة العربية، هو إحدى الدوافع التي أتاحت الفرصة لأن يتعلم الأبناء العربية، لأن لوسائل الإعلام المختلفة تأثير على ميول الأفراد وتوجهاتهم نحو الخيارات اللغوية.

جدول رقم (57) : يوضح القنوات الإذاعية الوطنية التي يسمعها المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	القنوات الوطنية
13.51 %	5	25 %	9	11.90 %	5	20 %	6	الإذاعة الوطنية
81.08 %	30	50 %	18	85.71 %	36	46.66 %	14	الإذاعة المحلية الناطقية بالأمازيغية
2.70 %	1	5.55 %	2	2.38 %	1	26.66 %	8	الإذاعة المحلية الناطقية بالعربية
2.70 %	1	8.33 %	3	/	/	/	/	الإذاعة الثقافية
/	/	11.11 %	4	/	/	6.66 %	2	الإذاعة الدينية
100 %	*37	100 %	*36	100 %	*42	100 %	¹ 30	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أنه:

عند الشاوية نجد ما نسبته 46.66% هم من المتتبعين للإذاعة المحلية الناطقة بالأمازيغية، وتليها النسبة 26.66% من المتتبعين للإذاعة المحلية الناطقة باللغة العربية، ثم 20% للإذاعة الوطنية، و6.66% لإذاعة القرآن الكريم (الدينية).

ونجد عند القبائل، ان ما نسبته 85.71% هم من المستمعين للإذاعة المحلية الناطقة بالأمازيغية، وتليها نسبة 11.90% من المستمعين للإذاعة الوطنية، وما نسبته 2.38% من المستمعين للإذاعة المحلية الناطقة بالعربية.

أما عند بني مزاب، فإننا نجد ما نسبته 50% من متتبعي القناة الإذاعية المحلية الناطقة بالأمازيغية، و25% من المتتبعين للإذاعة الوطنية، وما نسبته 8.33% للإذاعة الثقافية.

ونجد عند الطوارق أن ما نسبته 81.08% هم من المستمعين للإذاعة المحلية الناطقة بالأمازيغية، وتليها النسبة 13.51% من الذين صرحوا بأنهم يستمعون للإذاعة الوطنية، و2.7% من المستمعين لكل من الإذاعة المحلية الناطقة باللغة العربية والإذاعة الثقافية.

* - هناك تقلص في حجم العينة بسبب أنها تشمل الذين يستمعون للقنوات الوطنية فقط

من خلال القراءة لهذا الجدول، نرى بأن الإتجاه العام للمبوحثين، لدى هذه الجماعات اللغوية، يتجه في مجمله نحو إقبال المبوحثين على الإذاعة المحلية الناطقة بالأمازيغية، وخاصة أن هذه الإذاعات متواجدة في جميع المناطق وتبث برامجها تقريبا باللغة الأمازيغية (المحلية)، وهو ميل المبوحثين عند هذه الجماعات نحو السماع وتتبع هذه القنوات الإذاعية، لأنها أقرب لإبراز الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لها، كما أن معظم برامجها يعالج أو يتطرق إلى المجالات الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية ... لهذه المناطق الجغرافية، وتكون في الغالب بلغة تلك المجموعة (الأمازيغية)، مع اللغة العربية في بعض هذه القنوات، نظرا لإلحاح العديد من المستمعين أو تدخلاتهم باللغة العربية، أو حتى اللغة الفرنسية لدى بعض القنوات، وهو ما يبرز واقع لغوي مزدوج عند هذه الجماعات اللغوية غالبا ما يكون وفقا للثنائية (عربية/أمازيغية)، (أمازيغية/فرنسية)، أي يتواجد القاسم المشترك عند هذه الجماعات والمتمثل في اللغة الأمازيغية، فهذه الإذاعات تعالج الشؤون والقضايا المرتبطة مباشرة بالمواطن والموقع الذي تتواجد فيه، وهو ما يعطي لها خصوصية مميزة عن باقي الإذاعات الأخرى، كما أن لهذه الإذاعات تأثير على مواقف واتجاهات الأفراد نحو اللغة المستعملة في البث (للبرامج)، وغالبا ما تكون اللغة المحلية الخاصة بتلك المنطقة، كما أن هذا لا يعني أنها مستقلة فكريا وثقافيا عن الإطار العام للوطن (الذي يجمع من خلاله جميع هذه التنوعات الثقافية في القلب الوطني).

كما صرح المبوحثين أيضا، بأن هناك استماع وتتبع للقناة الوطنية، خاصة أنها تبث باللغة العربية، وهو ما يعكس اهتمام المبوحثين، لمجمل القضايا المرتبطة بالجزائر في كل جغرافيته، وهو الحس الوطني الذي تنصهر فيه تلك الثقافات بتنوعها واختلافها، كما يترجم أن الكثير من الفئات الاجتماعية لدى هذه الجماعات اللغوية، لها بعد وطني برغم الخصوصية الثقافية واللغوية التي تميزه عن الآخرين، كما يعكس ارتباطهم أيضا باللغة العربية ذات البعد الوطني والمغاري والعربي ضمن هوية أوسع.

ويشير الباحثون لدى هذه الجماعات أن تتبعهم للقنوات الإذاعية الوطنية بصورة عامة، كان بسبب بثها برامج باللغة المحلية (أنظر الجدول رقم 58) إذ نجد جميع المبوحثين لدى الجماعات اللغوية لكل من الشاوية والقبائل والتوراك كان سبب تتبعهم لهذه القنوات هو اللغة المحلية (أمازيغية كانت أم عربية)، وذلك بنسبة 76.66% و 95.23% و 81.08% على التوالي، بينما المجموعة

اللغوية لبني مزاب، صرح المبحوثين فيها بأن ليس للغة المحلية للإذاعة الوطنية علاقة بإختيارها لها، وذلك بنسبة 66.66%.

ويفسر ذلك، بأن هناك رضى وتقبل للمبحوثين لهذه الإذاعات الوطنية - وبخاصة المحلية والوطنية- بسبب اهتمامها باللغة المستعملة والممارسة لدى الفئات الواسعة عند هذه الجماعات، وهو ما يقرب وجدانيا وشعوريا وفكريا هذه القنوات من هذه الفئات أكثر، كما أنها تعكس في حقيقة الأمر، واقعا لغويا ممارسا وموجودا منذ زمن بعيد، ولا زال مستعملا إلى اليوم.

ولذلك نرى أن الاستماع لهذه القنوات الإذاعية، يساعد على معرفة اللغة أكثر في مفرداتها وكلماتها، وكذا في علاقتها مع المحيط الاجتماعي والثقافي الذي تتواجد فيه.

بينما نجد المجموعة اللغوية لبني مزاب قد أشارت بعدم تدخل نوعية اللغة في تتبع البرامج الإذاعية، وهذا ما يفسر ربما أن كل منهما يساعد في توعية وتنمية الأفراد فكريا وثقافيا، كما يعكس طابع الإزدواجية عندهم، لدوافع دينية ودوافع تنظيمية (النظام الاجتماعي).

جدول رقم (58) يوضح إذا كان المبحوثين إختاروا القنوات الوطنية بسبب أنها تبث برامجها باللغة المحلية

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		سبب الاختيار
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
81.08 %	30	33.33 %	12	95.23 %	40	76.66 %	23	نعم
18.91 %	7	66.66 %	24	4.76 %	2	23.33 %	7	لا
100 %	*37	100 %	*36	100 %	*42	100 %	² 30	المجموع

² هناك تقلص في حجم العينة بسبب شمولها على الذين إختاروا الوطنية فقط.

جدول رقم (59) : يوضح اللغة التي يتحدث بها أفراد العينة في معظم الاوقات هاتفيا.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		الحديث هاتفيا
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
44 %	22	36 %	18	20 %	10	64 %	32	العربية
54 %	27	58 %	29	66 %	33	36 %	18	الأمازيغية
2 %	1	6 %	3	14 %	7	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

نلاحظ من الجدول أنه:

عند الشاوية، نجد ما نسبته 64% من المبحوثين الذي يستخدمون الهاتف يكون حديثهم في معظم الحالات باللغة العربية"، بينما 36% من الذين يتحدثون بهم، يستعملون اللغة الأمازيغية.

ويكون عند القبائل ما نسبته 66% من الذين صرحوا بأن معظم حالات حديثهم بالهاتف، تكون بالأمازيغية، مقارنة بـ 20% للذين يستعملون العربية، وما نسبته 14% للذين تكون لغة حديثهم هاتفيا بالفرنسية.

كما نجد ما نسبته 58% عن المبحوثين عند بني مزاب، يكون حديثهم هاتفيا بالأمازيغية، مقارنة بـ 36% بالعربية، و6% بالفرنسية.

أما عند التوارق فنجد ما نسبته 54% هم من الذين يستعملون الأمازيغية في حديثهم الهاتف مقارنة بـ 44% من الذين تكون محادثاتهم باللغة العربية، و2% منهم بالفرنسية.

يتضح لنا من خلال هذه القراءة، أن الاتجاه العام لدى المبحوثين للجماعات اللغوية لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق، يكون في اتجاه أن معظم المبحوثين تكون اللغة المستعملة في حديثهم الهاتفي هي اللغة الأمازيغية، ثم تليها العربية، فالفرنسية بدرجة أقل بكثير، أما الجماعة اللغوية للشاوية فهي تتباين عن المجموعات السابقة، إذ معظم الأحاديث الهاتفية لديهم تكون باللغة العربية ثم تليها الأمازيغية.

ولعل الهاتف النقال ، أصبح من الوسائل الضرورية في جميع الاتصالات الانسانية، فقد أحدث ثورة كبيرة في الأوساط الاجتماعية المختلفة، وأصبح الوسيط الأكثر رواجاً واستعمالاً من قبل الأفراد، ولا شك أنه عوض تلك العلاقات الاجتماعية التي كانت تنسم بالاتصال المباشر واللقاءات وجهاً لوجه، ليقول بذلك من أواصر تلك الجماعات العائلية خاصة عن الالتقاء المباشر، كما أن هذه الوسيلة (جهاز الهاتف)، أصبح من الأمور الروتينية اليومية في حياتهم، ولاشك أن كل محادثة بالهاتف، تتم بلغة ما، وهي اللغة التي يرغب الفرد في التواصل بها، ونجد أن هناك استعمال أكبر للغة الأمازيغية للمبحوثين للجماعات اللغوية القبائلية وبني مزاب والتوارق، وهذا يعكس أن الأشخاص المتكلم معهم يتحدثون أيضاً الأمازيغية، أو يغلب على حديثهم الممارسة اللغوية الأمازيغية، أي أن الحديث يتم مع الجماعة اللغوية من نفس الفئة في الغالب، سواء كانت الأسرة أو ذوي القرابة، أو الأصدقاء، أو حتى الزملاء، كما تعكس جغرافية اللغة لهؤلاء المتحدثين، حيث يكون الاتصال مع الذين يقطنون في نفس المنطقة الجغرافية الخاصة بهم، أو تواجد هذه المجموعات خارج المنطقة لأسباب مختلفة، كما تؤكد الأرقام أيضاً، أن هناك حفاظ وممارسة لهذه اللغة الأمازيغية الأكثر استعمالاً في المكالمات الهاتفية لديهم، لأن الحديث بهذه اللغة يعبر عن معرفة المتكلم والمستمع لنفس المفاهيم اللغوية المتداولة لديهم.

كما نجد أن هناك استعمال أيضاً للغة العربية لدى هذه الجماعات، وهذا ما يفسر تلك العلاقات الاجتماعية المتعددة لهم، بسبب الوظائف أو الأعمال التي تجعل من الآخر الذي يتعامل معه، لا يعرف الأمازيغية، وهو ما يفرض عليهم استعمال اللغة المفهومة، والتي يتواصلون بها، كما يعكس أيضاً، أن هذه الفئات داخل هذه الجماعات تمارس أيضاً العربية في واقعها الاجتماعي، وتعكس بذلك الواقع السوسيوي - لغوي لديهم.

ونجد بعض الممارسات اللغوية التي تتم بواسطة الهاتف، والتي تكون باللغة الفرنسية، وهي بنسبة ضئيلة جداً، وتود ربما إلى النخب المثقفة داخل هذه الأوساط التي تلجأ إلى هذه اللغة لضرورة ما.

بينما نجد عند الجماعة اللغوية للشاوية، أن اللغة الأكثر استعمالاً هي اللغة العربية، ويعزى ذلك إلى تواجد وانتشار هذه اللغة لدى الأوساط الاجتماعية لديها، ولدى فئات معتبرة، حيث يكون الحديث بالعربية، في معظم التواصلات فيما بينهم، سواء مع الأقارب والأهل، أو مع الزملاء أو الأصدقاء... إضافة إلى أن هذه اللغة كمعطى سوسيلوجي تتواجد في الغالب، في هذه المنطقة بنفس تواجد الأمازيغية، وبخاصة في المناطق الجغرافية ذات الطابع الحضري، حيث تشعر أثناء التواصلات

اليومية أن هناك استعمال وممارسة للغتين معا، في جميع المجالات حتى أضحت ، ترسم لوحة لغوية، تجعل من الفرد الشاوي أنه إذا كان المتواجد معه، سواء شخصا أو في جماعة لا يعرف الأمازيغية، فإن حديثه سيكون معه بالعربية دونما أي تردد أو إنزعاج، إذا فإجراء هذه المكالمات الهاتفية بالعربية يعكس أيضا واقع سوسيو - لغوي لا يمكن تجاهله.

لكن هذا أيضا، لا يغيب (لا يحجب)، الممارسة اللغوية بالأمازيغية عند العديد من الأوساط الاجتماعية، أثناء إجراء مكالماتها الهاتفية، وهي في الغالب أيضا تكون مع الأقارب والأهل، ومع الذين يمارسون هذه اللغة أيضا.

ويمكن القول أن الهاتف، أصبح اليوم جزء مهم من حياة الأفراد والمجتمعات، وهو وسيط يربط بين أفراد المجتمع، فهو ليس مجرد وسيلة عادية، بقدر ما أصبح وسيلة لغوية تستطيع من خلالها وبواسطتها الحديث المباشر، أو الكتابة (الرسائل)، فله إنعكاسات لغوية حتى على المستوى المجتمعي.

جدول رقم (60) : مطالعة الجرائد للمبحوثين ولغة المطالعة .

قراءة الجرائد واللغة		الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
نعم	لا	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار
العربية		38 %	19	56 %	28	30 %	15	50 %	25
الفرنسية		40 %	20	30 %	15	44 %	22	20 %	10
لا		22 %	11	14 %	7	26 %	13	30 %	15
المجموع		100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50

نلاحظ من الجدول الآتي:

أنه عند الشاوية نجد ما نسبته 40% و 38% (متقاربه)، يطالعون الجرائد باللغة العربية والفرنسية معا، مقارنة ب 22% لا يطالعون الجرائد.

ونجد عند القبائل أن النسبة الأكبر من المطالعين للجرائد تكون باللغة الفرنسية بنسبة 56% مقارنة ب 30% من الذين تكون مطالعتهم بالعربية، بينما نجد الذي لا يطالعون الجرائد يمثلون 14%.

وعند بني مزاب، نجد ما نسبته 44% تكون مطالعاتهم للجرائد باللغة العربية، مقارنة ب 30% يطالعونها باللغة الفرنسية ، نجد ما نسبته 26% من الذين ليس لهم إطلاع.

بينما عند التوارق، نجد ما نسبته 50% هم من الذين يطالعون الجرائد باللغة العربية، مقارنة ب 20% يطالعونها باللغة ، بينما نجد ما نسبته 30% من الذين لا يطالعون الجرائد.

من خلال هذه القراءة، يتبين الاتجاه العام للمبشرين في أن هناك إقبال على اطلاع الجرائد اليومية أو الأسبوعية من قبل المبشرين لدى الجماعات اللغوية كلها، إلا أننا نجد أن لغة الإطلاع لهذه الجرائد ليست ثابتة عندهم بنفس الكيفية، إذ الجماعات اللغوية لكل من بني مزاب والتوارق تكون إطلاعاتها للجرائد العربية أكثر، بينما عند القبائل إطلاعها للجرائد المكتوبة باللغة الفرنسية أكبر، في حين لدى الجماعة اللغوية للشاوية الإطلاع للجرائد يكون باللغة العربية والفرنسية متقاربا.

إن المطالعة للجرائد الصادرة، سواء بالعربية أو بالفرنسية، تساهم بطريقة أو بأخرى في تشكيل الوعي الفردي، وتوجيهه، لكن في الغالب يكون مرتبط بأيدولوجية معينة، ضمنية أو ظاهرة تخفيها تلك الجريدة، فهناك إقبال عام على المطالعة لهذه الجرائد من قبل المبشرين، وبخاصة ذوي المستويات التعليمية (ثانوي - جامعي)، أو النخب المثقفة بصورة عامة، وتوجهات المبشرين نحو الجرائد العربية، أو الجرائد الفرنسية، يعكس واقع لغوي يمارس لدى هؤلاء الأفراد داخل هذه الجماعات اللغوية، أي أن للتكوين دور في هذه التوجهات، كما أن انقسام النخب الجزائرية (مفرنسة /عربية) يدل على هذا التوجه أو ذاك، ولا تخلو هذه الجماعات اللغوية من هذين النوعين من النخب، ولذلك نجد أن التوجهات لدى الجرائد العربية، وبخاصة عند الجماعات اللغوية لبني مزاب والتوارق والشاوية أيضا، نابع من ذلك التكوين والمكانة التي تكتسبها العربية في نفوسهم، وغالبا ما يكون لديها نفور (جزئي)، من اللغة الفرنسية التي لها ارتباط تاريخي مظلم بالنسبة إليهم، فهي رمز الاستعمار، والبؤس، فهذه الخلفية التاريخية للغة الفرنسية، تساهم حتى في نفور الأفراد عن كل ما يرتبط بها، كما أن معرفة الأفراد للغة العربية، يجعل إقبالهم على هذا النوع من الجرائد كبير، إلا أن الفرنسية أيضا لها مكانتها في الأوساط المجتمعية، وبخاصة لدى النخبة المفرنسة، وأصبحت هذه اللغة (الفرنسية) لها مكانة أوسع، لأنها الأداة الأنفع في بعض الحالات التي تتيح فرص العمل (لغة التوظيف)، ونجد أن الجماعات اللغوية للقبائل، هي الأكثر توجهها نحو الجرائد الفرنسية، ويعود ذلك إلى الواقع السوسيو-تاريخي التي تشكلت فيه هذه النخب، وإلى المدارس الفرنسية التي كانت منتشرة، إضافة إلى الهجرات

الخارجية لأفراد تلك الجماعات إلى فرنسا للعمل أو التعلم، وهو ما جعل تكوينهم وإطلاعهم يكون في الغالب باللغة الفرنسية.

كما نجد أيضا لدى الجماعة اللغوية الشاوية أن هناك توجهات للجرائد باللغتين العربية والفرنسية، وهو ما يفسر أيضا بالتكوين لدى بعض الأفراد باللغة الفرنسية، وهي غالبا ما ترتبط بالنخبة المثقفة بهذه اللغة، أو حتى إلى بعض العوامل كالهجرات التي حدثت من قبل الأفراد أيضا إلى المهجر لطلب العمل - لتحسين ظروفها آنذاك - أو لسبب التعلم، كما تساهم معرفة الآخر كافتتاح على العالم الآخر بقيمه وتقنياته.

إضافة إلى المعطى اللغوي (العربية)، الكثير الانتشار في الاوساط المجتمعية بإختلاف إنتمااتهم ومستوياتهم وإلى المكونين أيضا (عربية+فرنسية).

لكن تبقى اللغة العربية كتوجه عام للمبشرين في اللجوء إليها للاطلاع على الجرائد، خاصة لدى بني مزاب والتوارق، واللغة الفرنسية كتوجه عام للمبشرين لدى الجماعة اللغوية للقبائل، وللتغتين معا عربية وفرنسية، لدى المجموعة اللغوية للشاوية.

ونشير إلى غياب اللغة الأمازيغية عن هذ الفضاء المتمثل في الجرائد، يعود إلى غياب إصدارات لهذه الجرائد بهذه اللغة (الأمازيغية)، وهو ما ولد انقسامية في التوجهات قراءة الجرائد (عربية/فرنسية).

جدول رقم (61) : يبين تردد المبحوثين على مواقع الانترنت والمواقع المتردد عليها.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		التردد على الانترنت ومواقع التردد	
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار		
32 %	16	36 %	18	20 %	10	30 %	15	مواقع عربية	نعم
14 %	7	10 %	5	8 %	4	6 %	3	مواقع أمازيغية	
4 %	2	6 %	3	12 %	6	4 %	2	مواقع فرنسية	
6 %	3	16 %	8	10 %	5	2 %	1	مواقع أجنبية	
44 %	22	32 %	16	50 %	25	58 %	29	لا	
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع	

يوضح الجدول أنه:

نجد عند الجماعة اللغوية للشاوية لدى المبحوثين، أن أكبر نسبة 58%، وهي للذين لا يترددون على مواقع الانترنت، مقارنة بالمتكررين عليها، والتي تمثل ما نسبته 42% ومن هذه النسبة نجد، أن الذين يترددون على المواقع العربية هي النسبة الأكبر بـ 30% مقارنة بالمتكررين على المواقع الأمازيغية أو الفرنسية أو الأجنبية، وهذا بنسب 6% و 4% و 2% على التوالي.

وعند القبائل نجد أن هناك تقارب في النسبة بين المتكررين على مواقع الأنترنت والغير متكررين عليها، بنسبة 50% لكل منهما، ونجد أن الذين يتصفحون هذه المواقع (الأنترنت)، يكون تصفحهم للمواقع العربية أكثر بنسبة 20% مقارنة بـ 12% للمواقع الفرنسية و 10% للمواقع الأجنبية الأخرى، و 8% للمواقع الأمازيغية.

وعند بني مزاب، نجد أن المستعملين للانترنت يمثل النسبة الأكبر 68%، ومنها نجد ما نسبته 36% منهم، يستعملون المواقع العربية، و 16% للمواقع الأجنبية، و 10% منهم للمواقع الأمازيغية، و 6% منهم للمواقع الفرنسية، بينما تمثل النسبة 32% للذين لا يستعملون الانترنت، بينما نجد ما نسبته 56% من المبحوثين للجماعة اللغوية للتوارق، يترددون على مواقع الانترنت وفيهم 32% يستعملون المواقع العربية، و 13% يستعملون المواقع الأمازيغية، و 10% يستعملون المواقع الأجنبية، بينما نسبة الغير متكررين على الانترنت تمثل 44%.

من خلال القراءة لهذا الجدول يتضح هذا الاتجاه، أن هناك عدم إقبال واسع لدى الجماعات اللغوية المختلفة، على مواقع الأنترنت، وبخاصة لدى الجماعات اللغوية (الشاوية، والتوارق)، وتتساوى النسبة عند الجماعة اللغوية للقبائل، وترتفع عند بني مزاب.

وقد يرجع ذلك إلى أسباب متعلقة بفئة المبحوثين أنفسهم، إذ نجد أن العديد من المبحوثين لم تتح له فرصة التعامل مع هذه الوسيلة الاتصالية، لتجاهله لمدخلاتها ومخرجاتها، والتي قد تركز عند الفئات ذات المستوى التعليمي المتدني أو الأدنى، كما أنها تعتبر تكلفة إضافية عند البحث (ماديا)، وقد ترجع إلى عوامل أخرى اجتماعية أكثر.

إلا أن الذين يستعملون الأنترنت، باعتبارها وسيلة سريعة (ثورة في عالم الاتصال)، نجد لديهم ميولات نحو مواقع معينة، وبما أن الأنترنت تلعب أدوارا مهمة في مستوى التوسع في النطاق الفكري والثقافي بين الآخرين، مما يساهم في ترك واقع وأثر على الواقع (الثقافي)، إضافة إلى السوق اللغوية المتاحة في هذه الوسيلة الاتصالية، وتصبح فيها الغلبة للغة الأقوى (علما ومعرفيا وحضاريا وثقافيا وسياسيا وتربويا...)، تجعل ميول هؤلاء الافراد، مبنية على نحو مقصود (لغرض)، إذ كانت المواقع العربية، هي المواقع المفضلة للمبحوثين لدى الجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والتوارق) -برغم قلتها لاستعمالات الأنترنت -، ويعود ذلك إلى معرفة المبحوثين لتلك اللغة (العربية)، وهو ما يفسح المجال لهم للتخاطب مع الأفراد الآخرين الممارسين لهذه اللغة، سواء داخل الوطن أو خارجه، أو حتى تصفحها لتوفر المواضيع المكتوبة بهذه اللغة التي يرغب في المطالعة بها، وهو ما يجعل اللغة ومصيرها لدى هؤلاء الأفراد محكوم بلغة المتخاطب (المتحدث) معهم على هذه الشبكة، والتي تمارس من خلالها تأثيرات وتأثرات على سلوكهم ومواقفهم وعلى ثقافتهم، خاصة وأن اللغة العربية، برغم العدد الهائل من متحدثيها في العالم (أكثر من 400 مليون شخص)، وبرغم احتلالها المرتبة السادسة (06) عالميا من حيث الانتشار والتوسع، إلا أن حضورها (من حيث المحتوى والمضمون) على شبكة الأنترنت لا يزال بعيدا عن قيمتها ومكانتها، وذلك مقارنة باللغات العالمية الأخرى، والتي ربما هي الأقل شأنا منها (من حيث التوسع والانتشار)، وهو ما يفسر إلحاحية مواكبة ومسايرة هذه اللغة للمتغيرات العلمية والتكنولوجية خاصة، فهذه المكانة (داخل الشبكة الرقمية)، برغم ضعفها، إلا أنها البوابة الأفضل لهذه الجماعات اللغوية، بما يتيح لهم من فرص وآفاق علمية ومعرفية، وبذلك فإن اللغة

بصورة عامة داخل هذه الشبكة تصبح محورية، سواء من حيث الاستعمال أو من حيث التلقي، فلا توجد حواجز تمنع من ممارسة المناورات لفرض ثقافة أو لغة ما عند الأفراد والمجتمعات.

فالأنترنيت مساحة إضافية للأفراد لتعلم اللغة، ولممارستها، ولنشرها، فهذه الاستعمالات اللغوية للأفراد داخل هذه الجماعات اللغوية، تفسر أيضا مكانة العربية داخل هذه الشبكة، مقارنة بالآمازيغية التي تبقى استعمالاتها محصورة في الفضاءات الاعلامية المختلفة، وبدرجة أكبر في الأنترنيت (والأسباب عديدة ومتنوعة)، وهذا ما يفسر أيضا لجوء المجموعة اللغوية للقبائل للفضاءات اللغوية بالعربية، وبدرجة أقل للأجنبية والآمازيغية، وحتى اللغات الأخرى (كالإنجليزية) التي تبقى أكثر اللغات حضورا من حيث المحتوى والاستعمال على شبكة الأنترنيت.

لكن تبقى التواصلات، سواء التواصل الاجتماعي عن طريق المدونات أو غرف التواصل، أو لأغراض بحثية أو معرفية، قليلة عند هذه الجماعات اللغوية (وفقا لتصريحات الباحثين)، إلا أن فضاء الاستخدام والتواصل غالبا ما يكون باللغة العربية.

فهناك عقلية جماعية، لهذه الجماعات اللغوية، تتسم بتوجهها نحو استعمال اللغة العربية، واللغات الأجنبية، في الاستعمال الواسع، فاللغة الآمازيغية لديها لا تتمتع بالمكانة اللائقة في أوساطهم، في كتابة أو تخزين أو إرسال رسائل الكترونية، أو تعاملات مع فئات أخرى....الخ، فهي ليست سائدة وواسعة الاستعمال، في هذه الوسائل المستعملة فيها الأنترنيت (الهاتف، الحاسوب)، ولعل استعمالاتها المتواضعة (القليلة)، تملئها ضرورة مؤقتة فقط، وليس بدافع ربما التعلق والتمسك بها، والدفاع عنها، وهو ما يعزز، تلك النظرة القاصرة أو العاجزة لهذه اللغة (الآمازيغية) لدى الأوساط الاجتماعية المختلفة لهذه الجماعات، ولكن هناك أيضا معطى آخر، يساهم في ذلك، وهو غياب تواجد الحروف المناسبة واللائقة، بمفاتيح إشارات الاستعمال، سواء للهواتف النقالة أو الحواسيب، بعكس اللغات الأخرى الأكثر استخداما لها، وهي حالة اللاتوازن في وسائل الاتصالات المختلفة، وواقع الممارسات اللغوية المتداولة فيها كتابيا وشفهيا، لدى هؤلاء الأفراد، عبر هذه الوسائل، وبخاصة الأنترنيت.

كما تبقى هذه الوسيلة الاتصالية (الانترنت) ذات تأثير كبير للتوجهات والممارسات اللغوية لدى الأفراد، ولكن يبقى فتح المجال للغات هو السبيل الأفضل ، لفتح آفاق جديدة لهذه اللغات ، على مستوى علمي وعملي.

جدول رقم (62) : يوضح الوسائل الإعلامية الأكثر توحيدا للغة برأي المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		الوسائل الموحدة للغة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
46 %	23	46 %	23	48 %	24	26 %	13	الراديو
46 %	23	42 %	21	40 %	20	62 %	31	التلفزيون
6 %	3	4 %	2	4 %	2	2 %	1	الأنترنت
2 %	1	8 %	4	8 %	4	10 %	5	الجرائد
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يبين الجدول أن:

عند الشاوية ما نسبته 62% يروا بأن الوسيلة الإعلامية الأكثر توحيد للغة، هي التلفزيون، ثم يليها الراديو بنسبة 26% ، ثم تليها الجرائد بنسبة 10%، فالأنترنت بنسبة 2%.

أما عند القبائل ما نسبته 48% عبروا عن أن الوسيلة الأكثر توحيدا للغتهم هي الراديو، ثم تليها التلفزيون بنسبة 40%، ثم الجرائد والأنترنت بنسبة 8% و 4% على التوالي.

بينما عند بني مزاب، نجد ما نسبته 46% و 42% من الذين يعتبرون ان كل من الراديو والتلفزيون يساهمان في توحيد اللغة لديهم بنسبة 46% و 42% على التوالي، ثم تليها كل من الجرائد والأنترنت، بنسبة 8% و 4% على التوالي.

ويتضح عند التوارق أيضا، بأن ما نسبته 46% عبروا عن أن كل من الراديو والتلفزيون هما الوسيطان اللتان لهما الدور الأكبر في توحيد اللغة لديهم، مقارنة ب 6% و 2% الذين صرحوا بأن الأنترنت والجرائد، هي التي تلعب هذا الدور (توحيد) اللغة.

بعد القراءة الإحصائية للجدول، يتضح لنا أن أغلبية المبحوثين لهم علاقة بالوسائل الإعلامية (الراديو، التلفزيون)، والتي يرون بأنهما الوسائل الأكثر تأثيرا فيهم ، والأكثر توحيدا للغة الأم الخاصة بهم، ويبرز دورهما أكثر عند الجماعات اللغوية لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق، وتبرز قيمة الوسيلة الإعلامية (التلفزيون) أكثر عند الجماعة اللغوية للشاوية.

وعليه فإن الراديو (المذياع)، يعتبر من الوسائل المهمة التي تساهم في توحيد اللغة لدى المبحوثين، ولعل اختيار ذلك نابع، عن أن هناك إذاعات محلية في كل منطقة جغرافية، وتكون هذه الإذاعات المحلية هي الحاملة والناطقة باللغة التي تتواجد فيها هذه الإذاعة، فبعد أن كانت هناك إذاعات جهوية (أثناء الدخول في التعددية السياسية)، كل إذاعة تغطي مجموعة من الولايات، أصبحت هناك إذاعات محلية (تواجد كل إذاعة في ولاية)، وهو ما حصر مجمل الاهتمامات والانشغالات والقضايا سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية... وإلا وكانت هذه الإذاعة الصوت المعبر عنها، كما نجد أن اللغات التي تبث بها هي اللغات المحلية (الخاصة بتلك الولاية)، وهو ما نجده ونلمسه بصورة واقعية أثناء سماعنا لها، إذ في الغالب ما تكون اللغة تتراوح بين الأمازيغية من جهة، والعربية من جهة أخرى، وهناك بعض الإذاعات التي يكون بثها (بالعربية والأمازيغية) معا، نظرا لصعوبة التحكم في لغة واحدة، بسبب الواقع اللغوي في المحيط والذي يفرض -التحول اللغوي- الانتقال من لغة إلى أخرى كمطلب جماهيري من خلال الاتصالات المباشر معهم.

فهما كانت البرامج المقدمة، دينية أو اجتماعية أو ثقافية، إلا ويعبر عنها باللغة التي يفهمها المجتمع المحلي.

فأصبحت بذلك هذه الإذاعات المحلية، للجماعات اللغوية، المعبر بلسان حالهم، فنجد مثلا أنه في منطقة الأوراس (الشاوية)، اللغة المستعملة في إذاعة باتنة - تحديدا - (إذاعة الأوراس سابقا)، هي الشاوية والعربية جنبا إلى جنب، كواقع لغوي ممارس في محيطهم (بيئتهم الجغرافية) وهو ما ينطبق على الإذاعات المحلية للجماعات اللغوية الأخرى، مع مراعاة التباين في أيهما أكثر استعمالا وحديثا عن الأخرى، ناهيك عن استعمال الألفاظ باللغة الفرنسية، أو باللغة العربية، عند عجز الممارسين لتلك اللغة الأمازيغية عن إيجاد ما يقابلها، في لغتهم، وهو ما يفسر حالات المزج اللغوي، أو ما يعبر عنه بالاقتراض اللغوي كحالة طبيعية نتيجة الاحتكاك اللغوي التاريخي بين هذه اللغات.

إذا هناك تأثير ممارس من قبل هذه الإذاعات المحلية، وبخاصة في الجوانب الإلقائية (للغة)، في توجيه اللغة، واستمالة المستمعين نحو توجهات لغوية محددة (المحلية تحديدا)، وهو ما يعطي الانطباع للمبحوثين بأنها من الوسائل الأكثر توحيدا للغة، والأكثر اهتماما باللغة المحلية المرتبطة بهذه الجماعات اللغوية.

إلا أن هناك دورا أيضا، تقوم به الإذاعة الوطنية، أو الإذاعة الثقافية، أو إذاعة القرآن الكريم، في جمع هذه التنوعات اللغوية أو اللهجية (الخاصة)، تحت مظلة اللغة الوطنية (العربية تحديدا) كلغة جامعة، ومعبرة عن الهوية الوطنية في أبعادها الثقافية المتنوعة، وهو ما يجعل القواسم المشتركة تندرج ضمن الهوية العربية الأمازيغية الإسلامية (إن صح التعبير عليها).

كما يبرز التلفزيون أيضا، كوسيلة مهمة لدى المبحوثين في توحيد التداول (الاستعمال) اللغوي الخاص بهذه الجماعات اللغوية، وهذا للدور الذي يلعبه في نقل وبث البرامج التلفزيونية، للمجتمع الكلي الذي تتواجد فيه، هذه الجماعات اللغوية، فالتلفزيون أيضا، خصص برامج وفترات للغة الأمازيغية، موجهة لهذه الفئات الأمازيغية من المجتمع، وتعتبر كل جماعة لغوية، عن اللغة أو اللهجة الخاصة بها.

وهو ما ساعد، على تتبع هذه الحصص من قبل كل الجماعات اللغوية في المجتمع الجزائري، سواء كانت ناطقة بالعربية، أو ناطقة بالأمازيغية، فأضحى التلفزيون من بين الوسائل الكثيرة المؤثرة في التوجهات والمواقف المختلفة للأفراد، نحو لغة ما.

كما أن التلفزيون ليس بالضرورة - أنه خاص بالقنوات الوطنية فقط، بل هناك العديد من القنوات التي يمكن للفرد مشاهدتها، سواء كانت عربية أو أجنبية أو أمازيغية، وسواء كانت موجهة للأطفال أو موجهة للكبار، للنساء، أو للرجال، ... وهو ما يجعل خيارات التتبع متاحة دون رقيب عليهم (ليس مفروضا)، بل هو اختياري، وهذا ما يجعل الكثير من الآباء يوجه أبنائهم نحو قنوات تلفزيونية ما (تكون في الغالب برامج أطفال)، ولكن يحدد له تتبع البرامج باللغة التي يرغب هو نقلها إلى أبنائه، وهذا ما وضعه الجدول الخاص بمشاهدة القنوات، والتي أفرزت في الغالب بأن هناك توجهات للآباء نحو القنوات التي تبث برامجها باللغة العربية، فالأمازيغية فالأجنبية، مع بعض الفوارق داخل هذه الجماعات.

إذا فلوسائل الإعلام والاتصال الفضل في الحفاظ على اللغة التي يرغب المبحوثين في الحفاظ عليها وتوحيدها من خلال هذه الوسائل، والتي تمثل فيها كل من " الراديو والتلفزيون " كوسيلتين رائدتين في الدور الذي تلعبانه في توحيد اللغة لديهم، والتي يمكنهم من الانتشار والتوسع، كما تساهم في المحافظة عليها وممارستها داخل المحيط الخارجي تحديداً.

وبرغم وجود الانترنت كوسيلة اتصال قوية، إلا أن أهميتها لدى المستجوبين، أقل تأثيراً - مقارنة بالراديو والتلفزيون - وفقاً لتصريحاتهم.

3- الوسائط الثقافية (الجمعيات، الدروس، المسجد، القصص ...)

سنبرز في هذه النقطة، دور بعض الوسائط الثقافية المساهمة في نقل اللغة وممارستها لدى الأجيال، ومدى فعالية هذه الوسائط، في تنشئة الأطفال على القيم والتقاليد الخاصة بهذه المجتمعات، وهذا من خلال كل من الجمعيات والقصص والحكايات والخطب والدروس التي تقام خاصة في ادوار العبادة (المساجد).

جدول رقم (63) : يوضح انتماء المبحوثين لجمعيات ونوادي ثقافية.

الانتماء إلى الجمعيات		الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق	
التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
نعم	دينية	/	/	1	2 %	7	14 %	4	8 %
	إجتماعية	3	6 %	3	6 %	15	30 %	10	20 %
	ثقافية	9	18 %	5	10 %	8	16 %	10	20 %
	إقتصادية	/	/	/	/	1	2 %	/	/
	سياسية	2	4 %	/	/	2	4 %	1	2 %
لا		36	72 %	41	82 %	17	34 %	25	50 %
المجموع		50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100

يتضح لنا من الجدول أن:

عند الشاوية نجد أن النسبة الأكبر هي الذين ليس لهم إلتماءات للجمعيات بنسبة 72%، مقارنة ب 28% الذين ينتمون إلى جمعيات، وأن الذين ينتمون إلى هذه الجمعيات، نجد ما نسبته 18% ينتمون إلى جمعيات ذات طابع ثقافي ، و6% إلى جمعيات ذات طابع اجتماعي، كما نجد ما نسبته 4% ينتمون إلى جمعيات سياسية (المجتمع المدني).

ونجد عند القبائل أن ما نسبته 82% لا ينتمون إلى الجمعيات، بينما نجد 18% ينتمون إلى جمعيات، من بينهم 10% و6% على التوالي ينتمون إلى الجمعيات الثقافية والاجتماعية، و2% إلى جمعيات ذات طابع ديني.

بينما نجد عند بني مزاب أن ما نسبته 66% صرحوا بأنهم ينتمون لجمعيات، من بينهم 30% ينتمون إلى جمعيات ذات طابع إجماعي، و16% و14% إلى جمعيات ثقافية ودينية، ثم 4% و2% إلى جمعيات اقتصادية أو منظمات سياسية، بينما نجد ما نسبته 34% لا ينتمون إلى جمعيات.

ونجد عند التوارق أن هناك نفس النسبة موزعة بين المنتمين إلى الجمعيات، والغير منتمين إليها، وهي 50% لكل منهما، ونجد ما نسبته 20% من المنتمين للجمعيات، ينتمون إلى جمعيات ذات طابع اجتماعي وثقافي، و8% إلى جمعيات دينية.

يتضح لنا من خلال هذه المعطيات، أن هناك عزوف لدى الجماعات اللغوية عند كل من الشاوية والقبائل، في الإلتقاء إلى المجتمع المدني المتمثل خاصة في الجمعيات، بينما نجد عند الجماعة اللغوية لبني مزاب إقبال وإنخراط في هذه الجمعيات، وتتناسم النسبة بالتساوي لدى المجموعة اللغوية للتوارق، بين المنخرطين والغير منخرطين فيها، أي هناك توجهات متباينة لدى المبحوثين لدى هذه الجماعات في النظرة إلى الدور الذي تقوم به هذه الجمعيات، ومدى فعاليتها في الأوساط المجتمعية والرسمية.

وهذا ما يفسر دور العامل الاجتماعي والثقافي على حد سواء، في الهيمنة على حركة المجتمع المدني في الجزائر، كنوع من النضال لديها في الدفاع - ولو بصورة شكلية - عن قضايا المجتمع على المستويين الاجتماعي والثقافي، ونظرا للقيمة التي تكتسيها هذه المجالات على مستوى النسيج الاجتماعي لها، فبرغم فتح المجال للنشاط الجمعوي والسياسي، مع الانفتاح السياسي والتعددية، إلا أن إنخراط المبحوثين - على الأقل - كان محتشما لدى هذه الجماعات - بإستثناء المبحوثين للجماعة

اللغوية، بيني مزاب، وبدرجة أقل للتوارق - برغم التأثيرات التي قد تحدثها هذه الجمعيات على المستوى الاجتماعي، وقد يعود ذلك إلى الممارسات الفردية داخل هذه الجمعيات، بعد فتح التعددية، والتي ينظر إليها أنها الأمل (الواعد) في إحداث طفرة في المجتمع، نحو الرقي والازدهار والنهوض، إلا أن هناك اصطدام في التصور النظري والممارسة الواقعة، التي أفرزت تناقضات وتضارب المصالح الفردية وحتى الجماعية بداخلها، وهو أحدى العوامل التي قللت من توجه الأفراد نحو هذه الجمعيات (انزلاقها عن الأهداف الحقيقية للجمعيات).

فقد كانت آمال الأفراد يحذوها العزيمة والإرادة، لأن تجد هذه الجمعيات والأحزاب - المفتاح السحري - لحل المسائل الاجتماعية والثقافية خاصة.

أما تمسك الجماعة اللغوية لبني مزاب بانتماءها للجمعيات، فهو نابع لطبيعة النظام الاجتماعي -العزابة - السائد في المنطقة، ومساعدته تنظيميا التحكم في تدفق الجمعيات في محيطها، أي أن الخبرة والتجربة ساعدت هذه الجماعة، على تسخير هذه الجمعيات في خدمة المجتمع ، وذلك بتسخير الرصيد (على مستوى التجربة) في خدمة هذه الجمعيات، وخاصة أن الجمعيات غالبا ما ترتبط بجماعات ثقافية أو انتماءات اجتماعية محددة، يسودها التماسك والتضامن بين أفرادها، وبخاصة الجمعيات ذات الطابع المحلي - الضيق - وبنفس النظرة، ولكن بصورة أقل بالنسبة للجماعة اللغوية عند التوارق، والتي وجدت في الجمعيات الفضاء الأبرز لنقل اهتماماتهم وشؤونهم إلى الجمعيات المخولة بذلك، وهذا لتكون بذلك الجمعيات الجسر الذي يربط بين الأفراد والجماعات في شساعة هذه الصحراء، وبين الهيئات الرسمية المطالبة بإيجاد حلول للأوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المتباينة.

ولعل إبراز دور هذه الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي الذي يتصل مباشرة بالمبحثين لمدى اهتمامها (الجمعيات) بالمعطى الأمازيغي، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه الجماعات اللغوية (وهو ما سيوضحه الجدول القادم).

جدول رقم (64): يبين إن كانت الجمعيات تعطي اهتماما للأمازيغية في برامجها ونشاطاتها.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		اهتمام الجمعيات بالأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
21.42 %	3	77.77 %	7	60.60 %	20	84 %	21	نعم
78.57 %	11	22.22 %	2	39.39 %	13	16 %	4	لا
100 %	*14	100 %	*9	100 %	*33	100 %	25	المجموع

يتضح من هذا الجدول، أن ما نسبته 78.57% من المنتمين لجمعيات في المجتمع الشاوي، لا يهتمون بالأمازيغية في برامجهم ونشاطاتهم المختلفة، مقارنة بـ 21.42% من الذين يولون اهتماما لهذه المسألة (الأمازيغية).

ونجد عند القبائل أن ما نسبته 77.22% من المنتمين لهذه الجمعيات لهم اهتمام بالمسألة الأمازيغية، مقارنة بـ 22.22% الذين لا يولون إهتمام بذلك.

بينما عند بني مزاب نجد أيضا ما نسبته 60.60% من المنتمين للجمعيات، لهم اهتمام بالمسألة الأمازيغية في برامجهم ونشاطاتهم مقارنة بـ 39.39% الذين ليس لهم اهتمام.

كما تتضح المسألة عند التوارق أيضا، بأن هناك اهتمام بالأمازيغية من قبل المنتمين لهذه الجمعيات بنسبة 84%، مقارنة بـ 16% من الذين لا يولون اهتمام لذلك.

ووفقا للاتجاه العام، فإن الجماعات اللغوية المختلفة لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق لهم اهتمام بالأمازيغية في نشاطاتهم وبرامجهم المختلفة، عكس الجماعة اللغوية عند الشاوية التي لا تولي اهتمام للأمازيغية.

ويفسر ذلك، للدور الذي تلعبه الجمعيات ذات الطابع الثقافي تحديدا، في إعطاء المسألة الأمازيغية نصيبها من النشاطات والبرامج التي تسطرها لذلك، مساهمة منها في محاولة إنماء اللغة

* - سبب تقلص العينة لأنها شملت المنتمين للجمعيات فقط.

والثقافة الأمازيغية باعتبارها جزء مهم في سياستها، ومحاولة معالجة القضية وطرحها للرأي العام، حتى تأخذ نصيبها من الاهتمام، وبخاصة في ظل الاستلاب والاعتراق ، الذي عاشته على مر التاريخ.

وتعكس النضال الذي تقوم به منظمات المجتمع المدني بصورة عامة، والجمعيات الثقافية بصورة خاصة، في ظل النظر إلى الأمازيغية كمسألة مرتبطة بالهوية الوطنية الجزائرية، فهناك درجة من الوعي لديها، بالقيمة والأهمية التي تكتسبها هذه اللغة والثقافة في منظومة المجتمع.

كما بين هذا التوجه دخول الجمعيات إلى الواقع السوسيو - ثقافي الجزائري كفاعل اجتماعي لا يمكن تجاهله، ويحمل مشروع حقيقي بإمكانه معالجة المسألة، والمساهمة في البناء الوطني، من خلال الاقتراحات والنشاطات والبرامج التي تقدمها.

إلا أنه ربما ما يعاب على هذه الجمعيات (ليس كلها)، هو عدم ثباتها واستمرارها في نشاطها، وأصبح معظم ظهورها بالمناسبات فقط، وهو ما أحجم بمرور الوقت فعاليتها زيادة على بعض العوامل، التي أدت إلى زوال البعض منها، وقلة نشاط الكثير منها، لأسباب هيكلية وتنظيمية، والتلقائية والعشوائية، في عملها وبرامجها، كما أن معظم الجمعيات لم تكن واضحة الأهداف (المناضل لأجلها) على الأقل على المستوى المتوسط والبعيد، وكل هذا ساعد على تقويض الحركة الجمعوية وفعاليتها في الأوساط المجتمعية.

كما تبرز بعض الجمعيات التعارض بين الخيارات الثقافية والاجتماعية لمسارها، وبين ممارستها اللغوية كانعكاس لذلك.(أنظر الجدول 65).

جدول رقم (65) يبين اللغة الأكثر استعمالاً أثناء المناقشات وتبادل الأفكار في هذه الجمعيات

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		لغة المناقشات
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
44 %	11	30.30 %	10	22.22 %	2	100 %	14	العربية
56 %	14	69.69 %	23	55.55 %	5	/	/	الأمازيغية
/	/	/	/	22.22 %	2	/	/	الفرنسية
100 %	*25	100 %	*33	100 %	*9	100 %	³ 14	المجموع

يبين الجدول أن معظم (جل) المبحوثين لدى الجماعة اللغوية للشاوية، صرحوا بأن اللغة الأكثر استعمالاً في المناقشات وتبادل الأفكار داخل الجمعيات ، كانت باللغة العربية ، وذلك بنسبة 100%.

بينما تستعمل اللغة الأمازيغية، لدى الجماعات اللغوية المختلفة (القبائل وبني مزاب والتوارق) في مناقشاتها وآرائها داخل الجمعية بنسبة 55.55 % و 69.69 % و 56 % على التوالي، مقارنة بالذين يستعملون اللغة العربية في ذلك لديها، بنسبة 22.22 % و 30.32 % و 44 % على التوالي لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق.

وهو ما يفسر أن اهتمام مجال الجمعيات - ثقافيا - يتمشى إلى حد ما مع المعطى اللغوي الممارساتي على مستوى أفراد هذه الجمعيات، حتى لا تقع في التعارض الصارخ، وهو ما يجسد محاولة التركيبة البشرية لها، تجسيد النشاط الفعلي، من خلال الممارسة اللغوية الفعلية والحقيقية لهذه الجماعة (الأمازيغية)، إلا أن هناك بعض التباين لديها، بممارستها للغة العربية في العديد من القضايا والمسائل الثقافية المرتبطة بهذه الجماعات، والمفارقة الواضحة تبرز أكثر لدى الجماعة اللغوية عند الشاوية ،التي كانت جل ممارستها اللغوية داخل هذه الجمعيات باللغة العربية، وهو ما يعطي الانطباع بأن هناك تناقض بين طبيعة النشاط، والسلوكات العاكسة للنشاط من خلال الممارسة اللغوية لديهم.

وعموما يمكن القول أن النشاط الجمعي - اجتماعيا وثقافيا - لدى هذه الجماعات لا يزال بعيدا عن الطموح والأمل الذي ينتظره المجتمع منهم، كعامل يمكن أن يحدث النهوض والتقدم الحضاري

³- سبب تقلص حجم العينة لأنها شملت الذين ينتمون إلى الجمعيات فقط.

بمفهومه العام، ولا تزال هذه الجمعيات بعيدة عن نسج شبكة للعلاقات الاجتماعية، قادرة على توجيه الأفراد نحو خيارات ثقافية ولغوية واجتماعية محددة.

جدول رقم (66) : يوضح اللغة المفضلة لأفراد العينة لسماعهم الخطب والدروس الدينية.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		اللغة المفضلة لسماع الخطب والدروس
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
88 %	44	40 %	20	54 %	27	66 %	33	العربية
12 %	6	60 %	30	46 %	23	34 %	17	الأمازيغية
/	/	/	/	/	/	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتبين لنا من خلال الجدول أنه:

عند الشاوية نجد بأن جل المبحوثين صرحوا بأنهم يفضلون السماع للخطب والدروس الدينية باللغة العربية، وهذا بنسبة 88% ، مقارنة بـ 12% الذين يفضلون سماعها بالأمازيغية.

ونجد عند القبائل ما نسبته 60% يفضل سماع هذه الخطب والدروس الدينية باللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 40% الذين يفضلون سماعها باللغة العربية.

بينما نجد عند بني مزاب أن الذين يفضلون سماع الخطب والدروس الدينية كانت في اتجاه اللغة العربية بنسبة 54% ، مقارنة بـ 46% الذين يفضلون سماعها باللغة الأمازيغية.

ونجد عند التوارق أنا ما نسبته 66% هم من الذين يفضلون سماع الخطب والدروس الدينية باللغة العربية، مقارنة بـ 34% الذين يفضلون سماعها بالأمازيغية.

ويتضح لنا من خلال القراءة، ووفقا للاتجاه العام لإجابات المبحوثين، أن هناك توافق للجماعات اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب والتوارق، في أن تقدم الدروس المتعلقة بالخطب والدروس الدينية

باللغة العربية، كلغة مفضلة لديهم، بينما نجد عند الجماعة اللغوية للقبائل أن هناك تفضيل الأمازيغية في إلقاء الدروس والخطب الدينية، وبدرجة أقل تفضيل اللغة العربية.

ويمكننا القول في هذا الإطار أن معظم الدروس والخطب الدينية هي في الغالب ترتبط بالمساجد، وهو المكان التي تلقى فيه هذه الدروس والخطب بصورة دورية (مرة في كل أسبوع على الأقل)، وهو ما يجعلها مؤسسة دينية ومؤسسة لغوية في الوقت نفسه، على اعتبار أن مضمون ومحتوى الخطب والدروس، يكون باللغة، ولعل للمسجد مكانة عالية وراقية في نفوس الأفراد، لما له من الدور البارز في الحفاظ على الأفراد والجماعات فكريا، من خلال نشر وتوضيح المعاني السامية للإسلام، ولعل ارتباط القرآن باللغة العربية تحديداً، هو الذي صقل توجه المبحوثين نحو ارتباط توجهاتهم وميولهم، نحو تفضيل هذه اللغة القرآنية المقدسة، كما أن اللغة العربية الحاملة لهذا القرآن هي الأكثر فهما وتديلا للمعاني القرآنية، وهو ما يبسر (يبسط) استيعاب الناس لهذه المعاني بتلك اللغة (العربية)، كما أن تأثيرها بالغ في نفوسهم ووجدانهم، زيادة على أن الخروج عن هذه اللغة في المسجد (في الدروس والخطب تحديداً)، سوف ينمي الشعور لدى الأفراد بالحيرة، وقد تشعر البعض بأن ذلك يدخل في مصطلح "العار"، أي التقليل والتقليل من مكانة اللغة القرآنية المقدسة، خاصة وأنه في الموروث الشعبي على مر العصور تشكل اعتقاد بأن الحديث في المسجد بغير العربية هو خروج عن العادة أو العرف، ولم يسبق في اعتقادي أن تم أن ألقى الخطبة، أو الدروس في المساجد بغير اللغة العربية.

كما يدل هذا التوجه على تلك القيمة العميقة للغة العربية في نفوسهم، ومدى تأثيرهم بها، زيادة على أن المسجد، هو مكان لعبادة والتفقه والتعلم، ويكون بذلك فضاء للغة العربية - لغة القرآن - وهو ما يبعده عن أي استغلال أو توظيف ثقافي، أو تأويل سياسي من خلال توظيف هذه اللغة أو تلك (لأن اللغة الوطنية والرسمية والدستورية هي العربية، ولأنها تلقى الرضا والإجماع لدى كل الفئات).

كما أنه المسجد هو ملتقى لجميع الشرائح والفئات الاجتماعية، ومقصد غير انتقائي (إقصائي) لأي كان، متعلم أو غير متعلم، ريفي أو حضري، غني أو فقير،...، ولذلك في الغالب ما تشتمل فيه اللغة المرتبطة لجميع هذه الفئات والشرائح والتي ترتبط بالدين (القرآن)، وليس بتلك الممارسات الاجتماعية الأخرى للغة، وهذا ما يساعد على توجه التفكير لدى الكثير بأن تكون اللغة العربية إحدى الخيارات للأبناء، نظرا لتشكل هذا التصور - لدى المبحوثين عموماً -.

إلا أن التوجه لدى الجماعة اللغوية في منطقة القبائل كان نحو تفضيل اللغة الأمازيغية، على اللغة العربية في محاولة لتقريب الفهم للمعاني القرآنية للغة الوسط الاجتماعي الذي يتواجدون فيه، وبخاصة الفئات العمرية (الشيخوخة) التي تكون في الغالب، غير مدركة للمعاني باللغة العربية، إلا أنه أيضا هذا يتماشى مع تلك المطالب الثقافية واللغوية التي تظهر في هذه المنطقة، وهو ما ينمي الشعور بالعودة إلى الأمازيغية، حتى في إلقاء الخطب والدروس الدينية، وربما هذا ما يفسر تقديم حلقات ودروس ومواعظ دينية في المؤسسات الإعلامية كالراديو والتلفزيون، باللغة الأمازيغية، وتكون هناك تواصلات بها، حتى وإن كانت هذه الفئة التي تقرر بتفضيل استعمال اللغة الأمازيغية في دور العبادة (المسجد تحديدا)، إلا أن هناك تقبل ورضى وتفضيل أيضا للغة العربية، وهو ما يعكس توجهات النظر المختلفة إزاء ذلك.

ونشير إلى أن استعمال اللغة في دور العبادة، سواء بالمساجد أو المؤسسات الدينية الأخرى (المدارس القرآنية، الزوايا)، يبقى في الغالب حبيس اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن والاسلام (الدين الرسمي للدولة وللأفراد)، إلا أنه نادرا ما تستعمل اللغة الأمازيغية (كلمات) في هذه الدروس - وليس الخطب - لتوضيح بعض المسائل لتبسيط الفهم أكثر، ولكن تبقى هذه الاستعمالات محدودة، ورغم أنه لا يوجد مانع ديني أو قانوني - من توظيف هذه اللغة في التبيان والشرح كمعطى واقعي موجود في المحيط الخارجي، فالمسجد هو مؤسسة تنشئ لغوية للأفراد في توجيه الأفراد نحو ممارسة لغوية، تلقى الأثر البالغ في نفوسهم وذواتهم، وفي الغالب تكون نحو العربية، وهذا برضا وتقبل صريح من الجميع.

جدول رقم (67) :يبين إن كان هناك سرد للقصص والحكايات للأطفال، والقائم بذلك في الاسرة

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		سرد قصص وحكايات والقائم بها	
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار		
6	12 %	3	6 %	5	10 %	2	4 %	الأب	نعم
5	10 %	9	18 %	20	40 %	8	16 %	الأم	
10	20 %	4	8 %	6	12 %	8	16 %	الجد	
15	30 %	28	56 %	15	30 %	30	60 %	الجدة	
14	28 %	6	12 %	4	8 %	2	4 %	لا	
50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	المجموع	

من الجدول يتبين لنا عند الجماعة اللغوية في منطقة الشاوية، أن هناك سرد للقصص والحكايات للأبناء بنسبة 72% مقارنة بـ 28% الذين لا يقومون بذلك، ونجد من الذين يسردون القصص والحكايات أن القائم بها داخل الأسرة هو الجد والجدة بنسبة 30% و 20% على التوالي، وتقل عند الوالدين.

أما عند الجماعة اللغوية لدى القبائل، فإننا نجد أيضاً أن هناك سرد للقصص والحكايات على الأبناء بنسبة 88% ، مقارنة بـ 12% الذين لا يفعلون ذلك، ونجد في أن الذين يسردون القصص والحكايات للأبناء ،هو الجدة بنسبة 56% والأم بنسبة 18%، وتقل عند الأب والجد.

بينما عند الجماعة اللغوية لبني مزاب، فإننا نجد أن هناك سرد للقصص والحكايات للأبناء بنسبة 92%، مقارنة بـ 8% الذين لا يقومون بذلك، ويكون القائم بالسرد لهذه القصص والحكايات، هو الأم بنسبة 40% والجد بنسبة 30%، وتقل النسبة عند الجدة والأب.

ونجد عند الجماعة اللغوية للتوارق، أن هناك أيضاً سرد لهذه القصص والحكايات للأبناء بنسبة 96%، مقارنة بـ 4% الذين لا يفعلون ذلك، ويكون السارد لهذه القصص والحكايات هو الجدة بنسبة 60%، ثم بنسبة أقل عند كل من الجدة والأم بنسبة 16%.

من خلال قراءتنا لهذا الجدول، نصل إلى استنتاج مفاده، أن كل الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، تقوم بسرد قصص وحكايات على أبنائها، وعند جميع الأسر، وهنا تبرز فعلاً تلك تقاطعات الفعلية في التراث الأمازيغي لهذه الجماعات، حيث يعتبر ذلك من المسلّمات لديها، فلا تخلو أي أسرة من هذا النوع من القصص والحكايات، ولها حميمية خاصّة، في تثبيت العلاقات الاجتماعية داخل هذه الأسر، كما أن هذا النوع من القصص والحكايات يحظى لدى الأطفال بقبول كبير، ورغبة ملحّة، حيث تساهم هذه القصص والحكايات في تعلّم اللغة والألفاظ والعبارات الخاصة بها، فالقاص عليهم يتكلم بلغة مكا، ويخاطب الأطفال (الأبناء) بهذه اللغة، ولا شك أن هذه اللغة التي تستعمل مفهومة لدى الجميع، وهو ما يترجم بأن لهذه الأسر رغبة في تعلّم أبنائهم اللغة من حيث المبدأ، خاصة وأن الأبناء في هذا السن، غالباً ما يرددون ما يسمعون من ألفاظ وعبارات، وإعادة سرد القصة أو الحكاية، بمناسبة وبدونها. فالتجربة اللغوية للطفل تحكمها تلك البيئة التي يتفاعل فيها، فالنماذج اللغوية الاسرية، هي المرتع الأول لهؤلاء الأبناء في اللغة التي يجبلون أبنائهم عليها.

فهناك تطابق لدى هذه الجماعات في عملية سرد قصص وحكايات على الأبناء، وربما طبيعة الأسرة الجزائرية بصورة عامة، تفرض اجتماعياً هذا الاتجاه، ولا تخلو أي أسرة من ذلك، وبخاصة لدى الأسر التقليدية المتمركزة في المناطق ذات الطابع الريفي.

إلا أن الملفت للنظر أيضاً ، أن القائم بسرد هذه القصص والحكايات للأبناء، عند جميع الأسر، لدى هذه الجماعات باختلافها، يكون إما للجدة أو الأم، مع الاستثناء عند بني مزاب بتطلع الدور للأم ثم الجدة، وبروز دور الجد عند الشاوية والتوارق بنسبة أقل، و يفسر من خلاله أن للجدة مكانة متميزة داخل هذه الأسر، حيث تعتبر لدى الأبناء كمّ لهم وكم مرجع لا بد من الاستفادة منه، نظراً لأنها خزان للأحداث عبر التاريخ (واقعية أو خيالية)، لذلك نجد أن السارد دائماً (أو في أغلب الأحيان هو الجدة)، كما أن بروز الجدة أكثر ربما يُعزى إلى أن الآباء لهم أدوار أخرى داخل المنزل وخارجه، وهو ما يلهيهم عن مثل هذه القصص والحكايات للأبناء، كما أن هذه القصص والحكايات تحتاج إلى مهارة في السرد، حتى تنقل تلك الأحداث والوقائع والبطولات والخيال بأسلوب تشوّق للأبناء، زيادة على أن الوالدين، القليل منهم من يملك الرصيد (القصص)، نظراً لإتاحة المجال لوسائل الإعلام والاتصال الحديثة (كالتلفاز، الأنترنت،...)، ولذلك غالبية الأبناء عند هذا الجيل يوجه الأبناء نحو التلفاز، وهذا

ما يفسر بروز دور الجدة في ذلك، مع الاستثناء عند الجماعة اللغوية لبنى مزاب، أين يبرز دور الأم في ذلك مع الجدة، وهذا ربما مرتبط بخصوصية المرأة في المجتمع المزابي.

إذا، فهذه الحكاية أو القصة (تجاجيث- تمزايث)، قد عرفها الإنسان الأمازيغي منذ القديم، وهي لها الدور والمساهمة في الحفاظ على الأدب الشفوي، فقد كانت هذه المجتمعات تمتلك الكثير من هذا التراث اللامادي، المتمثل في القصص والحكايات، والتي كانت في الغالب متضمنة مجموعة من القضايا والأحداث، واقعية كانت أو خيالية، وتتطرق في مضامينها لجميع القضايا والأحداث والوقائع المرتبطة بهذه المجتمعات.

فقد ساهمت هذه القصص والحكايات، في تنمية الجوانب المعرفية واللغوية والاجتماعية للأبناء، فهي وسيلة مهمة للتعليم وإيصال السلوكات والقيم المرغوب فيها والغير مرغوب فيها، للأبناء، من خلال الأساليب المشوقة التي تحملها تلك الجدة، أو الأم، في ذهنها لنقلها للأبناء.

كما تبرز أيضا قيمة هذه القصص والروايات من خلال تنمية الحصيلة اللغوية للأبناء، واكتساب مفردات خاصة باللغة التي تُسرد بها، خاصة وأن اللغة المستعملة في هذا السياق تكون بسيطة وسهلة وجذابة، تتماشى مع سن الأبناء وميولاتهم.

كما أن هذه القصص والحكايات، برغم القيمة الترفيهية، فهي تضمن مد جسور التواصل والتلاقي لأفراد العائلة، وبخاصة الوالدين مع الأبناء، وتغمر الأسرة بمعاني الدفء والحنان، الذي تحتاج إليه الأسر اليوم، زيادة على أن معظم هذه الحكايات والقصص تُروى -حسب معاشتي لذلك- في أوقات الليل، وتبرز أكثر في الفصول الباردة (الشتاء في الغالب).

فيمكننا القول أن للقصة والحكاية لدى هذه الجماعات اللغوية قيمة كبيرة، من حيث القيمة التربوية والمعرفية واللغوية التي سوف يكسبونها لأبنائهم، في هذه المراحل العمرية، كما أنها تعبير كامن عن دورها في المساهمة والحفاظ على هذا التراث الشفوي اللامادي الموجود، والمحفوظ عبر التاريخ، فهو يعكس عندهم جزء من الثقافة والهوية لديهم، فهي بمثابة المدرسة الأولى للأبناء لغرسها فيهم.

جدول رقم(68) : يوضح اللغة الفضل سماع الأشرطة بها لدى افراد العينة .

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		لغة سماع الأشرطة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
40 %	20	52 %	26	22 %	11	88 %	44	العربية
56 %	28	44 %	22	68 %	34	12 %	6	الأمازيغية
4 %	2	4 %	2	10 %	5	/	/	الفرنسية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول أنه:

عند الشاوية نجد ما نسبته 88 % يؤكدون سماعهم الأشرطة العربية ،مقارنة بـ 12 % من الذين يستمعونها بالأمازيغية.

وعند القبائل ما نسبته 68 % يستمعون للأشرطة باللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 22 % يستمعونها بالعربية، و 10 % يستمعونها بالفرنسية.

ونجد عند بني مزاب ،أن ما نسبته 52 % يستمعونها باللغة العربية ، مقارنة بـ 44 % الذين يستمعون الأشرطة بالأمازيغية، و 4 % منهم يستمعونها باللغة الفرنسية.

أما عند التوارق، فإننا نجد ما نسبته 56 % يفضلون سماع الأشرطة باللغة الأمازيغية ، مقارنة بـ 40 % يستمعونها باللغة العربية، و 4 % باللغة الفرنسية.

نستخلص من هذه القراءة الاحصائية للجدول، أن هناك اتجاهين اثنين لدى هذه الجماعات، في اللغة التي يستمعون بها للأشرطة، الاتجاه الأول المتوافق، يشمل الجماعة اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب، يفضلون سماع الأشرطة باللغة العربية وينسبة أقل للغة الأمازيغية.

أما الاتجاه الثاني المتوافق ايضا، هو الجماعة اللغوية لكل من القبائل والتوارق، والذين يستمعون للأشرطة باللغة الأمازيغية، ثم باللغة العربية بنسبة أقل، ثم باللغة الفرنسية بنسبة قليلة.

وبدل هذا، أنه برغم الخصوصيات لكل جماعة لغوية، إلا أننا نجد بعض التوافقات (الاشتراكات)، في اللغة المشتركة بينهم، في سماع الأشرطة، بصرف النظر عن طبيعة المواضيع المتطرق إليه، فهناك ميول للجماعة الأولى (الشاوية وبني مزاب)، للتذوق اللغوي للأشرطة باللغة العربية، ويفسر على أن هناك تراكمات تاريخية، خاصة على مستوى الأغنية (عند الشاوية)، أو على مستوى الأنشودة (عند بني مزاب)، في استعمال هذه اللغة (العربية)، في شتى المناسبات الخاصة بهم، كما يبين بأن العربية يستعملها الفنانون والمنشدون في تأديتهم لها، مما يعطي انطباع لدى هؤلاء المبحوثين في تصريحاتهم، إلى أن معظم ما يستمعونه يكون باللغة العربية، ولأن في المجتمع الشاوي نجد أن الأغنية التراثية، الخاصة بالمنطقة، كثير ما يُتغنى بها باللغة العربية، ليكون بذلك صدى هذه الأصوات يتعدى للحدود الجغرافية، إلى جميع الجماعات اللغوية التي تشترك معها في اللغة، والتي لا تشترك معها، كما يفسر إكسابهم لأكبر قدر من الجماهير عبر الوطن، وهو ما يؤكد نفوذ هذه الأغنية التراثية (باللغة العربية)، إلى المناطق الأخرى، وبخاصة المجاورة لها، فتحمل هذه الأغنية دلالة رمزية لتبليغ محتوى (مضمون) الرسالة، لجميع الناطقين بهذه اللغة (العربية)، متجاوزة بذلك الانغلاق الجغرافي، كما توضح بأن التركيبة البشرية في داخلها، هي مزيج بين الناطقين بالعربية من جهة، والناطقين بالأمازيغية من جهة أخرى.

وهذه النظرة لا تنطبق على الأغنية فقط، بل تتعدى لجميع الأشرطة السمعية، في المجالات الأخرى، الاجتماعية والدينية... إلخ، بينما نجد عند بني مزاب نفس التوجه، وهو مرتبط بصورة أكثر بطبيعة التركيبة الاجتماعية لبني مزاب -التركيبة الدينية- التي تميل إلى التمسك بالعربية كمُبلغ للمحتوى الرسالي لتلك الأناشيد، أو الدروس، وحتى يكون توسّعها أيضاً لدى الجماعات الأخرى (غير المزابية)، فيكون بذلك المنطلق الديني، هو المحرك الأساسي لمجمل التصرفات والمواقف، بما في ذلك اللغوية.

إلا أن هذا التوجه لدى الجماعتين (الشاوية وبني مزاب) لا يُغيب اللغة الأمازيغية، في المشهد الثقافي في شقه المتعلق بالأغاني أو الأناشيد أو المسرحيات... إلخ، وتكون الأمازيغية أيضاً حاضرة فيه، وهو ما يجسد صورة الازدواجية اللغوية لديها، فرغم التباين في الخصوصية الاجتماعية والجغرافية، لكل من الجماعتين اللغويتين، إلا أن هناك اشتراك وتوافق، في الميول اللغوية والممارسات

اللغوية لديهم، من خلال اللغة العربية كمنطلق أول لسماع الأشرطة، وتليها الأمازيغية بعد ذلك (تعلق هذه الجماعة بتلك اللغة).

أما المجموعتين اللغويتين لكل من القبائل والتوارق، فإننا نجد أيضاً أنه برغم التباين الجغرافي، والخصوصية التي تميز كل منها عن الآخر، إلا أن هناك إجماع (توافق) على أن اللغة الأمازيغية، هي اللغة الأكثر حضوراً في سماعتهم للأشرطة بها، إذ نجد عند منطقة القبائل أن الأغنية لها مكانة خاصة في احتواء القضية الأمازيغية، والتعبير عنها بهذا اللسان، والتي ساهمت في نماء الوعي لديهم بالمسألة الأمازيغية، نظراً للسحر الذي تمارسه هذه الأغاني في نفوس أفراد هذه الجماعة، ولذلك نجد أن الأغنية لديهم، شكلت قاعدة شعبية واسعة، تهتم خاصة بقضايا الهوية، والانتماء، وقد كان المهجر، هو المكان الذي تبلورت فيه جُلّ الأغاني بالأمازيغية والخاصة بهذه الجماعة، وقد لقت رواجاً كبيراً خاصة في الأوساط الشعبية، فهي كانت بمثابة الناطق والمعبّر عن المسألة الأمازيغية، في ظل غياب فضاء خاص، يُعبر من خلاله عن المسألة اللغوية، في ظل الحساسيات والتداعيات والتعقيدات التي كانت تُمرّ به هذه المسألة (الأمازيغية) على المستوى السياسي.

لذلك نجد أن هناك ميول لهذه الجماعة اللغوية في أن تكون اللغة المفضل السماع بها هي الأمازيغية.

ونفس الاتجاه نجده عند التوارق، إلا أن تفسير توجههم نحو اعتماد اللجوء إلى الأمازيغية (اللغة)، كسبيل للاستماع للأشرطة بها، يعكس طبيعة الانعزال (النسبي) لهذه المجموعة على ذاتها، نظراً للطبيعة الجغرافية (الصحراء الواسعة)، التي تتواجد فيها، وهو ما يجعل ميولهم أكثر نحو الأمازيغية، كتنويع لها باعتبارها جزء من هويتهم وثقافتهم، وبرغم أن طبيعة الأغاني والأناشيد لديهم ليست بنفس الشساعة والانتشار، كما في المناطق الأخرى، إلا أنها كانت حاضرة في ممارساتهم الثقافية والمناسباتية.

ولعل المادة الغنائية والموسيقية، ظلت تحظى بتواجد قوي، وباهتمام ابداعي الى اليوم، في الفضاء الاجتماعي للمجتمع الأمازيغي، باعتباره يعتمد على اللغة المنطوقة (الأمازيغية)، المعبر عن احساس ومشاعر ووجدان الانسان الأمازيغي في اريافه ومدنه، وهي شكل من اشكال التعبير عن التصدي لكل هيمنة ثقافية او سياسية، لانها الوسيلة المتاحة بحرية التعبير عن ذلك.

ونشير إلى أن هناك ميول أيضاً ،لدى الجماعات اللغوية باختلافها إلى التوجه نحو اللغة الأجنبية(الفرنسية)، وذلك من خلال تصريحات المبحوثين الذين أقرّوا بسماع الأشرطة باللغة الفرنسية، وهي نوع من الانفتاح على اللغات الأخرى، نظراً لأهمية وقمية هذه اللغات في ظل التغيرات والمعطيات العالمية، كما أنها تمثل بوابة لمعرفة الآخر، او حتى ربما للتأثر بالموسيقى الخاصة بهذه اللغة... الخ ، ولا نستبعد تكوّن العديد من الآباء أو الأبناء بهذه اللغة (الفرنسية)، نظراً لتواجدها في موقع يسمح لهم بتحسين الوضعية الاجتماعية، وتمركز هذه اللغة عند العديد من النخب الوطنية، ولكن بتأثير متباين لدى الجماعات اللغوية المختلفة.

4- الحفاظ على اللغة:

سنعرض في هذا المحور ، الطرق والآليات المفضلة لدى المبحوثين، في الحفاظ على اللغة(الأمازيغية)، في ظل الثوابت والمتغيرات الحالية، وآفاق هذه اللغة ضمن الفضاءات اللغوية الأخرى، داخل النسيج الاجتماعي، وما هي المؤسسات اللغوية الأكثر حفاظاً على هذه اللغة، والتي تسمح لها بالاستمرارية والانتشار.

جدول (69):يبين الوسائل المهمة والقادرة في المحافظة على الأمازيغية في نظر المبحوثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		المحافظة على الأمازيغية
التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	
2	4 %	1	2 %	17	34 %	3	6 %	تعليمها في المدارس الحرة
11	22 %	37	74 %	8	16 %	22	44 %	تعليمها في المدارس الرسمية
37	74 %	12	24 %	14	28 %	20	40 %	إستعمالها في الحديث اليومي
/	/	/	/	7	14 %	5	10 %	تأليف كتب الأمازيغية
/	/	/	/	4	8 %	/	/	نشر الأغاني والأناشيد بها
50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	المجموع

يتضح من الجدول ،أن عند الشاوية نجد أن الذين يرون بأن أهم الوسائل القادرة على الحفاظ على اللغة الأمازيغية، متمثلة تحديداً في استعمالها في الحديث اليومي، وذلك بنسبة 74%، ونجد 22% منهم يرى أن تعليمها في المدارس الرسمية، هو الذي يساهم في الحفاظ عليها، ونسبة 4% من يرى أن تعليمها في المدارس الحرة هو الذي يساهم في الحفاظ عليها.

أما عند القبائل فنجد الذين يرون بأن الطريقة الأفضل في المحافظة على الأمازيغية ، هي تعليمها في المدارس الرسمية بنسبة 74%، تمّ استعمالها في الحديث بنسبة 24%، ونسبة 2% تعليمها في المدارس الحرة.

ونجد عند بني مزاب ، رؤيتهم بأن الطريقة الافضل للحفاظ على اللغة الامازيغية ، هي تعليمها في المدارس الحرة بنسبة 34% ، وبنسبة 28% ، استعمالها في الحديث اليومي، ثم بنسبة 16% و 14% على التوالي ، في تأليف الكتب بها ، ونشر الاغاني والناشيد بهذه اللغة (الامازيغية) .

أما عند التوارق، فإننا نجد أنهم يرون بأن الطريقة القادرة على الحفاظ على الأمازيغية، هو تعليمها في المدارس الرسمية، واستعمالها في الحديث اليومي بنسبة 44% و 40% على التوالي، ثم تأليف كتب بالأمازيغية بنسبة 10% ، وتعليمها في المدارس الحرة بـ 6%.

من خلال قراءتنا لهذا الجدول، يتبين لنا ان نظرة الجماعات اللغوية للطريقة الأفضل والقادرة على الحفاظ على الأمازيغية، تختلف نسبيا في الأولوية الأولى لذلك، وتتفق في أن استعمالها في الحديث اليومي كسمة مشتركة لديهم في الحفاظ عليها برغم بعض التفاوتات، فنجد:

-الشاوية ، يرون أهم وسيلة للحفاظ على الأمازيغية هي استعمالها في الحديث اليومي ثم تعليمها في المدارس الرسمية.

-القبائل ، يرون أن تعليمها في المدارس الرسمية هو الأفضل، ثم استعمالها في الحديث اليومي.

-بني مزاب، يرون أن تعليمها في المدارس الحرة هو الأفضل ، ثم استعمالها في الحديث اليومي.

-التوارق يرون أن تعليمها في المدارس الرسمية واستعمالها في الحديث اليومي معاً، الطريقة الأفضل في الحفاظ على الأمازيغية.

تبين هذه المعطيات أن المحافظة على الأمازيغية يجب أن تحظى بفرص أكبر، وهذا من خلال تعليمها في المدارس الرسمية بصفة رسمية، لأن المدرسة مؤسسة سوف تساعد على نقل هذه اللغة إلى الآخرين، وأنها ضامنة لأن تبقى الأمازيغية متداولة بصفة مستمرة، كما أن هذه المدرسة سوف

تتيح أيضاً التطور لهذه اللغة، لأنها تنقلنا من الطابع الشفوي إلى الطابع الكتابي* ، ولعل تدريسها في المدارس الرسمية وأهميته، يظهر أكثر عند الجماعات اللغوية لكل من القبائل والتوارق أكثر - ويظهر عند بني مزاب في المدارس الحرة، وعند الشاوية، المحافظة عليها يكون من خلال الحديث اليومي أفضل، ويفسر هذا ربما، بأنه في منطقة القبائل قد تجاوزوا فكرة الحديث اليومي للغة الأمازيغية، نظراً لتصورهم أن المدرسة الرسمية، هي التي سوف تشرعن اللغة الأمازيغية كلغة رسمية، كما أن المدرسة هي الضامن الأفضل لتدريس الأمازيغية لغير الناطقين بها، و يعطي الدلالة بالرغبة في نقل الأمازيغية من الشفاهية (المحصورة والمرتبطة لفئات محددة في المجتمع) ،إلى الكتابية (التي تجعل نطاقها أوسع، واستمراريتها أفضل)، وهي السمة أيضاً الغالبة لدى التوارق، ربما اعتقاداً من هذه الجماعة اللغوية بأن الأمازيغية تقلصت في الممارسات، بسبب الاحتكاكات والتواصلات بين الجماعات اللغوية الناطقة بالعربية، كما أن المدارس تعلم الأبناء باللغة العربية، وهذا ما ولد فكرة الحفاظ على الأمازيغية بأن تدرس في المدرسة، كما أن تركيزهم أيضاً على استعمالها في الحديث اليومي، سيزيد من صيانتها وبقائها، بينما ترى الجماعة اللغوية في بني مزاب أن المدارس الحرة، هي الحاضن والضامن الأفضل للمحافظة على الأمازيغية، بدل المدارس الرسمية، خاصة وأن هناك تعليم حر في جميع المراحل موجود في هذه المنطقة، وتواجد هذه المدارس الحرة إضافة إلى طبيعة وخصوصية هذه المنطقة دينياً، فإنهم يعتقدون بأن المدارس الحرة هي الأفضل في الحفاظ على اللغة الأمازيغية وحمايتها من الذوبان، وهي التي سوف تعيد الاعتبار لها (وهذا طبعاً مرتبطاً باللهجة المزابية)، أي أن هناك ضماناً في أن المدارس الحرة، خاصة في المراحل الأولى سوف يعطي للأمازيغية بريقها، وقيمتها واستمراريتها، حيث أن المؤطرين والمسيرين والدارسين في هذه المدارس هم من هذه الجماعة اللغوية نفسها.

كما نشير إلى أن الجماعات اللغوية تتقاسم فيما بينها ،باعتبار أن اللغة الأمازيغية يجب أن تكون هي لغة الحديث اليومي لدى أفرادها ،وعلى جميع المستويات، وفي الأماكن المختلفة، وهذا الشعور نابع من أن هناك شرائح لدى هذه المجتمعات ، قد هجرت لغتها الأمازيغية نحو لغات أخرى، وهو ما اعتبره عامل قوي أيضاً يساهم في الحفاظ عليها، وهذا بتداولها في الحديث اليومي.

* - نقل هذه اللغة إلى الكتابة يحتاج إلى العديد من الإمكانيات البشرية والبيداغوجية واللغوية، حتى تصبح محل توافق لدى الجماعات اللغوية المختلفة، في طريقة كتابتها، والخط الذي سوف تكتب بها.

جدول رقم (70) : يبين الكيفية التي يتم من خلالها الحفاظ على اللغة الأمازيغية.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		طرق الحفاظ على الأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
12	24 %	28	56 %	16	32 %	18	36 %	إدخالها إلى المدارس
6	12 %	6	12 %	9	18 %	4	8 %	إنشاء معاهد خاصة بها
32	64 %	16	32 %	25	50 %	28	56 %	الحفاظ على التراث الشعبي والمكتوب
50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	المجموع

من الجدول يتبين لنا أن:

عند الشاوية نجد أن أعلى نسبة 64%، هم الذين يرون أن أفضل طريقة للحفاظ على اللغة الأمازيغية، يكون بالحفاظ على التراث الشعبي الشفوي والمكتوب، مقارنة بالذين يرون بأن الحفاظ عليها يكون بإدخالها إلى المدارس بنسبة 24%، ثم تليها نسبة 12% للذين يرون بإنشاء معاهد خاصة بها.

عند القبائل ما نسبته 56% أقرروا بأن الطريقة الأحسن للحفاظ على اللغة الأمازيغية، هي بإدخالها إلى المدارس، ثم تليها بالحفاظ على التراث الشعبي الشفوي والمكتوب بنسبة 32%، ثم 12% للذين يرون بإنشاء معاهد خاصة بها كأحسن طريقة للحفاظ عليها.

عند بني مزاب نجد ما نسبته 50%، صرحوا بأن الحفاظ على التراث الشعبي الشفوي والكتابي هو الطريقة الأفضل، في الحفاظ على اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 32% من الذين يرون أن الطريقة الأفضل هي إدخالها للمدارس، و 18% بإنشاء معاهد خاصة بها.

عند التوارق نجد ما نسبته 56% من المبحوثين، صرحوا بأن الحفاظ على التراث الشعبي والكتابي هو أفضل طريقة للحفاظ على اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 36% من الذين يرون بإدخالها للمدارس كأفضل طريقة للحفاظ عليها (الأمازيغية)، وتليها نسبة 18% من الذي رأوا بإنشاء معاهد خاصة بها.

يتضح لنا من خلال قراءة الجدول، أن الاتجاه العام يؤكد حرص المبحوثين على أن الطريقة المناسبة للحفاظ على اللغة الأمازيغية، يكون بالحفاظ على التراث الشعبي الشفوي والكتابي لها، ثم بدرجة أقل بإدخالها إلى المدارس وتعميمها، وهذا لدى الجماعات اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب والتوارق، بينما لدى الجماعة اللغوية للقبائل، فإن الطريقة المناسبة لديهم هي إدخالها إلى المدارس وتعميمها، وبدرجة أقل في الحفاظ على التراث الشعبي الشفوي والكتابي.

فهناك نظرة متباينة نسبياً في الطريقة المناسبة لدى هذه الجماعات اللغوية ، في الحفاظ على اللغة الأمازيغية.

وبما أن التراث الشعبي، يمثل ذلك الجزء الأكبر من المتواجد عند الأمازيغ، إذ يمثل بالنسبة لهم جزء من الذاكرة التي لا تزال حافظة له، هذه الذاكرة الفنية والثقافية الشاملة، لتلك (الأمثال الشعبية والشعر، والأغاني والحكايات والأسطورة، والطقوس، والمحفوظات،...) والذي وُلد في هذه البيئة الشعبية، المتوارثة عبر الأجيال، لا تزال منقولة عبر الألسن (اللغة الأمازيغية)، برغم أن الثقافات الشفوية في الغالب، ما يكون تراثها عرضةً للاندثار، أو التقلص، إلا أن هذا التراث المتوارث عبر الأجيال لا يزال صامداً، فاللغة الأمازيغية الشفوية المستعملة في الممارسة الاتصالية داخل المجتمع ، حافظت عليها ، وعلى استمرارها خارج اطار مؤسسة المكتوب ، ولقرون طويلة ، وهو ما يفسر اختيار المبحوثين لهذه الجماعات اللغوية، لهذا التراث الشعبي، بأنه القادر على المحافظة على اللغة الأمازيغية واستمراريتها، لكن ذلك يحتاج إلى نقله من الشكل الشفهي إلى المكتوب، خاصة في بعض جوانبه، وهو ما يحتم الاهتمام به ودراسته من قبل المختصين وكتابته، وتسخير الوسائل والإمكانيات التكنولوجية الحديثة لخدمته، لأنه يعكس صور التضامن والتماسك الاجتماعي داخل هذه الجماعات اللغوية، وخزان لقيمتها الحضارية، وحتى الجمالية (ومما يحضرني تلك الأوشام، التي كانت مرسومة ومكتوبة في الوجه ، واليدين كتعبير رمزي، عند العجائز وكبار السن، والتي لا تخلو أسرة من هذا الوشم، الذي يعبر به كُحلة جمالية تزيدها بهاءً وجمالاً).

ومن مآثر هذا التراث المتوارث والمتناقل عبر الأجيال ، أنه بقي صامدا لآلاف السنين، كما انه استطاع أن يستوعب كل الثقافات الأخرى التي مرت به(الوافدة)، والذي ظل الأكثر قرباً من هذه الجماعات، معبرا وملبياً لحاجياتهم الثقافية والاجتماعية والدينية، وحتى المستقبلية، ولهذا فإن التراث الشعبي الشفهي والكتابي، يمثل قيمة كبيرة عند هذه الجماعات اللغوية، لذلك كان موقفهم دال على أنه القادر على الحفاظ على اللغة الأمازيغية واستمرارها.

كما نجد إلى جانب هذا التراث، اختيار المبحوثين للمدرسة كخيار مهم أيضاً (وبخاصة للجماعة اللغوية للقبائل)، إذ للمدرسة دور حاسم في ضمان تدريس اللغة الأم، وهو ما يضمن نظرتهم الاستمرارية والتواصلية لهذه اللغة(الأمازيغية) إلى الأجيال، كما تساهم في الاستمرارية الوجدانية والمعرفية بين لغة المحيط العائلي، ومحيطه الاجتماعي ولغة المدرسة، كما أن تواجد هذه اللغة بالمدرسة ، يحدد موقعها الحقيقي داخل هذه المنظومة ضمن اللغات الأخرى (العربية واللغات الأجنبية).

فالمدرسة المهمة باللغة والثقافة الأمازيغية للتلميذ، ستنتج طفل مزود بأواصر الارتباط بهويته الوطنية، وبانتمائه له، كما يساهم في تقوية وتماسك هذا الرابط لديه.

فللتراث الشعبي، وللمدرسة إسهام في المحافظة على اللغة الأمازيغية واستمراريتها داخل المنظومة المجتمعية.

جدول رقم (71) : يوضح آفاق اللغة الأمازيغية حسب وجهة نظر افراد العينة .

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		آفاق الأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
52 %	26	54 %	27	42 %	21	52 %	26	لغة محلية (محصورة)
34 %	17	32 %	16	26 %	13	42 %	21	لغة إقليمية
12 %	6	14 %	7	32 %	16	4 %	2	لغة ذات بعد وطني
2 %	1	/	/	/	/	2 %	1	لغة عالمية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتبين لنا من الجدول أنه:

عند الشاوية نجد أن نظرتها إلى اللغة الأمازيغية بأنها لغة محلية بنسبة 52%، بينما الذين يرونها بأنها إقليمية بنسبة 42% ، ثم نسبة 4 % و 2% على التوالي يرونها بأنها ذات بعد وطني أو لغة عالمية على التوالي.

ونجد عند القبائل مانسبته 42% صرحوا بأن اللغة الأمازيغية لغة محلية(محصورة)، و32% يرون بأنها لغة ذات بعد وطني، وما نسبته 26% يرون بأنها لغة إقليمية.

وعند بني مزاب نجد بالنسبة 54% اعتبروا أن اللغة الأمازيغية هي لغة محلية، مقارنة بـ 32% الذين يرون بأنها لغة إقليمية، وما نسبته 14% يرون بأنها بلغة ذات بعد وطني.

وعند التوارق، نجد أن الذين يعتبرون بأن اللغة الأمازيغية هي لغة محلية(محصورة) ما نسبته 52%، بينما الذين يرون بأنها لغة إقليمية ما نسبته 34%، و 12% يعتبرونها بأنها ذات بعد وطني وما نسبته 2% يعتبرونها بأنها لغة عالمية.

من خلال هذه القراءة للجدول يتضح لنا، بأن هناك توافق وتطابق في وجهات النظر للمجموعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، في اعتبار اللغة الأمازيغية ، لغة محلية (محصورة)، أي أنها لغة متمركزة ومتواجدة أكثر في المناطق التي يقطنون (يسكنون) بها، وهي التي تمارس داخل هذه الفضاءات لديهم، فهي لغة لا تتعدى رفقاً لتصريحاتهم(كاتجاه عام)، ذلك الوسط

والجغرافيا التي يتركزون فيها، وهو ما يُعبر عن واقع هذه اللغة (الأمازيغية)، كما يبيّن لنا هذا أيضاً، أن هناك صعوبة في نشر هذه اللغة لدى الأوساط الاجتماعية الأخرى، وبقيت منتشرة في وسط محدود جغرافياً، حتى أن هذه اللغة لدى الجماعات اللغوية الناطقة بالأمازيغية، نجد بأن هناك تراجعاً في الممارسات اللغوية لديهم، عبر المسار التاريخي، إذ ساهمت الصفة الرسمية والوطنية والمؤسسية للغة العربية بدور كبير، في الإقبال على اللغة العربية، كمفتاح للولوج إلى عالم الارتقاء الاجتماعي، زيادة على عوامل دينية وسياسية، مكنت من انتشار وتوسّع اللغة العربية في هذه الأوساط، وفي مقابل ذلك نجد انكفاء اللغة الأمازيغية عند هذه الجماعات اللغوية المختلفة، ولقد أثبتت الكثير من الدراسات على مرّ التاريخ، بمساهمة حتى -الأمازيغ- أنفسهم، في نشر ودراسة وتعليم اللغة العربية، أي أنهم يملكون الفضل أكثر، في مساهمتهم في وصول اللغة العربية، إلى ما وصلت إليه (المنطلقات دينية- لغة القرآن)، بصرف النظر عن إن كانت مفروضة أو طوعية (اختيارية)، في مقابل ذلك، نجد صعوبة (تعتقد) الأمر بالنسبة لنشر اللغة الأمازيغية، سواء في المناطق الناطقة بها أو غير الناطقة بها، حتى أنه عندما سُمح بفتح تدريس اللغة الأمازيغية في المدارس وإن كان محدوداً، فنجد أن هناك لا إقبال حتى عند هذه المجموعات اللغوية على دراستها، ففي محيطها الجغرافي، نجد أن النظرة حول تدريس اللغة الأمازيغية عند الآباء، لا تزال يلفها التشاؤم من مستقبل وآفاق هذه اللغة، برغم المبادرة والخطوات الممنوحة لذلك -حتى وإن كانت محتشمة-، وهنا يبرز لدى هذه الجماعات ربما تلك الصراعات الداخلية (على المستوى الذاتي) لديهم، من حيث موقع هذه اللغة، انقسام النخب ومستقبل أبنائهم.

وعليه فإن جلّ تصريحات المبحوثين، أكدت واقع هذه اللغة الأمازيغية، وموقعها في فضاء اللغات الأخرى، ولعل غياب استراتيجية حقيقية على المستوى السوسيو-سياسي، وعند النخب المثقفة (المنقسمة أساساً حول المسألة اللغوية)، والاستهلاك الإيديولوجي لهذه اللغة، إضافة إلى العوامل التاريخية والجغرافية،... هو الذي كرّس لامبالاة الأفراد عند هذه الجماعات، بأن لا تعطي أي اهتمام مستقبلي للغة الأمازيغية، لذلك عبّرت مجمل التصريحات لدى هذه الجماعات اللغوية بمحدودية (حصر) اللغة عند هذه الجماعات اللغوية المنشرة في مجالات جغرافية معروفة.

كما نجد بعض المبحوثين، صرحوا أيضاً بأن هذه اللغة (الأمازيغية) لها بعد -إقليمي-، ونجد هنا متوافقاً عند الجماعات اللغوية لكل من الشاوية وبنو مزاب والتوارق، وبدرجة أقل عند المجموعة

اللغوية للقبائل، وهو يفسر ربما تواجد الأمازيغية عند بعض الدول المجاورة لهذه المجموعات، ولدى جماعات لغوية بداخلها، خاصة الدول المغاربية (المغرب-ليبيا)، وحتى عند الدول في الساحل الإفريقي كمالي والنيجر وبوركينا فاسو، وهذا يُعطي انطباع لديهم، بأن الممارسة باللغة الأمازيغية منتشرة نوعاً ما، وتكتسي بذلك قيمة وأهمية خاصة على المستوى الشعوري الداخلي (نفسى)، بأن هناك مكانة رمزية لهذه اللغة، بتجاوزها محيط الحدود الجغرافية، ولاشك أن هناك قواسم مشتركة بين هذه المجموعات اللغوية المتباينة جغرافياً، ولكن هناك أيضاً خصوصيات مميزة لكل جماعة لغوية، حتى في الحيز الجغرافي الواحد.

أما لدى الجماعة اللغوية في القبائل، بأن اللغة الأمازيغية بُعد وطني، فهذا يفسر ربما بانتشار هذه اللغة في بعض المناطق الغير معروفة جغرافياً بأنها ناطقة بالأمازيغية، وهذا بسبب الهجرات لأسباب وظيفية أو غيرها، كالعاصمة مثلاً، أو بعض المناطق المتاخمة (المجاورة)، لهذه المجموعات اللغوية، وهذا ما يعطي الاعتقاد بأنها قد اكتسبت هذا البعد الوطني (سعة الاستعمال والممارسة)، وخاصة أن الاحتكاكات والتواصلات المختلفة لا تكون بدرجة كبيرة في حصيلة هذه اللغة تحديداً (الأمازيغية)، بل تكون للغات الأخرى، الأكثر تأثيراً بفعل الصبغة الرسمية والسياسية والدينية والحضارية، ولعل تصريحات المبحوثين لدى الجماعات الأخرى تؤكد -انكماش- هذه اللغة على المستوى الوطني.

جدول رقم(72) يوضح شعور المبحوثين إن كانت الأمازيغية تتجه نحو التقلص في الاستعمال

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		الشعور بتقلص الأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
31	62 %	44	88 %	28	56 %	39	78 %	نعم
19	38 %	6	12 %	22	44 %	11	22 %	لا
50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	المجموع

نلاحظ من الجدول أن

إن ما نسبته 62% من أفراد العين للشاوية، أشاروا إلى أن لديهم شعور بتقلص الأمازيغية، بينما 38% منهم اشارو بعدم شعورهم بذلك ، وأن نسبة 88% من القبائل قالوا بوجود تقلص مستقبلي في استعمال الأمازيغية كلغة حديث، و 12% منهم أقرروا بعدم تقلص لها، ، كما نجد أن هناك شعور بالتقلص لدى بني مزاب بنسبة 56%، بينما 44% يقرون بعدم الشعور بتقلصها، ونجد أيضا ما نسبته 78% لدى التوارق لديهم شعور باتجاه تقليص استعمال الأمازيغية، و 22% لا يرون ذلك.

وعليه فإنه يوجد شعور عام لدى المبحوثين عند الجماعات الأمازيغية، بأن هناك تقلص في استعمال الأمازيغية، ويرجع هذا إلى عدة عوامل (أسباب)، وظروف تاريخية عايشها المجتمع الجزائري في فترات متعاقبة، إذ يشكل العامل السياسي باعتقادنا أحد أهم هذه العوامل، حيث لم تعطي الأنظمة السياسية في الجزائر اهتمام بمسألة اللغة الأمازيغية كأحد المكونات الهوية، والسمات الثقافية للمجتمع الجزائري، رغم حضورها الواقعي الأكيد ومنذ عصور قديمة، ونظرا لطبيعة الخيارات الإيديولوجية للنظام آنذاك، والتي تعتبر الجزائر جزء لا يتجزأ من الفضاء العربي الإسلامي لذلك كانت مسألة طرح اللغة الأمازيغية تتسم بهامشية في التناول والنقاش، ولم تتم دسترتها كلغة وطنية ورسمية إلا في دساتير والتعديلات الدستورية الأخيرة.

كما أن للعوامل التربوية تأثير كذلك في مسألة حجم استخدام اللغة الأمازيغية في المجتمع، حيث لم يتم اعتمادها في البرامج التعليمية لمختلف الأطوار، بالإضافة إلى عامل آخر مهم، الناتج عن ظاهرة العولمة، مرتبطة بتطور وسائل الاتصال الحديثة التي يتطلب استخدامها كوسائل تواصل،

لغات معينة، عالمية الاستخدام، كاللغة الإنجليزية، وهذا الوضع جعل لغات معروفة وواسعة الانتشار كاللغة العربية مهددة هي الأخرى بالتقلص، وبالتالي وضع اللغة الأمازيغية في ظل المعطيات يجعل أفراد العينة ينتابهم شعور سلبي نحو مستقبل اللغة الأمازيغية كأداة للتواصل.

وإذا أمعنا النظر في النسب المتوزعة داخل الجدول، نلاحظ أن أفراد العينة من جماعات أسر القبائل لديهم إحساس أكبر بالتقلص في استخدام اللغة الأمازيغية مستقبلاً، برغم اسبقيتها النسبية في استعمالات اللغة الأمازيغية في مواضع كثيرة من هذا البحث ، ويرجع ذلك إلى خصوصية المنطقة التي كان الأفراد فيها على علاقة متوترة مع الطبقة السياسية عموماً، والحاكمة خصوصاً، حيث كان يعتقد هؤلاء الأفراد أنهم أكثر تهميشاً من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية، والكثير منهم مازال يحمل نفس التصور اعتقاداً منهم بأن سياسات النظام نحو المسألة الأمازيغية، لم تجب عن التطلعات المنتظرة عند هؤلاء الأفراد، ويظهر كذلك الإحساس بشكل مرتفع عند التوارق، وإن كان أقل تدريجياً عما هو مسجل عند جماعات القبائل، ويعود ذلك إلى عامل الجغرافيا، حيث يكون الفضاء المعيشي لهؤلاء الأفراد بعيداً عن مراكز القرار والسلطة، ثم أن تطلعات الجيل الجديد من أفراد التوارق ، قد حتمت عليهم إيجاد بدائل تواصلية جديدة، كاللغة العربية والفرنسية وغيرهما لإعطاء فرصة للتفوق الاجتماعي، ولا ننسى عامل الدين، الذي هم مكون هام في الحياة اليومية للفرد التارقي.

كما أن أفراد الشاوية قد أكدوا وجود هذا الشعور، وإن بنسبة أقل من منطلق أنهم لا يعتبرون مسألة اللغة حساسة تحتاج إلى كل هذه الحدة، وأخيراً فإن النظام الاجتماعي في منطقة وادي مزاب جعلهم لا يشعرون بصورة كبيرة بأن اللغة الأمازيغية تواجه خطر التقلص، فهم مجتمع مغلق ومُحافظ على لغته، ويقوم بإعادة إنتاج آليات التواصل اللغوي لدى جميع أفراد مجتمعه.

فهناك احساس سلبي بمستقبل الامازيغية في الانتشار ، لدى هذه الجماعات اللغوية ، ولعل ذلك نابع الى تلك الابعاد الايديولوجية والجهوية ، والسوسيو ثقافية ، والتي انعكست بالسلب على مسار هذه اللغة ، وهذا بدوره ولد رفض لغوي لها من قبل المجتمع ، وحتى داخل الجماعات اللغوية الامازيغية نفسها ، فعدم تهيئة الاجواء وتلطيفها لتلقى القبول الاجتماعي ، وحتى السياسي ، سيجعل المسألة اكثر تعقيدا لمستقبلها ، فعدم تاهيلها والتمكين لها للتموقع اكثر في التراتبية اللغوية للاستعمال، سيفقدوها مكانتها الاجتماعية اكثر، في ادارة حياة المجتمع الجزائري ، وبخاصة لدى هذه الجماعات

اللغوية الناطقة بها (الامازيغية)، وهذا من شأنه ربما السماح لهذه اللغة بالمساهمة في التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، محليا ووطنيا.

جدول رقم (73) : يبين العلاقة بين الأصل الجغرافي وشعور المبحوثين بمدى تقلص الأمازيغية في منطقتهم .

التوارق						بني مزاب						القبائل						الشاوية						الأصل الجغرافي <

نلاحظ من خلال الجدول أن هناك عدم شعور بتقلص استخدام الأمازيغية لدى القاطنين في المدينة بمنطقة الشاوية، حيث قدرت النسبة بـ 89.5%، مقارنة بالذين لديهم الشعور بتقلصها (83.9%)، بينما نجد النسبة ترتفع عند القاطنين بالريف والذين يشعرون بأن هناك تقلص في استخدام الأمازيغية (الشاوية) بنسبة 16.1%، مقارنة بـ 10.5% والذين ليس لديهم شعور بذلك.

أما في منطقة القبائل، فنجد أن هناك تقارب بين النسب، بين الذين يشعرون ولا يشعرون بتقلص استخدام الأمازيغية في منطقتهم بـ 65.9% و 66.9% على التوالي، وذلك لدى القاطنين بالمدينة، ونفس الرأي موجود لدى القاطنين بالريف 35.1% و 33.3% على التوالي، وهذا من القاطنين بالمدينة، ونفس الرأي موجود لدى القاطنين بالريف 34.1% و 33.3% على التوالي.

أما في منطقة بني مزاب فإننا نجد أن هناك عدم شعور لدى المبحوثين بأن المزابية قد تقلصت في منطقتهم بنسبة 86.95% مقارنة بـ 74.07% وهذا من القاطنين في المدينة، بينما هناك شعور لدى القاطنين بالريف بأن هناك تقلص في استخدام هذه اللغة، وذلك بنسبة 25% الذين أقرروا بذلك، مقارنة بـ 13.4% والذين لا يشعرون بتقلصها.

بينما عند التوارق نجد أن هناك شعور بتقلص استعمال التارقية في منطقتهم، وهذا عند القاطنين بالمدينة بنسبة 59% من الذين أقرروا بذلك، مقارنة بـ 54.5% من الذين لديهم شعور بتقلصها في المدينة، أما الساكنين بالريف فنجد أن هناك تقارب بين الذين لديهم شعور بتقلصها والذين لديهم شعور بغير ذلك بنسبة 45.5% و 41% على التوالي.

إن ما نستشفه من خلال قراءتنا لهذه النسب، نجد أن هناك عدم تأثير كبير للأصل الجغرافي على شعور المبحوثين بتقلص الأمازيغية (من خلال لهجاتها) في مناطقهم، ويبرز هذا أكثر عند القاطنين بالمدينة، وهذا عند المناطق (الجماعات) اللغوية المختلفة (شاوية، قبائل، بني مزاب وتوارق). أي أن هناك اتجاه متوافق لدى الساكنين بالمدينة عند هذه الجماعات اللغوية، بأن الأمازيغية لم تتقلص، بل ستبقى بالصورة التي عليها، وهذا ما يفسر بأن المراكز الحضرية لها دور في أن الممارسات اللغوية (كلما توجهنا نحو المدينة، كلما قل شعور المبحوثين بأن الأمازيغية سوف ينكمش استخدامها).

ونجد أيضاً أن هناك تفاوتات بين الجماعات اللغوية المختلفة لشعورهم اتجاه تقلص استعمال الأمازيغية في المناطق الريفية، حيث نجد عند الشاوية وبني مزاب نفس الشعور لديهم، بأن هناك

تقلص في استخدام الأمازيغية في الريف، بينما هناك توافق عند القبائل والتوارق، وذلك بأن هناك رأي متطابق عند الذين يشعرون، والذين لا يشعرون بتقلص الأمازيغية عندهم.

وبعبارة أخرى أنه كلما اتجهنا نحو المدينة، يتجلى عدم شعور المبحوثين بتقلص الأمازيغية وعند جميع الجماعات اللغوية، وكلما اتجهنا نحو الريف، كلما كان شعور المبحوثين أكثر بروزاً بأن الأمازيغية سوف تتقلص في استعمالاتها وممارساتها، وتقل حدة هذا الشعور عند القبائل والتوارق.

فالاستعمالات اللغوية المختلفة والتي تبرز أكثر في المدينة، في ظل العلاقات الاجتماعية المتنوعة، إذ تستعمل الأشكال اللغوية في المدينة بصورة كبيرة، وفي جميع المواقف والأماكن والسياقات، وبخاصة أن المدينة تحوي في الغالب العديد من اللغات (عربية، أمازيغية، فرنسية...)، وه ما يقوي ربما استعمالات اللغات الأخرى على اللغة الأمازيغية، وبخاصة العربية وهو ما يؤد ذلك الشعور لدى المبحوثين بأن هناك عدم تخوف من مستقبل الأمازيغية فيها، نظراً لأن استخداماتها ضئيلة في هذه البؤر الحضرية الكبيرة، بينما نجد أن الشعور عند هؤلاء المبحوثين، هو مبرر عند القاطنين بالريف، إذ بسبب التغيرات الاجتماعية والثقافية المختلفة، وبزحف وسائل التكنولوجيا والاتصال إلى مناطقهم، بدد تحفظهم بأن الأمازيغية لن تتقلص، وبخاصة أن المناطق الريفية، لها خصوصيات جغرافية (العزلة)، تجعل من التواصلات اللغوية المختلفة محدودة، إلا أنه بسبب تلك التطورات الواقعة في المناطق الريفية (وسائل التكنولوجيا، المدارس، الإدارات...)، جعل هذا الشعور يبرز أكثر عند الجماعات اللغوية القاطنة بالريف، في تخوفهم من تقلص استخدام الأمازيغية في مناطقهم لصالح اللغات الأخرى، وبخاصة العربية.

إلا أن هذه التخوفات تقل عند الجماعات اللغوية في القبائل والتوارق، وهذا بسبب ربما الاعتقاد بأن هذه المناطق لا تزال الأمازيغية فيها متداولة بصورة مطمئنة، بسبب أن هناك تمسك وتشبث هذه الأسر بتلك اللغة (الأمازيغية)، وهذا ما يجعل تواجدها وانتشارها أمر واقع، وبخاصة في ظل الممارسات اللغوية في الاحتفالات والطقوس وفي المناسبات المختلفة.

جدول رقم (74) : يوضح العوامل المساعدة في انتشار اللغة حسب رأي المبحوثين.

التوارق		بني مزاب		القبائل		الشاوية		عوامل إنتشار اللغة
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
2 %	1	14 %	7	6 %	3	22 %	11	الاقتصادية
72 %	36	24 %	12	44 %	22	36 %	18	الثقافية والحضارية
8 %	4	12 %	6	18 %	9	8 %	4	السياسية
2 %	1	12 %	6	/	/	10 %	5	الدينية
16 %	8	38 %	19	32 %	16	24 %	12	العلمية والتعليمية
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

نرى من خلال هذا الجدول الآتي:

لعل من بين أقوى العوامل المساعدة في انتشار اللغة، للجماعة اللغوية للشاوية، نجد بأنها راجعة إلى العوامل الثقافية والحضارية وهذا بنسبة 36%، ثم إرجاعها إلى كل من العوامل العلمية والتعليمية وكذا العوامل الاقتصادية بنسبة 24%، و 22% على التوالي، وما نسبته 10% و 8% أيضاً على التوالي هو للعوامل الدينية والسياسية.

بينما نجد عند القبائل أن العوامل الثقافية والحضارية ، هي الأكثر مساهمة في انتشار اللغة الأمازيغية بنسبة 44%، ثم تليها العوامل العلمية والتعليمية بنسبة 32%، وبعدها يرجعون العوامل السياسية والاقتصادية الأقل مساعدة في انتشار اللغة ، وهذا بنسبة 18% و 6% على التوالي.

ونجد عند بني مزاب أيضاً، أن هناك اتجاه في أن العوامل الثقافية والحضارية هي الأكثر مساعدة على انتشار اللغة ، وهذا بنسبة 24%، ثم تليها العوامل الأخرى بدرجة أقل، وينسب متقاربة جداً 14% للعوامل الاقتصادية، و 12% لكل من العوامل السياسية والدينية.

ونجد في نفس الاتجاه عند التوارق، إذ يرجعون سبب انتشار اللغة إلى العوامل الثقافية والحضارية بنسبة 72%، فالعوامل العلمية والتعليمية بنسبة 16%، ثم السياسية بنسبة 8% لتأتي العوامل الدينية والاقتصادية بنسبة 2% لكل منهما.

ونستنتج من خلال هذه المعطيات الإحصائية، بأن هناك إجماع واتفاق لدى المبحوثين (وفقاً للاتجاه العام)، بأن هناك تأثير قوي للعوامل الثقافية والحضارية في انتشار اللغة على نطاق واسع، ويأتي بدرجة أقل تأثير العوامل العلمية والتعليمية في المساعدة على انتشار اللغة (وبدرجة أقل عند الشاوية لموازاتها مع العوامل الاقتصادية)، بينما نجد تراجع العوامل الدينية والسياسية، في القيام بهذا الدور لدى الجماعات اللغوية كاملة.

ويبرز هنا الدور الثقافي والحضاري للغة، إذ أن جميع الممارسات الثقافية تكون من خلال اللغة، وهوما يساعدها على الانتشار والتوسع سواء على مستوى الأغاني، أو المسرحيات، أو السينما... إلخ. ولعل التاريخ يعطي لنا الصورة الحقيقية لتعلق وارتباط اللغة بالمجال الحضاري والثقافي، إذ ركز الاستعمار بصورة كبيرة على محاولة هيمنته حضارياً وثقافياً، فهذا الاتصال الثقافي والحضاري كان من بين السياسة الاستعمارية المنتهجة، لمسح الهوية الثقافية للجميع، وبتركيزه خاصة على اللغة والدين.

فهناك وعي في فهم القيم السوسيو-ثقافية، السائدة لهذه المجتمعات وسعى بكل ما بوسعه لإحلال لغته (الفرنسية) مكان اللغة العربية، فللخصوصيات الحضارية والثقافية للوطن، كياناً ولغة وشخصية، دور في ترسيخ اللغة لدى الأفراد، ويعكس الشعور بالانتماء للوطن والأمة، كما أن الطبيعة الثقافية والحضارية للغة، تساهم في جعل الأفراد يتعلقون بلغتهم ويساهمون في نشرها، وهذا بالإدراك الحقيقي لفعالية الجوانب الثقافية والحضارية لهذه اللغة، فتتحول إلى نمط "محبوب" لديهم يسعون إلى نشره، كما أن لهذه اللغة دور في نسج تحالفات ثقافية وحضارية ناتجة بفعل التمايزات اللغوية، ولعل شمولية النظرة إلى أهمية الجوانب الثقافية والحضارية لدى المبحوثين عند هذه الجماعات اللغوية، تعكس صلة الجانب الديني -تحديداً- ضمن هذه الثقافة والحضارة الواسعة، كمكون أساسي فيها، ولذلك نجد تحييد هذا العامل وتصنيفه ضمن الأولوية في نشر اللغة، كما أن العامل الديني يرتكز فقط في تعبير انتشار اللغة العربية فقط لارتباطها بالقرآن الكريم، ولذلك كان لهذا العامل تأثير ضعيف في نشر اللغة، خاصة وأن الجماعات ترتكز على طبيعة اللغة الأمازيغية.

ثم نجد تركيز المبحوثين وتوجيههم باهتمام خاص أيضاً، بدور المجال العلمي والتعليمي في حفظ ونشر اللغة على أوسع نطاق، ولعل اللغة فعلاً تعتبر الوعاء الذي يحتوي العلوم والتكنولوجيا، بمجالاتها المختلفة، وهي وعاء الثقافة والحضارة والهوية، وخير دليل على ذلك مثلاً، أنه عندما كانت

اللغة العربية لغة حضارة وثقافة وعلوم للقرون العديدة، مكننتها من تبوء مكانة لائقة ضمن المنظومة العالمية، إذ كان هناك إقبال وشوق لتعلم هذه اللغة للاطلاع على تلك العلوم التي كتبت بها.

فغنى اللغة بالجانب العلمي والمعرفي (المؤلفات، الكتابات،...) يجعل الإقبال عليها كثيفاً، في حين إفتقارها لهذا الجانب العلمي سوف يفسح المجال للإقبال على اللغات الأخرى، الأكثر حمولة للعلم والمعرفة (وجود إنتاج معرفي حقيقي)، ولعل مكانة الانجليزية ، في توسعها وانتشارها في أصقاع المعمورة ، خير دليل على تفوقها العلمي والمعرفي.

ولعل هذه من بين الأمور التي تفتقدها الأمازيغية، ماضياً وحاضراً، مع الاستثناءات في بعض الكتابات القليلة من أهلها أو الآخرين، وهو ما جعل إجماع تصريحات المبحوثين في أن تحظى هذه اللغة بتلك الجوانب الثقافية والحضارية والعلمية حتى تحجز مكانة في المجتمع، ويصبح بذلك الإقبال على تعلمها، كما أن هناك عوامل أخرى لا تقل عن هذه العوامل في انتشار اللغة، ولكن هي أقل أهمية بحسب رأي المبحوثين.

فالمنظور أو الزاوية الثقافية والحضارية المتفوق على المنظورات الأخرى، هو الذي سيغلب اللغة (يجعل لها الغلبة والانتشار) على اللغات الأخرى، إلا أن هذا المنظور غالباً ما يكون مدعماً بتدخل العوامل السياسية، والدينية، الاقتصادية،....، وهذا ما تجلّى في العديد من الدول، وهذا أيضاً ما يفسر تداخل العوامل المختلفة في المسألة اللغوية، والتي تبقى على تماس مع هذه العوامل.

جدول رقم (75) : يوضح العلاقة بين اعتبار اللغة أداة هيمنة والعوامل الأكثر تأثيرا في انتشار اللغة .

التوارق						بني ميزاب						القبائل						الشاوية						اللغة أداة للهيمنة عوامل انتشار اللغة
المجموع		لا		نعم		المجموع		لا		نعم		المجموع		لا		نعم		المجموع		لا		نعم		
%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	%ن	ت	
100	1	/	/	100	1	100	7	42,9	3	57,1	4	100	3	/	/	100	3	100	11	27,3	3	72,7	8	الاقتصادية
100	36	33,3	12	66,7	24	100	12	16,7	2	83,3	10	100	22	45,5	10	54,5	12	100	18	22,2	4	77,8	14	الثقافية والحضارية
100	4	75	3	25	1	100	6	/	/	100	6	100	9	66,6	6	33,3	3	100	4	/	/	100	4	السياسية
100	1	100	1	/	/	100	6	/	/	100	6	100	/	/	/	/	/	100	5	80	4	20	1	الدينية
100	8	12.5	1	87.50	7	100	19	31,6	6	68,4	13	100	16	43,8	7	56,3	9	100	12	16,7	2	83,3	10	التعليمية
100	50	34	17	66	33	100	50	22	11	78	39	100	50	46	23	54	27		100	50	26	13	74	37

يتبين لنا من خلال الجدول أنه عند الشاوية ، نجد أن الذين يعتبرون بأن اللغة أداة هيمنة يكون ذلك أكثر في الجوانب السياسية نسبة 100% ، وتليها نسبة 83% في الجوانب التعليمية، ثم هيمنة هذه اللغة في الجوانب الثقافية والحضارية والاقتصادية بنسبة 77.8% و 72.7% على التوالي، بينما الذين لا يرون بهيمنة اللغة نجدهم يقرون ذلك في الجانب الديني بنسبة 80% ثم الجوانب الاقتصادية والثقافية (27.3% و 22.2%).

أما عند القبائل فإننا نجد أن هناك إقرار بهيمنة اللغة وتكون هذه الهيمنة أكثر على الجوانب الاقتصادية بنسبة 100%، ثم تليها الجوانب التعليمية والثقافية والحضارية بنسبة 56.3% و 54.5% على التوالي، ثم تأتي بعد ذلك الجوانب السياسية بنسبة 33.3%، أما الذين يرون بأنه ليس هناك هيمنة للغة يكون أكثر في الجانب السياسي بنسبة 66.6%.

أما عند الجماعة اللغوية لبني مزاب، فإننا نجد هناك هيمنة للغة وتكون هذه الهيمنة مترسخة أكثر في الجوانب السياسية والدينية بنسبة 100%، ثم تليها الجوانب الثقافية والحضارية بنسبة 83.3%، ثم على الجوانب التعليمية بنسبة 68.4%، والجوانب الاقتصادية بنسبة 57%، بينما الذين يرون بأن هناك هيمنة للغة يكون في الجوانب الاقتصادية أكثر نسبة 42.9%.

أما عند التوارق ، فإننا نجد أيضا أن هناك إقرار بهيمنة اللغة وتكون هذه الهيمنة أكثر بروزاً على الجوانب الاقتصادية وذلك بنسبة 100%، ثم على الجوانب التعليمية بنسبة 87.5%، ثم الجوانب الثقافية والحضارية بنسبة 66.7%، فالجوانب السياسية بنسبة 25%، أما الذين ينفون وجود هيمنة للغة يرتسم خاصة في الجانب السياسي بنسبة 100%.

يتضح لنا من خلال هذه القراءة للجدول، أن هناك إجماع لدى هذه الجماعات اللغوية الأمازيغية المختلفة، بأن اللغة تعتبر أداة أو وسيلة للهيمنة في المجالات المختلفة التي تتعامل بها اللغة، إلا أن حدة هذه الهيمنة تقل نسبياً عند الجماعة اللغوية -في منطقة القبائل- وهو ما يعكس الصورة الغير مرئية للغة، بأنها وسيلة للتواصل والتفاهم فقط بين المكونات المختلفة للمجتمع، ولا هي خزان للرموز والمعاني والقيم والذاكرة، برغم قيمة ذلك على المستوى الفردي والجماعي لهذه الجماعات، لتتجاوز اللغة بذلك عندهم هذه النظرة -القاصرة- إذ تتعدى ذلك وتتحول في نظرهم إلى أداة (وسيلة) لامتلاك السلطة (ليس بمعناها السياسي فقط) على مجالات مهمة في المجتمع، ولا شك أن ذلك

يمنحها النفوذ أكبر، بحيث تضمن ولوجها (عُمَقاً) إلى مركز القوة والنفوذ، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً وتعليمياً،...

فسلطة هذه اللغة تعني بسط نفوذها وسيادتها وهيمنتها ومكانتها داخل هذه المفاصل المهمة، كما أنها ترسخ فكرة التملص من التبعية بتبعية اللغة، كما أن إدراك المبحوثين ووعيهم - برغم اختلاف وضعيتهم الاجتماعية والجغرافية- بين تلك القيمة الضمنية التي تحوزها اللغة، لأنها بفعل الهيمنة، فقد تتحول كأداة للإقصاء والتهميش لشرائح (فئات) اجتماعية كثيرة، لا تتحدث بتلك اللغة (ومثال اللغة الفرنسية تاريخياً أفضل مُعبر عن ذلك).

فهناك علاقة وظيفية (كامنة وظاهرة) تبرز أنه كلما كانت هناك هيمنة للغة، كلما زاد ذلك من توسع سلطتها، وانتشارها على المجالات المختلفة، ولعلّ هذه النظرة تؤكد، بسط اللغة العربية في الجزائر نفوذها وهيمنتها على جلّ القطاعات، على الأقل من ناحية الممارسات الظاهرة، مع التحفظ على بعض الممارسات -الفعلية- للغة الفرنسية على قطاعات كثيرة أيضاً، وهذا ما أكد انطباع هؤلاء المبحوثين، بأن امتلاكك للغة هو امتلاك لمفاتيح سلطة متعددة، وربما يعكس هذا رغبتهم في أن تكون اللغة الأمازيغية في امتلاك هذه السلطة، المفتاحية للولوج إلى عمق التعاملات بهذه اللغة -كفرصة تستحقها- إلا أنه برغم تأكيدات أفراد العينة لدى هذه الجماعات اللغوية على هيمنة اللغة، فإننا نجد في المقابل تباينات وتوافقات حول المجالات الأكثر رغبة وتأثيراً في بسط هيمنة اللغة عليها، وهذه المنطلقات أو النظرة لاشك أنها نابعة من خلفيات وإيديولوجيات وربما ممارسات رسمت ذلك في أذهانهم، فنجد عن الجماعتين اللغويتين الشاوية وبني مزاب نسبة توافق في مجالات هيمنة اللغة، إذ يرون بأن المجال السياسي هو الأكثر إحتواءً لذلك، مع بروز العامل الديني بجانب الساسي - عند بني مزاب، ثم بعد ذلك هيمنة اللغة على المجالات التعليمية والحضارية والثقافية

ولعل ذلك يفسر بأن اعتقادهم بأن هيمنة ونفوذ اللغة يكون في الجوانب السياسية، إذ يمكن صاحبها من إصدار قرارات مهمة للغتهم، وهو ما ينعكس بصورة آلية على تجسيد واقع اللغوة الأمازيغية في مفاصل القطاعات المختلفة، وتمكينها بصورة فعلية من التواجد، وهذا ما يمنح الفرص للجميع بصورة متكافئة على الجماعات اللغوية غير الأمازيغية، فهناك تباين حتى في البنية السياسية للدول (ديمقراطية - غير ديمقراطية)، وتتغير هذه النظرة للغة حسب طبيعة النظام السياسي، ووفقاً للتوجهات الكبرى في جانبها اللغوي ، ووفقاً أيضاً لنشاط الأحزاب والمنظمات السياسية لهذه المسألة،

لكن المهم ربما عند هذه الجماعات، هو أنه كلما احتضنت النخب السياسية الحاكمة قضية اللغة الأمازيغية، كلما مكن هذه اللغة من التوضع والتموقع أكثر، وهو ما يزيد من هيمنتها وبالتالي سلطتها.

وللعامل التعليمي والحضاري والثقافي أيضاً تأثير في هيمنة اللغة لديهم، ولعل هذا ما يفسر، التسهيلات التواصلية التي تسمح للأفراد من الانتقال عن لغتهم (غير المهيمنة)، إلى اللغة المهيمنة (تعليمياً وثقافياً وحضارياً)، وتظهر خاصة عند الأوساط ذات الاحتكاك الواسع بالآخرين، ونجدها تحديداً عند الأكاديميين، من خلال المناقشات الفكرية في الملتقيات والندوات والمحاضرات،... بسبب التطور العلمي والتكنولوجي، وهو ما يفرض عليهم التحدث بلغة المهيمن، قصد إيضاح الفكرة، وبذلك يصبح الفرد في حكم -الإجباري- بالتحدث بتلك اللغة المهيمنة ثقافياً وعلمياً وحضارياً.

زيادة على رغبة "التمظهر" أمام صاحب الثقافة الغالبة والمسيطرة، بأنه يعرف تلك اللغة، التي تعتبر - اصطلاحياً - بأنه جزء من تلك الثقافة الغربية عنه، وهذا يجبره أيضاً على استعارة اللغة واستعارة الثقافة وطريقة التفكير، ونظرته حيال القضايا المختلفة -وهو ما يُعبر عنه- بالاستلاب، أي أنه واقع تحت سلطة الثقافة، واللغة المهيمنة، ولعل ذلك ما دفع هذه الجماعات اللغوية الأمازيغية بإبراز الدور التعليمي والثقافي والحضاري للغة الأمازيغية في أن تصبح كذلك.

في الجهة الموازية، نجد أن الجماعتين اللغويتين لكل من القبائل والتوارق يتوافقون على أن مجالات هيمنة اللغة، تكمن في الجانب الاقتصادي أولاً، ثم الجوانب الثقافية والحضارية والتعليمية، وتفسير ذلك يرجع إلى أنه كلما كانت هناك قوة اقتصادية، كلما كانت هناك قوة لغوية فيها، فالتفوق الاقتصادي لأي دولة يجعل الآخرين أكثر انجذاباً نحوها، ولعل الكثير من المعاملات الاقتصادية المختلفة تكون بصور لغوية، لكن الأقوى يفرض منطق التحكم في اللغة، فتصبح اللغة المتعامل بها - اقتصادياً - قبلة للآخرين في تعلمها ومعرفتها والحديث بها، لأن الضرورة دفعتهم لذلك، كما أن هذه اللغة القوية في اعتقادهم سوف تساعدهم في تحسين معيشتهم وظروفهم، وتمنحهم فرصة أكثر من لغتهم في الحصول على العمل الأفضل، فأصبح بذلك العامل اللغوي مشجع (محفز) على تعلّم اللغة المهيمنة اقتصادياً، فصورة الهيمنة هنا، تبرز من خلال العامل الاقتصادي، ولذلك تبرز قيمة هذا المجال لدى الجماعتين اللغويتين (القبائل والتوارق) أكثر برغم التباين الجغرافي بينهما، فالمصلحة الاقتصادية مقترنة في كثير من الحالات بالمواقف اللغوية (توظيف اللغة من أجل الاقتصاد)، وعليه

فهناك رغبة في محاولة أن تكون اللغة الأمازيغية أيضاً، هي قاعدة ومنطلق لأن تكون لغة الشغل، ولغة الوصول إلى الرفاه الاجتماعي والتميز، وعدم احتكار هذا الامتياز للغات الأخرى فقط (عربية، فرنسية)، وهو ما يقوي مكانتها في موطنها، لتحقيق التكافؤ المأمول.

إلا أن هيمنة اللغة بصورة عامة، لا تقتصر على تلك المجالات فقط، فهي تتعدى إلى أكثر من مجال (إعلامي، لغوي، ديني،...)، وما يستقطب النظر في رؤية الباحثين، حول هيمنة اللغة ويمكن نفوذها في المجالات المتعددة، هو تغييب العامل الديني -الإسلام- ما عدا عند جماعة بني مزاب، وربما هذا يفسر على أساس تسليمهم بأن الدين يقوم بدور نشر اللغة العربية على نطاق واسع وفي جميع المجالات بصورة أوتوماتيكية، وهو ما يؤهل هذه اللغة من الهيمنة الاقتصادية والثقافية والسياسية والإعلامية،...

إلا أن واقع الحال، أن الإسلام لا يدعو إلى تفويض أو حجب اللغات الأخرى من الاستعمال والتحدث وحتى التفوق، وهو يقرّ بالتنوع الألسني.

جدول رقم (76) : يوضح المؤسسات المفضلة تعلم الأمازيغية فيها حسب رأي الباحثين.

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		تعلم الأمازيغية
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
78 %	39	44 %	22	44 %	22	74 %	37	الأسرة
8 %	4	2 %	1	4 %	2	/	/	الروضة
/	/	/	/	20 %	10	4 %	2	المسجد
14 %	7	52 %	26	30 %	15	22 %	11	المدرسة
/	/	2 %	1	2 %	1	/	/	الجامعة
100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	المجموع

يتضح لنا من خلال الجدول :

أنه عند الجماعة اللغوية للشاوية، نجد ما نسبته 78% من الباحثين أشاروا إلى أن الأسرة هي المؤسسة المفضلة لتعلم الأمازيغية فيها، ثم المدرسة بدرجة أقل وبنسبة 14%.

أما عند المجموعة اللغوية للقبائل، فإن المبحوثين يرون أن أفضل مؤسسة لتعلّم الأمازيغية، هي المدرسة بنسبة 52% ، مقارنة بـ 44% بالنسبة للأسرة كمؤسسة مفضلة لتعلّم الأمازيغية فيها.

ونجد عند المجموعة اللغوية لبني مزاب ، أن ما نسبته 44% هو اعتبار الأسرة كأفضل مؤسسة لتعلم اللغة الأمازيغية فيها، مقارنة بـ 30% للمدرسة يفضل تعلّم الأمازيغية فيها، ونسبة 20% للمسجد. وتظهر الأرقام عند المجموعة اللغوية للتوارق، أن ما نسبته 74% هم الذين يفضلون الأسرة كمؤسسة أولى لتعلّم اللغة الأمازيغية، مقارنة بـ 22% للمدرسة كمؤسسة مفضلة لتعلمها.

بالرجوع إلى هذه الأرقام الإحصائية، يتضح الاتجاه العام، في أن هناك توافق لدى المجموعات اللغوية المختلفة، باعتبار الأسرة هي المؤسسة المفضلة لتعلم اللغة الأمازيغية (ولكن بنسبة أقل عند القبائل)، ثم تأتي المدرسة كمؤسسة أيضاً مفضلة لتعلّم الأمازيغية (مع أولويتها لدى الجماعة اللغوية للقبائل).

إذاً فالمؤسستين المفضلتين لدى هذه الجماعات اللغوية لتعلّم اللغة الأمازيغية، هي الأسرة والمدرسة ، فلا أسرة دور هام في تعليم وتلقين الأبناء اللغة الأولى (الأم) التي يمارسونها، ويستعملونها مستقبلاً، وهي المؤسسة الاجتماعية الأكثر تأثيراً على نموّ الطفل لغوياً، والتي سوف يتكلم بها، ويتواصل بها، ويُعبر بها عن أفكاره وعواطفه وحاجاته المختلفة، ولذلك اعتبر المبحوثين، أن الأسرة هي المؤسسة التربوية الأساسية في المجتمع، والتي تكون الحاضنة للطفل، المفضلة لديهم، في تعلّم اللغة الأمازيغية، خاصة وأن هذه الأسر (المبحوثة)، تعرف الأمازيغية، وتمارسها في حياتها اليومية، إلا أنه برغم هذا الاختيار، فإن هناك عوامل داخل الأسرة في ذاتها، قد تتدخل بصورة ما، في فرض لغة غير الأمازيغية، لاعتبارات مجتمعية أو ثقافية أو دينية، أو حتي إيديولوجية، وحتى للاعتبارات المتعلقة بنوعية الأسرة (نووية أو ممتدة) وللدور التي يقوم بها أفراد الأسر داخلها وخارجها، وكلها تؤثر على المواقف المختلفة للوالدين إزاء اللغة الواجب تعليمها للأبناء

كما أن انتقاء الأسرة كمركز تعلّم لغوي للأمازيغية، يعكس نظرة المبحوثين للمجموعات اللغوية المختلفة ، بأن المواقف الحياتية الأخرى، المتعلقة بالمحيط الخارجي، قد لا تكون الأمازيغية هي الأنسب لذلك، نظراً للمصالح التي يحققونها من خلال هذه اللغة أو تلك، خاصة وأن المجتمع الجزائري يتميز بالتنوع اللغوي بمجالاته المختلفة، وهو ما يفتح آفاق اللغات الأخرى الأكثر تحقيقاً للمنفعية،

والتي تكون في هذه الأسر مختفية(منفعية اللغة)، ذلك لأن اللغة العربية واللغة الفرنسية، في المحيط الخارجي للأسرة، هي الأكثر نفعية لتلك الجماعات ، نظرا للدوار الوظيفية التي تحققها كل لغة ، وهذا لا يعني التنازل عن اللغة الأمازيغية، بل تعتبر الأسرة هي الملاذ الأمل لتعلمها، حتى تساهم في تعزيز الشعور بالانتماء لها.

كما للمدرسة دور لا يقل أهمية عن الأسرة، في تزويد الأطفال باللغة من خلال مفرداتها وألفاظها وعباراتها، وهي تعمل على ربط الفرد بمجتمعه، من خلال اللغة المتعلمة بداخلها، والتي في الغالب تكون اللغة المكتوبة(المعيارية)، والمدارس في الجزائر، تعلم الأبناء باللغة العربية(المراحل التعليمية الأولى)، فإن الطفل سيتعلم تلك اللغة، وهو ما يساهم في نشر هذه اللغة لدى الأطفال الذين كانت لغتهم هي الأمازيغية - قبل المدرسة-، (وهنا تكمن المفارقة في اللغة الأولى التي تعلمها في الأسرة، واللغة التي وجدها في المدرسة)، فبقدر تعلمه اللغة الثانية، بقدر ما تزداد صعوبة تعامله معها، واستناداً إلى هذا المعطى، نجد الجماعة اللغوية للقبائل تفضيلها للمدرسة، وذلك حتى يتسنى للأطفال الذين تعلموا لغتهم الأولى(الأسرة)، وهي الأمازيغية أن يجدوها أيضاً في المدرسة، حتى تتحقق استمراريتهم لتعلم هذه اللغة أكثر، زيادةً على أن هذه المجموعة اللغوية(القبائل)، لاعتبارات مطلوبة وإيديولوجية (لدى النخبة خاصة) ، جعلت من هذا المطلب ضمن المطالب الثقافية الأخرى للمسألة الأمازيغية بصورة عامة، وهو ما أعطى مطلب تدريسها، في المدارس غير خاضع للمنظور العلمي والبيداغوجي الخاص بهذه اللغة الأمازيغية التي لا تزال محل صراع وتجادب (أبجديتها، خطها، إتجاهها)، بقدر ما هو خاضع للخلفيات الإيديولوجية للنخب الثقافية والسياسية في صراعها حول المسألة الأمازيغية.

جدول رقم(77):يبين إن كان من واجب الأسرة تعليم الأبناء لغة المحيط الخارجي(خارج الأسرة)

الشاوية		القبائل		بني مزاب		التوارق		تعلم الأبناء لغة المحيط
النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	
42	84 %	43	86 %	50	100 %	48	96 %	نعم
8	16 %	7	14 %	/	/	2	4 %	لا
50	100 %	50	100 %	50	100 %	50	100 %	المجموع

يتبين لنا من خلال الجدول أنه:

عند الشاوية، نجد أكبر نسبة عند الذين رأوا أنه من واجب الأسرة تعليم أبنائها لغة المحيط الخارجي بنسبة 84% ، مقارنة بالذين يرون أن ذلك ليس من واجبها بنسبة 16%.

وعند القبائل ، نجد ما نسبته 86% أيضا يرون أنه من واجب الأسرة تعليم لغة المحيط الخارجي للأبناء، مقارنة بـ 14% الذين يرون عكس ذلك.

وعند بني مزاب نجد أن جميع الباحثين أقرروا بضرورة تعليم لغة المحيط الخارجي (100%).

ونجد عند التوارق، أن ما نسبته 96% صرحوا بأنه من واجب الأسرة تعليم الأبناء لغة المحيط الخارجي، مقارنة بـ 4% الذين صرحوا بعدم أهمية ذلك.

وإذا نظرنا إلى الاتجاه العام للجدول، فإننا نجد أن هناك توافق (اجماع) لدى الباحثين لهذه الجماعات اللغوية على واجبية تعليم الأبناء لغة المحيط الخارجي، (أي لغة الفضاء خارج الأسرة)، وهذا يعكس أهمية اللغة المتداولة (الممارسة) خارج محيط الأسرة، بالنسبة للآباء، وهو ما يسمح لأبنائهم من التعامل والتواصل، مع الذين يمارسون اللغة (خارج الأسرة)، وليكون التفاعل الاجتماعي بينهم متاحاً وممكناً، فالممارسة اللغوية في المحيط خارج الأسرة، هي في الغالب التي تحظى بالانتشار الواسع، بالممارسة على نطاق واسع، وهو ما يؤثر بطريقة ما، على اللغة الممارسة داخل الأسرة وبخاصة، إذا كانت هاتان اللغتان مختلفان، وهو ما يدفع بالأسر إلى تبني تعلّمها وممارستها، ونقلها

للأبناء، فإذا كانت لغة الأسرة هي الأمازيغية، ولغة المحيط هي العربية، فإننا نجد رغبة الأسرة، في تعلّم العربية، وإذا كانت الأمازيغية هي لغة المحيط الخارجي، فإن الأسرة تتولد لديها الرغبة في تعلّم الأمازيغية، فلا يمكن للغة الأسرة أن تبقى منغلقة على ذاتها، بل تصبح الضرورة (الاجتماعية والاتصالية) حتمية لممارسة وتعلّم تلك اللغة، وبخاصة للأبناء.

فلغة المحيط (المجتمع)، هي الأكثر تأثيراً على لغة الأسرة (كجزء) من هذا المجتمع، حتى لا تكون هذه الأسرة (على الأقل لغوياً)، خارج النسق القيمي لهذه المجتمعات.

ولعل المجتمعات اللغوية، غالباً ما يطبعها التعدد اللغوي وليس الأحادية والمتمثل في اختلاف الألسن بين الأوساط الاجتماعية المختلفة، فهناك اللغة العربية (بلهجاتها)، وهناك اللغة الأمازيغية (بلهجاتها)، وهناك اللغة الفرنسية، وهي أنظمة للتعبير عن شتى المجالات الحياتية، وهذا التعدد لا يعكس بالضرورة عند هذه المجتمعات -بالمساواة اللغوية- بين هذه اللغات الممارسة بصورة يومية بداخلها، حتى وإن اكتسبت بعض هذه اللغات طابع الوطنية والرسمية والقدسية،... ليبقى هناك تفوق للغة على لغة من حيث الممارسة، ويصبح -المغلوب مولع بتقليد الغالب-، (بحسب قول ابن خلدون) في هذه الممارسة للغة، وهذا ما يفسر أن حركية (ديناميكية) اللغة الأمازيغية عند هذه الجماعات اللغوية تحديداً، في تراجع مستمر خلال الحقب التاريخية الماضية، وذلك أمام اللغة العربية (بلهجاتها)، وأمام اللغة الفرنسية (على نطاق ضيق، ولكنه فاعل)، فهناك إذاً حركة للغة تسير في الغالب في اتجاه واحد (مناطق جغرافية يفقدها الناطقون بالأمازيغية لصالح الناطقون باللغة العربية).

وهذا الوضع اللغوي يفرض -على الأسرة- مسابقة الخريطة اللغوية داخل النسيج الاجتماعي الذي تتفاعل معه، وهو ما يولد رغبة للآباء في إكساب الأبناء لغة تؤهلهم للتفاعل مع أقرانهم ومجتمعهم، تؤهلهم أيضاً لغايات مستقبلية (وظيفية خاصة)، فهناك مسؤولية أسرية في توجيه الأبناء نحو ممارسات لغوية محددة، والتي تسمح بتغيير نمط (نموذج لغوي)، الممارسة اللغوية اليومية للأبناء (باستثناء حالة أن لغة الأسرة هي نفسها لغة المحيط).

فللغة المحيط (الفضاء) الخارجي للأسرة، تأثير كبير في توجيه الأسر (بصورة مباشرة أو غير مباشرة)، نحو نماذج وممارسات لغوية لأبنائها، حتى وإن كانت هذه الممارسات لا تتماشى مع

القناعات الخاصة لهذه الأسر، حيث يفرضها الواقع السوسيو-لغوي للمجتمع الذي تتواجد فيه هذه الأسر.

ولذلك كانت تصريحات المبحوثين -مجتمعة- في أن تؤدي الأسرة دورها كاملاً في تعليم الأبناء اللغة الممارسة خارج محيط الأسرة، وعدم الاكتفاء باللغة الأسرية.

استنتاج الفرضية الثانية:

إن الممارسات اللغوية لدى الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) للأمازيغية، تعتبر من ركائز ثقافة المجتمع الجزائري، فهذا الموروث الثقافي لهذه الجماعات، لا يزال يمثل واقعاً في الحياة اليومية لهذه الجماعات، برغم لا رسمية هذه اللغة لفترات تاريخية متباينة، إلا أن جملة قراءتنا الواردة تبرز على السطح، طبيعة العلاقة الموجودة بين اللغة الأمازيغية والجماعات التي ينتمي إليها المجتمع الأمازيغي، والعلاقة بين اللغة العربية وهذه الجماعات اللغوية الأمازيغية، والتي تتسم في الغالب بالانقسامية في المواقف والتصورات والآراء المختلفة لهذه اللغات (التأييد أو الرفض أو التحفظ)، ويرتبط هذا بالبنية الذهنية لتلك الشخصية المشبعة، والمتأثرة بالرواسب التاريخية لها، وكذا لتلك التوجهات والتوجسات الفكرية، التي تمر عبر النخب المثقفة، الفكرية أو السياسية (المنقسمة أصلاً)، وإلى تلك الخلفية الإيديولوجية لها، زيادة على الاعتبارات المحلية والوطنية، وحتى الخارجية في توجيه الخيارات المختلفة، وتكون النظرة لهؤلاء المبحوثين في علاقتهم بلغتهم و مجتمعاتهم، في ظل المتغيرات الثقافية، التي تساهم في نمذجة وتصوّر هذه المجموعات اللغوية للغة الممارسة، وتأثيراتها المختلفة على خياراتهم اللغوية.

واستناداً إلى تحليلنا لنتائج الفرضية الثانية التي تقول « تتأثر الممارسة اللغوية لدى الأسر الأمازيغية بالعامل الثقافي، ويختلف هذا التأثير باختلاف الجماعة اللغوية الأمازيغية المنتمية إليه (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) »، فإننا توصلنا إلى النتائج التالية:

1) المحددات الثقافية والهوية:

- إن نظرة المبحوثين للعوامل المساهمة في تشكيل هويته، تؤكد التوافق الموجود عند الجماعات اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب والتوارق، في اعتبار العقيدة الدينية، هي المكون الأساسي لهويتهم، وتزداد أكثر عند الشاوية، وهذا يعكس التجذر الديني -الإسلام في هذه المجتمعات، ودوره

في توجيه تصوراتهم في المكونات الأساسية لذواتهم، والإسلام لعب دوراً في تشكيل الهوية لدى هؤلاء الأفراد.

بينما تكون اللغة ، هي المكون الأساسي لتشكل الهوية الذاتية ، لأفراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل، فإدراك الهوية لهم يكون من خلال اللغة.

• فالدين المحدد الأساسي الأول لهوية الفرد، واللغة هي المحدد الثاني لهويته، لدى الجماعات اللغوية لكل من (الشاوية- بني مزاب-التوارق) ، فالدين " انغرس كمرجعية محرك ومشرعة للسلوك الفردي والاجتماعي"¹

• اللغة هي المحدد الأساسي الاول، المساهم في تشكيل الهوية الذاتية للفرد، والعقيدة الدينية، المحور الثاني(تراتبياً) لهويته، لدى الجماعة اللغوية للقبائل ، فاللغة كإطار ثقافي للتعبير عن السلوك الاجتماعي اللغوي " هي التعبير الأكثر دلالة عن البربرية"²

-أما قيمة اللغة الأكثر تشكيلاً لهوية الفرد(الذاتية)، فإننا نجد بأن هناك علاقة بين طبيعة اللغة، ، ودورها في تشكيل الهوية لدى هذه الجماعات، فهناك توافق لدى المجموعات اللغوية لكل من (القبائل- بني مزاب-التوارق) على أن اللغة الأمازيغية ،هي الأكثر قيمة في تشكيل الهوية الذاتية لديهم، وتبرز أكثر عند القبائل، وهو ما يعبر عن أن هذه اللغة مظهر من مظاهر التميز لهذه الجماعات، بخصوص هويتهم الفردية.

بينما تختلف الجماعة اللغوية للشاوية عن المجموعات السابقة، إذ تعتبر اللغة الأكثر قيمة في تشكيل الهوية الذاتية لهم، هي اللغة العربية، وهو ما يعكس قيمة هذه اللغة(العربية) لدى هذه الجماعة اللغوية، إذا:

• فاللغة الأمازيغية: هي اللغة الأكثر قيمة(أولى)، في تشكيل هوية الفرد الذاتية، لكل من (القبائل، بني مزاب، التوارق).

¹ - رشيد الحاجي : الامازيغية والسلطة ،نقد استراتيجيات الهيمنة ،مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط،2008،ص 119.

² - CAMPS (G);Berbères mythe ou réalités In , les Culturés du Maghreb Sous la direction de ROQUE(M.A),les Cahier de Contluence, Paris, L Harmattan, 1996, pp 35-50

- اللغة العربية، هي اللغة الأكثر قيمة (الأولى)، في تشكيل هوية الفرد الذاتية للشاوية، ثم الأمازيغية بدرجة أقل بقليل.

-هناك علاقة ارتباط بين رؤية المبحوثين للغة، واللغة الأقرب لتشكيل هويتهم الذاتية، لدى الجماعات اللغوية المختلفة، ونجد أن اللغة الأمازيغية، تلعب دوراً مهماً في اعتبارها جزء من الهوية والشخصية، والثقافة للجماعات اللغوية لكل من (القبائل، بني مزاب، التوارق)، إلا أن تراتبية هذه اللغة تختلف من مجموعة إلى أخرى، فتكون علاقتها بالثقافة أكبر للقبائل، ثم جزء من الشخصية لديهم، ثم الهوية ثالثاً، بينما تكون علاقتها بكل من (الهوية والثقافة) أعلى عند بني مزاب، ثم بالشخصية ثانياً، وتكون عند التوارق أقوى في علاقتها بالهوية أولاً، ثم الشخصية ثانياً، والثقافة أخيراً.

- بينما عند الشاوية، اللغة العربية تلعب دوراً بارزاً في إبراز الارتباط العضوي لهذه اللغة (العربية)، بالثقافة أولاً ثم بالشخصية ثانياً، ثم بالهوية . إذًا:

- هناك ارتباط وثيق بين اللغة الأمازيغية ، وبين الهوية والشخصية والثقافة، لدى الجماعات اللغوية للقبائل، وبني مزاب، والتوارق، ولكن هناك مفاضلة لهذه اللغة داخل هذه المجموعات في تشكيل هذه الثلاثية (الهوية، اللغة، الثقافة)، حيث ترتبط بالثقافة والشخصية أولاً عند القبائل، وبالثقافة أولاً عند بني مزاب، وبالهوية أولاً عند التوارق.

- هناك ارتباط وثيق بين اللغة العربية، وبين الهوية والشخصية والثقافة للجماعة اللغوية الشاوية، لكن تكون الثقافة العنصر الأكثر ارتباطاً بهذه اللغة (العربية).

أي أن هناك تباينات (تمايزات)، لدى هذه المجموعات اللغوية سواءً، في نوعية اللغة التي ترتبط بالمكونات (الثقافة، الهوية، الشخصية) ، وأولوية المكانة للغة (اللغة الأمازيغية للقبائل، وبني مزاب والتوارق) واللغة العربية للشاوية، وفي تراتبية هذه اللغة أو تلك في بلورة المكونات السابقة (الثقافة، الشخصية، الهوية)، والتي تساهم في صقل هوية الفرد الذاتية.

-ونجد أيضاً ، أن هناك تراتبية في نظرة المبحوثين لقيمة اللغة، بصورة عامة، بالنسبة لشخصيتهم وهويتهم وثقافتهم، لدى هذه الجماعات اللغوية، إذ هناك توافق لدى المجموعتين اللغويتين (الشاوية ، وبني مزاب)، في اعتبار اللغة جزء من هويتهم (هي الأكثر قيمة في تشكل الهوية لديهم)، بينما نجد أن هناك أيضاً توافق بين المجموعتين اللغويتين (القبائل والتوارق) في أن اللغة الأكثر قيمة في تشكيل

شخصيتهم(جزء من الشخصية)، وهنا تبرز المفارقة لدى هذه المجموعات في مواقفها المتباينة أحياناً، والمتداخلة أحياناً أخرى، ولكن هذه التحالفات -ليست مستقرة - عند هذه الجماعات، إذاً:

• للغة مكانة أولى في تشكيل الهوية لكل من (الشاوية، بني مزاب).

• للغة مكانة أولى في تشكيل الشخصية لكل من (القبائل والتوارق).

-أما فيما يخص آراء المبحوثين ونظرتهم إلى الانتماء الثقافي للجزائر، فإننا نجد أيضاً، بأن هناك تباينات(اختلافات) لدى المجموعات المختلفة في نظرتهم لذلك، حيث تعتبر كل من المجموعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والتوارق) بأن الجزائر بلد إسلامي، ويتساوى ذلك عند بني مزاب بأنه ايضاً أمازيغي، بينما تختلف الجماعة اللغوية للقبائل عنهم ، اذ ترى بأن انتماء الجزائر -ثقافياً- بانه، بلد أمازيغي، وهو ما يعبر عن نظرة المبحوثين لهذه الجماعات، للفضاء(العالم) الخارجي الذي يمكن وضع الجزائر فيه، كجزء من هذه العوالم المشتركة معه في العديد من القضايا، واعتبرت الجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والتوارق) الجزائر كبلد إسلامي، نظراً لدور الدين(الإسلام)، في تحديد معالم الفضاء الجزائري وذلك لأن الإسلام هو القاسم المشترك فيما بينهم، وهو رسالة سماوية موجهة لكل البشرية باختلاف أجناسهم وبلدانهم وألوانهم، فهو شعور مشترك لدى هذه الجماعات بتقاسم هذا الدين مع العالم الإسلامي (دور الدين في توحيد النظرة الثقافية للجزائر)، أي أن الرابط الديني أكثر فعالية وتأثيراً من الرابط اللغوي لدى هذه الجماعات، كما أن هذه الجماعات تعبر ثقافياً أن الجزائر هو بلد أمازيغي ثانياً، ويتساوى ذلك عمد الشاوية بأنه بلد عربي، وهو ما يفسر أيضاً اهتمام الشرائح الأخرى لعامل اللغة الأمازيغية في إعطاء بعد أمازيغي لهذا البلد(الجزائر)، والذي يشترك من منظورهم مع البلدان الأمازيغية الأخرى(المغرب، النيجر، مالي،...)، ولكن يبقى البعد الإسلامي (الديني) للجزائر هو الأفضل وضعاً يمكننا أن يكون فيه.

بينما عند القبائل(المبحوثين)، نجد أن البعد اللغوي(الثقافي)، هو المحدد لانتماء الجزائر(ثقافياً)، أي أن موقع الجزائر في الخريطة العالمية يتحدد وفقاً للغة والثقافة الأمازيغية المشتركة له مع الآخرين(بلدان أمازيغية)، فيربط انتماءه من منظور ثقافي(لغوي)، وليس ديني كأولوية المجموعات الأخرى، ومع ذلك فإن هناك فئات داخل هذه الجماعة(القبائل)، التي تتبنى المنظور (أولوية) الإسلامي، للخريطة الثقافية العالمية للجزائر، إذاً:

• فالانتماء الثقافي للجزائر انه يعتبر من بلدان العالم الإسلامي أولاً، وبلد أمازيغي (ثانياً) بالنسبة للجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والتوارق)، مع بروز بلد عربي، لجماعة الشاوية مع البعد الأمازيغي.

• الانتماء الثقافي للجزائر، يعتبر كبلد أمازيغي أولاً من وجهة نظر الجماعة اللغوية للقبائل، وكبلد إسلامي ثانياً.

- هناك ارتباط موجود بين رأي المبحوثين للانتماء الثقافي للجزائر، واللغة المساهمة في تشكيل هويته الفردية، إذ أن هناك تطابق في تحديد هذه العلاقة للجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب، التوارق)، فكلما كان اختيار الانتماء الثقافي للجزائر بأنه بلد إسلامي، كلما كانت اللغة العربية هي الأقرب لتشكيل هويته أولاً، وهو ما يعكس الترابط الموجود بين الإسلام كقاسم مشترك، وبين اللغة العربية كلغة قرآنية، وبالتالي تأكيد العلاقة بين الإسلام والعربية من جهة وبين الإسلام والهوية الفردية من جهة أخرى، لدى هذه الجماعات، وكلما كان اختيار الانتماء الثقافي لهذه الجماعات (الشاوية، بني مزاب، التوارق) بلد أمازيغي (ثانياً)، كلما كانت اللغة الأمازيغية (أولاً)، في تشكيل هويته الفردية.

فهناك توافق (تطابق) لهذه الجماعات اللغوية في المواقف المرتبطة بعلاقة الانتماء الثقافي للجزائر، وهوية الفرد (الذاتية).

بينما تختلف النظرة عند الجماعة اللغوية للقبائل (التي لا تتوافق مع المجموعات الأخرى) في أنه، كلما كان الانتماء الثقافي للجزائر، أمازيغياً كلما كانت اللغة الأمازيغية (أولاً)، في تشكيل هويته الذاتية، وكلما كان الانتماء الثقافي للجزائر إسلامياً، كلما كانت اللغة الأمازيغية (أولاً)، في تشكيل هوية الفرد، وهو ما لا يتوافق مع الجماعات الأخرى، في تحديد وضع اللغة الأمازيغية (ثابتة بصرف النظر عن الانتماء إن كان (أمازيغياً أو إسلامياً)، إذا فهناك:

• ارتباط اللغة العربية بالتصور الثقافي للجزائر إن كان إسلامياً، وترتبط اللغة الأمازيغية للتصور الثقافي للجزائر إن كان أمازيغياً، وهذا للجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب، التوارق)، وهذا في علاقتها بتشكيل الهوية الفردية لدى الأفراد المنتمين لهذه الجماعات.

• ارتباط للغة الأمازيغية بهوية الفرد (الذاتية)، سواءً أكان اختيار الانتماء الثقافي للجزائر (أمازيغياً أو إسلامياً)، وهذا للجماعة اللغوية للقبائل.

أي أن الهوية عند الجماعات (الشاوية وبنو مزاب والتوارق)، في ارتباطها باللغة عندهم، تتبدل -متحركة - وفقاً لقاعدة البعد الوطني(الانتماء الثقافي للجزائر)، بينما عند الجماعة اللغوية للقبائل، فهي هوية ثابتة بالمعطى اللغوي المكوّن لها(أمازيغية)، ولا تتغير بتغير المعطى الوطني(الانتماء الثقافي للجزائر)، وهو ما يعبر عنه عند البعض (الهوية الجامدة - ثابتة/ الهوية المتحركة).

-فيما يخص علاقة الانتماء الثقافي للجزائر، وأساس اختيار لغة الأبناء، فنجد أن هناك ارتباط نسبي بين هذا الانتماء للجزائر، وبين أساس اختيار اللغة للأبناء من قبل المبحوثين، إذ يكون أساس اختيار اللغة للأبناء يخضع للبعد الديني، بصرف النظر عن انتماء الجزائر الثقافي. فالعربية(لغة الدين) هي اللغة الأكثر بروزاً عند المبحوثين لدى الجماعات اللغوية (الشاوية، بنو مزاب والتوارق)، فلا تأثير لهذا الانتماء الثقافي للجزائر في أبعاده العالمية(إسلامياً، مغاربياً، عربياً...) على اللغة التي سوف ينقلها(يعلمها الآباء للأبناء) عند هذه الجماعة اللغوية، والتي تكون في الغالب هي لغة الدين(العربية).

بينما نجد عند الجماعة اللغوية للقبائل، أن هناك اختلاف في الموقف مع الجماعات الأخرى، إذ كلما كان اختيار المبحوثين للانتماء الثقافي للجزائر إفريقي، كانت لغة الدين والانتماء القومي(عربية، فرنسية)، هي المختارة للأبناء، وكلما كان الانتماء مغاربي وأمازيغي، كانت اللغة المختارة للأبناء هي لغة الوطن(العربية والأمازيغية)، فهناك ارتباط بين انتماءات الجزائر وتصور المبحوثين للغة أبنائهم، وهي تحمل نوعاً من التناقض، خاصة في ربط نوعية اللغة(عربية، أمازيغية، أجنبية)، بفضاءات انتماء الجزائر، إذاً:

• مهما كان الانتماء الثقافي للجزائر، فإن أساس اختيار اللغة للأبناء هو لغة الدين(العربية)، وهذا لدى الجماعات اللغوية(الشاوية، بنو مزاب، التوارق).

• كلما تغير تصور المبحوثين للانتماء الثقافي للجزائر، كلما كان أساس الاختيار للغة الأبناء متغير، (إفريقي - لغة الدين)، (مغاربي-أمازيغي، لغة الوطن)، وهو ما يبرز بعض التناقضات في الربط بين عوالم انتماء الجزائر ثقافياً، وأسس اختيارات اللغة للأبناء، وهذا للجماعة اللغوية للقبائل.

-وعن علاقة الانتماء الثقافي للجزائر، وفضاء اللغة العربية، فإن هناك ربط بين هذا الانتماء، وفضاء انتشار اللغة وارتباطه بهذا الفضاء، ولكن هناك اختلافات وتوافقات حول نظرة المبحوثين للجماعات

اللغوية المختلفة، إذ كلما كان الانتماء الثقافي للجزائر إسلامي، كلما ارتبط ذلك بأن اللغة العربية هي لغة خاصة بالشعوب المسلمة، عند كل من (الشاوية والقبائل والتوارق وبني مزاب)، ولكن بتفاوتات نسبية، وهي لغة للعالم كله، وهذا عند الجماعة اللغوية لكل من الشاوية والتوارق وبدرجة أقل عند بني مزاب.

بينما إذا كان الانتماء الثقافي للجزائر -أمازيغياً- فإن اللغة العربية يكون فضاءها بأنها لغة خاصة بالعرب، عند كل من الشاوية والتوارق وبدرجة أقل عن بني مزاب والقبائل.

أي هناك وجهات نظر تتسم بالتقارب أحياناً، وبالتباين أحياناً أخرى، لدى هذه الجماعات اللغوية المختلفة، وذلك فضاءات استعمال وتواجد اللغة العربية، على نطاق ضيق أو نطاق واسع، ويختلف ذلك وفقاً لتصور المبحوثين للانتماء الثقافي للجزائر.

- فكلما كان الانتماء إسلامياً، كان فضاء اللغة العربية يشمل كل الشعوب المسلمة، ويكون مرتفعاً هذا التصور عند الشاوية والتوارق، ويقل عند القبائل وبني مزاب.

- وكلما كان الانتماء -أمازيغياً-، كلما ارتبطت اللغة العربية بأنها لغة خاصة بالعرب، عند الشاوية والتوارق، وتقل عند بني مزاب والقبائل، وكلما زادت رؤية هذه الجماعات اللغوية بأن اللغة العربية هي لغة عالمية، وهذا بنسب متقاربة عند هذه الجماعات.

(2) آليات التنشئة الثقافية (وسائل الإعلام والاتصال):

-فيما يخص القنوات التلفزيونية المشاهدة واللغة التي يتم بها المشاهدة، فإن هناك علاقة بين البرامج التي يشاهدها أبناء المبحوثين، واللغة التي تُبث بها هذه البرامج، حيث نجد أن معظم المبحوثين لدى الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، يشاهدون البرامج باللغة العربية، مهما كانت هذه البرامج (الأطفال، الأفلام والمسلسلات، الأشرطة، الترفيه،...)، وهي اللغة الأولى على مستوى توجيه الأطفال نحو البرامج، وتزداد نسبة المشاهدة أكثر عند الشاوية والتوارق، وتتقارب عند بني مزاب والقبائل، ثم تليها المشاهدة باللغة الأجنبية (الفرنسية)، وتظهر عند الجماعات اللغوية للقبائل وبني مزاب والتوارق، مع اختفائها لدى مجموعة الشاوية في البرامج المخصصة للأطفال. إذًا:

• اللغة العربية هي اللغة الأولى من حيث (المكانة) في مشاهدة البرامج التلفزيونية لدى جميع المجموعات اللغوية، وبخاصة برامج الأطفال، وهذا لجميع الجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب، التوارق، القبائل)، وتظهر الأمازيغية والفرنسية الأقل تتبعاً لهذه البرامج، فهناك توجيه للأبناء نحو ممارسة اللغة العربية، من خلال البرامج المسموح بتتبعها، فهناك تأثير ممارس من قبل التلفزيون كوسيلة سمعية بصرية على الممارسات اللغوية داخل هذه المجتمعات (الأمازيغية).

• وهناك ارتباط بين البرامج المشاهدة، واللغة المفضل تعليمها، قبل المدرسة للأطفال، حيث البرامج المتعلقة بالأطفال، تتباين التوجهات، تُعَلَّم اللغة العربية لهذه البرامج عند الشاوية كلغة أولى، وعند القبائل والتوارق وبني مزاب تشمل اللغة الأمازيغية كلغة أولى للأطفال قبل المدرسة، ثم بدرجة أقل للغة العربية عند التوارق وبني مزاب، وبدرجة منخفضة عند القبائل.

-بينما في مشاهدة الحصص الترفيهية، نجد اللغة العربية هي اللغة الأكثر تعلّماً للأطفال-قبل الدراسة- وهذا عند الجماعة اللغوية للشاوية وبني مزاب والتوارق، ثم تليها اللغة الفرنسية عند الشاوية وبني مزاب، وتختفي عند التوارق، ولدى القبائل في نفس الحصص (الترفيهية) هناك تعليم اللغة الفرنسية والأمازيغية مع للطفل قبل المدرسة، واختفاء اللغة العربية لديهم.

وهو ما يؤكد طبيعة البرامج المتبعة من قبل الأطفال، وتأثيرها في توجيههم نحو تعلّم وممارسة اللغة، إذ:

• تساهم برامج الأطفال، في تعلّم العربية عند الشاوية، وتعلّم الأمازيغية عند كل من (القبائل وبني مزاب والتوارق).

• تساهم برامج الحصص الترفيهية، في تعلّم الأطفال -قبل المدرسة- اللغة العربية عند كل من الشاوية وبني مزاب، وبدرجة أقل تعلّم اللغة الفرنسية، وفي تعلّم الأمازيغية عند القبائل والتوارق لهؤلاء الأطفال، وتتساوى الفرنسية أيضاً مع الأمازيغية عند القبائل.

• تساهم البرامج العلمية (الأشرطة)، في تعلّم الأمازيغية عند الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق، وبدرجة أقل تعلّم العربية عند الشاوية والتوارق، وبدرجة أقل أيضاً تعلم الفرنسية عند القبائل وبني مزاب، فكل ما هو للأطفال وللترفيه، يكون لصالح اللغة العربية أو

الأمازيغية في الغالب عند هذه الجماعات، وبدرجات متفاوتة، وكل ما هو علمي يتجه للعربية والفرنسية والأمازيغية، وبدرجات متفاوتة أيضاً.

-أما عن الإذاعة، فإننا نجد بأن هناك تطابق في وجهات النظر للمبشرين حول تتبع الإذاعة، إذ الكل يفضل سماع الإذاعات المحلية الناطقة بالأمازيغية(اللهجة المحلية لكل جماعة)، وتبرز أكثر عند القبائل والتوارق، ثم تتبع الإذاعة الوطنية للجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق، وبدرجة متساوية تقريباً لكل من الإذاعة المحلية الناطقة بالعربية والإذاعة الوطنية.

• فهناك تفضيل وتوجه واضح نحو الإذاعات المحلية الناطقة بالأمازيغية لجميع الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب، التوارق)، وهو ما يؤكد تأثير الإذاعات المحلية الناطقة باللغة الأمازيغية على الممارسة اللغوية.

-بينما تتضح اللغة الأكثر استعمالاً في المكالمات الهاتفية، إذ نجد أن الجماعات اللغوية لكل من (القبائل وبني مزاب والتوارق)، تكون معظم المحادثات الهاتفية لها باللغة الأمازيغية، وبدرجة أقل للغة العربية عند هذه الجماعات، وبدرجة أقل بكثير باللغة الفرنسية، خاصة عند التوارق وبني مزاب، وعلى العكس من ذلك نجد عند الشاوية أن اللغة العربية التي تغلب على حديثهم هاتفياً هي اللغة العربية، وبدرجة أقل الأمازيغية.

• فللممارسة اللغوية لدى هذه المجموعات اللغوية، انعكاس للعلاقات الاجتماعية، التي يرتبط بها هؤلاء الأفراد، مما يغلب الممارسة اللغوية باللغة الأمازيغية، عند القبائل وبني مزاب والتوارق، زيادة على الحفاظ اللغوي لهذه الممارسات باللغة الأخرى(الأمازيغية عند الشاوية، والعربية عند القبائل وبني مزاب والتوارق)، وهي حالة انعكاس أيضاً للازدواجية اللغوية لديهم، برغم التفاوتات في الممارسة.

-بينما هناك ارتباط أيضاً بين أفراد العينة والجرائد المطلع عليها، استناداً إلى لغة هذه الجرائد، إذ هناك اختلافات بينهم، في مطالعة الجرائد، فعند الشاوية هناك توافق(تقارب) بين الذين يطالعون الجرائد باللغتين العربية والفرنسية، بينما تتفوق فيه مطالعة الجرائد باللغة الفرنسية لكل من القبائل وبني مزاب، وتبرز المطالعة باللغة العربية للجرائد عند التوارق، فهناك اختلافات وتوجهات متباينة في المطالعات للجرائد وفقاً للغتها. إذ:

- الشاوية أكثر مطالعة للجرائد باللغتين معاً العربية والفرنسية (بالتساوي تقريباً).
 - القبائل وبني مزاب أكثر مطالعة للجرائد باللغة الفرنسية، وبدرجة أقل للعربية.
 - التوارق أكثر مطالعة للجرائد باللغة العربية، وبدرجة أقل للفرنسية.
- وهو يعكس طبيعة النخب المثقفة، وتوجهاتهم نحو الممارسة للغة، وبخاصة في طابعها الكتابي.
- بينما الوسائل الإعلامية الأكثر توحيداً للغة لدى المبحوثين (وفقاً لتصريحاتهم) فنجد :

- التلفزيون هو الأكثر توحيداً للغة عند الشاوية.
 - الراديو هو الأكثر توحيداً للغة عند القبائل وبني مزاب.
 - الراديو والتلفزيون معاً، هما الأكثر توحيداً للغة عند التوارق.
- أي أن هناك ارتباط بين الوسيلة الإعلامية، وقدرة هذه الوسيلة في الحفاظ على اللغة المرغوب ممارستها عند الجماعات اللغوية، والتي تبرز في العربية عند الشاوية، والأمازيغية عند القبائل وبني مزاب، واللغتين معاً عند التوارق، مع الحفاظ على طابع التواجد اللغوي الثاني لكل جماعة لغوية وفقاً لمكانة اللغة لديهم.
- ونجد أيضاً أن للأنترنيت دوراً في إبراز المكانة الحقيقية للغة المستعملة والممارسة من قبل المبحوثين، وذلك من خلال المواقع الأكثر توظيفاً وتردداً بالنسبة إليهم، خاصة في ظل الخطابات والتواصلات والرسائل المرسلة والمستقبلية، لكل منهم، إذ تعزز هذه الوسائل النظرة الحقيقية للغة، فنجد:

- المواقع العربية هي الأكثر تردداً وزيارة من قبل جميع المبحوثين لدى هذه الجماعات اللغوية كلها (الشاوية، القبائل ، بني مزاب ، التوارق)، ثم تليها المواقع الأمازيغية والفرنسية تقريباً بنفس الدرجة لهذه الجماعات اللغوية، وهذا يعكس صورة أن جل المبحوثين، لا يترددون على هذه المواقع، والعينة المترددة تترجم تصوراتهم فقط.

3- الوسائط الثقافية (الجمعيات، الدروس، القصص،...) وممارسة اللغة:

-بالنسبة لدور الجمعيات، نجد بأن هناك تمايزات في الانتماء إلى الجمعيات بين الجماعات المختلفة، فهناك عزوف مشترك لدى المبحوثين للجمعيات لدى هذه الجماعات اللغوية، والذين ينتمون إلى هذه الجمعيات تكون في الغالب، جمعيات ذات طابع ثقافي أو اجتماعي، كما أن درجة اهتمام هذه بالأمازيغية تنقسم بـ:

- هناك اهتمام ملحوظ للجمعيات المنتمي إليها المبحوثون في كل من القبائل وبني مزاب والتوارق، بالمسألة الأمازيغية، وتكون المناقشات الدائرة بداخلها باللغة الأمازيغية لدى نفس هذه الجماعات.

- هناك لا اهتمام (لا مبالاة) الجمعيات المنتمي إليها المبحوثون لدى الجماعة اللغوية الشاوية فيما يتعلق بالمسألة الأمازيغية، ونجد جل المناقشات الحاصلة فيها، تكون باللغة العربية في معظم الأوقات.

-بينما نجد أن اللغة المفضلة لأفراد العينة في متابعة الدروس والخطب الدينية، ترسم توافق للجماعة اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق) باللغة العربية (وهذا نظرا لارتباط العربية في المخيال الاجتماعي المجتمعي لديهم بالإسلام)، لأنها اللغة الأقرب فهماً لمعاني القرآن والقضايا الفقهية.

في حين يختلف ذلك، عند الجماعة اللغوية للقبائل، نجد أن اللغة المفضلة لديهم، هي اللغة الأمازيغية، برغم ارتباط العربية بالدين، إلا أن الوسط الاجتماعي، يحاول فرض (إتاحة الفرصة) للأمازيغية لأن تكون لغة لتفهم معاني القرآن والفقه.

- إذاً فهناك تأثير لهذه الدروس والخطب المسجدية-خاصةً- في اتجاه الممارسات اللغوية لهذه الجماعات اللغوية، وفقاً لمركزية الدين في توجيه هذه الممارسات لدى الشاوية وبني مزاب والتوارق من خلال اللغة العربية، ووفقاً لمركزية (اللغة أو الوسط)، في توجيه هذه الممارسات لصالح اللغة الأمازيغية بالنسبة للقبائل، مع التواجد الاختياري المعاكس للغتين (الأمازيغية والعربية) في الحالتين ولكن بدرجات أقل.

-فيما يخص القصص والحكايات، فهي أيضاً لها تأثير في نفسية الأطفال بخصوص محتوى تلك القصص والحكايات، واللغة (بألفاظها وعباراتها) على ممارسته للغة، فهناك توجيه تقوم به الأسرة من خلال السارد للقصة أو الحكاية للأبناء، فنجد أن الأبرز ظهوراً لسرد القصة هي "الجدة" لكل من الشاوية والقبائل والتوارق، وتكون اللغة في الغالب عندها هي اللغة الأمازيغية، بينما نجد بروز دور الأم أكثر عند بني مزاب، وهي غالباً أيضاً ما تكون باللغة الأمازيغية، نظراً لخصوصية هذا المجتمع (زواج داخلي في الغالب) وهذا ما يعكس حتى السلوكات اللغوية لديهم.

* وفي الغالب فإن اللغة المحكى بها عند الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، بني مزاب والتوارق)، هي اللغة الأمازيغية نظراً لخصوصية القصة أو الحكاية في حد ذاتها، واللغة العربية أيضاً تكون حاضرة بدرجة متساوية أو أقل بقليل وبخاصة عند الجماعات اللغوية للشاوية وبني مزاب والتوارق، بينما تكون اللغة المحكى بها ، عند القبائل هي الامازيغية.

-بينما تؤثر الأشرطة السمعية في ظل انتشارها الواسع (الأقراص، الأشرطة...) على توجيه اللغة الممارسة للأفراد، وذلك من خلال اللغة المستعملة في الغناء أو الأناشيد أو غيرها، والتي تكون في الغالب ذات حماسة مؤثرة، لتوجيه المبحوثين عند هذه الجماعات باللغة الخاصة لمنطقتهم، للتعبير عن الهموم والمسائل الثقافية والاجتماعية ، إذ نجد:

• العربية هي الأكثر استماعاً من خلال الأشرطة للجماعة اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب، وبدرجة أقل للأمازيغية.

• الأمازيغية هي الأكثر سماعاً من خلال الأشرطة، وهذا للجماعة اللغوية لكل من القبائل والتوارق، وبدرجة أقل للعربية.

فهناك تأثير، لهذه الأشرطة، على توجيه أفراد العينة نحو ممارسات لغوية محددة، تتماشى مع تطلعات هذه الجماعات لواقع ومستقبل الأمازيغية.

4- الحفاظ على اللغة:

-يرى أفراد العينة أن الوسائل الأفضل للمحافظة على اللغة الأمازيغية ، تتجسد في تعليمها في المدارس الرسمية، بالنسبة لكل من القبائل والتوارق وموازاة مع استعمالها في الحديث اليومي للتوارق، وترسم الجماعة اللغوية للشاوية بالاستعمال اليومي بالحديث بهذه اللغة (الأمازيغية) حتى تكون أكثر تداولاً وانتقالاً عبر الأجيال، ويكون تعليمها في المدارس الحرة لبني مزاب كأفضل طريقة للحفاظ على هذه اللغة، نظراً لتمييز هذه المدارس في منطقة بني مزاب والتي تدرس بها المراحل التعليمية المختلفة، زيادة على الدروس الدينية، وهو ما يعطيها طابع التداول للتعبير عن هذه العلوم بهذه اللغة.

- لتكون بذلك اللغة الأمازيغية في مأمن الممارسة لها، من خلال تدريسها لتأخذ الطابع الكتابي (الأكثر قدرة على المحافظة عليها)، وكذا لنشر العلوم بها سواءً في المدارس الرسمية، (القبائل والتوارق)، أو المدارس الحرة(بني مزاب)، بينما تبرز الممارسة اليومية لتداولها كأفضلية في الحفاظ على اللغة الأمازيغية لمنطقة الشاوية لضمان تواصلها، فكلما زاد تداولها في الحياة اليومية كلما زاد انتشارها وانتقالها عبر الأجيال.

- بينما تبرز كيفية المحافظة عليها أيضاً، لدى الجماعات اللغوية، من خلال الحفاظ على التراث الشعبي الشفهي والمكتوب ، وهذا لكل من الشاوية وبني مزاب والتوارق، ليعاد انتاجها في إطار هذا التراث الذي لا يزال متجذراً عندها، وهو إحدى الاستراتيجيات الأكثر ملائمة في نظرهم للحفاظ عليها، خاصةً وأن هذا التراث ضارب في الأعماق وعبر التاريخ ، بينما تؤكد الجماعة اللغوية للقبائل إدخالها في المدارس ، كأنجع طريقة للحفاظ عليها.

-أما فيما يخص آفاق اللغة الأمازيغية، فهناك إجماع (توافق) لدى هذه الجماعات، بأن الأمازيغية لا تزال لغة محلية، محصورة في رقعة جغرافية محدودة، متصلة بالمتكلمين بها فقط، وهي غير قادرة (في وضعها الحالي) للعبور إلى التوسع لتشمل الجماعات اللغوية الأمازيغية والغير أمازيغية، وهو ما يؤكد محدودية الاستعمال (المجال)، لهذه اللغة جغرافياً أو حتى ثقافياً ووظيفياً وتعليمياً واقتصادياً...إلخ، كما أنها (الأمازيغية) في ممارستها إقليمياً - الجماعات اللغوية لتلك الدول التي تتوزع فيها الجغرافية اللغوية للأمازيغية، وهو تجسيد أيضاً لعدم قدرتها على عبور الدول (لغة منكفئة على ذاتها).

وهذا ما تؤكد أيضاً إدلاءات المبحوثين، في نظرتهم لمستقبل هذه اللغة (الأمازيغية)، بأنه متجهة نحو التقلص، تعبير عن نظرة تشاؤمية تعبر عن الشعور -الداخلي- بعدم قدرة هذه اللغة في الوضعية التي تتواجد عليها (مجتمعياً وسياسياً، واقتصادياً وقانونياً) على منافسة اللغات الأخرى ذات المكانة الثقافية والدينية والعلمية والسياسية، وهو ما يعبر عنه -اللاتكافئ- في الفرص المتاحة للغات داخل المجتمع الواحد، وهذه النظرة تتوزع على جميع اللغات (الشاوية، بني مزاب، القبائل والتوارق).

فهناك عزوف عام ، في التعاطي مع اللغة الامازيغية ، وتعلمها ونشرها ، لدى هذه الجماعات اللغوية الناطقة بها ، وهذا حصيلة تلك " المتمثلات السلبية " في أذهانهم ، حيث ينظر إليها بأنها لغة ، لا ترتبط بأفق مستقبلي - وظيفي خاصة - ، أي أنها غير قادرة على مسايرة مجمل الطلبات التي يبحث عنها الأفراد ، وبخاصة بتواجد لغات أخرى قادرة على توفير ذلك، إي أن هناك نوع من اللقبول النفسي لهذه اللغة (الامازيغية) ، وهو ما أعطى الانطباع بالتشاؤم لمستقبلها.

-في حين يفرز الأصل الجغرافي بعلاقته بمدى تقلص استعمال الأمازيغية، أن الأصل الجغرافي ليس له تأثير كبير -وفقاً لتصريحات المبحوثين- على تقلص الأمازيغية في منطقتهم، حيث تتساوي أو تقتارب النسب في تصريحاتهم سواء في المدينة أو الريف ولدى الجماعات اللغوية المختلفة، مع بروز عدم تقلصها أكثر في المدينة عنه في الريف وهو ما يفسر نطاق تداول هذه اللغة استناداً إلى وضعيتها في الواقع المعاش لها، وبمدى الممارسات اللغوية في كل من الريف والمدينة.

-كما تتضح العلاقة بين اعتبار اللغة كأداة هيمنة، وعوامل انتشارها ، انه كلما كانت اللغة أداة هيمنة، كلما زاد انتشارها بفعل تدخل العوامل السياسية، وهذا لكل من الشاوية وبني مزاب وبفعل تدخل العوامل الاقتصادية لكل من القبائل والتوارق، وكلما زاد انتشارها أيضاً بفعل العوامل الدينية وفقاً لتصريحات التوارق وبني مزاب والشاوية بدرجة أقل.

و كلما كانت اللغة أداة هيمنة، كلما زاد انتشارها، بفعل العوامل الثقافية والحضارية ، وتبرز عند الجماعة اللغوية لكل من الشاوية وبني مزاب أكثر، وبدرجة أقل للقبائل والتوارق.

فكلما هيمنت اللغة، كلما ساعد ذلك عوامل انتشارها أكثر لدى الأوساط المجتمعية المختلفة، مع الاختلافات والتداخلات في العوامل المساعدة على انتشارها سواء كانت سياسية أو دينية أو

تعليمية أو ثقافية وحضارية أو اقتصادية، وهذا كله يساهم في فرض ممارسات لغوية محددة وفقاً لرهانات كل لغة وتفاعلها مع هذه العوامل.

-أما فيما يخص تفضيل (مفاضلة) المبحثين لهذه الجماعات في قدرة المؤسسات التشبؤية المختلفة على تعلّم اللغة، فهناك إجماع (اتفاق) للجماعات اللغوية لكل من (الشاوية وبنى مزاب والتوارق)، على دور الأسرة في نقل وتعلّم اللغة الأمازيغية، باعتبارها المنتج الحقيقي لهذه اللغة، وهي الوسط الأكثر حرية لأن يتعلم فيه الأفراد اللغة الأمازيغية، وخاصة أنها المحيط الأول الذي يتفاعل فيه الأبناء ويحتكوا بالممارسات اللغوية لأبائهم، فهي اللبنة الأولى في هرم تعلّم اللغة المحلية (الأمازيغية).

بينما تختلف نظرة المبحثين لجماعة القبائل، في ذلك إذ تعتبر الفئة أن المدرسة هي المعلم الأفضل لتعلم الأمازيغية، إذ تتجاوز المحيط الأسري إلى المحيط التربوي الأكثر مأسسة لهذه اللغة، التي تحتاج إلى رعاية قانونية وتنظيمية تمنحها الشرعية التربوية والتعليمية، يتجاوز حدود الأسرة.

-أما فيما يخص علاقة الأسرة، بنقل لغة المحيط الخارجي، بتعليم أبنائها هذه اللغة (لغة المحيط)، فتؤكد النتائج لدى كل الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) بضرورة نقل وتعليم لغة المحيط الخارجي للأسرة، إلى الأبناء، حتى يتحقق لهم التفاعل مع المحيطين بهم، من خلال اللغة، وبخاصة إذا كانت لغة الأسرة تختلف عن لغة المحيط الخارجي، وهو ما يفرض على الآباء تعليم الأبناء وتشجيعهم على ممارسة اللغة خارج أسرهم وفقاً لمنطقها وواقعها في هذا المحيط، الذي تتفاعل فيه كل مكونات المجتمع، وحتى يلقي القبول والترحاب في هذه الأوساط الاجتماعية المتباينة لغوياً وحتى ثقافياً، وهذا ما يساير الرأي المؤكد لتأثير لغة المحيط (الفضاء) الخارجي على اللغة داخل الأسرة، أي أنه يفرض ممارسات وسلوكات لغوية تتماشى وفقاً لواقعها فيه.

فهناك تداخل العديد من العناصر الثقافية المختلفة، في تجسيد المواقف والتصورات المبنية لدى المبحثين في الجماعات اللغوية المختلفة، في ممارساتها اللغوية، فهذه المواقف والتصورات الذهنية، تبرز جملة اختلافات وتفاوتات وحتى تطابقات لدى هذه الجماعات (الشاوية، بني مزاب، القبائل والتوارق)، والتي تعبّر عن مظاهر صحية في المجتمع -في تحديد خيارات الممارسات اللغوية لأفرادها داخل هذه المجتمعات- والتي تُحضر داخل المنظومة الثقافية لهذه الجماعات الناطقة بالأمازيغية.

الاستنتاج العام:

لقد أثبتت النتائج المتحصل عليها بشأن فرضيتي البحث، بأن هناك تأثير للعوامل السوسيو-ثقافية للأسرة، على الممارسة اللغوية داخل الأسر الناطقة بالأمازيغية، والخاصة بالجماعات اللغوية المنتمية إليها هذه الأسر، كما نجد أن هناك تباين في طبيعة التأثيرات الممارسة لدى كل جماعة لغوية عن الأخرى في داخلها، وهناك اختلاف (تباين) بين الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، في مجمل المواقف والاتجاهات (اجتماعياً وثقافياً)، نحو اللغة الممارسة من قبل الأفراد داخل الأسرة، أو خارجها (في محيطها)، وفي جميع المجالات وعلى جميع الأصعدة، كما أن هناك تداخلات (تقاطعات) تعبر عن القواسم المشتركة لهذه الجماعات اللغوية، والتي تتم بصورة غير منسقة فيما بينها، دلالة على بعض التشابهات ذات الخصوصية المشتركة-ثقافية خاصة-، والتي تبلور هذه التصورات والتوجهات نحو لغة دون أخرى، برغم التباعدات الجغرافية والمجالية، لكل مجموعة لغوية.

كما نجد بأن هناك قواسم -تشبه التحالفات الغير منظمة- بين الجماعات اللغوية، دون أخرى فهناك ثنائيات في القواسم المشتركة، وهناك ثلاثيات (ثلاث جماعات... وهكذا)، ولكنها ليست ثابتة فيهم، بل تتغير في كل موقف أو توجه معين، وفقاً للتأثيرات الممارسة من قبل الأبعاد المختلفة لكل فرد داخل هذه الجماعة أو تلك، في طبيعة اللغة الممارسة.

كما أن هناك العديد من الوضعيات اللغوية المختلفة لهذه الأسر، للجماعات اللغوية المتنوعة، تتسم بالتعارض الصريح فيما بينها، والذي يرتبط أساساً بالخلفيات الاجتماعية والثقافية والتربوية لكل منها، مما ينعكس بطريقة ما، غالباً ما تكون متباينة وبخاصة المتعلقة بالهوية والشخصية والثقافة والانتماء... إلخ.

كما أفرزت النتائج أيضاً بصورة عامة أن مؤسسة الأسرة (باتفاق جميع افراد العينة، للجماعات اللغوية)، هي النواة أو المركز الذي تولد فيه اللغة (عربية كانت أم أمازيغية)، وهي المحتضنة لهذه اللغة الأم والراعية لها، كما أنها (الأسرة)، تتلقى الاثر الخارجي للممارسات اللغوية خارجها، والذي ينعكس بصورة واضحة، على ممارساتهم اللغوية داخلها، من خلال اللغة التي يتعلمها الأبناء جزاء احتكاكهم الخارجي بالآخرين (الحاملين لنفس اللغة الأسرية، أو للغة أخرى مغايرة للغة الأسرة)، فهي

بمثابة سوق لغوي، قد تنتج لغة، وقد ينتج لها اللغة، وهذا ضمن تواجدها في الفضاء (المجتمع الكبير الذي يحتضن هذه الأسر).

ويمكن إبراز نتائج البحث من خلال فرضيات الدراسة على النحو الآتي:

فيما يخص الفرضية الأولى، حول تأثير العوامل الاجتماعية على اللغة الممارسة داخل الأسرة على اختلاف الأسر الناطقة بالأمازيغية لكل من الشاوية، والقبائل، وبنو مزاب والتوارق، أثبتت النتائج بأن هناك تأثير للعوامل الاجتماعية على الممارسة اللغوية داخل الأسرة (عند الآباء والأبناء)، سواء ما تعلق بنوعية اللغة (أمازيغية أو عربية)، أو عند الجماعات اللغوية السابقة، ويمكن ذكر أهمها في:

- 1- فيما يخص الخصائص الشخصية والتوجهات اللغوية.
- ففي علاقة نوع الأسرة (نووية أو ممتدة)، بتكلم الأبناء اللغة الأمازيغية، فنجد أن هناك تباين في المواقف، إذ نجد أن نوعية الأسرة للجماعات اللغوية (القبائل و بنو مزاب والتوارق)، لا تؤثر في ذلك، سواء كانت الأسرة نووية أو ممتدة، فإنها تعلم الأبناء اللغة الأمازيغية وينسب عالية، بينما عند الأسر الشاوية، فهناك علاقة، إذ تساهم الأسرة الممتدة أكثر في تعليم اللغة الأمازيغية للأبناء، عكس الأسرة النووية التي لا تساهم في نقل هذه اللغة للأبناء، وهو ما يساهم في عدم التمكن من التكلم بها لدى الكثير من الأسر.
- وأما لغة الحديث في الأسرة، فهناك توافق للجماعات اللغوية أيضاً لكل من (القبائل وبنو مزاب والتوارق)، بأنها تستعمل اللغة الأمازيغية في معظم الأوقات داخل الأسرة، بينما تختلف عنهم الجماعة اللغوية للشاوية من خلال أسرها، في أنها تستعمل أكثر اللغة العربية داخل الأسرة.
- وفيما يخص اللغة الأم للمبجوثين، فإن هناك توافق للأسر لكل من (القبائل وبنو مزاب والتوارق) في اعتبارات اللغة الأمازيغية كلغة أم لديهم، وينسب متساوية للقبائل وبين مزاب، وبدرجة أكبر عند التوارق، بينما عند الأسر لدى الشاوية، نجد نسبة معتبرة عبّرت عن أن لغتها الأم هي العربية.
- بينما في علاقة اللغة الأم للمبجوثين باللغة المفضّل تعليمها للأبناء، أي في إمكانية نقل اللغة الأم للأبناء، نجد الكثير من القواسم المشتركة، وكثير من الاختلافات (التناقضات) لدى هذه الأسر، إذ نجد أن التي لغتها الأم هي الأمازيغية، تنقل إلى أبنائها اللغة الأم الأمازيغية مع

تقارب في النسب بين هذه الجماعات (القبائل، بني مزاب والتوارق)، بينما لدى الشاوية حتى ولو كانت اللغة الأم عند الآباء هي الأمازيغية، فإن هناك نقل للغة العربية للأبناء، بدل الأمازيغية، وكلما كانت اللغة الأم للآباء هي العربية، فإن اللغة المنقولة للأبناء هي اللغة العربية لكل من بني مزاب والتوارق، ونجد هناك تناقض لدى كل من الشاوية والقبائل، حيث ينقل الآباء للجماعة اللغوية للشاوية اللغة الأمازيغية لأبنائهم بدل العربية، وينقل الآباء للجماعة اللغوية للقبائل اللغة الأمازيغية بدل العربية، وهو ما يعبر عن التناقض الموجود، لدى الأسر في نقل اللغة الأم، وأيهما أحق في أن يتعلمها الأبناء، وهو ما يعكس تدخل اللغة الخارجية عن الأسرة في التأثير على خيارات الآباء والأسر للغة الأم لأبنائهم.

كما تبرز في هذه الوضعية أيضاً، من حيث التراتبية للغة الأبناء، ظهور اللغة الفرنسية كلغة مرغوب في تعليمها للأبناء، وتظهر كلغة ثانية للذين لغتهم الأم هي الأمازيغية للأسر القبائلية، وكلغة ثانية للأسر الشاوية الذين يقرون لغتهم الأم العربية، وللمزابية أيضاً، فهناك اختلاف للأسر المنتمية إلى هذه الجماعات في نظرتها لمستقبل لغة الأبناء وفي توريثها (إنتاجها) للغة الأم للأبناء.

- بينما في علاقة الأصل الجغرافي باللغة المفضل لتعليمها للأبناء قبل المدرسة، فإن النتائج أفرزت بأن هناك تباين بين بعض الجماعات، وهناك توافق لدى البعض منها، إذ نجد بان تأثير العامل الجغرافي (ريف، حضر) لدى الجماعات اللغوية لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق ضئيل، فمعظم الأسر المنتمية لهذه الجماعات، سواء في الريف أو المدينة، تفضل تعليم أبنائها -قبل المدرسة- اللغة الأمازيغية، إلا أنها تزداد أكثر كلما اتجهنا نحو الريف، وتتفوق أكثر عند القبائل والتوارق، وتأتي اللغة العربية لديها ثانياً، وتكون أكثر في المدينة.

بينما لدى الأسر للجماعة اللغوية للشاوية، هناك تفضيل للغة العربية للأبناء -قبل المدرسة- سواء في الريف أو المدينة، لكنها ترتفع أكثر للذين يتواجدون في المدينة، وترتفع الأمازيغية قليلاً عند الذين يتواجدون في الريف.

فلأصل الجغرافي تأثير ضعيف من حيث اللغة المفضل نقلها للأبناء قبل المدرسة فيما يخص العربية أو الأمازيغية، ولكن فيما بين هذه الجماعات فهناك بعض التباينات في اللغة المفضل تعليمها للبناء قبل المدرسة، وفي درجة نقلها لهم، سواء في المدينة أو الريف.

- وفيما يخص علاقة الأصل الجغرافي بلغة حديث الزوجين فيما بينهم، فإننا نجد بأن هناك بعض التباين، إذ تظهر الأسر للجماعات اللغوية لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق، بأنه كلما اتجهنا نحو الريف أو المدينة، كلما كان حديث الزوجين فيما بينهم هو اللغة الأمازيغية، وترتفع أكثر في المدينة لديها، ويقل استعمالها بصورة محسوسة عند التوارق للذين يتواجدون في الريف (25.2%).

بينما كلما اتجهنا نحو المدينة، كلما كان هناك حديث باللغة العربية بين الزوجين، وكلما اتجهنا نحو الريف، كلما كان حديث الزوجين باللغة الأمازيغية، وهذا لأسر الجماعة اللغوية الشاوية (الأمازيغية أكثر تواجداً في الريف، والعربية أكثر تواجداً في المدينة) في حديث الزوجين.

- أما عن لغة الأبناء في المنزل، فإن النتائج بينت بأن هناك توافق (تطابق) لدى أسر الجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) في استعمال الإزدواجية (عربية وأمازيغية)، لدى الأبناء في الأسرة، وهو حالة واقعية موجودة عند الأسر الجزائرية المنتمية لهذه الجماعات اللغوية.

- وعن علاقة سن المبحوثين (الآباء) باللغة المستعملة في المنزل من قبل الأبناء، فإن هناك ارتباطاً للغة الأمازيغية أكثر للآباء الذين ينتمون إلى الفئة العمرية (الشيوخ)، و(الكهول) بدرجة أقل، إلا أنها تتواجد أيضاً لدى الشباب ولكن بدرجة أقل من الفئتين السابقتين، وهذا للجماعات اللغوية خاصة لكل من (القبائل والتوارق وبني مزاب)، بينما نجد ارتباط اللغة العربية لأسر الجماعة اللغوية للشاوية بفئة الكهول والشيوخ أكثر، وبنسبة عالية جداً (100%)، بينما تبرز العربية والأمازيغية لدى الشباب أكثر لهذه الأسر.

فكلما كان أفراد العينة ينتمون لفئة (الكهول والشيوخ)، كلما كان هناك استعمال للغة الأمازيغية أكثر من قبل الأبناء في المنزل، هذا لكل من (القبائل، بني مزاب والتوارق)، وكلما كان أفراد العينة ينتمون لفئات (الكهول والشيوخ) عند الشاوية، كلما كان هناك استعمال للعربية من قبل الأبناء داخل المنزل، وكلما كان المبحوثين من فئة الشباب، كلما ظهرت الأمازيغية ولو بدرجة منخفضة عند الأبناء في حديثهم داخل المنزل.

ف هناك علاقة بين الفئات العمرية بصفة عامة، وبين اللغة الممارسة بين الابناء في المنزل، ولكن هناك تباين في ظهور هذه اللغة أو تلك لدى الجماعات اللغوية المختلفة من خلال أسرهم.

- وعن حديث الأبناء اللغة الأمازيغية فيما بينهم (الابناء مع بعضهم البعض) ، نجد بأن هناك توافق للجماعات اللغوية لك لمن (القبائل والتوارق و بني مزاب) في أن الأبناء عندهم يتواصلون (يستعملون) اللغة الأمازيغية فيما بينهم ،عكس الأبناء للجماعة اللغوية للشاوية، والذين لا يتحدثون اللغة الأمازيغية فيما بينهم.

- وفيما يتعلق بأهمية تدريس اللغة الأمازيغية كلغة رسمية في المدارس، فهي تتسم بالتوافق النسبي بين الجماعات اللغوية، إذ يعتبرونها بأنها مهمة نوعاً ما ،ومهم جداً أحياناً أخرى، وتبرز مهمة جداً لدى القبائل أكثر، وبدرجة أقل عن التوارق، بينما تبرز عند الشاوية أيضاً غير مهمة على الإطلاق(30%)، فهناك نوعاً من الرضا في تدريس الأمازيغية، ولكن بقليل من التحفظ -لأسباب تم التطرق إليها، في تحليل الجداول.

- وتتفق كل هذه الجماعات (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق) على أن أفضل مرحلة لتدريس الأمازيغية هي المرحلة الابتدائية، لعلاقتها المباشرة باللغة التي كان يحملها الأبناء قبل دخولهم المدرسة.

- أما عن الحروف المفضل تدريس الأمازيغية بها، فهناك توافق لدى هذه الأسر للجماعات اللغوية باختلافها، على تفضيل كتابتها وتدريسها بحروف "التيفناغ"، وترتفع النسبة بصورة قوية عند التوارق خاصة، لارتباط هذا الخط جغرافياً بمنطقة التوارق، إلا أن هناك أيضاً تباين عند الذين ينادون باستعمال الحرف العربي أو اللاتيني (كخيار ثانٍ)، إذ يتوافق كل من الشاوية والتوارق و بني مزاب في كتابة وتدريس الأمازيغية بحروف عربية، ولو بدرجات متفاوتة بينهم، بينما تفضل الاسر للجماعة اللغوية للقبائل الحرف اللاتيني(كخيار ثانٍ)، في حالة عدم اعتماد التيفناغ.

2. مجالات استعمال اللغة (الممارسة اللغوية):

وفيما يخص أهم المجالات (اقتصادية -سياسية-دينية-علمية وثقافية) وعلاقتها باللغة الأكثر مناسبة لها، فإننا نجد أيضاً هناك تباينات لمواقف هذه الجماعات اللغوية، من اللغة التي يرونها مناسبة لكل قطاع.

- ففي المجال العلمي والتعليمي، هناك توافق لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق) في تفضيل اللغة العربية كلغة مناسبة لهذا المجال، وهي اللغة التي تمكن العلم والتعليم من التطور والتعبير عن مظاهر هذا التطور، بينما ترى الجماعة اللغوية للقبائل أن اللغة الأجنبية (الفرنسية تحديداً) هي الأنسب للمجال العلمي والتعليمي، ولعل هذا كله يبرز علاقة اللغة بهذا المجال، فاللغة هي القدرة على تطوير العلوم والتعلم، لأنها مرتبطة بالفكر وهي لسان حاله، كما يبرز التقسيم الوطني للغة (أي لغة لأي قطاع).
- وفيما يتعلق بالمجال الاقتصادي والمجال السياسي، فنجد أيضاً أن هناك توافق على مناسبة اللغة العربية لهذين المجالين، لدة المبحوثين المنتمين للجماعات اللغوية (الشاوية، بني مزاب والتوارق)، مع تفضيل المبحوثين للجماعة اللغوية للقبائل اللغة الفرنسية.
- وفي المجال الديني، نجد أن هناك إجماع (توافق تام)، لدى كل المبحوثين لهذه الجماعات اللغوية للغة العربية، ولعل ذلك نابع من ارتباط هذه اللغة (العربية) بالمقدس الديني (الإسلام)، وكأن هناك قناعة بأن الإسلام لا يصلح إلا باللغة العربية، المنزل بها القرآن.

3. التفاعل الاجتماعي اليومي والممارسة اللغوية:

ففيما يتعلق بالمواقف المختلفة للمبحوثين، التي يحتكون بها (مؤسسات التنشئة)، والتي تكون فيها اللغة خاضعة للعناصر الداخلة في الحديث، فانه وجدنا بان هناك اختلافات وتوافقات أيضاً ، وتتناقضات لدى هذه الجماعات اللغوية ، في ممارستهم للغة .

- فيما يتعلق باللغة المستعملة في الحديث مع الأقارب، فإن هناك توافق للجماعات اللغوية لكل من (القبائل والتوارق) في استعمال اللغة الأمازيغية أكثر، بينما نجد توافق أيضاً عند (الشاوية وبني مزاب) في استعمال اللغة العربية أكثر، وبدرجة مرتفعة عند بني مزاب، وبروز الأمازيغية بدرجة أقل عند الشاوية.
- بينما مع الجيران، فإن الموقف اللغوي الممارس عند أفراد العينة لهذه الجماعات، يتسم بالتباين عند كل من الشاوية والتوارق من جهة، وبين القبائل وبني مزاب من جهة أخرى، وعند الشاوية هناك استعمال للغة العربية، وعند التوارق استعمال للعربية والأمازيغية معاً (ازدواجية)، بينما يستعمل كل من القبائل وبني مزاب اللغة الأمازيغية، كما تظهر حالة الازدواجية اللغوية

بدرجات مقبولة لدى كل هذه الجماعات اللغوية، كاستعمال واقعي في التعامل مع الجيران، وهو ما يعكس تنوع الأسر القاطنة في أماكن تدل على احتكاك لغات مختلفة (عربية وأمازيغية) في نفس التجمعات السكانية، وهذا ما يفرض واقع لغوي يسمح بالتواصل والتفاهم.

- أما في السوق، فنجد ظهور العربية عند كل من الشاوية والتوارق كلغة أكثر استعمالاً في هذا المكان، وظهور حالة الازدواجية اللغوية (عربية/ أمازيغية) عند بني مزاب، والأمازيغية عند القبائل، كلغات مستعملة أكثر في هذا المكان (السوق)، والملفت أيضاً هو ظهور حالة الازدواجية (عربية/ أمازيغية) كحالة لغوية ممارسة في السوق أيضاً، وهو ما يعكس التنوع في الانتماء اللغوي لمجموع الأفراد المتواجدين في السوق (لأسباب تجارية).

- أما في الشارع، فنجد بروز اللغة العربية عند الشاوية، والأمازيغية عند القبائل، وحالة الازدواجية عند كل من (التوارق وبني مزاب)، أي أن هناك تباين في الاستعمالات اللغوية بين أفراد العينة للجماعات اللغوية، مع تطابقها عند الجماعات اللغوية لكل من التوارق وبني مزاب، وهذا ما يدل على التدفق الكبير لعناصر الجماعات اللغوية (ناطقين بالعربية وبالأمازيغية) على المناطق الصحراوية (مقر تواجد التوارق وبني مزاب)، لأسباب متنوعة، وهو ما يفرض واقع لغوي جديد ممارسة في الشارع.

- بينما نجد في الإدارة، أن هناك تطابق في الرؤى لدى أفراد العينة للجماعات اللغوية كلها في استعمال اللغة العربية كلغة تواصل، وتكون النسب أكثر ارتفاعاً عند الشاوية وبني مزاب، وهو ما يعكس واقع لغوي أيضاً ممارسة داخل هذا المكان (الإدارة)، والذي له علاقة بطبيعة ولغة الأشخاص المتواجدين فيه وللموقف اللغوي.

ومنه يمكننا تلخيص استنتاج الفرضية الأولى، في القول، بأن هناك تأثير للعوامل الاجتماعية المتنوعة في طبيعة الممارسة اللغوية للأسر، وتختلف هذه الممارسة اللغوية لدى الجماعات اللغوية المختلفة (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، إلا أن هذه الممارسات تفرز تباينات في الممارسة بين هذه الجماعات في مواقف وأماكن، كما تفرز توافقات في مواقف وأماكن أخرى، وهو ما يقودنا للقول بأن الفرضية تحققت إلى حد كبير.

أما فيما يتعلق بالفرضية الثانية، حول تأثير العوامل الثقافية على اللغة الممارسة داخل الأسر الناطقة بالأمازيغية، لكل من الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق، أثبتت النتائج أيضاً بأن هناك تأثير

للعوامل (السمات الثقافية) للآباء، على طبيعة الممارسة اللغوية داخل الأسرة، وخارجها سواءً ما تعلق بالعربية أو بالأمازيغية، والتي لها ارتباط بنظرة المبحوثين (الآباء)، للعديد من القضايا الثقافية (الهوية، الشخصية،...) والإعلامية (من خلال وسائل الإعلام) أو الوسائط الثقافية المؤسسية.

ويمكن التطرق إلى أهم النتائج:

1. المحددات الثقافية للهوية:

- بالنسبة للعناصر المكوّنة لهوية الفرد، فهناك اعتقاد لدى المبحوثين بأهمية العناصر المشكلة لهويتهم، إذ يعتبر كل من المبحوثين للشاوية وبني مزاب والتوارق بأن الدين أهم عنصر محدد لهويتهم، بينما تختلف مواقف المبحوثين للقبائل، إذ يعتبرون اللغة هو المكون الأساسي لهويتهم بدل الدين.
- وعن اللغة التي يعتبرونها عاكسة لهويتهم الذاتية، فإن هناك توافق لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق، في اعتبار الأمازيغية جوهر هويتهم الفردية، بينما تختلف الشاوية عن ذلك، إذ تعتبر العربية هي المكون الأساسي لهويتهم الفردية، ويعتبر كل من أفراد العينة للشاوية والتوارق بأن اللغة هي جزء من شخصيتهم، وبدرجة أقل عند القبائل، بينما يعتبر أفراد العينة لبني مزاب أن اللغة جزء مهم من هويتهم أكثر، وبدرجة أقل عند القبائل.
- وفيما يخص الانتماء الثقافي للجزائر، فإن كل من الآباء للجماعة اللغوية للشاوية والتوارق يعتبرونه أنه بلد إسلامي (انتماء للعالم الإسلامي)، أي بُعد ديني، بينما يعتبر الآباء للجماعة اللغوية للقبائل، بأنها بلد أمازيغي، أي بُعد ثقافي ولغوي، ويعتبر الآباء للجماعة اللغوية لبني مزاب بأنها بلد (أمازيغي-إسلامي)، أي ذات بعد ديني-لغوي (فهناك تباين في تصور المبحوثين للانتماء الوطن).
- وفيما يتعلق بعلاقة الانتماء الثقافي للجزائر، واللغة المشكلة للهوية الذاتية والتوارق، أنه إذا كان الانتماء الثقافي للجزائر إسلامي، فإن لغى هويتهم هي العربية (لغة القرآن)، وإذا كان الانتماء أمازيغي فإن لغة هويتهم الذاتية هي الأمازيغية (لغة الثقافة).

بينما يكون هناك توافق للجماعتين اللغويتين لكل من (القبائل وبني مزاب)، فإذا كان الانتماء الثقافي للجزائر أمازيغي، فإن اللغة المشكلة لهويتهم الذاتية هي الأمازيغية أيضاً، وإذا كان الانتماء إسلامي، فإن اختيار الهوية الذاتية لأفراد العينة عند بني مزاب هي الأمازيغية كمشكل لهويتهم

الذاتية، وإذا كان اختيار الانتماء الثقافي للجزائر مغاربي عند القبائل، فإن اللغة المكوّنة لهويتهم الذاتية هي العربية.

أي أن هناك علاقة بين الانتماء الثقافي للجزائر، ولتشكيل الهوية الذاتية للمبحوثين عن طريق اللغة (عربية/ أمازيغية)، ولكن هناك اختلاف (تباين) في شرعية أي لغة تشكل هذه الهوية لديهم.

- وفيما يتعلق بعلاقة الانتماء الثقافي للجزائر، وأساس اختيار لغة الأبناء فإن النتائج أفرزت، بأنه إذا كان الانتماء سواءً إسلامياً عند الشاوية، أو مغاربي/ إفريقي، عند بني مزاب والتوارق، فإن اللغة التي يختارونها لأبنائهم هي لغة الدين (أي اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن)، بينما مهما كان الانتماء الثقافي للجزائر -مغاربي أو قومي أو إفريقي، لدى القبائل، فإن اختيار لغة الأبناء هو لغة الوطن (اللغة العربية أو اللغة الأمازيغية).

2. آليات التنشئة الثقافية:

- ففيما يتعلق بعلاقة برامج مشاهدة باللغة المفضل تعليمها للأبناء، فكلما كان هناك مشاهدة لبرامج الأطفال (للأبناء)، كلما كان توجيه الأبناء للبرامج التي تبث باللغة العربية، وهو يعكس أيضاً أن الفترات التي يشاهدها الآباء في الغالب هي القنوات العربية (مع تساوي الأجنبية مع العربية لدى القبائل)، وهو يعكس التوجّه العام لتأثير لغة مشاهدة الآباء على لغة الأبناء (العربية)، مع الاختلاف في البرامج المشاهدة (بين الآباء والأبناء)، ولدى كل الجماعات اللغوية (توافق).

- وما يتعلق بعلاقة برامج مشاهدة باللغة المفضل تعليمها للأبناء قبل المدرسة، فإنه كلما كانت برامج الأطفال، كلما كانت لغة الأبناء قبل المدرسة، فإنه كلما كانت برامج الأطفال، كلما كانت لغة الأبناء هي الأمازيغية لكل من القبائل وبني مزاب والتوارق، وكانت لغة الأبناء هي العربية عند الشاوية (هناك توافق واختلاف).

- أما ما يرتبط بالقنوات الإذاعية الأكثر تتبّعاً من قبل المبحوثين فإن هناك توافق (إجماع) على تتبّع وسماع القنوات المحلية الأمازيغية لدى كل الجماعات اللغوية (الشاوية وبني مزاب والقبائل والتوارق)، مع انخفاض درجة تتبّعها عند (الشاوية وبني مزاب)، وارتفاعها عند (القبائل والتوارق)، فهناك ارتباط للمبحوثين للقنوات المحلية (في كل ولاية)، لاعتمادها على

برامج ثقافية واجتماعية و...، تخص الولاية بدرجة كبيرة، وتبث لغتها باللهجة المحلية لتلك الولاية أو المنطقة، ولكن مع مراعاة اللغة المستعملة في المجتمع الصغير.

- أما عن الهاتف، فإن هناك توافق لدى المبحوثين للجماعات اللغوية المختلفة، بأن اللغة الأكثر استخداماً في الهاتف هي العربية، خلال إجراء مكالماتهم اليومية، وهو ما يعكس العلاقات الاجتماعية المتنوعة التي يرتبط لها أفراد هذه الجماعات اللغوية، مع الجماعات اللغوية الأخرى (غير الناطقة بالأمازيغية، أو بالعربية) بسبب علاقات العمل أو القرابة أو الدراسة... إلخ، فأصبحت هذه الوسيلة (الهاتف) تفرض واقع لغوي معين.

- وفيما يتعلق بالوسيلة الإعلامية الأكثر توحيداً للغة في نظر المبحوثين، فإن كل من أفراد العينة للأسر المنتمية للجماعة اللغوية لبني مزاب والتوارق اعتبروا كل من (التلفزيون والراديو) أهم وسيلتان في توحيد اللغة لدى الأفراد، بينما يبرز التلفزيون كأهم وسيلة لتوحيد اللغة عند الشاوية وبروز الراديو عند القبائل كأفضل وسيلة لتوحيد اللغة.

- وفيما يتعلق بلغة مطالعة الجرائد، نجد بروز مطالعة الجرائد باللغة العربية أكثر عن كل من أفراد العينة للقبائل والتوارق، بينما تتساوى المطالعة باللغتين (عربية/فرنسية) عند الشاوية وتَفوق اللغة الفرنسية عند بني مزاب، وهذا برغم عكسه للتباين الموجود بين هذه الجماعات في اللغة الأكثر ظهوراً في المطالعة، بقدر ما يعكس التناقض في طبيعة لغة المطالعة نفسها بالنسبة للمبحوثين (والتوجهات العامة) السابقة، في العديد من المسائل لا ترجح التوجهات القرائية للمبحوثين في هذه الاتجاهات، (توجه المبحوثين عند القبائل نحو العربية، توجه المبحوثين عند الشاوية نحو العربية والفرنسية، توجه المبحوثين عند بني مزاب نحو الفرنسية)، ولعل هناك دلالة ما تحملنا هذه التوجهات نحو لغة المطالعة للجزائر.

- أما عن مواقع الأنترنت، فبرغم الإحجام الكبير لاستعمال ذلك، لدى أفراد العينة لهذه الجماعات اللغوية، إلا أن المترددين على الأنترنت، يتوافقون حول ترددهم على المواقع العربية، لدى كل الجماعات اللغوية، مع ظهور المواقع الأجنبية مع العربية، لدى أفراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل.

3. الوسائط الثقافية:

- بالنسبة لدور الجمعيات، فإن هناك إقبال ضعيف لأفراد العينة بصورة عامة على الجمعيات (وهو تعبير عن فقدان الثقة في هذه الجمعيات)، والمنتمين إلى هذه الجمعيات، تكون ذات طابع اجتماعي-ثقافي، وبخصوص اهتمام هذه الجمعيات بالأمازيغية، فإن هناك توافق عند كل من (القبائل وبني مزاب والتوارق) باهتمامها بالمسألة الثقافية واللغوية تحديداً، وتختلف عن هذا الموقف الجماعة اللغوية للشاوية، إذ ترى لا اهتمام الجمعيات بالمسألة الأمازيغية.
- وبخصوص لغة المناقشات داخل هذه الجمعيات، فنجد استعمال اللغة العربية في المناقشات والتعبير هن الآراء، وهذا لأفراد العينة المنتمين لهذه الجمعيات، عند كل من (الشاوية، التوارق وبني مزاب)، بينما يستعمل الأفراد المنتمين للجماعة اللغوية للقبائل، اللغة الأمازيغية في مناقشاتهم.
- وعن لغة سماع الأشرطة (أغاني، أناشيد،...)، فإن هناك توافق لكل من الشاوية و بني مزاب في سماع الأشرطة باللغة العربية، بينما نجد هناك اختلاف مع الجماعتين اللغويتين لكل من (القبائل والتوارق) التي تفضل الاستماع للأشرطة باللغة الأمازيغية.

4. آليات الحفاظ على اللغة:

فيما يرتبط بالطرق الأفضل للمحافظة على اللغة الأمازيغية، نجد هناك تباين في ذلك، وهذا لدى كل الجماعات اللغوية، إذ يعتبر الأفراد (العينة) للجماعة اللغوية للشاوية، أن استعمال الأمازيغية في الحديث اليومي، هو أفضل طريقة للحفاظ على اللغة الأمازيغية، لأنها تبقى متداولة بين الافراد بصفة متواصلة، بينما رأى افراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل ، ان افضل طريقة للحفاظ على اللغة الامازيغية واستمرارها،هو تدريسها في المدارس الرسمية، على اعتبار المدرسة، تساهم في كتابة هذه اللغة، وتعليمها للآخرين، وهو ما يضمن تواجدها واستمرارها، بينما يرى أفراد العينة، للجماعة اللغوية لبني مزاب، أن أفضل طريقة للمحافظة على الأمازيغية واستمرارها هي تعليمها في المدارس الحرة، ولعل هذه المدارس الحرة هي الأكثر تواجداً وانتشاراً عند بني مزاب، وهي تدرس البرامج بصورة

مشابهة للمدارس الرسمية، وقد تعطي هذه المدارس ثمارها في الحفاظ على الأمازيغية، بعيداً عن الرسمية إذ تكون هناك حرية أكثر في استعمالها والتدريس بها.

بينما يرى أفراد العينة للجماعة اللغوية للتوارق، أن أفضل طريقة للمحافظة على الأمازيغية، هي الجمع بين استعمالها في الحديث اليومي، وتدريسها في المدارس الرسمية، فهو يعطي لها طابع الممارسة اليومية الروتينية للأفراد من خلال التواصل الشفوي، مع تدريسها في المدارس الرسمية، لنقلها إلى الكتابة، لكي تحافظ على استمراريتها وبقائها.

- فيما تبرز المواقف (موحدة)، أيضاً في أن الحفاظ على التراث الشفهي والمكتوب للأمازيغية، سوف يكون ضامن -أكيد- للمحافظة على هذه اللغة، لأن اللغة الغير مكتوبة، يكون هذا التراث الشفوي هو الحامل لهذه اللغة (الأمازيغية)، ولنقلها إلى الأجيال اللاحقة، ويظهر هذا الموقف لدى الجماعات اللغوية لكل من (الشاوية، بني مزاب والتوارق)، بينما تبقى المدرسة الرسمية الخيار، المفضل لأفراد العينة للجماعة اللغوية للقبائل.

- وبالنسبة لآفاق اللغة الأمازيغية، فهناك نظرة (تساؤمية) لهذه اللغة، لدى أفراد العينة للجماعات اللغوية المختلفة، إذ يرون بأنها لغة محصورة، أي متواجدة على نطاق ضيق، في استعمالاتها، وفي مكانتها وانتشارها وامتيازاتها الاقتصادية والاجتماعية، وهو عامل نفسي (واقعي)، بسبب عدم قدرة هذه اللغة، حتى على إعطاء فرص للارتقاء الاجتماعي، وتعكس المكانة الاجتماعية لمكلميها، من خلال هذه اللغة (ليست لغة توظيف)، وبخاصة إذا قورنت مع اللغات (العربية والفرنسية)، في الامتيازات والاستعمالات التي تحظى بها، ولكن مع تفوق الفرنسية في قطاعات هامة.

- وهذا ما يترجم شعور المبحوثين، بتقلص استعمال الأمازيغية، ولدى جميع الأفراد للجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق)، برغم الفرص (الدستورية) والرسمية، التي أعطيت لهذه اللغة، ولعل الواقع الفعلي، هو المؤثر على مسايرة هذه اللغة، للمتغيرات السوسيو-اقتصادية، والتكنولوجية والثقافية الحاصلة.

وهو ما ولد شعور -سلبي- لدى متكلميها في تقلص حظوظ توسّعها وانتشارها أكثر في ظل الوضع السوسيو-تاريخي، الذي منح الأفضلية للغة العربية (بعد الاستقلال تحديداً)، وابتعد اللغة الأمازيغية من صفة الوطنية والرسمية، وفي جميع القطاعات والمجالات، وهو ما أثر سلباً على المتكلمين بهذه اللغة، ولكن بقيت لغة للثقافة والتراث،...إلخ.

- أما فيما يتعلق بعوامل انتشار اللغة، فإن هناك توافق (تطابق) في اعتبار أن العوامل الأكثر مساعدة على انتشار اللغة هي العوامل الثقافية والحضارية، وهذا لكل من (الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق) ولكن بدرجة مقبولة، وتدخل العوامل العلمية والتعليمية أيضاً كعوامل مساعدة على انتشار اللغة، وهو ما يؤكد دور المدرسة، ودور العلم في احتضان اللغة، لتطويرها، وتعلمها وتوظيفها كوسيلة لنقل العلم والمعرفة، وهي تتماشى مع جعلها لغة حضارة وثقافة، وهذا يعبر عن درجة الوعي لدى هذه الجماعات بقيمة اللغة (علمياً وحضارياً وثقافياً) والتكامل الموجود بين هذه العناصر ضمن إطار اللغة.

- ويخصوص المؤسسات المفضلة لتواجد الأمازيغية فيها، والتي تساعد في الحفاظ عليها ونقلها وتعليمها، فإن هناك توافق (قواسم مشتركة) للجماعات اللغوية لكل من (الشاوية وبني مزاب والتوارق)، على دور الأسرة في احتضان الأمازيغية، لأنها أساس للحفاظ عليها ونقلها إلى الأبناء كجزء من شخصيتهم وثقافتهم، ومن تاريخهم، بينما نجد أفراد العينة للقبائل تفضيلهم المدرسة لاحتضان الأمازيغية، على اعتبار المدرسة، هي القادرة على إعادة إنتاج هذه اللغة بين أبنائها، وتسمح لها بالكتابة، والانتشار وهو ما يضمن بقائها وتطورها.

ولا شك أن هناك توافق نسبي على دور كل من المدرسة والأسرة كمؤسستين اجتماعيتين، قادرة على الحفاظ على هذه اللغة، وتطويرها ونقلها إلى الأجيال، وجعلها لغة علم وحضارة وهذا يدل أيضاً على التكامل العضوي بين الأسرة (أول من يحتضن اللغة)، والمدرسة (أول من يستقبل الطفل بلغته)، وهو يحقق الانسجام والتواصل بين لغة الأسرة ولغة المدرسة، مما يسهم في التطور المعرفي والعلمي للأفراد.

- بينما يؤكد كل الباحثين، ويتفقون على ضرورة تعلم لغة المحيط الخارجي (بمجالاته ومواقفه ومؤسساته...) لأنه فضاء لغوي، يؤثر على الممارسة اللغوية لأبنائهم ولهم، وهذا لدى جميع أفراد العينة للجماعات اللغوية (الشاوية، القبائل، بني مزاب والتوارق).

إذاً ومن خلال هذه النتائج المرتبطة بدور العامل الثقافي (مؤسسات التنشئة الثقافية، والوسائط الثقافية، ومحددات الهوية...) والتي أفرزت تباينات وتداخلات في الموقف والتصورات المختلفة لأفراد العينة، في اللغة (عربية/ أمازيغية)، أو حتى أجنبية، والتي يرونها الأنسب أو الأفضل، في مجمل ممارساتها الثقافية، فلا شك أن ذلك، ينعكس بصورة مباشرة على خياراتهم

اللغوية داخل الأسرة وخارجها، وهو ما يجعلهم يمارسون لغة ما، وفقاً لخلفياتهم (سماتهم)، أو مرجعياتهم الثقافية المتكونة لديهم خلال مراحل عمرهم المختلفة.

وهذا ما ظهر لأفراد العينة لدى كل جماعة لغوية، والتي أظهرت اختلافات في الكثير من الجوانب المختارة للهوية أو الثقافة، أو مكان ممارسة اللغة دون أخرى، أو مجالات الاستعمال، أو تأثيرات وسائل الإعلام... وهذا ما يجعلنا نقول (وبالاستناد إلى النتائج السابقة) بأن فرضيتنا تحققت إلى حد مقبول.

وانطلاقاً من هذا الاستنتاج العام، وبالرجوع إلى استنتاج الفرضيتين، يمكن القول: أن هناك تأثير للعوامل السوسيو-ثقافية، على الممارسة اللغوية داخل الأسر الناطقة بالأمازيغية، وتختلف هذه الممارسات اللغوية باختلاف الجماعات اللغوية لدى كل من الشاوية والقبائل وبني مزاب والتوارق.

خاتمة :

لقد تمت معالجة موضوعنا من زوايا متعددة، ومتداخلة في كثير من الأحيان، بسبب طبيعة الظاهرة المدروسة - الظاهرة اللغوية - ، وكيف يعيش ويتفاعل الممارسون للغة (المتحدثون بها)، بانتماءاتهم، أو خلفياتهم الاجتماعية والثقافية والجغرافية، وهذا بالنسبة للجماعات اللغوية الناطقة باللغة الامازيغية، سواء عند الشاوية أو القبائل أو بني مزاب أو التوارق، ورأينا الطريقة التي يدير بها هؤلاء الأفراد، المنتمون إلى تلك الجماعات، اللغة ، سواء بما هو مرتبط باللهجة المحلية (الامازيغية)، أو اللغة العربية، ومدى قيمة واهتمام كل فرد داخل هذه الجماعة باللغة التي يعتقد - أو هكذا يراها - بأنها الأنسب للوضعيات اللغوية المختلفة (حالة الازدواجية او حالة التعدد)، واستعمال اللغة في مختلف المواقف والسياقات، التي تفرض تخاطب لغوي معين، وسواء أكان الموقف داخل الأسرة أو خارجها، أو في أماكن اللقاءات الاعتيادية (السوق، الشارع، الإدارة، العمل، الجيران.....)، إذ تركز مجمل الممارسات اللغوية لهذه الجماعات اللغوية - من خلال أفراد العينة -، على استعمال اللغتين، الامازيغية، بلهجاتها المختلفة لدى كل جماعة لغوية، أو العربية، بلهجاتها المتنوعة، إلا أن هذه الممارسات والاستعمالات، لا تكون ثابتة (مستقرة)، في نفس المواقف والسياقات والوضعيات اللغوية، إذ تبرز اللغة الامازيغية في مواضع ومواقف، وتبرز اللغة العربية في مواضع ومواقف أخرى، وتبرز (تظهر) حالة الازدواجية (عربية /امازيغية)، في كثير من المواقف أيضا، كحالة واقعية ممارسة داخل هذه الجماعات ، ولو بنسب متفاوتة ، كما ان هناك ظهور للغة الأجنبية (الفرنسية) بصورة محدودة، وفي مواقف يغلب عليها طابع - تعليمها للأبناء-أو ممارستها ، باعتبارها وسيلة مساعدة في الانفتاح على العالم، وعلى تحقيق امتيازات اجتماعية، او مكانة اجتماعية افضل، وهي تظر خاصة في المدرسة - أو قبلها - ، أو في الإدارة ، ولكن تبقى محدودة، ولا ترقى إلى حجم الممارسات اللغوية، لكل من الامازيغية والعربية ، ولدى كل الجماعات اللغوية، ولكن أكثر ظهورا (بصورتها المحدودة) عند الجماعة اللغوية للقبائل، في مواقف عديدة ، مقارنة بالجماعات الأخرى.

وقد أظهرت هذه الدراسة، تلك العلاقة بين اللغة الامازيغية، والجماعات التي تنتمي لها(الجماعات الناطقة بها)، إذ تتسم بنوع من الانقسامية في مجمل المواقف والتصورات - اجتماعيا وثقافيا- المختلفة لهذه اللغة، فأحيانا تكون بالتمجيد لها، والاعتزاز بها وبالانتماء إليها، وإلى ثقافتها وجغرافيتها، إذ التمسك بها (اللهجة المحلية الامازيغية)، والتعبير بالفاظها وعباراتها، وممارستها، هو

تعبير عن أسلوب حياة ونمط معيشة، وهو إعلان عن تلك الذاتية الثقافية والاجتماعية والهوياتية، لتلك الجماعات، واستقلالها، وتميزها عن الآخرين (غير الناطقين بها)، هذا من جهة ، ولكن في المقابل هناك تاجيل، او حجب في النظر الى قيمة واهمية هذه اللغة والثقافة، في ظل منظومة وطنية جامعة لمكونات هذا المجتمع الامازيغي، الذي ينطوي (ينتمي) إلى مجتمع اكبر منه (المجتمع الجزائري)، وتكون الحيرة والدهشة - في الغالب - هي الميزة الأبرز في مجمل المواقف والتصورات، في العلاقة بين اللغة والمجتمع ، فنجدها لا تكتفي - احيانا كثيرة - بالامازيغية كمكون أوحده، في تشكيل شخصيته وهويته، بقدر ما تلونه بالمرتكزات الإضافية، والمتمثلة في اللغة العربية والدين الاسلامي - الحامي والحامل - لهذه اللغة (العربية)، واللذان يمثلان محددين ثقافيين جوهريين للهوية الفردية والجماعية لها.

ولعل النتيجة الأكثر ترسخا، من خلال هذه الدراسة المتواضعة، التي قمنا بها، ان وراء كل تلك الممارسات اللغوية والعلاقات والتفاعلات المختلفة والمتنوعة، علاقات اجتماعية، تشهد عليها بصورة واضحة تلك العلاقات (اللغوية) التي قمنا بتناولها في الموضوع، فهناك علاقة وتبادل بين الممارسات اللغوية لدى الافراد عند هذه الجماعات اللغوية الناطقة بالامازيغية، ومختلف الممارسات الاجتماعية لديهم.

وامل وانا خاتما لهذه الدراسة، أن يكون هناك انشغال واهتمام - حقيقي - للمختصين والمهتمين، بالمسألة اللغوية(الوضع اللغوي)، فهناك مسؤولية علمية، اتجاء هذه القضية في الجزائر، والتي لا تزال - في اعتقادي - متشابكة، ولم تحظى بالاهتمام اللائق لها، وهذا لتخطي وتجاوز تلك النظرة المناسباتية، والبرغماتية، التي تصدر في الغالب من غير المختصين بالمسألة اللغوية.

كما امل ان يكون هذا البحث انطلاقة، وتبنيه لابعاث اخرى، لدى هذه الجماعات اللغوية (امازيغية او عربية)، لفهم هذه الممارسات اللغوية في المجتمع، وللمساهمة في ايجاد اجابات معرفية شاملة للظاهرة اللغوية ، في تداخلها خاصة مع الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والتعليمية، بعيدا عن النظرة الفوبية السلبية (فوبيا - امازيغية) او (الفوبيا -عربية).

قائمة المراجع

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية :

1- الكتب :

- (01)القران الكريم .
- (02)إبراهيم السيد صبري: علم اللغة الاجتماعي، مفهومه وقضاياها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995.
- (03)إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو مصرية ،مصر، ط9، 1995.
- (04)إبراهيم محمد طلاي: مزاب بلد كفاح، مطبعة الآفاق، غرداية.
- (05)ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ العلامة ابن خلدون، المجلد6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1968.
- (06)ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: مطبعة النهضة، القاهرة، الجزء3 ، 1939.
- (07)ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: المقدمة ، الدار التونسية للنشر ، ، ج1، 1984.
- (08)أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- (09)أسعد وطفة على: علم الاجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشر والتوزيع، دمشق، 1993.
- (10)اكناتة ولد النقرة: الطوارق من الهوية الى القضية، مطبعة طوب بريس الرباط، موريطانيا، 2014 .
- (11)آمنة ابراهيمي: وضع اللغة العربية-المغرب وصف ورصد وتخطيط ، مطبعة الأمنية، الرباط، ط1، 2007 .
- (12)أنيس محمد أحمد قاسم: مقدمة في سيكولوجية اللغة، مركز الاسكندرية للكتاب، القاهرة، مصر، 2000.
- (13)إيفون تيران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسة الطبية والدين(1830-1880)، ترجمة محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- (14)برنار صبولسكي:علم الاجتماع اللغوي، ترجمة/ عبد القادر ستدقادي، دويوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

- 15) البريدي عبد الله : اللغة ، هوية ناطقة ، المجلة العربية ، السعودية ، 1434هـ .
- 16) بلعيد صالح : في المسألة الأمازيغية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1999.
- 17) بن عيسى حنفي: محاضرات في علم النفس اللغوية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون سنة، الجزائر .
- 18) بن نبي مالك: شروط النهضة، ترجمة /عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 .
- 19) بن نعمان أحمد : التعريب بين المبدأ والتطبيق في الجزائر والعالم العربي ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .
- 20) بوحوش عمار، الذنبيات محمد محمود: مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995..
- 21) بوخلوف محمد، صحراوي بوزيد.. وآخرون: واقع الأسرة الجزائرية، والتحديات التربوية في الوسط الحضري، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، ط1، 2008.
- 22) بوعزيز يحي : الأيديولوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 198.
- 23) بوقرة بلقاسم: من الاستبداد الشرقي إلى النظام العالمي الجديد، التاريخ الإجتماعي للجزائر تحت المجهر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003 .
- 24) بير وبيار: اللسانيات، ترجمة، الحوانس مسعودي ومفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001.
- 25) التجاني بولعوالي :الإسلام والامازيغية، نحو فهم وسطي للقضية الامازيغية ،إفريقيا الشرق ، المغرب، 2007.
- 26) تركي رابح : أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- 27) تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.
- 28) التوري ميلود: الامازيغية والفينيقية، وبينهما العبرية واليونانية، سلسلة تاريخ اللغات المغاربية، مطبعة الرباط، المغرب ، ط1، 2009 .

(29) جرين جودت: التفكير واللغة، ترجمة/ عبد الرحمان عبد العزيز العبدان، دار عالم الكتب، الرياض، 1990 .

(30) جولبيت غارمادي: اللسانية الاجتماعية ، ترجمة/ أحمد خليل أحمد خليل، دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1990.

(31) جون جوزيف: اللغة والهوية، تر/عبد النور خرافي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2007.

(32) الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج 1 ، بدون سنة.

(33) جيلبرغرائيوم: اللغة والسلطة والمجتمع فبي المغرب العربي، ترجمة/ محمد أ. سليم، افريقيا الشرق، المغرب، 2011.

(34) حاجي فريد: السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر: 1837-1937، دار الخلدونية، 20013.

(35) حفيظة تازورتي: إكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.

(36) خرما نايف: اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، 1995.

(37) خلال عبد الوهاب: العلاقات الانسانية والاعلام، منشورات ذات السلاسل، الكويت ، 1984.

(38) دسوقي كمال: النمو التربوي للطفل والمراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.

(39) دليو فضيل: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 70.

(40) دليو فضيل،... وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.

(41) دو نوفو إدوارد: الإخوان، دراسة إثنوغرافية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ت/ كمال فيلالي، مكتبة الهدى، عين مليلة، 2002.

- (42) دوجلاس براون: **أسس تعلم اللغة وتعليمها**، ترجمة، عبدة الرجحي ،علي علي أحمد شعبان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1994.
- (43) ديوي جون: **المدرسة والمجتمع**، ترجمة: أحمد حسن الريحم، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون سنة .
- (44) الرباشي سليمان، فيلاي صالح... وآخرون : **الأزمة الجزائرية - الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية** - مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1996.
- (45) رشيد الحاجي: **الامازيغية والسلطة ، نقد استراتيجية الهيمنة** ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط ، 2008 .
- (46) رشيد الناصوري: **المغرب العربي الكبير**، القاهرة ، ج 1 ، 1966.
- (47) ركيبي عبد الله : **الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز**، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1999.
- (48) روي سي هجمان: **اللغة والحياة والطبيعة البشرية**، ترجمة/ داود حلمي و أحمد السيد ، جامعة الكويت ، الكويت ، ط1 ، 1989.
- (49) ريشل مارك: **إكتساب اللغة**، ترجمة كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1 1984.
- (50) ريمون كيفي، لوك فان كمبنهود: **دليل الباحث في العلوم الاجتماعية** ، ترجمة/ يوسف الجباعي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان، ط1، 1997.
- (51) ساطع الحصري أبو خلدون: **ماهي القومية**، أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1959.
- (52) السامرائي إبراهيم : **اللغة والحضارة** ، مؤسسة الدراسة والنشر ، بدون مكان النشر ، 1977.
- (53) سبيلا محمد وبنعبد العالي عبد السلام: **اللغة**، دار توبقال للنشر، المغرب ، ط4 ، 2005 .
- (54) سبيني سيرجيو: **التربية اللغوية للطفل** ، ترجمة فوزي محمد عبد الحميد عيسى وعبد الفتاح حسن عبد الفتاح ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1991.
- (55) السدي عبد السلام: **ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية**، مؤسسة بن عبد الكريم للنشر والتوزيع، تونس، 1994 .

- 56) سرياك لحسن: الهوية الأمازيغية، الجزائر في أصول البشرية، ثلاثون قرنا من التاريخ، بدون دار النشر، الجزائر، 2003.
- 57) السعران محمد: اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، دار المعارف، الاسكندرية، مصر، ط2، 1963.
- 58) السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، مطبعة بهية المصرية، القاهرة، 1985.
- 59) السيد علوان محمد: المجتمع وقضايا اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1955.
- 60) السيد محمود: في قضايا اللغة التربوية، وكالة المطبوعات، الكويت، بدون سنة.
- 61) شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة/محمد مزالي والبشر سلامة، الدار التونسية، 1969.
- 62) شارل روبير اجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ترجمة /محمد حمداوي وابراهيم صحراوي، ط2، دار الامة، الجزائر، 2008.
- 63) شتا علي: علم اجتماع اللغوي، مؤسسة شباب الجامعة، المكان غير مذكور، 1996.
- 64) الشربيني زكرياء ويسرية صادق: تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1996، ص84.
- 65) شهيبي عبد العزيز: الزوايا الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، وهران، 2007.
- 66) طالب الإبراهيمي خولة: الجزائريون والمسألة اللغوية، عناصر من أجل مقارنة اجتماعية لغوية للمجتمع الجزائري، ترجمة/ محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- 67) طاهر حسو الزبياري: أساليب البحث العلمي في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2011، 1.
- 68) عبد الباري حسن: الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2000.
- 69) عبد الحميد العناني حنان: الطفل والاسرة والمجتمع، دار الصفا للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط، 1997.
- 70) عبد الرحمان بن عطية: تاريخ العربية لسان العالمين، دار هومة، الجزائر، ترجمة/ حفناوي مالي، 2007.

- (71) عبد السلام بوشارب: **الهقار أمجاد وأنجاد**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، روية، الجزائر، 1995، ص13.
- (72) عبد العالي الودغيزي : **اللغة والدين والهوية**، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2000 .
- (73) عبد الفتاح عفيفي: **علم الاجتماع اللغوي** ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1995 .
- (74) عبد الفتاح كاميليا: **التربية اللغوية للطفل**، دار الفكر العربي، مصر، 1991، ص52.
- (75) عبد الله العروي: **تاريخ المغرب، محاولة في التركيب** ، ترجمة/ذوقان قرطوط، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، 1977.
- (76) العربي إسماعيل: **مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الزائر (1816-182)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- (77) العربي أكينج: **في المسألة الأمازيغية أصول المغاربة**، مطبعة آنف، برانت، فاس، المغرب، ط2، 2006.
- (78) عز الدين المناصرة: **المسألة اللغوية في الجزائر والمغرب (إشكالية التعددية اللغوية)**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999.
- (79) عز الدين المناصرة: **المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب (إشكالية التعددية اللغوية)**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 ، 1999 .
- (80) عقون العربي: **الامازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الاصول والهوية**، التتويحي للطباعة والنشر، الرباط ، ط1، 2010.
- (81) علواني عبد الواحد: **تنشئة الأطفال و ثقافة التنشئة** ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1997 .
- (82) علي عبد العزيز السرحدات: **تحولات اللغة الدارجة تأثير التغير الاجتماعي على العربية في الإمارات**، إتحاد كتاب وأدباء الامارات ، ط1، 1990 .
- (83) علي عبد الواحد وافي: **اللغة والمجتمع** ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، دون سنة .
- (84) علي عبد الواحد وافي: **علم اللغة**، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، 1984.
- (85) عيد محمد: **في اللغة ودراساتها** ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، 1974 .

- (86) الغربي المصطفى: الفرنكفونية والتعريب وتدريس اللغات الأجنبية في المغرب، ترجمة محمد اسليم، مطبعة سندي، مكناس (المغرب)، ط1، 1994.
- (87) غلاب عبد الكريم: الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1977.
- (88) غلاب عبد الكريم: من اللغة إلى الفكر ، بدون دار نشر ، المغرب، ط1، 1993 .
- (89) فردينان دي سوسير: دورس الألسنية العامة، ترجمة/ صالح الترمادي و محمد شوش، محمد عجبنة ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1985.
- (90) قاسم حجاج: مزاب رؤية مستقبلية مع مدخل إلى قضايا المستقبلية، العالمية للتصميم والفنون المطبعية، غرداية، الجزائر، ط1 2006.
- (91) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة/ نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1965.
- (92) لبيب ، الطاهر: سوسيولوجيا الثقافة ، دار ابن رشد ، عمان ، ط3 ، 1986 . .
- (93) لويجي لوفاكافلي: الجينات والشعوب واللغات ، ترجمة/ أحمد مستجير ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2004 .
- (94) لويسي جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية ، ترجمة /حسن حمزة ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1 ،لبنان 2008.
- (95) ماريو ياي: لغات البشر ، ترجمة / جيلالي الدين – القاهرة ، مصر ، 1970 .
- (96) مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ .
- (97) مجموعة من الكتاب، مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة (ندوة لجنة القيم الروحية والفكرية)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، تطوان 6-7 فيفري 2007.
- (98) محمد الأوراعي: التعدد اللغوي إنعكاساته على النسيج الاجتماعي. منشورات كلية الآداب بالرباط، ط1، 2002 .
- (99) محمد المختار العراوي: في مواجهة البربرية وأخطارها الإنقاسامية، بيت الحكمة، بغداد، ط1، 2002 .

- (100) محمد عيد: المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، وللنثر والشعر، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
- (101) محمود أبو زيد: اللغة في الثقافة والمجتمع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- (102) مرتاض عبد الجليل : مقاربات في علم اللهجات ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، الجزائر ، 2002 .
- (103) مرتاض عبد الجليل، العربية بين الطبع والتطبيع ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- (104) معتوق أحمد محمد: الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.
- (105) معتوق جمال: منهجية العلوم الاجتماعية والبحث الاجتماعي، بن مرابط للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.
- (106) ممدوح خسارة: التعريب والتنمية اللغوية، الأمالي للطبع والتوزيع، ط10، دمشق، 1994.
- (107) منشورات وزارة الثقافة: تاريخ زاوية ، الجزائر 2005.
- (108) المنصف وناس: الدولة والمسألة الثقافية في تونس ، دارالميثاق للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1988.
- (109) المهسني عفيف: الثورة الثقافية العربية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1985 .
- (110) موريس أنجريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات علمية، ترجمة: بوزيد صحراوي، سعيد سبعون، كمال بوشرف، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004.
- (111) ميجل سيجوان، وليم ف. مكاي: التعليم وثنائية اللغة، ترجمة/ إبراهيم بن حمد القعيد ومحمد عاطف مجاهد، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، السعودية، 1995.
- (112) ميشال زكرياء : الألسنية - علم اللغة الحديث المبادئ والإعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

- (113) ميشال زكرياء: **مباحث في النظرية الأبنية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1985.
- (114) ميشيل فوكو: **الكلمات والأشياء**، ترجمة مصطاع صفيدة، سالم يغوت... وآخرون، مركز الإنماء القومي، لبنان، بيروت، 1989.
- (115) نازلي معوض أحمد: **التعريب والقومية العربية في المغرب العربي**، مكتب دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- (116) نيقولاس أوستلر: **امبراطوريات الكلمة**، تاريخ اللغات في العالم، ترجمة/ محمد توفيق البجيمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2011.
- (117) هـدسون: **علم اللغة الاجتماعي**، ترجمة، محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1990.
- (118) الهرماسي محمد صالح: **مقاربات في إشكالية الهوية، المغرب العربي المعاصر**، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001.
- (119) همام هاشم الألوسي: **الطوارق، الشعب والقضية**، دار أبي رقاق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2010.
- (120) وليام لانغر: **موسوعة العالم، الترجمة العربية**، القاهرة ج1، 1962.
- (121) يوسف بن بكير (الحاج سعيد): **تاريخ بني ميزاب**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط3، 2014.

2- المجلات :

- (122) **الأصالة**، وزارة الشؤون الدينية- الجزائر عدد 61/60 أوت-سبتمبر 1987.
- (123) **آفاق**، مجلة إتحاد كتاب المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2006.
- (124) **مجلة الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة قسنطينة، العدد2، مارس 2003.
- (125) **مجلة العربي**، الكويت، عدد 497، أبريل 2000.
- (126) **المستقبل العربي**، يناير، العدد 353، السنة التاسعة والعشرون، 2007.
- (127) **المستقبل العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد 57/ 1983.

3- القواميس :

(128) غيث محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(مصر)، 1989.

4- الاطروحات :

(129) تعوينات (علي): «صعوبات تعلّم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي»، أطروحة دكتوراه، معهد علم النفس، جامعة الجزائر.

5- الوثائق :

(130) الجزائر، الدليل الاقتصادي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر
(131) الأمر رقم 35-76 المؤرخ في 16 أفريل 1976-الباب الثالث-الفصل الأول-
المادة 125.

6- المواقع الالكترونية :

(132) الحفيان فيصل : اللغة والهوية ، إشكالات المفاهيم وجدل العلاقات ، انظر
الموقع www.alukah.net/literature-language ، تاريخ 2009/9/5 .

ثانيا : باللغة الأجنبية :

1- OUVRAGES :

- 133) Bernstein (Basil): **Langage et classes sociales, codes sociolinguistiques et contrôle social**, éd ,Minuit, Paris ,1980.
- 134) Boulifa (s): **le Djurdjura a travers l histoire(depuis l antiquité jusqué 1830),organisation et Indépendance des Zouaoua (grand Kabylie)**, imprimeur éditeur, Alger,1925.
- 135) Bourdieu (Pierre) et Passeron (Jean Claud) : **La reproduction** Minuit, Paris, 1980,

- 136) Cote Marc: **mutation rurales en Algérie, le Cas des hautes plaines de l'est**, OPU, Alger, Algérie , 2ème édition, 1981.
- 137) De Coster (Michel) : **Introduction à la sociologie** , 3 Edition, BOECK Université, Bruxelles, 1992.
- 138) Dsaussure (F) : **Cours de linguistique général**, éd, ENAD, 1990.
- 139) Dugois et All: **Dictionnaire de linguistique**, Paris, 1973.
- 140) Fitouri (Chadli) : **Biculturalisme bilinguisme et éducation**, édition Delachoux et Niestle, Paris, 1993.
- 141) Gilbert Grandguillume : **Arabisation et politique linguistique au Moghreb**, éd G.P, Maisonneuve et Larose, Paris, 1983.
- 142) Guenoum (Ali): **Chronologie du mouvement berbère, Alger**, Casbah editions , 1999.
- 143) Guy Rocher ; **Introduction a La sociologie. Première partie: l'action social**: coll; Point, Paris,1972.
- 144) Jean– Louis Calvet ; **linguistique et colonialisme**, petit traite de glottophagie bibliothèque Scientifique, Paris Poyot ,1974.
- 145) Jean servier : **les berbères**, MAHLAB éditions , saint Germain ,Paris ,France ,2ème ed , 1990.
- 146) MAHE : **histoire de la grand Kabylie xix e xx Siècles Anthropologie historique du lien Social dans les communautés, villageoises**, Editions Bouchene, France ,2002.
- 147) Mathéa (Gaudry) : **La Femme Chaouia de l'Aurès**, éd.Chihab, Awal, Algérie.
- 148) Mayer (A): **Origine de la dénomination de K EB AIL,IN, R, AN** 3, Alger, 1858,.

- 149) Mustapha Boutefnouchet: **La Famille Algérienne, Evolution et caractéristiques récentes** ,ALGER,SNED,1980.
- 150) Noureddine Taleb: **Cours de Linguistique et Didactique**, ed : DAR EI GHARB, ORAN, 2002.
- 151) Piaton (G): **Education et socialisation**, Eléments de la psychosociologie de l'éducation, éd Edouard Privat, Toulouse, 1997.
- 152) Rondly (A) : **Trouble du langage, Diagnostic et réduction**, éd ,Pierre Mordaga, Paris , 1982.
- 153) Taleb Ibrahimi (Khoula): **Les Algériens et leurs Langues**, éd, El Hikma, 1997.

2- REVUES ET COLLOQUES :

- 154) Bourdieux (P) : " *les trois états du capital* " Acte de recherche en science sociales. N=30, Paris 1979.
- 155) CAMPS (G); Berbères mythe ou réalités In, les Cultures du Maghreb Sous la direction de
- 156) HARBI (M); Nationalisme algérien et identité berbère, In ,Les Peuples Méditerranéens, N 11, Avril-juin 1980.
- 157) ROQUE(M.A),les Cahier de Contluence, Paris, L Harmattan, 1996
- 158) SALHI (B): Modernité et retraditionalisation a travers les champs associatifs et politique , le cas de la Kabylie In **Insaniyat**, N° 8 Mai-Aout 1999, Vol. 2.

الملاحق

الملحق رقم (01):

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

تخصص ثقافي

استمارة بحث بعنوان :

الممارسة اللغوية داخل الأسرة الجزائرية

دراسة ميدانية مقارنة لمجموعة أسر ناطقة بالامازيغية

(الشاوية ، القبائل ، بني مزاب ، التوارق)

ملاحظة : هذه الاستمارة مخصصة لانجاز بحث علمي ، لذا نلتمس منكم التكرم بالاجابة على الاسئلة ،
اسهاما كريما منكم في خدمة البحث العلمي ، وهذا بوضع علامة (+) امام المكان المنايب لاجابتك ،
مع التعليق على الاسئلة المفتوحة ، ولكم كل الشكر على تفهمكم وصبركم .

السنة الجامعية 2017 / 2018

المحور الأول :البيانات الأولية:.

- 1) الجنس : ذكر ☐ أنثى ☐
- 2) السن:.. سنة
- 3) عدد الأبناء: الذكور ☐ الإناث ☐
- 4) المستوى التعليمي: أمي ☐ يقرأ ويكتب ☐ ابتدائي ☐ متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐
- 5) المستوى التعليمي للزوج (ة):..أمي ☐..يقرأ ويكتب ☐..ابتدائي ☐...متوسط ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐
- 6) مكان الدراسة الجامعية : داخل المنطقة ☐ خارج المنطقة ☐
- 7) المهنة
- 8) الدخل الشهري: أقل من 30000 دج ☐ أكثر من 30000 إلى 60000 دج ☐ أكثر من 60000 دج ☐
- 9) مكان الإقامة :. مدينة (بيئة حضرية) ☐ ريف (بيئة ريفية) ☐
- 10) نوعية السكن : شقة ☐ بيت حضري ☐ بيت ريفي ☐ فيلا ☐ أخرى حددها.....
- 11) ملكية السكن : ملكية الدولة ☐ ملكية خاصة ☐ سكن وظيفي ☐ مستأجر ☐
- 12) الوسائل والأجهزة المتوفرة للأسرة (ممتلكات الأسرة):

لا	نعم	الإجابة الوسائل
☐	☐	التلفاز
☐	☐	السيارة
☐	☐	الهاتف
☐	☐	كمبيوتر
☐	☐	غسالة
☐	☐	ثلاجة
☐	☐	آلة طبخ
☐	☐	المكيف

أخرى أذكرها.....

المحور الثاني : العوامل الاجتماعية والممارسة اللغوية:

13) هل تسكن في مسكن : لوحذك (مع الزوجة والأبناء) ☐ مع والدبك وإخوتك (كل أفراد الأسرة) ☐ أخرى أذكرها.....

14) ماهي اللغة التي تستعملها داخل الأسرة أكثر (لغة الحديث) هل هي:

العربية ☐ الامازيغية (اللهجة المحلية) ☐ الفرنسية ☐

15) ماهي اللغة التي تفضل وتميل إلى استعمالها أكثر في الوضعيات التالية :

العربية	الامازيغية (اللهجة المحلية)	الفرنسية	أخرى أذكرها.....
1) التحدث بها	☐	☐	☐
2) القراءة بها	☐	☐	☐
3) الكتابة بها	☐	☐	☐
4) الاستماع بها	☐	☐	☐

16) ماهي اللغة التي تفضل تعليمها لأبنائك قبل دخولهم المدرسة؟ هل هي:

العربية ☐ الامازيغية ☐ الفرنسية ☐ أخرى أذكرها.....

17) ماهي لغة الحديث مع الزوج (ة) : العربية ☐ الامازيغية ☐ الفرنسية ☐

- في حالة الإجابة ب (العربية أو الفرنسية) هل يعود ذلك إلى أنها :

من عائلة عربية اللغة ☐ من منطقة غير أمازيغية ☐ أخرى ☐ حدها.....

18) ماهي اللغة التي يتعلمها الأبناء في المنزل؟ لغة الأب ☐ لغة الأم ☐ الاثنين معا ☐

- ماهي هذه اللغة ؟ العربية ☐ الامازيغية ☐ الفرنسية ☐

19) هل يتكلم أبنائك اللهجة المحلية (الأمازيغية) فيما بينهم؟ ☐ ☐

- في حالة نعم هل يكون ذلك؟ دائما (جميع الأوقات) ☐ أحيانا (بعض الأوقات) ☐

20) عند اختيارك للغة ابنك على أي أساس تختارها (رتب حسب الأولوية من 1 إلى 3 أهمية العناصر التالية):

لغة الدين (الإسلام) ☐ لغة الوطن (الجزائر) ☐ لغة الانتماء الإقليمي (العربي) ☐

21) هل ترى بأن اللغة هي أداة للهيمنة ؟ نعم ☐ لا ☐

- إذا كان الجواب بنعم ، ماهي اللغة التي ترى بأنها تحقق ذلك : العربية ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية ☐

22) هل ترى أن تدريس الأمازيغية كلغة رسمية في المدرسة :

مهم ☐ مهم نوعا ما ☐ بدون رأي ☐ غير مهم ☐ غير مهم على الإطلاق ☐
لماذا ؟

23) لو تم إعتتماد تدريس الأمازيغية في المدارس التعليمية ، هل تسمح لأبنائك بدراستها؟ ☐ نعم ☐ لا

- في حالة الاجابة ب نعم ، في أي مرحلة تفضل تعلمها : الابتدائية ☐ المتوسطة ☐ الثانوية ☐ الجامعة ☐

24) ماهي الحروف التي تفضل تدريس الأمازيغية بها ؟ تيفناغ ☐ العربية ☐ اللاتينية ☐

- لماذا ؟

25) هل تعتقد بأن اللغة العربية هي :

لغة خاصة بالعرب وحدهم ☐ لغة الشعوب المسلمة ☐ لغة القرآن والإسلام ☐ لغة للعالم كله ☐

26) أي من اللغات ترى بأنها صالحة للمجالات الآتية:

العلم والتعلم	الدين	الإدارة	الاقتصاد	السياسة	المعاملات
اللغة العربية ☐	☐	☐	☐	☐	☐
الأمازيغية ☐	☐	☐	☐	☐	☐
الأجنبية ☐	☐	☐	☐	☐	☐

27) ماهي اللغة التي تستعملها في ممارستك اليومية أثناء تواجدك في الأماكن التالية:

نوع اللغة	العربية	الأمازيغية	أمازيغية وعربية	الفرنسية	أخرى
الأماكن					
مع الأقارب					
مع الجيران					
في الشارع					
في السوق					
في الإدارة					
في مكان العمل					

28) هل تدخل أبناءك للمدارس القرآنية : ☐ نعم ☐ لا

– إذا كان الجواب بنعم : حدد الغرض الأساسي من ذلك هل لـ :

تعليم اللغة العربية ☐ لحفظ القرآن ☐ آخر حدد.....

المحور الثالث : العوامل الثقافية والممارسة اللغوية :

29) رتب حسب الأولوية (من 1 إلى 5) من الخيارات السابقة التي تعتقد بأنها تشكل هويتك الذاتية (الفردية):

الدين	اللغة	الثقافة	الحضارة	التاريخ
☐	☐	☐	☐	☐

30) من بين اللغات الآتية أي منها تشعر أنها الأقرب في تشكيل هويتك الذاتية؟

☐ العربية ☐ الأمازيغية ☐ الأجنبية

31) هل ترى أن اللغة جزء من : هويتك ☐ شخصيتك ☐ ثقافتك ☐

32) في رأيك كيف ترى الانتماء الثقافي للجزائر (رتب حسب الأهمية (من 1 إلى 5) ؟

بلد إسلامي ☐ بلد عربي ☐ بلد أمازيغي ☐ بلد مغاربي ☐

بلد إفريقي ☐ من بلدان البحر الأبيض المتوسط ☐ آخر أذكره.....

33) هل تشعر من النواحي الآتية أنك أقرب إلى (اختر خيار واحد فقط عن كل ناحية) :

المغرب العربي	العالم العربي	العالم الإسلامي	الإفريقي	العالمي
☐	☐	☐	☐	☐
من الناحية الحضارية				
☐	☐	☐	☐	☐
من الناحية الثقافية				
☐	☐	☐	☐	☐
من الناحية الدينية				
☐	☐	☐	☐	☐
من الناحية الجغرافية				
☐	☐	☐	☐	☐
من الناحية التاريخية				

34) هل يتوفر منزلك على مقعر هوائي (بارا بول)؟ نعم ☐ لا ☐

- في حال نعم ماهي القنوات التلفزيونية التي تشاهدها بكثرة ؟ هل هي :

القنوات الوطنية (الجزائرية) ☐ القنوات العربية ☐ القنوات الأجنبية ☐

- في حال مشاهدتك للقنوات التلفزيونية الوطنية هل تشاهد :

الناطقة بالأمازيغية ☐ الناطقة بالعربية ☐ الناطقة بالفرنسية ☐

35) ماهي البرامج التي تسمح فيها للأطفال تتبعها (مشاهدتها) على التلفاز هل هي؟

برامج الأطفال (رسوم متحركة) ☐ الأفلام والمسلسلات ☐ الاشرطة العلمية ☐ الحصص الترفيهية ☐

- بأي لغة يتم تتبع تلك البرامج والتي يشاهدها الأبناء كثيرا هل هي:

العربية ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية ☐ آخر حدده.....

- هل يكون ذلك على القنوات التلفزيونية ؟

العربية ☐ الوطنية ☐ الأجنبية ☐

36) ماهي القنوات الإذاعية التي تفضل سماعها:

الوطنية ☐ العربية ☐ الأجنبية ☐

- في حال الإجابة ب (الوطنية) هل هي: الإذاعة الوطنية ☐ الإذاعة المحلية الناطقة بالأمازيغية ☐

الإذاعة المحلية الناطقة بالعربية ☐ الإذاعة الثقافية ☐ الإذاعة الدينية ☐

-هل اختيارك لهذه القنوات كان بسبب بثها باللغة المحلية ؟ ☐ لا ☐

37) مار أيلك في اللغة التي تبث بها هذه البرامج ؟ لغة سليمة ومفهومة ☐ لغة خاطئة وغير مفهومة ☐

38) ماهي اللغة التي تتحدث بها هاتفيا في أغلب الأوقات ؟ العربية ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية ☐

39) هل تطالع الجرائد؟ نعم ☐ لا ☐

-في حال نعم ، هل يكون ذلك : دائما ☐ أحيانا ☐ نادرا ☐

-في حال قراءتك للجرائد، ما اللغة التي تفضل القراءة بها : العربية ☐ الفرنسية ☐

أذكر أكثر الجرائد قراءة:.....

40) هل تتردد على نوادي الانترنت: دائما ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

-إذا كان الجواب ب (دائما أو أحيانا) ماهي المواقع التي تزورها بشكل دائم؟

مواقع عربية ☐ مواقع أمازيغية ☐ مواقع فرنسية ☐ مواقع اجنبية ☐

41) هل تقوم بعمليات المراسلة والتعارف عبر الانترنت ؟ نعم ☐ لا ☐

-في حال نعم مع من تفضل التواصل؟ العرب ☐ الأمازيغ ☐ الأجانب ☐

برأيك ما سبب اتصالك بهم.....

- ماهي اللغة التي تتواصل معهم بها ؟ العربي ☐ الامازيغية ☐ الفرنسية ☐

42) أثناء اتصالاتك الهاتفية ماهي اللغة التي تستعملها أكثر أثناء مكالماتك؟

العربية ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية ☐

.....ماسبب ذلك.....

43) هل تطالع في أوقات فراغك ؟ نعم ☐ لا ☐

- في حال الجواب بنعم ماذا تطالع: جرائد ☐ مجلات ☐ كتب ☐ آخر ☐

.....

- ماهي لغة مطالعتك ؟ العربي ☐ الفرنسي ☐ آخر ☐، حدددها.....

44) أي من الوسائل الإعلامية ترى بأنها تعمل على توحيد اللغة لديكم (رتبها حسب الأهمية من 1 الى 4)؟

الراديو ☐ التلفزيون ☐ الانترنت ☐ الجرائد ☐ آخ ☐ حددده.....

45) هل تنتمي إلى جمعيات أو نوادي ثقافية؟ نعم ☐ لا ☐

- إذا كان الجواب بنعم ، هل هي ذات طابع : ديني ☐ اجتماعي ☐ ثقافي ☐ اقتصادي ☐ سياسي ☐

- ماهي اللغة الأكثر استعمالا اثناء المناقشات وتبادل الافكار ؟ العربية ☐ الامازيغية ☐ الفرنسية ☐

- هل تعطي هذه الجمعيات اهتماما للهجة الأمازيغية (المحلية) في برامجها ونشاطاتها.؟ نعم ☐ لا ☐

.....لماذا؟.....

46) في رأيك ، ما موقف الجمعية أو النادي من مسألة اللغة الامازيغية في الجزائر ، هل هي :

مؤيدة لتعميمها ونشرها ☐ معارضة لتعميمها ونشرها ☐ غير مهمة ☐

47) هل يتم سرد قصص وحكايات على الأطفال؟ نعم ☐ لا ☐

- إذا كان نعم من يقوم في أغلب الأحيان بذلك ؟ هل هو:

الأب ☐ الأم ☐ الجد ☐ الجد ☐ آخ ☐ حددده.....

- بأي لغة يتم سرد ذلك ؟ هل يتم ب: العربية ☐ الامازيغية ☐ الفرنسية ☐

48) أثناء سماعك للخطب والدروس الدينية ماهي اللغة التي تفضل سماعها بها ؟

☐ العربية ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية

49) ماهي اللغة التي تستمع بها للأشرطة السمعية:

☐ العربية ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية ☐ آخر، حدد.....

50) كيف ترى اللهجة الأمازيغية التي تتكلمها ، هل ترى أنها:

لغة محلية (محصورة) ☐ إقليمية (في حيز جغرافي أوسع) ☐ ذات طابع وطني (وطنية) ☐

لغة عالمية ☐ آخر ، حدد.....

51) برأيك ماهي العوامل الأكثر تأثيرا في انتشار اللغة ؟

☐ العوامل الاقتصادية ☐ العوامل الثقافية والحضرية ☐ العوامل السياسية

☐ العوامل الدينية ☐ العوامل العلمية والتعليمية ☐ آخر حدد.....

52) هل تشعر بأن اللغة الأمازيغية (لهجتك خاصة) بدأ يتقلص استعمالها في منطقتك؟ نعم ☐ لا ☐

في حال نعم ، ما هي أسباب ذلك.....

53) ماهي الوسائل التي تراها قادرة على الحفاظ على اللغة الأمازيغية ؟

تعليمها في المدارس الحرة ☐ تعليمها في المدارس الرسمية ☐ استعمالها في الحديث اليومي ☐

تأليف كتب بالأمازيغية ☐ نشر الأغاني والأناشيد بها ☐ أخرى حددها.....

54) هل ترى أنه من واجب الأسرة وبخاصة (الأب والأم) تعليم الطفل لغة محيطه الخارجي؟ نعم ☐ لا ☐

لماذا؟.....

55) برأيك ، كيف يتم الحفاظ على الامازيغية ؟ هل يكون ذلك ب :

إدخالها إلى المدارس ☐ إنشاء معاهد خاصة بها ☐ بالحفاظ على التراث الشفهي والمكتوب ☐

آخر ☐ حدد

56 (ماهي المؤسسات التي تفضل دائما تعليم اللغة الامازيغية فيها :

الأسرة ☐ الروضة ☐ المسجد ☐ المدرسة ☐ الجامعة ☐

57) هل تسعى وتعمل على نشر الامازيغية ؟ نعم ☐ لا ☐

لماذا في كلتا الحالتين

58) برأيك ، كيف ترى مساهمة الأسرة في الحفاظ على اللهجة المحلية الأمازيغية؟

.....

.....

.....

65) كيف ترى مستقبل اللغة الامازيغية في الجزائر

.....؟

.....

.....

.....

شكرا على تعاونكم